



[www.EgyClassics.com](http://www.EgyClassics.com)

# تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينيستي

الاستاذ الدكتور

أحمد علي الناصري

أستاذ ورئيس قسم التاريخ  
كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٩٢

دار النهضة العربية  
٣٢ شارع عبد الحفيظ زكريا، القاهرة





## بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير المرسلين

### مقدمة

هذا كتاب مبسط بعيد عن التعقيد والتفاصيل المملة التي تجعل القارئ يضيق ذرعا بالتاريخ وأحداثه ، فليس الهدف هو حشو عقل القارئ بتفاصيل كثيرة قليلة الأهمية انما الهدف هو اثرائه بالأحداث ذات النتائج الهامة وتحويل أحداث التاريخ الى أفكار وبذلك تتكون لدى القارئ فلسفة ووجهة نظر تمكنه من تتبع حركة التاريخ وتنبه من الغرق في بحر التفاصيل وتشعباتها .

ولقد كانت مناهج التاريخ في مصر في الأصل من وضع أساتذة ومستشرقين أوروبيين الذين - رغم احترامنا لهم - كانت لهم نزعة معينة تسيطر على عقلياتهم وتنمashy مع أهداف وخطرة الفكر الأوروبي لعالم المشرق العربي الذي كان يرتل في الأغلال ، ويرزح تحت نير الاحتلال ؛ كما نلاحظ أن الأوروبيين يقللون من الدور الحضاري لشعوب المشرق الأدنى بينما يبالغون في سيطرة وتأثير الحضارة الأوروبية ، ومن ناحية أخرى حاول هؤلاء الأساتذة التقليل من العلاقات بين بلدان المشرق العربي باتباع الدراسة الرأسية لتعميق الخلاف بينها ، فمثلا في تاريخ مصر في العصر الهلينيستي بالغوا في تفاصيل وموضوعات تكاد أن تقيم حائطا عازلا بين المصريين وأشقائهم من شعوب العالم العربي القديم سواء في الشام أو بلاد الرافدين أو في الجزيرة وبذلك يصبح التاريخ القديم للمشرق الأدنى عامل تفرقة وعزل ، وليس عامل توحيد وترباط بين أجزاء الوطن الواحد ، فهو عندما يدرس تاريخ مصر في عصر البطلمة يلزم بكم هائل من التفاصيل التي تصل الى حد الملل بينما لا يكاد يذكر شيئا عن

تاريخ الشام أو الرافدين أو الجزيرة العربية في نفس الفترة بالرغم من أن الأصول العرقية واحدة والهجرات والعلاقات والتجارة لم تتوقف أبدا •

والآن وبعد أن آل الأمر في التعليم ووضع المناهج لأبناء هذه الأمة وجب علينا أن نتحرر من النظرة الأوروبية الى تاريخنا ، وأن نعيد النظر في كل ما كتبوه عنه لأن ماضى مصر وحاضرها لم يتعد يوما عن جيرانه من أقطار العالم العربى القديم ، ولذلك فقد جاهدنا لاعادة صياغة مناهج التاريخ القديم بحيث يكون في خدمة الأمانى القومية والوحدوية ، مع التزامنا بأمانة عرض المادة التاريخية فأحداث التاريخ لا تتغير انما الذى يتغير هو الفكر والمنهج الذى يتبعه المؤرخون ، والذى يختلف من جيل الى جيل ، وحسب الظروف السياسية والاجتماعية ودرجة الوعي القومى •

ولعل القارئ سوف يلحظ سرعة النبذة في عرض الافكار لأن هدفنا كما قلنا هو اثراء القارى بالافكار الهامة متغاضين عن التفاصيل غير الهامة التى تحشو عقليته بموضوعات ذات نتائج معدومة ولا تخدم هدفا قوميا ، وفي نفس الوقت لم نحرم هواة التفاصيل وذلك بالاشارة الى أهم المراجع والمصادر العربية والمعرية وتلك التى كتبت باللغات الأجنبية لكل فصل من فصول الكتاب • اننا نريد أن نقدم له الكثير النافع في حيز موجز وبعرض مبسط ، واننا على ثقة من أن الدارس سوف يغير من نظراته العتيقة، ويدرك مدى الترابط الجغرافى والفكرى والاجتماعى والسياسى والعرقى بين مصر وأقطار المشرق العربى في العصر الهلينستى • فقد أثبتت الاحداث المعاصرة مدى أهمية الشرق الأدنى وأن مشاكله السياسية تنبع من رواسب تولدت في العصور القديمة •

والله نسأل الهداية والرشاد

## المؤلف

القاهرة يوليو ١٩٩١

# الفصل الأول

## مدخل الى الموضوع

التحديد الجغرافى والزمنى للموضوع :

يستغرق العصر الهلنستى ثلاثة قرون تقريبا ، تبدأ من موت الاسكندر المقدونى عام ٣٢٣ ق.م. وتنتهى عند قيام الامبراطورية الرومانية رسميا على يد أكتافىوس أغسطس عام ٢٧ ق.م. تقريبا. غير أنه من الجدير بالذكر أن الحضارة الهلنستية لم تشرق فجأة بعد موت القاهر المقدونى ، بل نجدها ملامح حضارة تحمل روح العصر الهلنستى تظهر تدريجياً فى بلاد اليونان قبل مجئ الاسكندر وقيام الدولة المقدونية وسيطرتها على بلاد اليونان ، وذلك عندما تطورت الحضارة فى القرن الرابع فى بلاد اليونان وبدأت تهتد عن الروح الكلاسيكية وتتطور فى طريقها إلى عالم جديد ، لم تكن معالمه قد اتضحت بعد .

كذلك فإن مظاهر العصر الهلنستى لم تختف فجأة بقيام الامبراطورية الرومانية على يد الامبراطور أكتافىوس أغسطس ، لأن حضارة العصر الرومانى امتزجت مع الفكر والثقافة الهلنستية عقب ضم رومال هذه الممالك مكونة حضارة أطلق عليها اسم الحضارة الاغريقية رومانية Graeco-Roman .

والآن لنعرف ما مفهوم اصطلاح هلينى وهلينستى وما الفرق بينهما ؟ درسنا فى تاريخ اليونان أن الاسم الحقيقى لليونانى هو هللينى Hellene أى يونانى خالص ، وما قبل ذلك كان هيللاديا Helladic ، وتمتد الفترة الهلينية من القرن الثامن ق.م. تقريباً (أى من عام ٧٧٦ ق.م. تاريخ قيام الألعاب الأولمبية) وتنتهى بضم مقدونيا لبلاد اليونان Hellas وانتصارها عليهم فى معركة خايرونيا عام ٣٣٨ ق.م ، وفقدان المدن اليونانية Poleis لشخصيتها واستقلالها الذى تمتعت به خلال العصر الهلينى ، وتتميز ملامح الحضارة الهلينية بالاحساس بالقومية العرقية الراقية على ما دون غيرها من شعوب

الأرض الذين أطلق اليونانيون عليهم اسم برباروي Barbaroi ، وهذا الرقي العنصرى انعكس على آداب أثينا فى القرن الخامس - مركز الثقافة الكلاسيكية - وكذلك فى الفنون حيث نجد أن كل شىء يسمى للكمال ، أى تصوير وتخييل الأشياء فى صورة يجب أن تكون عليها ، وليس تلك التى عليها ، وهذا ما نسميه « البحث عن المثالية الحاملة » . واعتزاز كل مواطن أغريقى بالمدينة التى ينسب إليها ، ورفضه لأى فكرة تدعو لاتحاد الاغريق فى دولة واحدة ، حتى لا يفقد مزاياه الفردية ، التى كان يتمتع بها داخل عالم مدينته المحدود .

أما اصطلاح هيلينستى ، فيمكن ترجمته إلى كلمة « المتأغرق » أى أن الحضارة لم تعد أغريقية خالصة ، ولا وقفنا على بلاد الأغريق وحدهم ، وإنما أصبحت مزجاً من العناصر الشرقية والأغريقية معاً ، فتد امتزجت حضارة الاغريق الوافدة مع حضارة الشرق الأدنى القديم بعد الفتح المقدونى ، كما أن هذا الاصطلاح قد يعنى أيضاً تطور الحضارة الهلينية الكلاسيكية إلى مناخ جديد مختلف تماماً عن المرحلة السابقة . ولا نستطيع أن نقول أن هناك تفسيراً واحداً كاملاً ، لأن كل التفسيرات تحمل بعض الحقيقة ، فنلا فى العصر الهلينستى تطور علم الرياضيات ولكنه ظل لإغريقياً فى جوهره ، ولم يختلط بالرياضيات الشرقية ، بينما نجد علم الفلك البابلى يمتزج مع علم الفلك الأغريقى مكوناً علماً جديداً ، هو من أهم ملامح علوم العصر الهلينستى .

ويرى الأستاذ تارن أن هذه القرون الثلاثة من الحضارة الهلينية تنقسم إلى مرحلتين . المرحلة الأولى وهى مرحلة تدفق التيار الحضارى الأغريقى الخلاق فى مجالات العلوم والفلسفة والأدب والفنون والفكر السياسى وغير ذلك ، وذلك من خلال اتحاد العالم المقدونى الأغريقى ، الذى مد نفوذه إلى الشرق الأدنى وشبه جزيرة الأناضول ، وحتى حدود آسيا الوسطى . وكان مركز التدفق الحضارى بلاد اليونان الأم ؛ أما المرحلة الثانية فهى مرحلة انتقال مراكز الحضارة إلى مدن الشرق الأدنى وآسيا الصغرى بعد تدهور الأحوال فى بلاد اليونان ، حيث بدأت حضارة جديدة شرقية أغريقية ، مادية روحية ، تدفق من الشرق تجاه الغرب ، وأصبح العالم المقدونى الأغريقى محصوراً بين غزو

الشرق الحضارى ، وبين تطلع روما السياسى للاستيلاء على الممالك الهلينية ، وحتى بعد أن نجحت روما فى ضم الممالك الهلينية ، وقضت على استقلالها ، الذى هو قلب الحضارة الجديدة ، وجدت روما نفسها تحمل على عاتقها حمل رسالة هذه الحضارة الهلينية ، وعلى أى حال لا يمكن فصل هاتين المرحلتين عن بعضهما البعض .

لقد تغير مفهوم الفكر الإنسانى فى العصر الهلنى . عما كان عليه العصر الكلاسيكى فقد اتسع العالم المسكون ، واختفت فترة التعصب الذى إتسمت به نظم دويلة المدينة فى العصور الكلاسيكية ، وبدأت فكرة العالمية تتخلق Cosmopolitanism وبدأت شخصية الفرد تظهر Individualism وولدت فكرة وحدة العالم المسكون Oecumene ، وتميز البشر المتحضرين — أياً كانت قومياتهم — عن البرابرة ، فقد بما كان الأغريقى يفاخر بأن مدينة كذا هى وطنه ، أما فى هذا العصر فقد أصبح الأغريقى يفاخر بأن العالم كله وطنه .

وسادت لغة يونانية عامية سهلة Koine مشتركة بين أبناء العالم المتحضر ، وجدت طريقة لها للانتشار بين شعوب الشرق الأدنى وشعوب آسيا الصغرى حتى الهند شرقاً ، لقد ساحت الثقافة الهلينية محل القومية العنصرية والعرقية . فقد أوجد التعليم ثقافة واحدة فى كل مدن العالم المسكون ، هذه الثقافة التى شملت دراسة الأدب والفلسفة والعلوم والفنون ، إمتدت لتشمل العالم المسكون كله وليس بلاد اليونان فقط . وأصبح الإنسان سواء فى الشرق الأدنى ، أو فى إيطاليا ، أو فى آسيا يرى أن الثقافة الهلينية ضرورة أساسية لكى يصبح الإنسان متحضراً ومثقفاً .

كما أصبحت التجارة أيضاً إحدى وسائل الربط بين أجزاء العالم ، فقد تحطمت الحدود والعوائق الجغرافية ، وأصبح التسامى العنصرى تراثاً من الماضى ، واختفت فكرة التمييز بين البشر حسب العقيدة أو العرق ، وأصبح التميز للعلماء وحدهم ، فقد كان العصر الهلنى عصر العلماء المتخصصين حتى فى المهن والحرف ، ولم تعد المعرفة والثقافة أغريقية خالصة ، فمثلا الفلسفة الرواقية

أكثر الفلسفات إنتشاراً في العصر الهلنستى لم يكن واضح نظريتها أغريقياً ، بل كان فيزيقياً عاش في قبرص .

ولقد كان في ذلك العصر ممالك قوية ، ومتقدمة في الثقافة ، وأخرى صغيرة أقل تقدماً ، لكنها كلها كانت تأخذ بثقافة واحدة ، وظهرت مشاكل مشابهة لمشاكل عالمنا المعاصر مثل مشكلة الأسعار والأجور ، والاشتراكية والشمولية ، الاضرابات والثورات ، الاحساس بالانسانية والأخوة العالمية ، بالإضافة الى الصراعات المدمرية القاسية والفتاكة ، كذلك شهد هذا العالم تحرير المرأة ، وتحديد النسل ، وقضية تحرير العبيد وعقبتهم ، وحقوق الانسان في الهجرة إلى أى مكان في العالم ، وسار العلم الراقى الرفيع جنباً إلى جنب مع الخرافات والشعوذة ، وأصبح لكل فرع من فروع المعرفة علم فيه مؤلفات ومؤلفون ، لكنهم لم يكونوا على مستوى الأسماء الكبرى التى لمعت في العصور الكلاسيكية ولقد أدى انتشار التعليم الى تخريج جموع من أنصاف المثقفين وظهرت الدعاية كفن مؤثر على الرأى العام . ولقد لعب الرقيق دور الآلات في العالم المعاصر رغم ظهور النزعة الى الأخوة العالمية والانسانية لقد كان العصر الهلنستى عصر المتناقضات ، فثلاث سادات الرواقية بمذاهبها الراقى الذى يدعو الى الفضيلة ، جنباً الى جنب مع الشعوذة والسحر ، وعاشت النظريات العلمية المنطقية مع التيارات الدينية والمعتقدات الخارقة لقوانين الطبيعة ، وظهرت الدعوة الى عتق الرقيق ، ومعاملتهم كأخوة في الانسانية ، جنباً الى جنب مع تزايد سبي الأحرار في الحروب وازدهار أسواق الرقيق في ديلوس .



بدأت لإرهاصات العصر الهلنستى عقب انتهاء الحروب الديلوبونيسية عام ٤٠١ ق.م. ، والتي انتهت بتدمير الامبراطورية الاثينية ، وذلك عندما ترددت آراء المثقفين الأغريق من أمثال ايسوقراط وغيره في ضرورة اتحاد الأغريق وانضمام دويلات المدن تحت زعامة المملكة المقدونية من أجل القيام بحملة

الانتمائية للمعبر الامبراطورية الفارسية ، وفتح الشرق الأدنى أمام الأغريق ، وبذلك يتحول البحر المتوسط الى بحيرة ثقافية وتجارية ، بعد ازالة العوائق التي أقامها الفينيقيون حلفاء الفرس في وجه تجارة المدن الأغريقية ، وحتى تفتح أبواب الشرق الأدنى بكنوزه ووديانه وأنهاره أمام المغامرين الأغريق والباحثين عن الثروة ، وكان الأغريق قد عرفوا الشرق الأدنى منذ العصور الموكيشية ، ثم عرفوه مرة أخرى في عصر التوسع والانتشار خلال القرن السابع والسادس والخامس ق.م. ، ولكن احتلال الفرس لمنطقة الشرق الأدنى أغلق مجال الكسب والتجارة في وجه المدن الأغريقية مما أحدث كسادا اقتصاديا في تجارتها ، وهى بلاد فقيرة في حاجة دائمة الى غلات الشرق الأدنى لتعويض الفقر الاقتصادي .

ولذلك دعا هؤلاء المثقفون المدن الأغريقية الى التنازل عن كبرياتها ومبادئها المتمثلة في الاستقلال والاكتفاء الذاتي والتمسك بحريتها ، ورفض الاندماج أو الاتحاد مع باقي المدن في دولة واحدة ، وكانت حجة دعاة الوحدة أن نظام دويلة المدينة بمفهومه الكلاسيكي قد فشل ، لأنه تسبب في حدوث حروب وصراعات دموية ، أدت الى استنزاف اقتصاد الأغريق ، وقضت على شطر كبير من قواهم البشرية ، ودفعت الحضارة الأغريقية ثمناً باهظاً لهذه الحروب التعصبية الجوفاء ، ويقال أن أرسطر وضع بحثاً للإسكندر حول الأزمة الاقتصادية التي يعانيها الأغريق ، وأن فتح الشرق الأدنى وآسيا بعد تقويض الامبراطورية الفارسية هو الحل الأوحد لتلك القضية . ومن ناحية أخرى كان المفكرون الأغريق يعتقدون أن حملة عسكرية تقوم بها مقدونيا وتشترك فيها كل المدن الأغريقية لفتح الشرق الأدنى سوف تجعل المدن الأغريقية تنسى خلافاتها ، لكي تواجه عدو خارجياً بربرياً يتمثل في الفرس والفيثيين ، فضلاً عن ذلك فإن حرباً كبرى مثل هذه الحرب سوف تكون تنفيذاً لطاقة المدن الأغريقية العدوانية ، بالإضافة الى أن الغنائم والأسلاب التي يعود بها الجنود المنتصرون من الشرق الثرى سوف تساعد في إنقاذ الاقتصاد الأغريقي من الإفلاس ، وتوفر عليهم

خطر الثورات الاجتماعية التي قد تقوم بها الغالبية المعدمة ضد الأقلية الغنية ، مدفوعين بمبادئ أخذت تسرى بين الفقراء ، تطالب بالعدل الاجتماعي ، وتوزيع الثروة بالقررة وعن طريق العنف . ولهذا الأسباب دعا المثقفون الأغريق في القرن الرابع إلى القيام بحملة كبرى بالاتحاد مع مقدونيا ، ومن أجل هذه الأمانى أبدت أغلب المدن الأغريقية مقدونيا وانضمت إليها ، وتمكنت المملكة المقدونية بقيادة فيليب ، من هزيمة المدن المعارضة في معركة خايرونيا عام ٣٣٨ ق . م . وبذلك قام الاتحاد بين مقدونيا والأغريق ، وكان على فيليب والد الاسكندر الذي نجح في تحقيق ذلك ، أن يتجه إلى الخطوة التالية وهي فتح الشرق الأدنى وتفويض الامبراطورية الفارسية ، غير أنه اغتيل قبل الشروع في هذا المشروع الكبير .

### تحديد معنى الشرق الأدنى :

اتفق المؤرخون على إطلاق اسم الشرق الأدنى على تلك المنطقة الهامة من العالم التي تفصل بين الشرق الأقصى Far East وبين جنوب أوروبا ، وتمتد هذه المنطقة من حدود إيران مع الهند شرقاً ، وحتى حدود مصر الغربية من الغرب ، كما تمتد من الأناضول شمالاً حتى حدود مصر الجنوبية جنوباً ، أي أن منطقة الشرق الأدنى تضم مصر والشام وآسيا الصغرى وبلاد الرافدين وإيران والجزيرة العربية ، وعموماً كانت المنطقة التي تمتد من النيل إلى الفرات هي قلب الشرق الأدنى ، وهي منطقة تتميز بسهول والأنهار والتنوع الجغرافي والتنوع السكاني والعرق ، كما كانت مهد الحضارات القديمة التي قامت على ضفاف الأنهار في النيل والرافدين وفي سهول الشام ، كما أن هذه المنطقة مهبط الأديان السماوية الكبرى ، ومن سمات هذه المنطقة أيضاً أنها منطقة مفتوحة ، مما جعلها قبلة للهجرات السكانية المختلفة منذ أقدم العصور ؛ غير أن العنصر السامي كان هو العنصر الغالب على سكانها ؛ ونظراً لانتتاح الحدود ، فإن الشرق الأدنى كان دائماً محل



صراعات دائمة ، وشهد على طول تاريخه - قيام عدة إمبراطوريات حاولت

ضم أكبر جزء منه ، خاصة في المنطقة الواقعة بين النيل والفرات ، وعموما كانت القوتان الأساسيتان اللتان كانتا تتنازعان على هذه المنطقة في بادئ الأمر هما الإمبراطورية المصرية في وادي النيل ، والإمبراطورية الأكادية في بلاد الرافدين ، ولقد كان التغير في إحدى هاتين القوتين هو الذي يؤثر على تطور الأحداث في الشرق الأدنى ، إذ كان يؤدي إلى قيام أو سقوط دويلات صغرى فيه، ولما كانت هذه المنطقة تطل على بحرين من أهم بحار العالم هما البحر الأحمر (بحليجييه الهامين وهما الخليج العربي وخليج السويس) والبحر المتوسط، فقد لعبت دوراً أساسياً في تجارة العالم القديم ، التي كانت تأتى إليها إما بحراً من الهند والشرق الأقصى حتى البحر الأحمر ، أو تلك التي تأتى إليها براً عبر الطرق التجارية الكبرى التي كانت تربط بين شمال العراق وآسيا الوسطى ، ومن ثم لعبت التجارة دوراً هاماً في حياة شعوب الشرق الأدنى القديم ، وظهرت من بين شعوبه شعوب عرفت بمهارتها التجارية مثل الفينيقيين والسبأين ، الذين قاموا بنقل تجارة الشرق الأقصى وشرق أفريقيا إلى مناطق الأسواق في جنوب أوروبا ، وبسبب الاحتكاك الدائم بين هذه الشعوب الناتج من التجارة ، مزج الشرق الأدنى بين حضارات هذه الشعوب التي تعامل معها ، مما ساعد على نضوج حضارته العريقة ، والتي كانت البذور الأولى للحضارة الإغريقية منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد .

وعموماً فإن ما يسمى اليوم بالعالم العربي يكون الجزء الأكبر من الشرق الأدنى القديم ، وكان ثمار تفاعله مع بعضه البعض عبر عصور طويلة ، أن توحد لغة وثقافة وديناً بسمة وله بعد أن قام العرب المسلمون بتوحيده ، ونرى أن الفتح الإسلامي للشرق الأدنى وتوحيده لغته وثقافته في القرن السابع الميلادي هو اكتمال للمحاولات المتكررة التي كانت تقوم بين شعوبه من أجل توحيده أو ادماجه في إمبراطورية ، كما كان محصلة لمحاولة توحيده الفرس له ، ثم الفتح المقدوني الذي حطم الحدود الفاصلة بين الدويلات السياسية من ناحية ، وبين

— ١٢ —

الحدود التقليدية الفاصلة بين الشرق والغرب ، مما أدى إلى حدوث التفاعل الحضارى الذى سبق الإشارة إليه .

وعموما فإننا سرف نركز على أهم مناطق الأحداث فى هذا العصر وهى :  
(أ) مصر (ب) الشام (ج) بلاد الرافدين (د) الجزيرة العربية . فهذه المناطق الأربعة تمثل الركائز الأساسية للشرق الأدنى . ولهذا فلا بد أن نعالج بإيجاز شذيات تاريخ هذه المنطقة قبيل الفتح المقدونى ، حتى لا نقطع تسلسل الأحداث التاريخية ، وحتى لا نبدا وكأننا نبدا من فراغ ، وحتى نرصد الظواهر التاريخية التى يتشابه حدوثها فى تاريخ هذه المنطقة الهامة قبل وبعد الفتح المقدونى .

\* \* \*

## أهم المراجع العامة للفصل الأول

- ١ - و. تارن : الحضارة الهلنستية : ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ١٩٦٦ ( أنظر الأصل الإنجليزي أدناه رقم ٥ ) .
  - ٢ - و. ج. دى بورج : تراث العالم القديم ، الجزء الأول ، ترجمة زكى سوس مراجعة يحيى الخشاب ومحمد صبر خفاجة ، الناشر دار الكرنك ، سلسلة الألف كتاب ( ٥٥٧ ) ، القاهرة ، ١٩٦٥ \* .
  - ٣ - لطفي عبد الوهاب يحيى : دراسات في العصر الهلنستى ، بيروت ١٩٧٨ .
  - ٤ - هـ. ج. ولر : معالم تاريخ الإنسانية ، المجلد الثانى ( ويشمل الكتابين "رابع والخامس" ) ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، ومراجعة زكى على ، الطبعة الثانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٩ .
  4. J.B. Bury(et alia) : The Hellenistic Age, Cambridge University Press, 1952.
  5. W.W. Tarn and G. Griffith : Hellenistic Civilization, University Paperbacks, Third edition, Methuen, London, 1952.
  6. W.G. De Burgh : The Legacy of the Ancien tWorld (A. Posthumous edition), Reading, England, 1947.
- ( \* ) ننصح بعدم الاعتماد على الترجمة العربية ، والرجوع إلى الأصل الإنجليزي ، وذلك لركاكة الترجمة ، وعدم مطابقتها للنص الأصلي ، وإسقاط أجزاء ، وكتابة المصطلحات بطريقة خاطئة .



## الفصل الثاني الأوضاع في الشرق الأدنى

قبل الفتح المقدوني

أولا : الأوضاع في مصر قبل الفتح المقدوني :

بنهاية الأسرة العشرين حوالى عام ١٠٧٠ ق.م . بدأ مجد الفراغة يتوارى ، وأصبح من الواضح أن مصر متعبة على فترة طويلة من الركود والضعف ، اللذين أديا الى وقوعها في قبضة الاحتلال ، ولذلك يطلق المؤرخون على الفترة الممتدة من عام ١٠٧٠ ق.م ، وحتى عام ٣٣٢ ق.م وهو تاريخ الفتح المقدوني لمصر) اسم العصر المتأخر .

فلقد كانت الأسرة الواحدة والعشرون (١٠٧٠ - ٩٥٠) أسرة ضعيفة ، لم يبرز من بين ملوكها ملك واحد ذو شأن وسطوة ، بل كادت مصر خلالها أن تعود الى ما قبل توحيدها على يد مينا حوالى عام ٣١٨٠ ، إذ كانت على وشك أن تنقسم الى قسمين . قسم جنوبى يتحكم فيه كهنة آمون من طيبة ، وقسم شمالى عاصمته تانيس ( صان الحجر شرقية ) وهو مقر حكم الأسرة الواحدة والعشرين ، وكانت تانيس في ذلك الوقت قد برزت كميناء تجارى عظيم الأهمية نظراً لاهتمام الرعامسة بالشام .

وما أن مات آخر ملوك الأسرة الواحدة والعشرين حتى تمكن زعيم الجالية الليبية وقائد قواتها في الجيش المصرى من انتزاع السلطة وتأسيس أسرة قوية حكمت مصر من ٩٥٠ ق.م حتى ٧٣٠ ق.م ولقد حاول شيشنق أن يقلد الفراغت - حيث كان الليبيون قد تمصروا لغة وعقيدة - في إعادة الوحدة والقوة الى مصر ، ولذلك حاول أن يعيد نفوذها القديم في فلسطين والشام من أجل ضمان التجارة لصالحها ، ولقد ورد في التوراة أخبار هذا الغزو لفلسطين ، فقد جاء في سفر الملوك الأول الاصحاح الرابع عشر ٣٥ « وفي السنة الخامسة

للملك رحبعام صعد شيشنق ملك مصر إلى اورشليم . وأخذ خزائن بيت الرب ،  
وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شيء ، وأخذ جميع أتراس الذهب التي  
عملها سليمان .

ولكن بعد موت شيشنق لم يكن خلفاؤه بنفس القوة والجدارة ، فضلا  
عن أن حدثا جديدا حدث في الشرق الأدنى ألا وهو ظهور دولة آشور كقوة  
فتية ، وتطلعها إلى ضم الشرق الأدنى إليها خاصة الشام ، مما أدى إلى انكماش  
الفرعنة اللبيين ، وعودة الضعف للبلاد ، مما نتج عنه تفكك مصر داخليا ،  
مرة أخرى فقد تحولت إلى أقاليم متنازعة ، واستمر ذلك التفكك خلال  
حكم الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين :

خلال ذلك الوقت كانت دولة الكرشيين (ملوك النوبة) تشهد تصاعداً في  
قوتها بعد تدهور القوة المصرية ، وكان الفرعنة القدماء قد حرصوا على فرض  
نفوذهم في النوبة ، ونشر حضارتهم وثقافتهم فيها باعتبارها أرضاً مقدسة بالنسبة  
لهم ، وقد تمصر النوبيون واعتنقوا عبادة آمون ، وكانت طيبة بالنسبة لهم  
مدينة مقدسة حيث مركز عبادة آمون ، كما كان ملوك كوش على علاقة  
وطيدة مع كهنة آمون ، وكانوا يعتبرون أنفسهم ورثة الحضارة المصرية ،  
وورثة الفرعنة ، ولذلك قام ملكهم بعنخي سوا بمبادرة ، منه أوبتخريص من  
كهنة آمون في طيبة بجميع قواته والسير شمالاً للاستيلاء على مصر ، بحسب  
الأثر ، ولم يجد مقاومة في الجنوب ، ثم استولى على منف العاصمة الدينية  
الشمالية وأقام عاصمة سياسية لمصر ، وأعلن تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين  
عام ٧١٥ ق. م حيث توج فرعوناً . وشرع بعنخي في إعادة القوة إلى مصر ،  
وفرض نفوذها في فلسطين كما فعل شيشنق ، لكنه لم ينجح لأن الثورة تذكر  
هزيمة الكرشيين في فلسطين ، وعلى العموم استمر حكم النوبيين والكوشيين  
لمصر حتى عام ٦٦٣ ق. م .

استولى آشور بانيبال على مصر وامسقط الأسرة الكوشية ، واحتل منف ،

ثم سار الى طيبة فدمرها تدميرا شاملا ، ولما ادرك كهنة آمون أن معابدهم ومقاساتهم وتماثيل ملوكهم في خطر دفنوها في حفرة تحت ارضية معبد الكرنك ، وهي الخبيثة الشهيرة التي عثر عليها صدفة عام ١٩٨٨ ، وعلى العموم أحدث تدمير طيبة بهذه الطريقة البشعة في دويا العالم القديم ، حتى ان النبي ناحوم حننر نينوى من مصير قاتم مثل مصير طيبة ( نو آمون ) ، فتقول التوراة هل أنت أفضل من « نو آمون » الجالسة بين الأنهار وحوها المياه التي هي حصن البحر ومن البحر سورها ، ( كوش قوتها مع مصر وليست نهاية ) :

هي أيضا تدمرت الى المنى بالسبي وأطفالها حطمت في راس جميع الأزقة وعلى اشرافها ألقوا قرعة وجميع عظامها تقيدوا بالقيود [ ناحوم الاصحاح الثالث ٨ - ١٠ ] الى أن يقول مخاطبا نينوى كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك لأنه على من لم يمر شرك على الدوام ( نفس الاصحاح ١٩ ) .

### قيام الأسرة الصاوية ( السادسة والعشرين ) :

ولذا كان الآشوريون قد سخطوا المقاومة المصرية في الجنوب ، فإنها لم تمت في الشمال ، فتقدم نجح أمير مصرى من سلالة ليبية لاسمه بسمتيك ( ٦٦٣ - ٦٠٩ ) من تطهير الدلتا من الآشوريين ، ثم نجح في توحيد مصر تحت زعامته جاعلا مدينة سايس Sais ( صالحجر غربية ) عاصمة لحكم أسرته الصاوية . ولقد حاول ملوك هذه الأسرة استكمال مشروعات شيشنق الخاصة بأعادة القوة الى مصر . وكانوا أكثر نجاحاً ، فقد قام ملوك العصر الصاوى بإحداث نهضة جديدة عن طريق الاستعانة بخبرات الإغريق من جنود وبحارة وتجار ، ففتح أمامهم أبواب مصر على مصراعها ، فثلا استعان بأغريق كورنثا من أجل بناء أسطول حربي حديث لمصر ، وأصبح لمصر في عصرهم أسطولان أحدهما في البحر الأحمر ، والآخر في البحر المتوسط ، وذلك لتنشيط تجارة مصر ، بل إن هيرودوت ذكر أن ثاني ملوك هذه الأسرة واسمه نيمخو Necho ( نحاو الثاني ٦٠٩ - ٥٩٤ ق . م ) كلف بعض البحارة الفينيقيين بالدوران ( م ٢ - مصر والشريق الادنى في العصر الهلينيستى )

حول أفريقيا حوالى عام ٦٠٠ ق . م Herodotus, IV, 42 وهو عمل جرى لم يسبق لأحد أن قام به ، ولم يجرؤ أحد على القيام به إلا فى مطلع العصر الحديث عندما قام البرتغاليون بالدوران حول رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٢ ، ولقد استمرت هذه الرحلة ثلاث سنين حول الشاطئ الأفريقى ، حتى عادوا إلى بوغاز جبل طارق ثم إلى مصر محملين بجميع خيرات أفريقيا . فى هذه الأثناء كانت آشور تحاول الانتقام لنفسها من غريمتها بابل ، فأراد نخاو الثانى أن يستفيد من هذه الظروف ، وأن يجعل لمصر صوتاً مسمرعاً فى سياسة هذا الجزء من العالم ، فقرر معاونة آشور ضد بابل ، فجهز جيشاً سار به إلى بلاد الرافدين ، ولكن يوشيا ملك يهودية والذي كان حليفاً لبابل تصدى لجيش مصر ، وجهز بمعونة بابل جيشاً كبيراً وتقابل الجيشان المصرى واليهودى عند مدينة مجدو Megido وانتصر المصريون ، وقتل يوشيا ملك يهوذا ، وتولى من بعده ابنه ، ولكن لم تمض ثلاثة شهور أخرى حتى تمكن جيش نخاو من أسره وأرسله إلى مصر ، وعين نخاو ملكاً جديداً على مملكة يهوذا وهو شقيق الملك الأسير ، وكان اسمه اليعقيم ولكنه غير اسمه إلى « يهوقيم » وقبل الخضوع لمصر ودفع تعريض لها ، وتقديم الجزية السنوية للفرعون الصاوى .

ولقد أخضع نخاو الشام لمصر ، ووصل إلى الفرات كما فعل تحتمس الثالث من قبل ، وتذكر التوراة ( سفر الملوك الثانى ٢٣ ، ٢٤ وأرميا ٤٦ ) أن نبوخذ نصر ملك بابل سحق جيش نخاو عند قرقيش فانسحب إلى مصر وذلك فى العام الرابع من حكم يهريقم .

ومن أهم المشروعات الجريئة التى فكر فيها نخاو مشروع توصيل البحرين الأحمر والأبيض عن طريق قناة تخرج من فرع النيل ، وهى قناة سيزوستريس القديمة التى أنشئت فى أيام الأسرة الثانية عشرة ، ولكنها كانت قد ردمت ، ونفذ نخاو الجزء الأكبر من هذا المشروع الذى هلك فيه مائة وعشرون ألفاً من المصريين ، غير أنه ترك المشروع فجأة عملاً بتحذير نبوءة أن هذه القناة ليست فى صالح مصر ولن يستفيد منها سوى الأجانب .

خالف بسمتيك الثانى ( ٥٩٤-٥٨٧ ) أباه نخاو الثانى ، ولم تزد مدة حكمه



عن سبع سنوات ، وزار الشام ، وفاد جيشه في حملة على جنوب الرادى ،  
ووصل حتى الشلال الثانى ، وكان جيشه مؤلفاً من قرة مصرية وقوة من  
الأجانب المرتزقة أكثرهم يونانيون ومنهم أراميون ويهود ، وقد ترك المرتزقة  
الكاريون اليونانيون نقشاً على ساق أحد تماثيل رمسيس الثانى أمام معبد  
أبى سنبل .

وفى عهد بسمتيك ازدهرت تجارة الإغريق المقيمين بمصر ، وكثر عدد  
الجنود المرتزقة من الإغريق الآسيويين فى مصر ، وأصبح لهم ثلاث حاميات  
رئيسية كبيرة ، واحدة عند ماريا على شاطئ بحيرة مريوط لحراسة الجهة  
الغربية لمصر ، وفرقة لحراسة شرق مصر عسكرت عند تل دفنه ، والفرقة  
الثالثة لحراسة الجنوب وعسكرت فى جزيرة الفنتين ( أنس الرجود ) .

وفى عام ٥٨٨ خلفه على العرش الملك واح أب - رع الذى سماه الكتاب  
الأغريق أبريس ( ٥٨٨ - ٥٦٨ ق. م ) ونحن نعرف تفاصيل حكم هذا  
الفرعون من التواريخ ، ومن هيرودوت ومن بعض الآثار القليلة . وفى عصره  
استولت جيوش نبوخذ نصر الأشورى على مملكة يهودية التى كانت مواليه  
لمصر ، ودمرت اورشليم وأسرت الآلاف من اليهود تم حلهم الى بابل (سفر  
الملوك الثانى ٢٥) .

وهرب كثير من اليهود الى مصر بعد هذا الأسر البابلى الثانى ، وانتشرت  
جالياتهم فى أماكن مختلفة من مصر حتى الفنتين فى أقصى الجنوب ، حيث  
كانت لهم جالية كبيرة هناك .

وذكر هيرودوت أن أبريس قاد جيشاً الى فلسطين ، وهزم أسطول صيدا ،  
ولقد كان أبريس مثل من سبتموه من ملوك هذه الأسره الصاوية محباً للأغريق ،  
فكروا منهم فرقة كبيرة فى الجيش مما سبب غضب الرطنيين المصريين . وعندما  
استنجد الليبيون بالفرعون أبريس لانتزاعهم من تائفق الاستيطان الأغريقى على  
بلادهم ، أرسل أبريس الفرقة المصرية ، ولم يرسل الفرقة الأغريقية خوفاً من  
أن ترفض محاربة بنى جلدتهم ، ولما حاصر المدينتون الأغريقى الليبيا القوات

المصرية، وكادوا أن يبيلوها قامت ثورة في مصر ضد أبريس، وتمردت القوات المصرية في ليبيا، عندئذ أرسل أبريس أحد قواده المصريين وأسمه أخمس، ولكن الجنود الثوار التفوا حول أخمس، وحرضوه على الثورة ضد الملك أبريس، فقاد قواته نحو مصر، حيث هزم أبريس وأجبره على قبوله شريكاً له في الحكم، ولما حاول أبريس أن يتمرّد على شريكه أخمس بمعاونة أنصاره من الجنود المرتزقة، دارت معركة بين المالكين انتهت بموت أبريس في هذه المعركة وقد استغل أخمس كراهية المصريين للمرتزقة الأغريق فذكر المصريين بما أصاب مصر من كوارث بسببهم. وهذا النص موجود على إحدى اللوحات المحفوظة بالمتحف المصري.

وهكذا أصبح أخمس الثاني مالكا على مصر ٥٦٨ - ٥٢٥ ق. م وأراد هذا الملك أن يهدئ من ثورة المصريين ضد المرتزقة الأغريق، لكنه لم يكن على استعداد لطرد هؤلاء المرتزقة لأنه كان في حاجة ماسة اليهم بسبب تنازله خطر النرس، ولم يكن من الحكمة أن يضعف قوة الجيش في هذا الوقت، فضلا عن أنه أدرك أن طرد اليونانيين سيؤدي الى كسب عدواة المدن اليونانية التي زادت قوتها في البحر المتوسط في ذلك الوقت، كما سيؤدي الى فوضى في الاقتصاد الذي كان يسيطر عليه اليونانيون ولهذا سلك سلوكا وسطا، إذ أَرْضَى شعور المصريين باستدعاء الحاميات اليونانية من على الحدود، وأدخل محلها حاميات مصرية، وجمع المرتزقة اليونانيين ليقموا في منف، كما أَرْضَى شعور التجار المصريين بأن جمع التجار اليونانيين في مكان واحد وفي مدينة خاصة بهم في غرب الدلتا عرفت بأسم نهر اطيس، وسمح لهؤلاء اليونانيين أن يقيموا فيها معابد لهم وأسواقهم وبيوتهم ومتاجرهم وهي أول مستوطنة أغريقية في مصر وموقعها الآن نل نهرش (كوم جفيف مركز كوم حمادة، محافظة البحيرة). وسرعان ما أصبحت هذه المدينة مركزا رئيسيا للتجارة والثقافة اليونانية بمصر، وقد ظلت مزدهرة حتى أواخر القرن الثاني بعد الميلاد.

ولقد أحب الأغريق أخمس الثاني، ولهذا أطنب هيرودوت في مدحه وذكائه وحبه للعريضة والبذخ.

ولقد حصن أمّس حدود مصر خاصة على السواحل ، وفي الواحات التي جعلها نهر نوبيا وبني فيها المعابد والقلاع ، لصدد أي هجمات يقرم بها أغريق ليبيا ، وفي الشرق كان خطر الميديين يتصاعد بعد أن أسس قورش Cyrus لأول مرة مملكة للفرس وأجتاح آسيا الصغرى ، ودخل بابل نفسها عام ٥٣٩ ق. م وأنحلت عيونه تتطالع لاحتلال مصر ، ولقد استعد أمّس لذلك باحتلال قبرص ، وتصلح مع الأغريق الليبيين في مدينة قورينة Cyrene بل تزوج أميرة منها دعما للعلاقات . ورغم الازدهار الاقتصادي الذي ساد مصر في عهده ، إلا أن خطر الفرس كان يهدد استقلال مصر ، ولحسن حظ هذا الفرعون أنه مات قبل أن يشهد وصول هذا الخطر الى مصر .

### الفتح الفارسي الأول لمصر ٥٢٥ ق. م :

وفي عام ٥٢٥ ق. م تولى عرش مصر بسماتيك الثالث ، الذي شهد حكمه اجتياح قبيز - خليفة قورش وابنه - لباقي دويلات آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه ، وأخذ يستعد لاحتلال مصر ، خاصة أن أحد قادة المرتزقة الأغريق في الجيش المصري كان قد فر الى بلاد الفرس في عهد أمّس الثاني ، وراح يغري قبيز بفتح مصر ، ويرشده على مواطن الضعف في استحكامات الدفاع في هذا البلد ، وعلى اثر موت أمّس الثاني وتولى بسماتيك الثالث عام ٥٢٥ ق. م سارت قوات الفرس تحت قيادة قبيز نفسه ، وبمساعدة قائد المرتزقة الأغريق ، ولم يكن بسماتيك الثالث ندا لقمييز وجيشه ، اذ سحق جيش قبيز القوات المصرية عند بيلوزيوم ( تل الفرما حوالى ٢٧ كيلو متر شمال شرق بور توفيق ) ولقد زار هيرودوت فيما بعد المكان الذي دارت فيه المعركة ، وادعى أن قد ترف على خاجم الجنود المصريين بأنها كانت صلبة لا تكسر بسهولة ، بينما كانت خاجم الفرس هشة سهلة الكسر (١) ، وعلى أثر الهزيمة في سيناء تقهقر الجيش المصري الى منف وتحصن بها ، غير أن جيوش الفرس تلتهم الى هناك وحاصرتهم حتى استسلموا .

بعد ذلك سار قبيز وجيوشه الى طيبة فاستولى عليها ، وبعد أن استتب

(1) Herodotus, Book III, 12.

له الأمر أرسل حملتين : واحدة للاستيلاء على بلاد كوش ( النوبة ) مصادر الخطر القرمى الذى كان قد يهدد الوجود الفارمى في مصر ، فأمنها ، أما الحملة الثانية فكانت لفتح الراحات وخاصة واحدة سيوة ، حيث يوجد المعبد الشهير معبد آمون ، وذلك لكي يحظى باعتراف الكهنة به ملكاً ، ولتحصين الجبهة الغربية لمصر .

وهكذا انتهت الأسرة السادسة والعشرون ، وضاع آخر أمل لإحياء الإمبراطورية المصرية ، وعودة نفوذها في الشرق الأدنى ، وفقدت مصر استعلائها بعد أن أصبحت مجرد ولاية فارسية مثلها مثل باقي ولايات الشرق الأدنى .

لقد كان فتح الفرس لمصر ضربة مرسية ضد مصالح الإغريق التجارية في المقام الاول ، وحلقة من حلقات الصراع الأبدى للسيطرة على البحر المتوسط والبحر الأحمر . ولهذا كان هيرودوت متحيزاً في كتاباته ضد الفرس ، فعزى إلى قبيل الكثير من الأفعال الدنيئة ، وبالع في بشاعة الجرائم التي ارتكبتها في حق المصريين ، فكتابات هيرودوت دعائية وتهويل ضد الإمبراطورية الفارسية ، والدليل على ذلك أن الأدلة الأثرية لا تؤيد ما قاله هيرودوت ، فقد كان ملوك الفرس عقلاء ، توددوا إلى المصريين لكي يكسبهم إلى جانبهم في صراعهم ضد الإغريق ، موضحين نخطرهم على الشرق الأدنى بكلمة ، ويوجد نقش مكتوب على تمثال أحد الشخصيات المصرية البارزة في ذلك الوقت واسمه وجا - حرر سنت محفرظ الآن في الفاتيكان . ويقول فيه على لسان هذا الوجه المصري ، بأنه كان شخصية موقرة في بلاط قبيل ، وكان أميراً للأسطول المصري ، ويقول أنه نجح في جعل قبيل يشعر بالاحترام نحو الآلهة المصرية ، ونحو المدن المصرية خاصة صالحجر Sais عاصمة الأسرة السادسة والعشرين ، ولم يذكر أبداً أن قبيل أساء معاملته الكهنة المصريين ، أو ذبح عجل أبيس وأقام من لحمه وليمة في منف ، إذ ثبت أن قبيل قام بترميم المعابد المصرية التي دمرت خلال الغزو الآشوري ، وخلال المقاومة التي واجهها الفرس عند فتح مصر ، صحيح أن قبيل قد يكون قد حمل معه بعض الآثار المقدسة لعرضها في عاصمة الإمبراطورية ، أو في معبد جامع لكل آلهة شعوب الإمبراطورية الفارسية ، رمزاً لرحمتها وتماسكها ، ولقد بقيت هذه الآثار المقدسة ،

حتى أعادها بطليموس الأول لمصر عند تأسيسه لحكم أسرته، كنوع من استغلال مشاعر المصريين وكسب رضاهم ، وكإشارة لرد الاعتبار لهم لكي يقبلوه فرعوناً عليهم .

واستمراراً للسياسة احترام مشاعر المصريين ، جاء دارا ابن قبيز بنفسه إلى مصر ، وأمر بالاستمرار في تعمير وترميم وبناء المعابد المصرية ، ففي عهده تم بناء معبد واحدة الخارجة الذي كان أحسن الثاني قد شرع في بنائه ، كما أصدر أوامره المتشددة للراي الفارسي بمراعاة مشاعر المصريين الدينية ، وتقديم الأضاحي في معابدهم ، واحترام عجل أبيس ، والدليل على ذلك أن عالم الآثار الفرنسي « مارييت » عثر على تابوت ضخم في سرايوم منف ، أعده لدفن عجل أبيس ، وكتب عليه أن العجل جهاز جنائزياً في عصر حكم هذا الملك الفارسي . ولقد أدت هذه السياسة إلى هجرة أعداد كثيرة من الفرس للعيش في مصر ، وتمصروا واتخذوا أسماء مصرية ، ولقد بقيت سلالة هؤلاء المهاجرين الفرس مميزة حتى في العصر الروماني . كما أتم دارا حفر القناة بين فرع النيل الشرقي وخليج السويس ، والتي كان الفرعون نحاو قد توقف عن حفرها .

تتميز أحداث القرن الخامس والرابع ق . م بالعداء الشديد بين الفرس الذين يمثلون الشرق ، والإغريق الذين يمثلون الغرب الأوروبي ، وقادت مدينة أثينا حملة الكراهية وتأليب المدن الإغريقية الأيونية في آسيا الصغرى والتي أخضعها الفرس لدولتهم ، ونحت تأثير هذا التحريض ثارت أيونيا في عام ٤٩٩ ق . م ضد الفرس ، وبذل ملك الفرس دارا الأول مجهوداً كبيراً في القضاء عليها .

ورداً على ذلك قام دارا الأول بحملته الشهيرة لغزو بلاد اليونان، وتحطيم أثينا مركز الكراهية والثورة ضد الفرس عام ٤٩٠ ق . م فيما يعرف « بالحروب الميادية » ، ولكن أثينا نسبت خلافاتها مع منافستها أسبرطة وقادتا معاً باقي المدن الإغريقية لطرد الغزاة الفرس ، حتى انتصروا عليهم في معركة سهل

الماراثون عام ٤٩٠ ق . م ، وبعد موت داريوس خليفته خشايارش على إكمال مشروعه أغزو بلاد اليونان وتآديها ، فجهز حملة كبيرة عام ٤٨٠ ق . م وجمع جيشاً اشتركت فيه كافة شعوب الإمبراطورية الفارسية ، وكان من بين المشتركين المصريون والكوشيون والعرب (١) ، ونجح خشايارش في الاستيلاء على شمال اليونان ، ودخل أثينا ودمر معابدها فوق الأكروبول ، لكن الأغريق قاوموا الغزو حتى هزموا الفرس في معركة سلاميس عام ٤٨٠ ق . م ، ثم هزموا أسطولهم في بحر إيجة عام ٤٧٩ ق . م وانسحبت الجيوش الفارسية إلى بلادها واحتفل الأثينيون وحلفاؤهم بانتصار الأغريق على الشرق ، وبدأت أثينا تتحول إلى إمبراطورية بلخضاع سائر المدن والجزر الأغريقية لسيادتها تحت اسم محاربة الفرس ، والقضاء عليهم لأنهم أعداء الحضارة والأغريق .

ومنذ وقوع مصر في حوزة الإمبراطورية الفارسية ، لم يتوقف الأغريق عن تحريض المصريين على الثورة ضد الفرس ، لأن احتلال الفرس لمصر كان ضربة اقتصادية مدمرة للأغريق ، كما أن كان لهم مدينة خاصة بهم في مصر هي نقراطيس . فبعد موت خشايارش Xerxes تولى ابنه أرتاخشارش Artaxerxes عام ٤٦٤ ق . م ، وبعد أربعة أعوام من حكمه ، قامت في مصر ثورة عام ٤٦٠ ق . م ضد الفرس تزعمها أميران مصريان ، وقد تمت أثينا المعروفة لهذه الثورة وكان أحد هذين الثائرين يدعى «أمون حر» الذي عرف في النصوص اليونانية باسم ايناروس Inaros ، ووصل حد التأييد أن أرسلت أثينا أسطولاً كبيراً من السفن الحربية ذات الثلاثة طوابق ، وصلت من البحر المتوسط ، ثم سارت في النيل حتى منف ، ونجحت الثورة ، وهزم الجيش الذي أرسله أرتاخشارش ، وفرت فلوله إلى منف ، وتحصنوا في قلعتها البيضاء ، وظل الثوار المصريون يحاصرونهم على مدى ثمانية عشر عاماً حتى وصلت مساعدات أخرى من فارس ، ولم يتمكن الثوار المصريون من الصمود ، ودمر جزء كبير من الأسطول الأثيني عام ٤٥٤ ق . م ، وعاد إلى بلاده ، ولكن

---

(1) Herodotus, Book vii, 60-70.

الثورة ضد الفرس ظلت مستمرة في شكل حرب عصابات ، وكانت أثينا زعيمة حلف ديلرس الأغريقي تدعم الثوار المصريين ، حيناً وحيناً تركهم دون مساعدة حسب درجة علاقتها مع الفرس .

وأخيراً اضطر الطرفان الأغريقي والفارسي إلى عقد هدنة عام ٤٤٩-٤٤٨ ق.م اعترف فيها كل طرف بمصالح الطرف الآخر ، ففي فارس كانت هناك هلاقل وموافرات على العرش ، وفي أثينا كان هناك الاستعداد للدخول في حرب شاملة بين المعسكر الأثيني والمعسكر الأسبرطي ، ولهذا عقدت الهدنة . وخلال ذلك عمل الفرس على تحسين صورتهم لدى المصريين ، فبعد موت أرتاخشار شاي وتولى ابنه داريوش الثاني عام ٤٢٤ ق.م بدل هذا الأخير جهداً كبيراً في تهذية الأوضاع في مصر غير أن تحرق المصريين للاستقلال لم يتوقف حتى أصبحت الثورة شاملة عام ٤١٠ ق.م .

#### استقلال مصر عن الامبراطورية الفارسية :

كان اليهود منذ هروبهم إلى مصر على أثر دخول الأشوريين أورشليم يعيشون في تجمعات ، فقد أحسن الملك الصاوى ابريس استقبالهم ، وكان لهم حماية عسكرية عند الفاتنين ، وبالرغم من ذلك تعاونوا مع الفرس في قمع الثورة الوطنية . وفي عام ٤١٠ ق.م وهر عام بدء الثورة ، ثار المصريون على اليهود عملاء الفرس ، خاصة على حماية الفاتنين ( قصر أنس الوجود ) حيث ودمر الثوار المصريون معبداً لليهود هناك عام ٤١٠ ق.م ، وتشتت جالية اليهود في الفاتنين ، وامتدت الثورة إلى كل أنحاء مصر . وفي عام ٤٠٧ ق.م كان يهود الفاتنين قد أخذوا يبذلون مساعيهم لإعادة بناء معبدهم الذي حرق ونهبت محتوياته ، وأخذوا يبعثون الرسائل إلى جميع زعماء اليهود في الشرق يطالبون بمساعدتهم للتوسط لدى ملوك الفرس ليسمحوا لهم بإعادة بناء المعبد ، متعهدين ألا يحرقوا فيه أى حيوانات أو مأكولات احتراماً لديانة الفرس الزرادشتية التي كانت تحظر تنجيس النار بحرق أشياء فيها . وقد عثر في خرائب الفاتنين ( قصر أنس الوجود ) حيث كانت تقيم الجالية اليهودية على رسائل مكتوبة بالآرامية لغة اليهود في ذلك الوقت ، تتحدث هذه

الرسائل عن الثورة، وتذكر أن حرق المعبد كان في العام الرابع عشر من حكم داريوش الثاني وأن الشخص الذي أصدر الأمر بحرقه كان يدعى فيدارانج « وهراسم على ما يبدو كوشى ، أما زعيم الجالية اليهودية فكان يدعى « يدويناه بن حمارياه » ومن بين هذه الرسائل واحدة كانت موجهة إلى الرالى الفارسي يعرض فيها بالأصالة عن نفسه ، وبالنيابة عن جميع زعماء اليهود في مصر استبداده لتقاييم كمية من المال ( فقتد الرقم لسيرة الحظ ) بالإضافة إلى ألف أردب من الشعير كرشرة للوالى الفارسي ، مقابل أن يسمح لهم بإعادة بناء المعبد في مكانه.

#### الأسرة الثامنة والعشرون ٤٠٤-٣٩٨ ق . م :

كان قائد الثورة حر « آمون - حر » الذى أصبح ملكاً على البلاد بعد طرد الفرس ، وأسس الأسرة الثامنة والعشرين ، وبإيعه جميع حكام الأقاليم ، كما أعلنت الجالية اليهودية مبايعتها له ، فتركها تعيش دون انتقام ، والأثر الوحيد الذى وصلنا من عهده لإحماى البرديات الآرامية من الفاتنين ، وهى مؤرخة في السنة الخامسة من حكمه . ولكن لم يكن للملك آمون حر أى وريث ، فبعد موته انتقل العرش إلى أسرة أخرى ، وهم الذين سماهم المؤرخ المصرى مانينون بملك الأسرة التاسعة والعشرين .

#### الأسرة التاسعة والعشرون : ( ٣٩٨-٣٧٨ ق . م ) :

كانت الأسرة الجالية تحكم من منديس Mendes ( ددت ) ، والى كانت تعرف بالمصرية القايمه باسم Pi-binib-didi ( ومكانها الآن تل الرابعة بالقرب من . تمى الأمابيد محافظة الناقهلية ) وكانت عاصمة الأقليم السادس عشر من أقاليم مصر ، وقد انتقل الحكم سلمياً إلى هذه الأسرة ، وكان مؤسسها حر نايف - عاوسرود الذى سماه اليرنانيون بأسم نفريتيس Nephertis . وربما كان زميلاً للملك السابق آمون حر فى حربه ضد الفرس . وقد حكم نفريتيس ست سنوات ( من ٣٩٨-٣٩٢ ق . م ) .

ومن أهم أعماله تحالفه مع الأسبرطيين ضد الفرس ، فقد أمد أسبرطة بالتمسح ، وبالأموال لكى تبنى أسطرولا لها قوامه مائة سفينة ذات ثلاث طرايق ،



غير أن هذا الأسطول دمره الأثينيون ، فانهزل وعكف على الإصلاحات الداخلية وانسحب من ساحة الصراع بين الفرس والأثينيين والسبطين .

وبعد موته تولى خليفته « هكر » والذي عرفه الأغريق باسم اكوريس ( ٣٩٢-٣٨٠ ) وكان حليفاً لأثينا في صراعاتها مع الفرس ، لكنه لم يهمل الإصلاحات الداخلية، ولا يزال اسمه موجوداً على محاجر طره والمعصرة كما عثر على مياكل له في الكينك وفي مدينة دابو وفي الكاب، وفي غيرها من مدن الصعيد ، وبعد موته تولى بي - سا - مرت المعروف عند اليونان باسم پاساموثيس Pasamouthis وحكم لمدة عام واحد ، ثم خلفه ملك يدعى نفريتس الثاني لمدة أربعة شهور فقط ، وأخيراً استولى أمير قرى على الحكم وأسس الأسرة الثلاثين ودرنخت - نيف المعروف عند الأغريق باسم نختنب أو نختنبور Nechtanebo .

### الأسرة الثلاثون (٣٧٨-٣٤١ ق . م) وفكرة تيسير حملة لفتح فارس :

من المحتمل جداً أن يكون نختنبو قد وصل إلى العرش بمساعدة كهنة سايس Sais ( صالحجر ) أغنى كهنة مصر في ذلك الوقت ، لأنه خصص لهم عشور الضرائب المحصلة على تجارة نبطاطيس المدينة الأغريقية ، وكانت علاقة المصريين بالأغريق متأزمة في ذلك الوقت بسبب موقف الأغريق المتأرجح من ثورة المصريين الوطنية ضد الفرس ، فقد كان هناك مرتزقة لإغريق يحاربون مع جيوش الفرس . وعندما حاول والى مصر النازسى استعادة السيطرة على جميع أجزاء مصر ، اشترك المرتزقة الإغريق في هذا الجيش الذى توغل في الدلتا ، ولم يبق مصر من هذا الغزو سوى فيضان النيل العالى في ذلك الوقت الذى أحبط الغزو، فعادت قوات الفرس أدراجها إلى سررىا .

ولقد ترك نختنبور آثاراً كثيرة في الدلتا والصعيد ، وفي أواخر حكمه أشرك معه ابنه في الحكم واسمه « جدحر » والذي عرف عند الإغريق باسم تيوس Teos ، وكان مبالاً للصداقة مع الإغريق ، ومعجباً بالسيرة الأسطورية

العسكرية، ولهذا تحالف معها، وكانت أحلام جلدحر (تيوس) بناء جيش وأسطول كبيرين من المصريين والمرتزقة الإغريق، بالإضافة إلى متطوعين من اسبرطة، ليعيد فتح الشرق القديم، وربما لسحق الدولة الفارسية في عقر دارها، ولقد استبد تيوس لذلك المشروع المصرى-الإغريق، وجمع جيشاً يتكون من ثمانين ألف مصرى وعشرة آلاف من المرتزقة الإغريق، وألفاً من مشاة اسبرطة الفولاذيين، وجهاز أسطولاً تزيد سفنه على مائتى سفينة حربية من السفن ذات الطرايق الثلاث Triremes، وقد كلفه ذلك أموالاً كثيرة، مما اضطره إلى فرض ضرائب باهظة على الناس، وإلغاء الامتيازات التى كان أبوه قد منحها لكهنة سايس صالحجر، بل إنه استولى على ثروات المعابد وندورها الثمينة ليساك منها نقوداً يدفعها أجوراً للمرتزقة الأجانب، وبعد أن أعد هذا الجيش، سار به إلى الشام. وكادت مصر تستعيد ممتلكاتها في الشام وفلسطين لولا حدوث خيانة من أخيه الذى كان قد تركه ليحكم نيابة عنه، فقد كان تيوس قد اصطحب معه ابنه نختنبو الثانى، فقام شقيق الملك بالاتصال سرّاً بهذا الابن في الشام، وعرض عليه مبايعته بالحكم في مصر بشرط أن يعود في الحال، فعاد نختنبو الثانى وعاد معه الفيلق الإسبرطى، وكذلك وشطر من القوات المصرية، مما شجع قوات المرتزقة من الأثينيين على العودة أيضاً، عندئذ فشل المشروع العسكرى الكبير، هرب تيوس لاجئاً إلى بلاط الفرس ليعلم توبته، وربما كان هذا الانقلاب من تدبير الفرس لتعطيل الحملة المصرية. وهكذا سبقت مصر مقدونيا في مشروع غزو بلاد الفرس، وفتح الشرق ولو نجحت مصر في ذلك المشروع لتغير وجه التاريخ.

عاد نختنبو الثانى إلى مصر ليجد فتنة كبرى، إذ حاول أحد المطالبين بعرش الأسرة التاسعة والعشرين إعادة العرش إلى منديس Mendes، وكاد أن ينجح لولا تمكن نختنبو الثانى من استخدام المرتزقة والفيلق الإسبرطى في قمع هذه الفتنة، وبعد أن استتب له الأمر، قام بإصلاحات كبيرة عادت بالثروة على البلاد، مما ساعده على بناء الكثير من المعابد في جميع أرجاء مصر، وظهرت عبقرية الفنان والمهندس المصرى في أروع صورها، وذلك من خلال بعض

— ٢٩ —

قطع النحت التي تثير الإعجاب . هكذا نعت مصر بالهدوء والطمأنينة ، قبل أن تتجمع السحب منكرة بعودة الفرس للاستيلاء على مصر والقضاء على الأسرة الثلاثين آخر الأسر الوطنية المصرية .

### الفتح الفارسي الثاني لمصر ( ٣٤٣-٣٣٣ ق . م ) :

في عام ٣٥٨ ق . م تولى عرش الامبراطورية الفارسية الملك الفارسي ارتاخشارشاي الثالث Artaxerxes والذي لقبه الإغريق باسم أوخوس Ochos ، وكان مصرأ على استرجاع مصر لحوزة الامبراطورية الفارسية بأي ثمن ، فهاجم الدلتا عام ٣٥١ ق . م ولكنه رد على أعتابه ، ثم عاد في عام ٣٤٣ ق . م على رأس قوات كبيرة ، وبصحية أسطول كبير ، وهاجم مصر براً وبحراً ، ولم يكن بجيش مختبئ نداء لجيش أوخوس ، فاندحرت القوات المصرية المكونة من المصريين والمرتزة الإغريق والبدو الليبيين ، ودخل الفرس منف ، وهرب مختبئو الثاني إلى الصعيد ، وفي عام ٣٤١ سار نخشارشاي الثالث حملة ثانية أكملت فتح مصر . واعيدت البلاد مرة أخرى إلى حوزة الامبراطورية الفارسية ، غير أن المقاومة المصرية للاحتلال الفارسي لم تتوقف . إذ نجح أحد أمراء الدلتا واسمه خباشا في الاستقلال بالبلاد لبعض الوقت ، واعترف به الكهنة في منف ، كما عثر في السيرايوم في سقارة على تابوت مؤرخ في العام الثاني من حكم خباشا ، وهناك أيضاً تمثال يرجع إلى بداية عصر البطالة يسمى تمثال الستراب ، ذكر نقش عليه أن المصريين كانوا دائمي الثرة طيلة الأعوام الثمانية التي قضها الفرس خلال فتحهم الثاني لمصر .

كما أنه من الثابت لنا أن أميراً مصرياً من مدينة أهناسيا اسمه تاف — نحت اشترك مع الاسكندر الأكبر في حربه ضد الفرس ، وقاتل معه في معركة أسوس الشهيرة التي هزم فيها دارا الثالث ملك الفرس ، وأن تاف — نحت هو الذي حرص الإسكندر على غزو مصر ، وقد استجاب الإسكندر لرأى صديقة المصري .

## ثانياً : الأوضاع في بلاد الشام قبل الفتح المقدوني :

الشام هو الاسم الذي أطلقه العرب على تلك المنطقة الهامة من الشرق الأدنى ، التي تمتد جغرافياً من جبال طوروس شمالاً حتى شبه جزيرة سيناء جنوباً ، ومن الفرات شرقاً حتى سواحل البحر المتوسط غرباً ، وهي تشمل الآن ثلاث وحدات سياسية وهي سوريا (١) ولبنان (٢) وفلسطين (٣).

ويعتقد المؤرخون أن كلمة « شام » العربية كلمة آرامية الأصل هي « سامال » أو « شمال » وذلك بالنسبة إلى باقي أجزاء الجزيرة العربية التي يعتبر « جنوباً » . أو ربما نسبة إلى شام بن نوح .

وعلى العكس من مصر ، لم تعرف الشام الاستقرار السياسي ولا السلام في أغلب تاريخها ، لأن انفتاح حدودها الجغرافية جعلها هدفاً للغزاة من القرميات المختلفة ، جاءت إليها من الشرق والشمال ، وساعدها على ذلك طبيعتها الجغرافية المتنوعة ، الذي شجع على قيام ممالك عرقية متصارعة ، فهي عموماً لم تعرف الانسجام السكاني بين شعوبها بعكس الحال في مصر .

ومنذ عصور ضاربة القدم ، كان الساميون هم العنصر السائد في الشرق الأدنى عموماً ، وفي الشام على وجه الخصوص . غير أن وجودهم لم يتحقق تاريخياً إلا في العصور التاريخية ، بعد أن اخترعوا الكتابة وأخذوا يدونون أخبارهم عن طريق النقوش . ويؤكد المؤرخون أن الساميين كانوا يعيشون

---

(١) اسم سوريا الحالي Syria هو التحريف اليوناني لاسم « سورين » الآرامي وكان هيرودوت أول من ذكر الصيغة اليونانية (سوريا) .

(٢) يرجع الأصل لاسم لبنان إلى كلمة « لابن » بمعنى البياض ، وقد سميت بهذا الاسم بسبب الثلوج التي تغطي قم جبالها نحو ستة شهور في السنة .

(٣) أما اسم فلسطين ، فهو مشتق من اسم قبائل « الفلست » وهي قبائل ترجع إلى العنصر الهندو أوروبي غزت الشرق الأدنى القديم مع شعوب البحر ، واستقرت بالمنطقة بعد هزيمتها على يد رمسيس الثالث وأعطتها اسمها .

في هذه المنطقة منذ القرن الثلاثين ق. م وأن هؤلاء الساميين دخلوا الشام والرافدين من شبه الجزيرة العربية ، الخزان الأكبر للشعوب السامية ، وأن هذه القبائل السامية كانت قبائل باوية مرتحلة ، ولذلك كانت تنافع في هجرات نحو الشمال أي نحو الشام والعراق بحثاً عن الأنهار ومصادر المياه . وقد كان تحرك تلك القبائل السامية من البادية إلى أودية الأنهار الخصبة ظاهرة متكررة منذ عصور ما قبل التاريخ حتى الفتح الإسلامي .

إن التاريخ السياسي للشرق الأدنى القديم في مجمله ما هو إلا صراع دائم بين الساميين الأقوياء الذين نجحوا في الاستيلاء على أودية الأنهار الخصبة ، وبين شعوب أخرى حاولت الاستمرار في هذه المناطق ، مثل العيلاميين والفرس الذين جاءوا من حضبة إيران في الشرق ، ومثل الحثيين والفرسجيين ، وغيرهم من الشعوب الآشورية التي جاءت من شبه جزيرة الأناضول ، ومثل شعوب البحر والأيوبيين وهم الإغريق الذين استثمروا على مراحل الأناضول وجزر بحر إيجه . كما شهد تاريخ الشام حروباً طويلة بين الشعوب السامية المستقرة وقبائل البرانيين المهاجرة إلى فلسطين والظامعة في إخضاع الشام . ولقد صمد سكانها في مواجهة هذا الغزو صموداً شديداً ، وتمسكوا بأرضهم ، وطرروا الحضارة فيها . فلم يعد أحد ينكر أن الساميين قد ساهموا في وضع أساس الحضارة والثقافة العالمية ، فهم أول من عرفوا الزراعة واستأنسوا الحيوان واخترعوا الأبجدية الكتابية لتدوين اللغة المنطوقة ، وهم الذين وضعوا أصول علم الفلك والرياضيات والطب والكيمياء ، وهم الذين صنعوا الفخار من الطين وحرقوه ، وصنعوا الآجر ( طوب البناء ) والأواني الحجرية ، وعرفوا النعابين وصنعوا « العجلة » واستخدموها في الحياة العملية ، واستأنسوا الجمال والخيول والحمير . وتقدمت في الشعوب السامية دائماً بأنها أول من عرف الدين ، وأنهم لتجربوا بالساميين نسبة إلى أحد أبناء نوح وهو سام (١) ، ولا غرو فلن الأديان السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام كان مهبطها الشرق الأدنى .

(١) طبقاً للتوراة كان انوح ثلاث أبناء « سام » الذي سكن الشرق الأدنى و « حام » الذي سكن أفريقيا السوداء و « يافث » الذي اتجه إلى أوروبا . و

وعلى العموم لكى تفهم تاريخ الشام ومشاكله فى العصور السابقة على الفتح المندونى ، لابد من التعرض لظروفه الجغرافية وأهميتها الاستراتيجية .

### الظروف الجغرافية للشام :

كما سبق وأن ذكرنا تبدأ الحدود الجغرافية للشام من جبال طوروس شمالاً وحتى شبه جزيرة سيناء جنوباً ، ومن شواطئ الفرات شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً ، ومن ناحية التنوع البيئى تجله أنها تضم خمسة مناطق جغرافية وبيئية مختلفة :

١ — منطقة السهل الساحلى : الممتد من خليج الاسكندرونة شمالاً حتى مدينة غزة على الحدود المصرية جنوباً .

٢ — منطقة المرتفعات الجبلية : وهى التى تشرف على هذا الساحل وتمتد من مرتفعات الأمانوس التى تحيط بخليج الاسكندرونة فى الشمال حتى سلسلة جبال سيناء فى الجنوب وهذه المرتفعات تمثل حاجزاً بين منطقة السهل الساحلى ، وباقى أجزاء الشام .

٣ — منطقة الحوض الأوسط : وهو عبارة عن حوض ضيق يبدأ عند المنحنى الغربى لنهر العاصى ويستمر نحو لبنان ، حيث يعرف بسهل البقاع ، ويستمر جنوباً ليصل إلى نهر الأردن ، ومنه إلى البحر الميت ، ثم ينحدر نحو خليج العقبة ، وقد عرف سهل البقاع لدى الجغرافيين والمؤرخين الإغريق باسم جرف سوريا . (Koile Syria)

ولما كان سهل البقاع شبيهاً بوادى النيل من حيث التربة الغنية والأهمار ( إذ يجرى فيه نهر الليطانى والعاصى ) ، فتد كان موضع اهتمام مصر دائماً منذ العصور الفرعونية ، خاصة أن سهل البقاع تنمى فيه أشجار الأرز الصالحة لبناء السفن فضلاً عن أهميته الاقتصادية والاستراتيجية لمصر ، واستمر اهتمام مصر بحوف سوريا طوال عصور البطالمة ، وخاضت مصر من أجل ذلك حروباً مريرة عرفت باسم الحروب السورية ، حتى وضع الرومان لذلك

الصراع حداً بعد احتلالهم للشام ، ثم احتلالهم لمصر نفسها ، وضم للشرق الادنى كله إلى حوزة الامبراطورية الرومانية .

#### ٤ - منطقة المرتفعات الشرقية :

وهي التي تبدأ من جنوبي حمص Emesa حتى هضبة حوران وجبال الصفا ، ثم تتجه هذه المرتفعات إلى شرق الأردن ، فيما يعرف بهضبة موآب Moab ومرتفعات السلسلة الشرقية التي تنتهي عند جنوب البحر الميت ، مارة بسلسلة جبال لبنان الشرقية التي ينبع منها نهر بردى ( لباناً في التوراة ) ثم تتجه نحو الأراضي السورية ، وهو السبب في قيام أهم مدن الشام وأقدمها وهي دمشق ، ومن جنوب شرق دمشق تبدأ هضبة حوران ، وهي هضبة بركانية ، تتمثل قمها في صخور البتراء الرملية الشاهقة .

#### ٥ - البادية الكبرى :

وهي المنطقة الصحراوية الشاسعة التي تمتد من شرق هضاب حوران وجلعاد في شرق الأردن وتتجه نحو منطقة السهوب ، وهي جغرافياً مكحلة لمنطقة الصحراء الكبرى التي تتوسط الجزيرة العربية في الجنوب وبلاد الرافدين في الشرق ، ومرتفعات الشام الشرقية من الغرب ، في شكل مثلث قاعدته ترتكز عند الخليج العربي شرقاً ، وخليج السويس غرباً وفتحه عند منطقة حلب . ويعرف الجزء الشرقي منها باسم بادية الجزيرة ، والقسم الشمالي منها باسم بادية ما بين النهرين ، أما القسم الجنوبي منها فيعرف باسم بادية العراق أو بادية السماوة . ومن هذه الصحراء الشاسعة التي يحيطها الغموض ، خرجت أغلب الهجرات السامية متجهة نحو مصادر المياه والأنهار سواء في الرافدين أو الشام أو مصر .

هكذا يتضح أن لإقليم الشام ، يتصف بالتنوع الذي يتمثل في وجود خمس بيئات جغرافية مختلفة ، كان لها أكبر الأثر في اختلاف السكان وأتجاهاتهم الحضارية والعرقية واللغوية واختلاف دياناتهم ومعتقداتهم .  
( م ٣ مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينيستي )

## أهمية الموقع الاستراتيجي للشام :

تأثرت الشام في تاريخها بعدة عوامل أهمها :

### ١ - عامل التضاريس :

وهي التي جعلته ينقسم إلى وحدات منفصلة ، لم تبلغ أى منها درجة من الإتساع والقوة بحيث تسمح بتكوين دولة قوية يمكنها أن توحد الأقاليم الأخرى تحت سيطرتها مما جعل الصراع مستمراً وغير محسوم لصالح قوة محلية معينة .

### ٢ - عامل الموقع الجغرافي :

تمتد الشام من أطراف الخليج العربي ونهر الفرات شرقاً حتى ساحل البحر المتوسط غرباً ، فهي حلقة اتصال بين قارات العالم القديم الثلاث مما لها دوراً تجارياً هاماً ، جعلها مطمعاً للغزوات المختلفة والهجرات التي لم تتوقف ، خاصة سكان المناطق الجبلية الشمالية وبدو الصحراء من الجنوب ، كما كانت مطمعاً لشعوب عديدة بدءاً بالمصريين فالبابليين ، والأشوريين ، والحيثيين والفرس ، والإغريق ، والرومان والروم الشرقيين . وبعد الفتح الإسلامي تعرضت بلاد الشام لغزوات المغول والتتار ، والعثمانيين والصليبيين ، وهي تشهد اليوم غزواً صهيونياً عالمياً .

ومن ناحية أخرى فإن وقوع الشام بين أقدم مركزين للقوة السياسية والحضارية في العالم القديم وهما مصر في الغرب ، والعراق في الشرق لعبا دوراً هاماً في تحديد قدرهما التاريخي ، وكان الصراع بين هاتين القوتين ينعكس آثاره على تلك المنطقة بوضوح ، بل على الجزيرة العربية بأكملها . كما كان لمجاورة الشام لأقدم المراكز الحضارية في مصر وبلاد النهرين وآسيا الصغرى سبباً في تأثرها بتلك الحضارات التي نشأت فيها ، كما كانت الشام وسيطاً للتبادل التجاري والثقافي والفني بين هذه الحضارات المختلفة ، غير أن نسبة التأثير بهذه الحضارات كانت تختلف وتنوع حسب قرب موقعها من مناطق هذه الحضارات ، ففي المناطق الشرقية الشام نرى تأثير حضارة الرافدين



الحديثة واضحاً ، وفى شمال الشام يظهر تأثير الحضارة فى الأناضول مؤثراً بينما فى جنوب الشام نجد تأثير الحضارة المصرية قوياً . ولكن على العموم نجد أن حضارة الشام القديم مزيجاً من هذه الحضارات الثلاث .

ولقد تعرضت أطراف الشام الجنوبية لصراع متواصل بين قبائل البادية الرحل ، وسكان السهول الحضر ، ومن أبرز هذه القبائل البدوية التى أحالت المنطقة إلى بؤرة من الحروب فى العصور القديمة القبائل العبرانية أو قبائل بنى إسرائيل ، التى هاجمت فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد السكان الكنعانيين المستقرين فى سهول فلسطين ، وما يورده العهد القديم من ذلك هو خير دليل ، وحتى قبل مجيء قبائل العبرانيين تعرض سكان سهول الشام لهجمات كثيرة من قبل الهجرات السامية القادمة من قلب بادية الشام الكبرى .

### سكان الشام القدماء :

يجمع العلماء على أن الإنسان الأول قد ظهر فى منطقة الشرق الأدنى فى الدهر الجيولوجى الرابع فى إحدى الفترات الدفينة التى تخللت العصر الجليدى ، وبدأ يصنع أدواته من الطران ومر بمرحلة طريلة وصحيفة حتى فيها الإنسان تتقدماً ملموساً فى حياته الاجتماعية والذكورية خلال العصور الحجرية

ففى نهاية العصر الحجري القديم ، كان يسكن الشرق الأدنى إنسان استأنس الحبوب وعرف الزراعة ، ومن ثم انقسم سكان الشرق الأدنى إلى شعوب رحل مارست الرعى ، وشعوب زراعية استقرت فى المناطق القريبة من مصادر الأنهار ومارست الزراعة ، واقامت القرى ذات الأسوار لحماية من البدو الذين كانوا يغيرون عليها من آن لآخر ، واختارت لها زعماء أو قائداً لتصرف شؤونها ، بل واتجهت إلى عبادة قرى الخصب والثمار لكى تقدم بمحاصيل وفيرة ، وعلى رأس هذه القرى الربة الأم Magna Mater أو الأرض الأم .

وكان من أول الأجناس التي سكنت الشرق الأدنى جنس البحر المتوسط ،  
الذى يتميز بالرأس الطويلة ، والقامة المتوسطة واللون الداكن . وقد دخل  
إليها هذا العنصر من بحر إيجه ومن قبرص ، واحتل السواحل والسهول . وقد  
حدث ذلك في أزمان بعيدة قبل وصول الهجرات السامية إلى الجزيرة العربية .

كان الأموريون ( Amorites ) أو العموريون هم أول الشعوب  
السامية التي دخلت الشام ، وانتشرت في المنطقة الممتدة من جبال طوروس  
شمالاً حتى بادية الشام جنوباً ، ومن وادي الفرات شرقاً إلى سواحل البحر  
المتوسط غرباً ، كما اجتاحت بلاد الرافدين ذاتها وأسست فيها أسر حاكمة ،  
وذلك ما بين القرن الواحد والعشرين والقرن الثامن عشر ق . م . وأقدم  
هذه الأسرات أسرة حمورابي الذي قام بفتح الشام كلها ، والتي كانت تسمى  
بأرض « أمورو » أي أرض الأموريين .

وعندما اجتاحت الحيثيون شمال الشام واحتلوه ، دفعوا أمامهم الأموريين  
إلى الجنوب ، وعندما غزت قبائل العبرانيين فلسطين في أواخر القرن الرابع  
عشر ق . م ، وجدوا فيها جماعات من الأموريين قد سبقتهم إليها حسبما تذكر  
التوراة ، وعموماً سيطر الأموريون في القرن الثالث عشر ق . م على مناطق  
السهول ، بينما سكن الآراميون البادية .

كان الكنعانيون أيضاً إحدى فروع القبائل السامية التي خرجت من  
الجزيرة العربية واحتلت السهل الساحلي للشام ، وهم الذين أطلق الإغريق  
عليهم اسم « الفينيقيون » ويرى البعض أن اسم « كنعان » اسم سامي مشتق من  
كلمة Knaggi بمعنى الصبغة القرمزية (١) ، إذ كانت هذه المنطقة الساحلية من  
الشام تشتهر بهذه الصبغة ، وهي التي ترجمها الإغريق إلى لغتهم إلى لفظ فينيقي ،

---

(١) يقال أن الحوريين هم الذين أطلقوا هذا الاسم على تلك البلاد في القرين الثامن عشر  
والسابع عشر ق . م ، وقد انتقلت الكلمة الحورية إلى اللغة الأكادية فأصبحت « كوني  
كناعني » ، وفي رسائل تل العمارنة نجد كناعني ، وبالفينيقية « كنع » ، وفي العبرية  
كنعان « أي بلاد الأرجوان : أنظر د . محمد عبد القادر ، الساميون في العصور القديمة ،  
ص ١٩١ .

أى أحمر أرجوانى . وقد عرف الساحل الفينيقي في الوثائق الأكادية باسم كنعان ، ويعتقد المؤرخون أن الكنعانيين دخلوا ساحل الشام في القرن الرابع والعشرين ق . م ، في نفس الوقت الذى دخل فيه الأموريون تقريباً . ويعتقد البعض أن الكنعانيين جاءوا أصلاً من جزيرة البحرين ( دلمون ) ، وهاجروا إليها غرباً متجهين نحو سواحل البحر المتوسط .

ولقد أقام الكنعانيون مدناً وموانئ هامة مثل أرواد وصور وصيدا ، كما أن وفرة الأخشاب جعلتهم يتفوقون في صناعة السفن وركوب البحار ويبدعون في أسس التعامل التجاري . كما قامت في الشام دويلات مدن كثيرة ، وكانت هذه المدن في الأصل قلاعاً وحصوناً بنيت لتحمي الحضر من غارات البدو ، ولكي تكون سقفاً في وقت السلم . ولقد وصل الكنعانيون إلى قمة مجدهم في الألف الأول ق . م عندما نشطت دويلات مدنها في التجارة ، وبدأوا ينتشرون وينشرون نفوذهم في غرب البحر المتوسط وساحل أفريقيا الشمالى .

### مراحل تاريخ الشام :

وينقسم تاريخ الشام قبل الفتح المقدوني إلى مراحل أربعة هي :

١ - المرحلة الأولى : وهي تبدأ منذ استقرار الهجرات السامية وحتى أواخر القرن الثاني عشر ق . م وكان الشام خلال تلك الفترة متأثراً بالنفوذ المصرى ، بل واتحد مع مصر معظم الوقت .

٢ - المرحلة الثانية : وهي تمتد منذ نهاية القرن الثاني عشر وحتى نهاية القرن العاشر قبل الميلاد ( من ١٢٠٠ - ٩٠٠ ق . م ) وفي هذه المرحلة كانت الإمبراطوريات الكبرى في الرافدين ومصر قد ضعفت ، وبالتالي بدأت الشام تستقل عن التبعية لتلك القوتين ، ونشأت في الشام دويلات مستقلة ، لم تنحد في وحدة سياسية كبيرة إلا لفترة قصيرة .

٣ - المرحلة الثالثة : وهي تبدأ من القرن التاسع وحتى القرن السادس

قبل الميلاد . وذلك عندما اجتاحت الدولة الآشورية الشام واستولت عليه بأكمله في القرن التاسع ، وفي القرن السادس حل البابليون محل الآشوريين .

٤ - المرحلة الرابعة : وتبدأ من أواخر القرن السادس ق . م حتى الفتح المقدوني في أواخر القرن الرابع ق . م وفي هذه المرحلة حل الفرس محل البابليين ، وأصبحت الشام - كما أصبحت مصر - ولاية من ولايات الإمبراطورية الفارسية .

### بداية الاهتمام المصري بالشام :

بدأ أول اهتمام لمصر بالشام في عصر الدولة القديمة وبالتحديد منذ الأسرة الرابعة ، فقد كان المصريون في حاجة ماسة إلى أخشاب الأرز اللازمة لصناعة السفن ولبناء المنشآت العمرانية والحضارية ، ولحماية حدود مصر الشرقية من تسلل قبائل البدو المتجولة في الصحراء ؛ وفي عصر الأسرة الثانية عشر - كما نفهم من قصة سنو هي البحار ، واتصاله بأهل بيلوس (بيت جيبيل) - زاد اتصال مصر بالشام . ويلحظ الأثريون أن هذه العلاقات تركت بصماتها على الحياة والثقافة في الشام . وفي عام ١٧٣٠ ق . م عندما هاجمت قبائل الهكسوس الشام ومصر ، دفعوا أمامهم قبائل الأموريين الذين كانوا يسكنون سوريا العليا والذين كانوا متأثرين بثقافة بلاد الرافدين والأناضول . كما دفع الهكسوس أمامهم أيضا الكنعانيين الذين كانوا يقطنون ساحل الشام . وفي ذلك الوقت يظهر الآراميون الذين جاء تاريخهم في قصة إبراهيم عليه السلام . الذي خرج من أور الواقعة جنوب بابل ثم اتجه إلى حران الواقعة على أحد روافد الفرات ثم وجد طريقه إلى كنعان في فلسطين . . . .

وبعد انتهاء موجة غزوات الهكسوس وما أحدثوه من فوضى وهرج ، ونجاح المصريين في طرد هملاء الرعاة ، بدأت مصر تفكر جدديا في فرض نفوذها المباشر على الشام بقوة السلاح ، وذلك لأن غزو الهكسوس لقنهم درساً ، وهو أهمية الشام الاستراتيجية لتأمين وادي النيل ومن أجل ذلك تكررت غزوات مصر للشام خلال الأسرة الثامنة عشرة في عصر تحتمس

الأول وتحتسب الثالث ، وكانت ببلوس بالذات هي بورة اهتمام المصريين كما يتضح من رسائل تل العمارنة ، بينما كانت أوغاريت تؤثر التحالف مع الحثيين ، ولم يكن غرض المصريين هو الاستيلاء على الشام واحتلاله ، بل إدارته كجزء من مصر كأي مديرية أو إقليم من أقاليم مصر ، وكانوا يكتفون بجمع الضرائب من الأمراء والحكام المحليين واستيراد ما يحتاجون إليه من المواد الطبيعية ، وتصدير الفائض من منتجات وادي النيل إليها ، ولم يؤثر المصريون كثيراً في التفكير العرفي والبشري لشعوب الشام ، بينما نجد أن كثير من أهل الشام جاءوا إلى مصر للعمل بالتجارة ، وبعضهم تولى وظائف هامة ، بل وصل بعضهم إلى منصب الوزارة ومستشاري الملك ، كما تزوج المصريون والأمراء والملوك أحياناً من نساء الشام .

كانت ثورة إخناتون الدينية في مصر وما أعقبها من قلق من بداية لضعف النفوذ المصري في الشام . وبدأت مصر تفقد ممتلكاتها واحداً تلو الأخرى في سوريا ، فقد عكف الملك على عتيدته الجديدة ، ولم يكلف نفسه حتى عناء الرد على رسائل الأمراء الذين استغاثوا به طالين العون والمساعدة ، كما رفض هذا الفرعون مقابلة الوفود والرسائل الذين جاءوا لمقابلته ، فاستغل ملك الحثيين هذا المرقف واحتل الشام كلها ، وتوالى سقوط المدن الفينيقية واحدة تلو الأخرى . وكان من بين الرسائل التي أرسلتها المدن رسالة أهل تونيب وفيها يقولون للفرعون : « والآن فإن مدينتك ( تونيب ) تبكي ويدعوها تسيل ، ولا ناصر لها ، لقد أرسلنا عشرين رسالة إلى مولانا فرعون مصر ولا من يجيب » .

ولقد عثر في عام ١٨٨٧ في خرائب تل العمارنة بمصر الوسطى على ألواح طينية ، وهي عبارة عن مجموعة من رسائل ديوان الفرعون أمنوحب الثالث ( ١٤١٧-١٣٧٩ ق . م ) وإبنه الفرعون أمنوحب الرابع ( إخناتون ) ١٣٧٩-١٣٦١ ق . م وهي صور لرسائل دبلوماسية متبادلة بين ديوان الفرعون وبين حلفائه في الشام ، ومكتوبة باللغة البابلية ، المدونة بالخط المساري ، على ألواح من الطمي غير المحروق وهذه الرسائل تؤكد مكانة

الشام لدى الفراعنة ، ومكانة الفراعنة لدى امراء الشام ، كما تدل على وجود مترجمين للغة البابلية في الديوان الفرعونى . ويبدو أن اللغة البابلية المكتوبة بالخط المسمارى كانت هى اللغة السائدة في الشرق الأدنى ، في ذلك الوقت . وفي نفس الوقت كانت لغة الدبلوماسية المصرية .

عادت السيادة المصرية للشام مرة أخرى في عصر الأسرة التاسعة عشرة ، فقد نقل رمسيس الثانى ( ١٣٠٤-١٢٣٧ ق . م ) عاصمته من جنوب مصر إلى بر رعسيس ( الذى ورد ذكرها في التوراة وهى بالقرب من مركز فاقوس بالشرقية \* في شرق الدلتا ) ، ليراقب منها الشام عن كثب . فقد قام في العام الثانى من حكمه بحملة على الشام ، حيث أقام نصباً تذكاريّاً تخليداً لانتصاراته بالقرب من بيروت الحالية ، وإلى الشمال من قادش تقابلت جيوشه مع جيوش الحيثيين ، وانتهت المعركة بعقد معاهدة سلام مع الحيثيين عقدت عام ١٢٨٧ ق . م وهى أول معاهدة للعلاقات الدبلوماسية في تاريخ العالم القديم .

وفي عهد مرنبتاح ( ١٢٣٦-١٢٢٣ ق . م ) الذى خلف رمسيس الثانى ، حدثت تطورات هامة في المنطقة ، وهو خروج بنى اسرائيل من مصر بقيادة موسى عليه السلام ، واتجاههم نحو فلسطين . وعلى أثر ذلك بدأت الحروب بين بنى اسرائيل المهاجرين وبين الكنعانيين والفلسطينيين المقيمين في فلسطين ، وبدأت فلسطين تصبح بؤرة الأزمات في الشرق الأدنى ، وفي نفس الوقت تعرضت منطقة الشرق الأدنى لهجوم من شعوب البحر حوالى عام ١٢٠٠ ق . م وحاولت هذه الشعوب غزو سواحل مصر والشام ، ولولا قوة رمسيس الثالث ( ١١٩٨-١١٦٦ ق . م ) لاحتلوها ، غير أنه بضعف الملوك المتأخرين في الأسرة العشرين والواحدة والعشرين انهار النفوذ المصرى في الشام . والمثل على ذلك واضح من المعاملة التى لقيها « ون - آمون » مبعوث الكاهن لأكبر حريحور لإحضار الأخشاب اللازمة لصنع سفينة آون - رع المقدسة من أمير ببلوس جريا على العادة ، فقد رفض أمير ببلوس مقابله وطلب منه

( \* ) وفي رأى آخر أنها كانت بالقرب من تانيس ( صان الحجر شرقية ) .

مغادرة الميناء وظل « ون - آمون » ينتظر مقابلة الأمير تسع وعشرين يوما حتى قابله أمير ببلوس التي كانت تابعة لمصر ، ولما كرر ون - آمون عرضه ، تهكم عليه الأمير ، وأخبره بأنه لم يعد تابعا لمصر وأنه ليس هناك ما يجبره على إرسال هذه الأخشاب دون دفع ثمنها .

ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر قبل الميلاد بدأ اتصال الإغريق الموكينيين بالشرق الأدنى ، خاصة بمدن سواحل الشام فقد بدأوا ينهبون كفرة بحرية في شرق البحر المتوسط بعد زوال القوة البحرية المصرية وبعد تدمير طروادة ، وبدأت أسماء بلدان وشعوب الشرق الأوسط يتردد إسمها في الوثائق الموكينية الطينية في الأساطير (١) ، ونقلوا أسماء التوابل الشرقية إلى لغتهم ووصلت منهم إلى السواحل الفينيقية ، وبدأ التعامل بين الفينيقين والإغريق الموكينيين ، وقد أدى ذلك إلى نهضة المدن الفينيقية واستقلالها ، فقد كانت القوات العظمى في الشرق الأدنى قد ضعفت ، كما كانت الامبراطورية الحيثية قد سقطت بعد أن قضت عليها شعوب البحر ، وبالتالي استقلت أقاليم الشام وقامت فيه دويلات مدن مستقلة . وعموما كانت الفترة من ١٠٠٠ - ٥٠٠ ق . م هي أسعد عصور المدن الفينيقية ، فقد تخلصت من النفوذ المصري ، كما كانت آشور في صراع مرير مع بابل ، وخلال تلك المرحلة ازدهرت مدينة صور ، وأسست لنفسها مستوطنات تجارية في سهل أفريقيا وجزر البحر المتوسط ، وكما حاول العبرانيون بعد أن استتب لهم الأمر في فلسطين وأسسوا مملكة لهم أن يسيطروا نفوذهم على الشام ، خاصة في عهد داود وابنه سليمان ، كما حاول الفينيقيون في عهد الملك حيرام التعاون مع العبرانيين ملئ الفراغ في المنطقة .

### قيام الإمارات الآرامية في الشام :

في غياب القوة المصرية ، اتحدت الجماعات العبرانية الغازية لفلسطين ، وبدأت في إخضاع السكان الكنعانيين والآراميين ، وكونت مملكة اختارت

(1) f. Edwin M. Yamauchi : Greece and Babylon — Early Contacts between the Aegean and Near East, Michigan, 1967, pp. 33 — 24, William Taylor The Mycians ( Ancient peoples and places no. 39), Thames and Hudson, London 1961: p. 135.

لها ملكا اسمه شاول الذى تطلع إلى إخضاع الممالك الأرامية فى الشام والى كانت تنزعها لإمارة صوبا .

وفى القرن التاسع قبل الميلاد ، بدأت آشور تظهر على مسرح الأحداث كقوة عسكرية ، واختطت لنفسها خطة حربية للتوسع تجاه الغرب ، وملء الفراغ فى الشرق الأدنى ، وبدأت بإرسال حملات إلى الشام ، غير أنها لم تقص نهائيا . على مقاومة الممالك الأرامية الى كانت تشهد نشاط ملحوظاً منذ القرن الحادى يتمثل فى الانتشار الاسينطانى فى شمال الشام ، وظهرت إمارات أرامية فى شمال الشام وأعلى نهر العاصى وفى وادى الليطاني ، وفى جنوب الشام والرافدين ، وشراطى دجلة الشرقية وسهول الفرات ، وكان أكبر الممالك الآرامية إمارة صوبا فى سهل البقاع ، وإمارة دمشق ، ولم يجد الآراميون فى انتشارهم أى مقاومة من أبناء عمومهم سواء من الكنعانيين أو الآموريين ولقد كانت الإمارات الأرامية فى الشام مجبر عثرة فى وجه التوسع الآشورى ، بل إن هذه الإمارات الأرامية هى التى كسرت شوكة العبرانيين حيث قادت دمشق المقاومة ضدهم ، وبقدر ما كان العداء شديداً بين العبرانيين والآراميين ، بقدر ما كانت العلاقات هادئة بين الكنعانيين ( الفينيقيين ) وجارتهم الدولة العبرية .

### الغزو الآشورى للإمارات الأرامية فى الشام :

ولما فرغت آشور من صراعها مع بابل ، استدارت لابتلاع الإمارات الآرامية فى الشام ، والقضاء على الدولة العبرية ، متبعة سياسة الضم المباشر ، والقضاء على استقلال هذه الممالك قضاء لا رجعة فيه ، بإدماج الشام عن طريق نقل السكان وتوطين آخرين من بلاد الرافدين مكانهم . ولقد طبقت هذه السياسة على اليهود ، وأدت إلى القضاء على الشام كوحدة تاريخية مستقلة . ولقد خططت آشور للقضاء على الدولة العبرية التى كانت قد شهدت أقصى توسعها وازدهارها فى عهد سليمان بن داود ، والذى بنى لنفسه قصراً منيفاً فى أورشليم . كما بنى المعبد الشهير والذى اشترك فى بنائه الهندوسون والعمال المصريون ، فجاءت عمارته مزيجاً من العمارة المصرية والبابلية ( لراجع



إلى سفر الملوك ) ، وبعد موت سليمان انقسمت الدولة العبرية إلى مملكتين : مملكة إسرائيل الشمالية وعاصمتها السامرة وذلك منذ عام ٩٢٩ ق . م ومملكة يهودية في الجنوب والتي أسسها خلفاء سليمان من سبطي يهوذا وبنيامين وكانت عاصمتها أورشليم .

ورغم ضعف مصر خلال الألف الأخير قبل الميلاد ، إلا أنها لم تكف من حين لآخر عن محاولة استعادة نفوذها في الشام وفلسطين ، فقد رأينا كيف أن شيشنق انتهز فرصة انقسام الدولة العبرية إلى دولتين فقاده قواته نحو أورشليم في السنة الخامسة من حكم رحبعام بن سليمان ، ودخلها ونهب خزائن معبد سليمان لكنه عاد أدرجه إلى مصر .

أما مملكة إسرائيل في الشمال فقد استمرت من ٩٢٩ إلى ٧٢٢ ق . م وكانت نهايتها عندما اجتاحت الآشوريون الشام بقيادة ملكهم سرجون الثاني وقضوا على مملكة إسرائيل ودمروا عاصمتها السامرة ، ونقلوا معهم عدداً كبيراً من الأسرى اليهود إلى العراق ، فيما يعرف بالسبي البابلي ، وبذلك سقطت دولة العبرانيين في الشمال بعد أكثر من قرنين من تأسيسها ، وكانت مملكة يهوذا أسعد حظاً وذلك لأنها كانت مملكة فقيرة يعمل سكانها بالرعي ويعيشون حياة البدو الرحل ، فقد بقيت من عام ٩٣٩ ق . م حتى سقوطها عام ٥٨٦ ق . م على يد نبوخذ نصر الذي دمر أورشليم عاصمتها وأسر ملكها وحمل معه أيضاً عدداً من سكانها كأسرى فيما يعرف بالأسر البابلي الثاني . وقام نبوخذ نصر بتوطين القبائل البابلية في شرق الأردن ، ومن بين هذه القبائل البابلية التي وطنها نبوخذ نصر قبائل العرب الأنباط ( كلمة نبط كانت في الأصل تطلق على سكان بلاد النهرين ) ، وكان سكان شرق الأردن قبل مجئ الأنباط يدعون « الأدوميون » وانتزع الأنباط منهم مدينتهم « سلع » وحولوها إلى عاصمة لهم ، وهي التي عرفت فيما بعد باسم البتراء وبوصول الأنباط إلى الشام دخل عنصر سكاني جديد قدر له أن يلعب دوراً كبيراً في تاريخها في العصور المتأخرة .

أما بقية الإمارات الآرامية في الشام ، فقد كانت قد وقعت من قبل تحت

التيار الآشوري ، وذلك عندما قام تجلات بيلاصر ( ٧٤٥-٧٢٦ ) باجتياح الشام فاستسلمت دمشق عام ٧٣١ ق . م ، كما استسلمت صور وسائر الممالك الآرامية في الشام . ولقد أتم سرجون الثاني ٧٢٠-٧٠٤ ق . م ) فتح الشام وتوحيدها تحت زعامة آشور ، بل قام أسرحادون بالزحف على مصر ودخل منف عام ٦٧١ ق . م وضم مصر إلى آشور ، وبذلك أصبحت آشور القوة الكبرى في الشرق الأدنى في القرنين الثامن والسابع ق . م وكان آخر ملوك آشور الأقوياء هو آشور بانتيال ٦٦٧-٦٢٦ ق . م ولكن بعد موته تفككت إمبراطوريته وضعفت ، عندئذ تحالف ضدها أعداؤها ، فتكرن حلف من مصر وميديا ( إيران ) وليديا وبابل لإسقاط الإمبراطورية الآشورية . وقد تم ذلك عام ٦١٢ ق . م وقاد نابولاصر البابلي المهجوم على نينوى عاصمة آشور ، وتم سحق الجيش الآشوري في معركة كبرى عام ٦٠٦ ق . م ، ومن الطريف أن اليهود استقبلوا نبأ سقوط نينوى بفرحة عارمة ، إذ قرأ في سفر ناحوم « كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بأيديهم عليك ، لأنه على من لم يمر شرك على الدوام ! » وهكذا يستقر نينوى عاصمة آشور ، تقسمت أملاكها ، فاستولى الميديون على إقليم آشور الأصلي ، بينما استولى البابليون على بلاد النهرين والأراضي السورية الفينيقية . وتولى بعد نابولاصر ملك بابل ابنه الشهر نبوخذ نصر ( ٦٠٤-٥٦٣ ق . م ) الذي مد سلطان بابل أو « كالدنيا » كما سماها الإغريق على جميع المناطق التي كانت آشور تحتلها في السابق ، كما قام بوضع نهاية للنفوذ المصري في الشام ، وقضى على دولة يهوذا ودمر أورشليم عام ٥٨٦ ق . م ، وحمل عدداً كبيراً منهم إلى بابل فما يعرف بالأسر البابلي الثاني ، ووطن الأنباط في بلاد الأدوميين في شرق الأردن ، كما وطن البابليين والعيلاميين في السامرة ، وظل بنو إسرائيل مشردين في الأرض يتطلعون للعودة إلى فلسطين .

هكذا بقيت الشام تحت حكم البابليين حتى ظهرت الدولة الفارسية الأخمينية بزعامة قورش الذي استولى على بابل ذاتها عام ٥٣٩ ق . م ، ومن بعده قام قبيز ( ٥٣٠-٥٢١ ق . م ) بالاستيلاء على مصر والشام وفلسطين .

وبذلك أصبحت الشام وقبرص السترابية الخامسة في الامبراطورية الفارسية و بقيت كذلك حتى الفتح المقدوني ، رغم محاولة الأسرة الثلاثين في مصر لاستعادة نفوذها في الشام في عهد الفرعون تيوس ( جلدحر ) .

### ثالثاً : الأوضاع في بلاد الرافدين والخليج العربي قبل الفتح المقدوني :

المفهوم التاريخي والجغرافي لبلاد النهرين هو وادي نهرى دجلة والفرات وهذان النهران الشهيان يكونان الطريق المائي الذي يصل آسيا الصغرى بالخليج العربي ويحصران بينهما حوضاً غنياً يحده من الشرق مرتفعات عيلام التي منها يتدفق نهر كارون Karun وخركا Kherka الموصلان لهضاب إيران وبلاد الهند . ومن الشرق أيضاً تشق جبال زاغروس التي منها يتدفق روافد دجلة مكوّنة الطرق المؤدية إلى بحر قزوين . أما من الغرب فتتمتد صحراء الشام الشاسعة ، والتي شققتها القوافل التجارية المتجهة إلى الجزيرة العربية أو إلى سواحل البحر المتوسط . وإذا ما صعدنا شمالاً متتبعين نهر دجلة وجدناه يمر بسهل غنى هو سهل آشور ثم بلاد الميثانيين ، لنجد أنفسنا أخيراً في أرمينيا .

أما نهر الفرات ، الذي يبدأ منبعه بنحو مائة كيلو متر من البحر الأسود فهو يسير محاذياً لمرتفعات طوروس التي تفصل بين الشام العربية وآسيا الصغرى ، ثم يقترب من البحر المتوسط عابراً لبلاد امورو ( الأموريين ) ثم ينحني ليسير بعد ذلك موازياً لنهر دجلة ، حتى يلتقيان في مجرى واحد عند شط العرب ، ويصب هذا المجرى في الخليج العربي .

وفي الأصل كان وادي دجلة والفرات خليجاً قديماً يمتد على رقعة من الأرض يبلغ طولها خمسمائة كيلو متر ، وكانت مليئة بالطمي والغرين الذي يغمرها من الربيع وحتى الخريف .

ويختلف وادي دجلة والفرات عن وادي النيل ، فالظروف الجغرافية جعلت وادي دجلة أقل تماسكاً من الناحية السياسية ، فالمنطقة الجنوبية

من الرافدين ، كانت قديما وحدة اقتصادية وسياسية تعتمد في حياتها على مياه وتربة النهرين ، وفي هذه المنطقة ظهرت دولة الأكاديين ( بابل ) كما ظهرت فيه أيضا دويلات المدن التي ازدهرت منذ قيام الحضارة السومرية .

وإلى الشمال من بغداد الحالية تجرى أنهار هامة مثل دبالى ، والزاب الأكبر ، والزاب الأصغر ، والخابور ، والبلخ وقد شكلت هذه المنطقة بدورها أيضا وحدة سياسية واقتصادية قامت فيها دولة آشور المنافسة لدولة بابل في الجنوب . أما السومريون فقد سكنوا ذلك الأقليم الذى يقع بين الفرات ودجلة ويعتمد من نيدور حتى مياه الخليج ( من بغداد الحديثة تقريبا حتى الخليج العربى ) . وهم اللذين وضعوا الأساس الأول للحضارة في بلاد الرافدين وتبناها وزاد عليها كل من الأكاديون والآشوريون . ولما كانت المنطقة التي قامت فيها الدارة البابلية ( الأكادية ) أكثر خصوبة من المنطقة التي قامت فيها دولة سومر ، فقد اهتم السومريون بالتجارة أكثر من الزراعة ، بينما اهتم البابليون بالزراعة أكثر من التجارة ، ولهذا تظهر الروح الإقطاعية والنكر الزراعى عند البابليين بصورة واضحة .

ولقد كانت منطقة بلاد الرافدين بئراؤها الزراعى ، وبحكم موقعها الاستراتيجى محط أنظار الشعوب الغازية ، وفدت إليها من كل مكان من مرتفعات عيلام ( جبال زاغروس ) ومن صحراء الشام ، ومن أصقاع الشمال ، ووفد إليها القوقازيون وقبائل آسيا الصغرى ، كما كانت قبائل البدو دائمة الإغارة على المدن السومرية والبابلية وتأتى إليها من الصحراء الكبرى .

وبمرور الزمن ، وبسبب التجارة والحروب ، شقت الطرق الكبرى التي كانت تسير فيها القوافل تحمل على ظهور الجمال منتجات الشعوب المختلفة كما بذت الشعوب الغازية طرقا حربية لنقل جيوشها وعتادها وموتها .

كان أول من استقر في وديان الرافدين شعوب البحر المتوسط ، واستمر استقرارها طوال العصور الحجرية ، ولم تظهر التجمعات المستقرة فيها في مناطق ثابتة وحضرية إلا منذ نهاية الألف الخامس ق . م .

ومنذ الألف الثالث ق . م بدأ نجم شعب يسمى السومريين ( نسبة إلى مدينتهم الكبرى سومر أو شومر ) يظهر في الأفق ، ويستقر في الوادي الأدنى للرافدين ( من بغداد الحديثة حتى الخليج تقريبا ) ، وكان السومريون أغلب الظن ينتمون إلى العنصر الألبياني . وفي نفس الوقت استقرت مجموعة أخرى من السكان تعرف بالكاديين ( نسبة إلى مدينتهم أكاد أو آجاد ) في المنطقة التي تقع إلى الشمال من سومر ، وكان الأكاديون ينتمون إلى العنصر السامي وهذا واضح من دراسة اللغة التي كانوا يتكلمون بها . وكان السومريون والأكاديون يكونون كل بلاد الرافدين في ذلك الوقت .

وعاش هذان الشعبان في قرى صغيرة مكتفية ذاتيا ، ولقد تعلم الأكاديون من السومريين الكثير من فنون الزراعة والتجارة والحرف ، وظهرت حكومات لإدارة هذه القرى وتصريف شئونها . وكانت بعض هذه المدن تحاول فرض سيطرتها على المدن الأخرى من أجل إقامة دولة أكبر ، مما أدى إلى قيام الحروب والمنازعات بينها .

وفي مطلع الألف الثالث ق . م - وهو ما يوازي عصر بناء الأهرام - كانت أهم مدن بلاد الرافدين المتصارعة هي بابل ، وأريدو ، وكيش ، ولاباش ، ولارسا ، ونيبور ، وأوما Uma وأور ، وأوروك ( الوركاء ) وأوبس ، ولارسا . وكان يحكم كل مدينة كاهن ( يعرف باسم الباتيسي Patesi ) يحكم نيابة عن رب المدينة الذي يملك الماء والأرض . ولهذا كان الحكم ثيوقراطيا . ولما بدأ الصراع بين هذه المدن ، كانت المدينة المنتصرة تفرض على المدينة المهزومة قبول الخضوع لمعبودها ، وبالتالي تحول الكاهن الحاكم في المدينة ( باتيسي ) إلى منصب أكبر وهو « اللوجال » Lugal ( أى كاهن ملك يحكم دولة تضم أكثر من مدينة ) . وقد انتشر من حملوا هذا اللقب في مناطق مختلفة في الوادي الأدنى للفرات .

#### ظهور الممالك السورية في بلاد الرافدين :

ولكن منذ عام ٢٥٠٠ ق . م نجح « لوجال » مدينة أور في سهل سومر في إخضاع سائر « اللوجالات » الآخرين خاصة في كيش وأوروك . وبذلك تكونت مملكة سومر الأولى وقد اعتبر السومريون أن بلدهم تكون الحد

الجنوبي للنديا . ولذلك فضلوا التوسع شمالا متتبعين منابع النهرين وقد استولوا على أرض «أكاد» وأخضعوها لحكمهم . وظلوا يخضعونها حتى عام ٢٢٦٠ تقريباً . وتتفق الآراء على أن السومريين قد جاءوا من مكان ما في الشرق أو جنوب بلاد الرافدين سواء عن طريق البر أو البحر أو الإثنين معاً ، وكان لهم نشاط تجارى واسع وبحرى مع شعوب وادى السند وبلوخيستان ، وكانت جزيرة دلمون مركزاً تجارياً بحرياً هاماً ، بل لاحظ علماء الآثار وجود تشابه في بعض الجوانب الحضارية بين حضارة السومريين وحضارة مصر في عصر الأسرات الأولى . ولكنهم لم يتوصلوا إلى تفسير لهذا التشابه .

وفي عام ٢٢٦٠ ق . م تدهورت أوضاع مدينة أور مركز الدولة السومرية الأولى ، بينما بدأ الأكاديون ينهضون ، فقد ظهر قائد من العنصر السامى كان حاكماً على مدينة «أكاد» وبدأ يغزو أرض سومر ، وهو سرجون الأكادى الأول . وأخضع سرجون مدينة سومرية لجعلها عاصمة لحكمه ، ووقع اختياره على «بابل» . وبذلك قام حكم الأسرة البابلية الأولى ، لكنه بعد موته خلفه سلسلة من الملوك الضعفاء فشلوا في صد غزوات قام بها جماعات من شعوب أقل تحضراً جاءت من الشمال ويعرفون باسم الجوتيين الذين تمكنوا من إخضاع شعوب الرافدين وحكموها لما يقرب من ثمانين عاماً من ٢١٥٠ - ٢٠٧٠ ق . م ، لكن سرعان ما نهضت سومر مرة أخرى ولكن تحت زعامة لوجال مدينة أوروك (الوركاء) ، الذى نجح في استعادة أجزاء من أراضيها السليبية إلى حد ما . وبذلك قامت الدولة السومرية الثانية . وأصبح يسكن بلاد النهرين إلى جانب السومريين والأكاديين شعب الجوتيين الذين حطوا رحالهم عند سفوح جبال زاغروس . وفي نهاية الألف الثالثة وفد إلى بلاد الرافدين أيضاً الأموريون الذين كانوا يسكنون المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربى من نهر الفرات ، كما وفد الآشوريون وهم شعب سامى هو مزيج من الأكاديين والأموريين ، واستوطنوا سهول شمال شرق العراق ، وأطلقوا على دولتهم اسم «آشور» نسبة إلى الرب الذى كانوا يعبدونه . كما جاء أيضاً العيلاميون الذين ينتمون إلى العنصر الألبانى ، وكانوا يسكنون السهول المتاخمة إلى الشرق

من سومر ، وخلال هذه الفترة جاء إلى المنطقة الكاشيون الذين استوطنوا صفوح جبال زاغروس بين الجوتين والعيلايين ، وكذلك جاء الحريريون الذين استوطنوا المناطق الواقعة حول بحيرة فان وقرب منابع هري دجلة والفرات . وبعد عام ٢١٠٠ ق. م بأعوام قليلة ، تزعمت مدينة أور السومرية الثورة ضد الغزاة الجوتين ، وتمكن لوجال أور في عام ٢٠٧٠ ق. م من فرض سيطرته على أغلب ساحات وادي النهرين ، وبذلك قامت الدولة السومرية الثالثة بعد أن استعادت أور زعامتها من مدينة الوركاء مقر الدولة السومرية الثانية ، وكان من أهم ملوك الدولة السومرية الثالثة المشرع العظيم دونجي Dungi ، الذي كسب شهرة كبيرة في التاريخ كأعظم مشرع ، قام بجمع موسوعة قانونية عرفت باسم موسوعة دونجي القانونية ، لكن بعد موت دونجي لم يخلفه على العرش وريث قوي مما أدى إلى طمع الحكام المحليين . الكهنة (الباتيسات : Patosi ) الذين تمردوا على الإدارة المركزية في أور ، وخرجوا عن طوع « لوجالها » ، وبذلك سقطت الدولة السومرية الثالثة حوالي عام ١٩٤٤ ق. م . وبذلك انتهى الدور السياسي للسومريين .

#### المملكة الأكادية :

في ذلك الوقت كانت الشعوب الأمورية قد بدأت تهاجر إلى الشطر الغربي من الفرات ، وبدأوا في غزو المدن السومرية والأكادية واختاروا مدينة بابل لتكون مقر أسرة حاكمة استمرت تحكم لمدة ثلاثة قرون تقريباً من ١٩٤٤ حتى ١٦٧٠ ق. م وبذلك قامت الدولة البابلية الثانية وكان من أشهر ملوكها حمورابي (١٧٢٨-١٦٨٦ ق. م) ، الذي نافذ من جبال زاغروس شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً ، ومن بحيرة فان عند منابع النهرين شمالاً ، حتى الخليج جنوباً ، كما قام بنشر الثقافة السومرية الأكادية في كل أنحاء مملكته ، وغطت شهرته على شهرة دونجي السومري في مجال التشريع ، حتى أنه اكتسب لقب المشرع العظيم بعد أن وضع موسوعته القانونية التي عرفت باسم موسوعة « حمورابي القانونية » بالرغم من أنها قامت أساساً على تراث موسوعة دونجي القانونية الذي عاش قبله بنحو ثلاثة قرون .

سقطت الدولة البابلية الثانية تحت هجمات الغزاة ، فقد هجم الكاشيون ( م ٤ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينيستي )

واستولوا على معظم وديان دجلة ، وفي نفس الوقت فرض المصريون نفوذهم على الجزء الجنوبي الغربي من الرافدين ، وظلوا يجبون الضرائب منها خلال بعض عصور الدولة الحديثة ، كما بسط الميتانيون والحيشيون نفوذهم على المناطق الشمالية الغربية ، وبقيت « بابل » ونوابعها مستقلة عنهم وتحكم نفسها بنفسها .

### المملكة الآشورية :

وخلال هذه الفترة كانت آشور خاضعة لنفوذ الحيشيين ، وتوذى لهم الجزية ، ولكن منذ أواخر الألف الثاني قبل الميلاد تدهور نفوذ الحيشيين ، فثارت آشور وأعلنت استقلالها . وبدأت تظهر كقوة سياسية وعسكرية مؤثرة عندما تولى عرشها الملك الآشورى الشهير تيجلات بيلاسر الأكبر ( ١١١٥-١١٠٢ ق . م ) الذى وسع دولة آشور بالقيام بعدة غزوات نحو سواحل البحر المتوسط ، وبذلك قامت الدولة الآشورية الأولى ، لكنها لم تبق طويلا بعد موته ، إذ وقعت تحت حكم الغزاة الآراميين لبعض الوقت .

كانت الدولة الآشورية الثانية أطول عمراً وأشد قوة من سابقتها ، وكان مؤسسها هو آشور ناصربال ( ٨٨٥ - ٨٦٠ ) ومن أبرز ملوكها تيجلات بيلاسر الثالث ( ٨٢٨ - ٧٤٦ ق . م ) الذى ضم إقليم بابل والشام إلى مملكة آشور . كما كان من أشهر ملوكها سرجون الثانى ( ٧٢٠ - ٧٠٤ ) ، الذى توسع غرباً فغزا الشام وفلسطين ، وقضى على دولة إسرائيل ودمر عاصمتها السامرة فى عام ٧٢١ ق . م ، ولم يستقر سرجون فى عاصمة واحدة ، إذ اتخذ فى أول حكمه مدينة آشور وجعلها عاصمة له ، ثم انتقل منها إلى كالح ( نمرود ) ثم فى منتصف حكمه انتقل إلى نينوى وجعلها عاصمة له ، وأخيراً فى السنة التاسعة من حكمه عام ٧١٣ ق . م أسس عاصمة جديدة سماها شاروكن أى مدينة سرجون ( على بعد ١٢ كم إلى الشمال من مدينة نينوى وهى خرسباد الحالية ) ، وبعد موت سرجون الثانى تولى ابنه سناخريب ( ٧٠٤ - ٦٨١ ق . م ) فترك عاصمة أبيه الجديدة ، وعاد إلى نينوى لأنها مدينة مقدسة وعمل على تجميلها ، ثم اتجه إلى آسيا الصغرى وضم المستوطنات



الإغريقية التي كانت قائمة على سواحل آسيا الصغرى ، وبذلك بدأ أول اتصال مباشر بين الإغريق الأيونيين وبلاد الرافدين ، مما أدى إلى تبادل الثقافة بينهما . كما اتجه جنوباً إلى فينيقيا وأخضع صور وصيدا وعسقلان وحاصر أورشليم ، لكن بابل ثارت عليه ، فأعاد فتحها . كما بنى أسطولا عملاقاً بمساعدة الفينيقيين والقبارصة واتجه به جنوباً حتى الخليج العربي ، ولما ثار عليه العيلاميون وهاجموا أواسط العراق ، حاصرهم في بابل ، ثم دمر هذه المدينة ، ودك أسوارها ، وحرق قصورها ، وفتح مياه الفرات عليها حتى غمرتها . ثم اندفع نحو شمال شبه الجزيرة العربية واخترق الصحراء متجهاً نحو سواحل البحر المتوسط ، ووصل حتى غزة وهو ينوي محاربة الملك النوبي طهارقة الذي كان يحكم مصر في ذلك الوقت كآخر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، والذي كان متحالفاً مع أعداء آشور من أمراء الشام وفلسطين ، فترك سنا خريب مشروع فتح أورشليم وتفرغ لفكرة فتح مصر ، غير أنه اضطر إلى التراجع بسبب إنتشار وباء الطاعون في جيشه . ومن بعده تولى ابنه آسر حدون الذي أكمل مشروع أبيه في فتح مصر ، غير أن المصريين تمكنوا من هزيمة الآشوريين ، وردوهم عن حدود بلادهم ، ولكنه سرعان ما عاد أشد قوة واجتاح مصر ودخل منف ، وفر طهارقة إلى الجنوب ، ونهب الآشوريون مصر ، ونقلوا الكثير من آثارها إلى نينوى ، وقد عثر في بلدة تل النبي يونس بالعراق على بعض الآثار المصرية المنهوبة ، وبذلك نجح الآشوريون في ضم مصر مؤقتاً إلى الامبراطورية الآشورية التي وصلت إلى أقصى إتساع لها من جبال زاغروس في الشرق حتى وادي النيل في الغرب . وبعد موته تولى حكم الامبراطورية الآشورية الملك الشهير آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) ، الذي قضى على عيلام وانتصر على بابل المتمردة واخضعها لكي تصبح جزءاً من الامبراطورية واصبح آشور بانيبال حاكماً على الشرق الأدنى بأسره .

كان الشرق الأدنى في ذلك الوقت في حالة ضعف تام باستثناء القبائل المختلفة التي كانت تقطن شرق بلاد الرافدين مثل عيلام التي كانت مصدر خطر على الآشوريين ، ثم قبائل الفرس الميديين التي قضت على

الامبراطورية الآشورية فيما بعد . أما الشام فقد تحولت إلى إمارات صغيرة لم تكن تستطيع الوقوف أمام هذه الجيوش الغازية إلا بالاتحاد ، وهو أمر كان محالاً ، ففي شمال الشام قامت الإمارات الحثية ، وفي وسط وجنوب الشام قامت دويلات المدن الفينيقية ، والآرامية ، كما كانت هناك دولة يهوذا والفلسطينيون ، وكانت المستوطنات الإغريقية الأيونية تنتشر على طول ساحل آسيا الصغرى . أما مصر فقد كانت ضعيفة ومنقسمة على نفسها كما رأينا . إلى أن جاءت الأسرة السادسة والعشرون التي قامت بعد طرد الآشوريين والتي أسسها بسماتيك الأول .

### المملكة البابلية الأخيرة :

وعلى العموم ، فقد قضى آشور بانيبال سنواته الأخيرة في بابل ونيوى حيث أقام مكتبته الشهيرة في نينوى ، والتي كشف عنها خلال أعوام ١٨٤٩ - ١٨٥٧ ، وبعد موته لم يظهر ملك قوى في آشور ، إنما ظهر في بابل ، وكان اسمه نابو بولاسر ، وكان هذا الأخير في الأصل والياً طموحاً على بابل ومعيناً من قبل آشور ، وعلى أثر موت آشور بانيبال أعلن نابو بولاسر استقلاله ببابل عام ٦٢٥ ق. م مؤسساً بذلك الدولة البابلية الأخيرة . وفي عام ٦١٤ ق. م تحالف مع ملك ميديا وملك ليديا ومع المصريين لإسقاط الامبراطورية الآشورية . وبالفعل قاد نابو بولاسر هجوماً ناجحاً على نينوى عاصمة الآشوريين وسقطت نينوى في أغسطس عام ٦١٢ ق. م بعد معركة دموية ، ثم هزم الجيش الآشوري هزيمة نهائية في معركة قرقيش عام ٦٠٥ ق. م وعلى أثر ذلك تقاسم المنتصرون الامبراطورية الآشورية ، فاحتفظ الميديون بآشور وشمال الرافدين ، بينما حصل ملك بابل الجديد نبوخذ نصر ( ٦٠٤ - ٥٦٣ ق. م ) على مملكة بابل في سهل كالديا وهي التي ورثها بالإضافة إلى الشام . كما قام نبوخذ نصر بالقضاء على دولة يهودية في أورشليم ، وحمل معه عدداً من اليهود كأسرى إلى بابل فيما يعرف بالأسر البابلي الثاني وذلك في عام ٥٨٦ ق. م ، غير أن أعداء نبوخذ نصر وجيرانه بدأوا يتحالفون ضده ، وراحوا يستعدون لتوجيه ضربة إلى سهل كالديا ( بابل ) ، وبعد

موت نبوخذ نصر سادت الفتن في الدولة البابلية الأخيرة، واستمرت من ٥٦٢ إلى ٥٥٥ ق. م كما أن الملك الذي تولى بعد هذا التاريخ كان اسمه نابونيد وهو آرامي من حران (٥٥٥ - ٥٣٨ ق. م) كان مسالماً ولكنه انحاز للرب سن وأهمل عبادة مردوخ الرب القوي لبابل . فأثار الكهنة الناس عليه فهرب لاجئاً إلى واحة تيماء في الجزيرة العربية وتولى ابنته بيل شاصر بعده .

وفجأة تغير الموقف في الشرق الأدنى بظهور قورش الأكبر ملك ميديا الفارسية وتأسيسه الامبراطورية الفارسية الاخمينية وأسدل الستار عن امبراطوريات الرافدين عندما قام أحد ضباط قورش بفتح بلاد الرافدين عام ٥٣٨ ق. م وأصبحت بلاد الرافدين إحدى ولايات الامبراطورية الفارسية وبقيت كذلك حتى الفتح المقدوني لها .

#### رابعاً : قيام الإمبراطورية الفارسية الأولى وتوسعها في الشرق الأدنى :

على النقيض من شعوب الشرق الأدنى ، لم يكن الفرس ينتمون إلى العنصر السامي ، بل كانوا ينتمون إلى العنصر الآري . والوطن الأصلي للعنصر الآري ( الهند وأوربي ) هو شواطئ بحر قزوين ومنطقة جبال الأورال ، وفي حوالي عام ٢٠٠٠ ق. م وبسبب ذوبان الثلوج فوق قمم الجبال والتي سالت فأغرقت الأراضي التي يسكنها هذا العنصر ، تكدفت قبائله شرقاً نحو الصين والهند ، كما اتجهت غرباً نحو آسيا الصغرى وهضبة إيران وبلاد الرافدين وشبه جزيرة البلقان . وكان الميديون ( الفرس ) إحدى هذه القبائل الآرية التي سكنت إقليم بخارى وسمرقند ، ثم توغلت نحو الجنوب حتى وصلت إلى هضبة إيران ( أى الآريين ) . وبعد ألف سنة من ذلك التاريخ نجح الميديون يقطنون إلى الجنوب من بحر قزوين . والبارثين في خراسان والباكثريين عند منحدرات جبال الهندوكوش الشمالية ، والفرس في الجبال التي تشرف على الخليج العربي ( الفارسي ) من ناحية الشمال الشرقي ، وكانت سلسلة جبال الهندوكوش وسليمان تشكل حاجزاً بينهم وبين الهند . ولقد أحضر هؤلاء الآريون معهم الحصان والذي نقله الآشوريون عنهم كسلاح في جيوشهم ، كما جلبوا معهم ديناً متميزاً

يقوم على الثنائية ، أى أن العالم يحكمه « ربان » لا رب واحد ، أولهما هو أهورا مازدا وهو الخير والنور والحياة ، أما الآخر فهو أهريمن وهو الظلام والموت .

وتذكر النقوش الآشورية التى ترجع إلى القرن التاسع ق. م بعضاً من هذه الشعوب الآرية ، والتى كان الميديون الذين سكنوا شمال إيران أكثرها استقراراً . ويذكر هيرودوت أحد ملوكهم وهو فار اورتيس Phartotes تمكن من توحيد هذه القبائل الآرية ، ثم نجح فى إخضاع القبائل الفارسية الأخرى فى الجنوب ربما حوالى ٦٧٠ ق . م ، وأسس لهم عاصمة هى إكباتانا Ecbatana ( همدان الحالية ) . ولقد انشغل الميديون فى أول أمرهم فى صراع مع قبائل السكيثيين Scythians الرعاة . كما قام خليفة فار أورتيس وابنه واسمه كواكسارس Cyaxares بالتحالف مع نابو بولاسر ملك البابليين ومع ملك ليديا فى آسيا الصغرى ومع فرعون مصر لإسقاط الامبراطورية الآشورية ، واستولى كواكسارس على نينوى عاصمة آشور عام ٦١٢ ق . م ، وبدأ يعد نفوذه حتى آسيا الصغرى .

ومن بعده نسمع عن كيخسرو الذى زاد من رقعة الدولة حتى أصبحت تشمل آشور وميديا وبلاد الفرس .

وفى حوالى عام ٥٥٠ ق . م كان يجلس على عرش هذه الدولة الميدية ملك ضعيف اسمه اسبتاجس ، بينما كان يحكم ولاية « إنشان » الفارسية التابعة للميديين حاكم قوى اسمه قورش ، فأعلن الثروة على هذا الملك وأيده الميديون وبايعوه ملكاً ، وكان ذلك نقطة تحول فى أحداث الشرق الأدنى القديم .

ولقد كان قورش محارباً وملكاً قديراً ، فأسس الأسرة الأخمينية "Achaemenian" ومعها الامبراطورية ، وعند موته عام ٥٢٨ ق . م كانت ممتلكاته تمتد من بحر إيجه فى الغرب إلى جبال هندوكوش فى الشرق ، ومن بحر قزوين فى الشمال إلى بلاد الرافدين وصحراء العرب فى الجنوب ، ولقد خلع على نفسه لقب ملك الملوك ( الشاهنشاه ) وبعد موته تولى ابنه قبيز وهو الذى

أتم فتح مصر وأدججها في امبراطوريته الكبرى، وبذلك أصبحت مصر والشام وبلاد الرافدين ولايات في امبراطورية واحدة ، كما فتح قبيز المستوطنة الإغريقية قورين Cyrene ( برقة في ليبيا ) . أما ثالث الملوك الأقوياء من دارا الأول ٥٢١-٤٨٥ ق.م الذي يعتبر منظماً من الطراز الأول ، فقد كانت الإمبراطورية مزيجاً من مختلف الشعوب والقوميات والديانات واللغات وكانت تنقسم إلى عشرين ولاية أو سترابية ويحكم كل ولاية « ستراب » بدرجة نائب للملك ، وخوفاً من انفصال الولاة بولاياتهم جعل السلطتين العسكرية والمدنية منفصلتين وفي أيدي مختلفة . كما كان يشرف على الأحوال في ولايات الامبراطورية مساعد للملك يحمل لقب « عين الملك » مهمته الإشراف على الأحوال العامة في الولايات عن طريق عيون له يثبهم سرّاً في كل مكان .

ولقد كان أروع ما حققه دارا هي شبكة الطرق التي بناها لربط الإمبراطورية وإدخال نظام البريد ، فالطريق الملكي الذي يبدأ من سوسا ( جنوب غرب إيران وهي عيلام في التوراة وكانت المركز الإداري للإمبراطورية ) إلى إفسوس في آسيا الصغرى أعيد بناؤه لربط وادي الرافدين الأدنى بساحل آسيا الصغرى ، بالإضافة إلى الطرق الأخرى التي كانت تقطع آسيا الصغرى من الشمال إلى الجنوب ، ومن بابل إلى بلخ . ومن بلاد النهرين عبر الشام إلى مصر ، مما سهل تحريك الجيوش وبفضل هذه الطرق تمكن الإسكندر من اجتياح الشرق الأدنى وإسقاط الإمبراطورية الفارسية .

ولقد كان دارا الأول يعطي اهتماماً خاصاً لولاية مصر ، فحرص على رضاء شعبها ، واقتبس الكثير من حضارتها ، فمثلاً استخدم التقويم الشمسي لمصرى ، كما لم يخف إعجابه بفن الطب في مصر ، فأعاد بناء مدرسة طب في تانيس Tanis ( صان الحجر شرقية ) والتي كانت قد تهدمت واختار بعض أطبائه من مصر ، وكرم عدداً من أعيانها الذين تمتعوا بالاحترام والتبجيل ، ومن أهم أعماله في مصر أيضاً إعادته لمشروع حفر القناة التي تربط بين النيل وخليج السويس والتي كان نخاو قد شرع فيها ثم هجر المشروع . احتراماً للمكانة الدينية فقد أعلن نفسه ملكاً على كل من مصر وبابل .

### العلاقات بين الفرس والإغريق قبل الفتح المقدوني للشرق الأدنى :

ولقد شغل الملك دارا نفسه في الأعوام الأخيرة من حكمه في تنظيم حملة عسكرية ضد بلاد الإغريق وخاصة أثينا التي كانت تتزعم المدن والجزر الإغريقية . وكان بداية الصراع بين الفرس والإغريق سببه استيلاء الفرس على آسيا الصغرى ، وضم المدن والمستوطنات الإغريقية هناك لحوزة الامبراطورية الفارسية ، وتعيين طغاة من أبنائها حكاماً عليها .

وكان الأثينيون قد تخلصوا من حكم الطغاة في بلادهم عام ٥١٠ ق . م وراحوا يستقطن الطغاة ليبشروا بنظامهم الديموقراطي الجديد ، ولا شك ، أن عيونهم اتجهت إلى إسقاط الطغاة العملاء للفرس في ظاهر الأمر ، بينما كان الأمر في الحقيقة هو أولية نشر نفوذهم في أيونيا بعد إجلاء الفرس عنها ، بالإضافة إلى ذلك فقد كان الأثينيون ينظرون بعين القلق إلى ترايد قوة الأسطول الفارسي الذي بذت سفنه في القواعد البحرية في فيزيديا وجندت بحارته من مدنها . وبفضل سيطرته على موانئ آسيا الصغرى ، أصبح بحر إيجه بحراً فارسياً مما هدد الاقتصاد والتجارة الأثينية ، والتي كانت قد تعرضت لنكسة سابقة بعد استيلاء الفرس على مصر ، وحرمانهم من التجارة معها . ولهذا لم يتوقف الأثينيون عن تحريض المصريين على الثورة ضد الفرس ، وقد اعتبر الفرس ذلك عملاً عدائياً . أما ادعاء الأثينيين بإسقاط الطغاة وتحريض أيونيا من نير الطغيان الفارسي فهو ادعاء أجوف ، لأن المدن الأيونية التي استولى عليها الفرس عاشت أسعد أيامها في ظل السلام الفارسي ، مما أدى إلى الاستقرار وازدهار الحضارة الأيونية خاصة الفلسفة التي كانت الأساس الأول للحضارة الإغريقية الكلاسيكية ، فقد كانت أثينا وحلفاؤها تسعى للسيطرة على التجارة في بحر إيجه ولهذا حرصت المدن الأيونية على الثورة ضد الفرس عام ٤٩٩ ق . م .

وقادت مدينة ميليتوس الثورة على الفرس ، فكان تجارها هم المحرضون عليها ، وامتدت الثورة الأيونية لتشمل كل ساحل الأناضول من البسفور شمالاً

إلى يامفيليا جنوباً ، بل أنها امتدت إلى قبرص ، وأشعل الثوار النار في مدينة سارديس عاصمة ليديا القديمة ، وقد بذل دارا وحلفاؤه الفيزيقيون مجهوداً كبيراً في قمع هذه الثورة الأيونية ولذلك عزم دارا على معاقبة مدينة أثينا الرأس ، المديبر للثورة ، وساعده على اتخاذ هذا القرار طاغية أثينا المطرود هيبياس Hippias والذي كان يقيم في بلاط دارا ، على أمل أن يعيده بالقرة إلى أثينا ليحكمها ويسقط نظامها الديمقراطي .

وفي عام ٤٩٢ ق . م أرسل دارا أسطولا إلى سواحل آسيا الصغرى الشمالية وقام بإدخال مقدونيا في حوزة الإمبراطورية الفارسية ، وبعدها بعامين أرسل الفرس أسطولا آخر إلى بحر إيجه أخضع جزر الأرخبيل Cyclades اليونانية وأنزل العقاب بجزيرة أرتريا إحدى هذه الجزر التي حرصت على حرق سارديس إبان ثورة المدن الأيونية .

وفي عام ٤٩٠ ق . م اتجه الأسطول الفارسي إلى سواحل بلاد اليونان ونزل عند سهل المارثون ولكن هذه الحملة فشلت ، ومات دارا الأول وهو يستعد للجولة الثانية للانتقام من الأثينيين وحلفائهم . وبعد عشر سنوات من الحملة الأولى قاد ابنه خشايشاى xerxes حملة ثانية ولكنها هزمت برأى سلاميس Salamis عام ٤٨٠ ق . م وبحرأى بلاتيا ببلاد الإغريق عام ٤٧٩ ق . م فانسحب عائداً إلى بلاده بعد أن دمر أثينا ونهبها ، وحمل معه بعض آثارها لتعرض في عاصمة الإمبراطورية . ولم ينس الإغريق هذه الإهانة أبداً رغم أن الاسطول الأثيني تمكن من السيطرة على ساحل الاناضول من بحر مرمرية شمالاً حتى يامفيليا في الجنوب . وبعد موت خشيارشاي عام ٤٦٠ ق . م حرصت أثينا أميرين مصريين على الثورة ، وأرسلت أسطولها إلى منف فأرسل الملك الفارسي أرتاخشاشاى الأول Artaxerxes أسطولا دمر السفن الأثينية عام ٤٥٤ ق . م وكانت ضربة كبيرة لأثينا لأن أسطولها كان هو قوتها الفعلية . وأخيراً عقد الطرفان الإغريقي والفارسي هدنة عام ٤٤٩—٤٤٨ ق . م ، واعترف كل طرف بمصالح الطرف الآخر لوجود قلق داخلي في كل منهما . ففي بلاد اليونان كان الصراع يوشك أن يندلع بين أثينا واسبرطة

فيما يعرف بالحروب البيلوبونيسية ، وفي بلاد الفرس كانت هناك بوادر صراع على العرش . وبمقتضى هذا الصلح الذى عرف بصلح كالياس "Calias" اعترف الفرس بسيطرة أثينا على ساحل الأناضول وبحر إيجه مقابل ألا تتعرض لمصالح الفرس في هذه المناطق . وفي الحقيقة لم يؤثر انسحاب الفرس من هذه المناطق على الامبراطورية الفارسية اقتصادياً أو استراتيجياً ، فقد أصبحت حدود امبراطوريتهم أكثر أمناً بفضل سلسلة جبال الأناضول التي أصبحت تحدد امبراطوريتهم غرباً ، وفي ظل هذا السلام سعى الفرس إلى السيطرة الاقتصادية على المدن الأيونية وربط مصالحها بمصالحهم ، وفي نفس الوقت انفتح الفرس على الحضارة الإغريقية واستفادوا من خبرتها ، وفتحت فارس أبوابها للعلماء والفنانين والمفكرين واللاجئين السياسيين من الإغريق ، بل فتح الجيش الامبراطوري أبوابه لقبرل الجنود المرتزقة والبحارة من الإغريق ، فقد كان الفرس يهدفون إلى بناء امبراطورية عالمية تجمع بين شعوب مختلفة وتعيش في حرية واستقلال ولا يربطها بالامبراطور الفارسي سوى الولاء ودفع الضرائب . ولقد سعدت كثير من المدن الأيونية بهذا السلام الفارسي ، ونشطت تجارتها ، وأصبحت من أشد المؤيدين للفرس حتى أنهم هم الذين وقفوا في وجه الإسكندر المقدوني عندما جاء لفتح الشرق دفاعاً عن الإمبراطورية الفارسية .

أما بالنسبة لأثينا وحلفائها فقد أكسبهم هذا النصر ثقة بأنفسهم وظهرت نزعة القومية الإغريقية المتعالية على الفرس البرابرة ، واستقر في ضمير الساسة الإغريق أن الفرس هم عدوهم الأول ، وبدأت أحلام لإرسال حملة لإسقاط الامبراطورية الفارسية وفتح الشرق للإغريق أملاً يراود بعض الساسة العسكريين من الإغريق ، غير أن الحروب البيلوبونيسية وما جرت به من هزائم على أثينا عطلت تحقيق ذلك الحلم الدفين .

ومن ناحية أخرى كان هناك إعجاب متبادل بين دويلة إسبرطة وبين الفرس ، لأن الخوف من أطماع أثينا وترسعاتها كان يجمع بينهما ، ورأينا ذلك حتى أثناء تحالف أثينا وإسبرطة أثناء الحملة الثانية للفرس على بلاد



اليونان ، فقد تعاون الملك الأسبرطى باوسانياس Pausanias مع الفرس ضد الآثينين عام ٤٧٩ ق. م وفضحت أثينا هذا التآمر كخيانة لقضية الإغريق ، وعادت إسبرطة لتتوقع في البيلوبونيسوس تاركة أثينا تجنى ثمار النصر وحدها.

ولما أدركت فارس أن أثينا وامبراطوريتها على وشك من الهزيمة على يد الأسبرطيين ، بدأت تخطب ودهم علناً فعهقوا معهم تحالفاً قوامه موافقة الأسبرطيين على استعادة الفرس لممتلكاتهم السابقة في أيرنيا ، مقابل أن يشترك الأسطول الفارسي في تدمير الأسطول الآثيني في المياه الشرقية ، وتم عقد هذا التحالف عام ٤١٢ ق. م غير أن أثينا تصدت لذلك التحالف . وظل هذا الحلف حبراً على ورق إلى أن أوكل الملك دارا الثاني الإشراف على شئون آسيا الصغرى للأمير قورش الثاني يساعده الوالى الداهية تسافرنيس Tissaphernes ، وكان قورش الثاني عازماً على تنفيذ بنود التحالف مع اسبرطة ، ومساعدته على ذلك ظهور لوساندر كقائد على الأسبرطيين ، وقيام الصداقة الحميمة بينه وبين الأمير قورش ، واتفاقهما على التعاون من أجل هزيمة أثينا . ولقد سبب هذا التحالف غضب المدن الإغريقية من أسبرطة وأتموها بخيانة أشقائهم الإغريق في آسيا الصغرى عندما تخلت عنهم للفرس في صفقة سلام . وبالفعل هزمت أسبرطة أثينا وأجبرتها على الاستسلام لشروطها .

كان التحالف بين الفرس والأسبرطيين يقوم أساساً على الصداقة بين القائد الأسبرطى القوى لوساندر وبين الأمير قورش . وقد استطاع لوساندر بنفوذ أن يعين أجيسلاوس ملكاً على أسبرطة بدلاً من شقيقه ، أما قورش فكان أميراً ذا طموح يتمنى أن يجلس على عرش فارس بمساعدة أسبرطة .

### مغامرة المرتزقة الإغريق في الشرق الأدنى :

وبالفعل أعلن الأمير قورش التمرد على أخيه الملك ارتاخشارشياى الثالث . وبدأ في إعداد حملة عسكرية من الإغريق المرتزقة للإطاحة بأخيه ، وراهنّت أسبرطة على قورش ملكاً وسار قورش في ربيع عام ٤٠١ ق. م في صحبة عشرة آلاف جندي إغريق مرتزق أغلبهم من الأسبرطيين ،

عثر قاً آسيا الصغرى فى الرحلة الشهيرة التى سجلها لنا المؤرخ الإغريق كسينوفون فى كتابه الصعود Anabasis ، وبعد أن اخترقوا أراضي ليديا وفريجيا اتجهوا نحو كيليكيا ثم نحو شمال الشام ، ثم اخترقوا صحراء الشام إلى الفرات فى طريقهم إلى بابل ، ولكنهم ضلوا الطريق ولم يصلوا أبداً إلى بابل . ثم لى الأمير قورش مصرعه . وظلت القرة الإغريقية فى التيه فى قلب آسيا الصغرى حتى وصلت إلى مدينة طرابزون على البحر الأسود فى ربيع عام ٤٠٠ ق. م ، وكان كل ما بقى منهم حوالى ستة آلاف جندى .

### أحلام أسبرطة لفتح الشرق الأدنى :

ونتيجة للتدخل الأسبرطى فى شئون العرش الفارسى تأزمت العلاقات بين الفرس والأسبرطيين ، وأدركت أسبرطة أن الحرب واقعة لا محالة بينها وبين الفرس ، ففجأة أعلن الأسبرطيون حق المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى أن تتمتع بالحرية والاستقلال ، وانضم الناجون من حملة العشرة آلاف إلى القوة الأسبرطية بقيادة دركيليداس Dercyllidas ، التى كانت فى طريقها إلى آسيا الصغرى من أجل الضغط على الامبراطورية الفارسية لقبول مهادنة سلام تعترف فيها بحق المدن الإغريقية فى الاستقلال ، لكن الامبراطورية الفارسية قاومت وأبطلت مفعول هذه الحملة بفضل قائد الأسطول الأثينى اللاجىء إلى الفرس بعد تحطيم الأسبرطيين لأسطوله .

كان الأسبرطيون أيضاً يحلمون بفتح بلاد الفرس ونهب خيراتها ، لما أن عين أجيسلاوس ملكاً فى أسبرطة حتى قاد قواته فى طريقه إلى آسيا الصغرى ومعه قوة من شباب الأسبرطيين تقلر بألفين من الجنود ، كما كان يرافقه فى هذه المغامرة مجلس استشارى عسكرى يتكون من ثلاثين خبيراً على رأسهم لوساندر نفسه ، ووصلت الحملة إلى آسيا الصغرى عام ٣٩٦ ق. م ، لكن سرعان ما حدث خلاف بين الملك ومستشاره لوساندر ، وطلب الأخير أن يرسل على رأس حملة لتأمين منطقة بحر مرمرية والبحر الأسود ، ووافق الملك على طلبه ، حيث حقق بعض الانتصارات لأسبرطة فى هذه المنطقة ، واستمر الملك أجيسلاوس فى تحقيق انتصارات محدودة فى آسيا الصغرى تسببت فى عزل الرالى الفارسى هناك . ووافق الفرس على عقد معاهدة مع

الأسبرطين يتنازلون لهم فيها عن المدن الأيونية ، ولكن بعد هزيمة الأسطول الأسبرطي هزيمة ساحقة على يد الأسطول الفارسي ثارت المدن الأيونية على الحاميات الأسبرطية الموجودة فيها ، وأعلنت ولاءها للامبراطورية الفارسية لأنها أفضل بكثير من حكم الأسبرطيين . رغم هذا لم يتوقف حلم أسبرطة لفتح الشرق الأدنى ، وتقويض الامبراطورية الفارسية . فقد سبق أن رأينا تعاون الملك المصري جد حر المعروف عند الأغريق بأسم تيوس Teos ( الأسرة الثلاثين ) مع اسبرطة في مشروع حربى كبير ضد الامبراطورية الفارسية وتعاون معها أغريق كثيرون . ولكن ذلك المشروع لم ينجح .

وعلى العموم ترك لنا المؤرخ أكسينوفون الأثينى وصفا لأحوال الامبراطورية الفارسية فى نهاية القرن الخامس ق. م ، نبيين منه مدى الضعف الذى حاق بها ، كما نفهم من بلو تارخوس الذى كتب عن حياة الملك أرتاخشار شياى الثالث ( أروخوس ) ، ومحاولته إعادة السيطرة على بعض ولايات الامبراطورية التى كادت تستقل عنها ، فقد تمكن من إعادة مصر الى حوزة الامبراطورية الفارسية عام ٣٤٣ ق.م فقد كان آخر ماوك الفرس المقاتلين ، وبعد موته عام ٣٣٨ ق.م تولى ملوك ضعاف فضعفت سطوتهم على الادارة ، وانتشر الفساد ، وكثرت مؤامرات القصور ، وتدخلت النساء فى الحكم ، وازدادت سطوة السترابات ( الولاة ) فى الأقاليم ، وفقدت شعوب الامبراطورية حماسها الشديد للامبراطورية الفارسية وأضحت ساخطة عليها ، كما دب الضعف فى جيوش فارس ، وسيطر عليها الجنود المرتزقة . ولقد شبه أحد المؤرخين وضع الامبراطورية الفارسية فى القرن الرابع قبل الميلاد بالامبراطورية العثمانية فى القرن الثامن عشر الميلادى عندما كانت الرجل المريض التى كانت على وشك الانهيار عند أول ضربة عسكرية .

وباختصار كانت الامبراطورية الفارسية - سيدة الشرق الأدنى - قد أدت دورها وفى انتظار من يسقطها . وكان حلم تقويضها يداعب خيال الإغريق ، ولكن الحروب الطويلة بينهم جعل مدتهم - المحدودة القوة - فى غياب القيادة القوية - عاجزة عن تحقيق ذلك الحلم الكبير . هكذا كان حال الشرق الأدنى قبل الفتح المقدونى .

## أهم مراجع الفصل الثاني

### ( أ ) مراجع عربية ومترجمة :

- ١ - أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧١
- ٢ - أحمد فخرى : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، القاهرة ١٩٥٨
- ٣ - أندريه إيمار وجانين أو بوايه : الشرق واليونان القديم بيروت ١٩٦٨
- ٤ - دى بورج : نراث العالم القديم ، القاهرة ١٩٦٥
- ٥ - سامى سعيد الأحمد : تاريخ الخليج العربى منذ أقدم الأزمنة ، بغداد ١٩٦٤
- ٦ - طه باقر : تاريخ العراق القديم ، بغداد ( بدون تاريخ )
- ٧ - عبد الحميد زايد : الشرق الخالد : مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق م ، دار النهضة العربية القاهرة ( بدون تاريخ )
- ٨ - عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر و"عراق ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٩٠
- ٩ - فركوتيه ( جان ) : قدماء المصريين والأعريق - بحث في العلاقات بين الشعبين منذ أقدم الأزمنة إلى نهاية الدولة الحديثة ، ترجمة محمد على كمال الدين كمال الدسوقي ، ومراجعة د. محمد صقر خفاجه ، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٠ .
- ١٠ - فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥١ .
- ١١ - فيليب حتى : لبنان في التاريخ منذ أقدم العصور التاريخية الى عصرنا الحاضر ( ترجمة ) بيروت وزارة الثقافة ١٩٥٩ .
- ١٢ - محمد عبد القادر محمد : الساميون في العصر القديم ، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٨
- ١٣ - محمد على كمال الدين : الشرق الأوسط في موكب الحضارة ، القاهرة ١٩٥١
- ١٤ - نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الخامس ١٩٥٨ .

— ٦٣ —

(ب) مراجع الأوربية :

1. M.M. Austin : Greece and Egypt in the Archaic Age (Proceedings of the Cambridge Philological Society), 1970.
2. Cambridge Ancient History.
3. P.K. Hitti : History of Syria, 2nd edition, London, 1957 .
4. H.D. Hogarth, The Ancient East, Home University Library, London, 5th edition, 1933.
5. K.A. Kitchen : The Third Intermediate Period in Egypt (1100—650 B.C.), Oxford, 1973 .
6. Leemans : Foreign Trade in Old Babylonian Period, London, 1938
7. E. Yamauchi : Greece and Babylon — Early Contacts between Aegean and Near East ( Michigan, 1967 ) .



## الفصل الثالث

### الفتح المقدوني للشرق الأدنى

ظلت مقدونيا طوال عصور التطور الحضارى والسياسى لبلاد اليونان منطقة يحيط بها الغموض ، وذلك بالرغم من مساحتها الشاسعة ، وغناها بالمصادر الطبيعية ، فقد كانت عالماً نائياً بعيداً عن المنافذ البحرية والتيارات الحضارية المتفاعلة فى جنوب بلاد اليونان .

وفى عصر الانتشار والاستيطان أقامت بعض المدن الأغريقية لنفسها مستوطنات بالقرب من ساحل بحر إيجه الشمالى وحول خليج سالونيك ومنطقة خالكيديكى ، فوضعوا بذلك أيديهم على المنافذ المزدية إلى مقدونيا ، وحالوا بين المقدونيين وبين العالم الخارجى ، وأبقوهم سجناء معزولين ، يحيون حياة البداوة من رعى وصيد وقتال ، ولم يعرف الأغريق عن المقدونيين سوى أنهم قبائل بدائية همجية تسكن الغابات والجبال . حتى أن أرسطو ضرب بهم المثل فى الشراسة ، بينما وصفهم أثيناىوس بأنهم شعب مجنون بالصيد ، لا يعرف حداً للشراب ، ويعبون الخمر قبل الطعام حتى لا يفقدوا من السكر ، وبالطبع لم يعترف الأغريق بأن المقدونيين ينتمون للعصر الهلننى المتحضر ، بل دمجهم بأهم برابرة .

وعندما اندلعت ثورة المدن الأيونية ضد الامبراطورية الفارسية عام ٤٩٩ ق . م بتحريض من أثينا زعيمة العصر الأيونى ، وما تلى ذلك من قيام الامبراطورية الفارسية بحملتين لتأديب هذه المدينة ، والقضاء على نظامها السياسى الوليد الذى كان يزكى لهيب الثورة ضد السلام الفارسى المستقر ، وجدت مقدونيا نفسها — بعد أن كانت نسياً منسياً — وسط دوامة الأحداث . فن ناحية خافت المدن الأغريقية — خاصة أثينا — أن تنضم مقدونيا إلى جانب الفرس فى حملتهم ضد الأغريق مثلما فعلت جارتها تراقيا . فتسمح للجيش ( م ٥ — مصر والشرق الأدنى فى العصر الهلنيسى )

الفارسية بالمرور عبر أراضيها في طريقها لغزو بلاد اليونان ، ومن ثم مخفف  
الأغريق من نظرهم الاستعمارية للمقدونيين كبرابرة ، فأعلنوا احترامهم  
بأن ملك مقدونيا في ذلك الوقت - وهو الاسكندر الأول - ملكاً أغريقياً ،  
غير أن هذا النفاق لم يندع الملك المقدوني ، فقد كان يربطه بالعرش الفارسي  
صلة نسب ومصاهرة ، كما أنه كان معجباً بالامبراطورية الفارسية المتحدة التي  
تدين شعوبها لها بالولاء ، بينما كان الأغريق دويلات متناحرة فيما بينها. ولذلك قبل  
الاسكندر الأول على الفور دعوة الملك الفارسي دارا الأول للدخول في  
تحالف معه ، وفتحت مقدونيا أراضيها للحملة الفارسية الأولى لتمر عبرها  
عام ٤٩٠ ق . م ، وفي الحملة الفارسية الثانية على اليونان ، اشترك الاسكندر  
الأول ملك مقدونيا فيها بنفسه ، وهي الحملة التي نجحت في احتلال أثينا  
ولإحراقها عام ٤٨٠ ق . م ، غير أن هذا الملك أنه خسر ضيمره فانقلب على  
الفرس ، وساعد الأغريق على طردهم من بلاد اليونان ، ولم ينس الأثينيون بعد  
النصر من أن يوفوه حقه من التمجيل ، ووصفوه بأنه ملك محب للأغريق :

ومنذ منتصف القرن الخامس ، بدأ ملوك مقدونيا ، في قبول اللغة والثقافة  
الأغريقية كتراث قومي لتوحيد شمل القبائل المقدونية المتنافرة ، وفتح ملوك  
مقدونيا قصورهم للأدباء والشعراء ورجال الفكر والسياسة من كافة المدن  
الأغريقية ، وزاد ارتباط مقدونيا ببلاد الأغريق خلال الحروب البيلوبونيسية  
الكبرى بين معسكر أثينا ومعسكر اسبرطة ، فقد تنافس المعسكران على  
كسب رضاء المقدونيين حتى لا ينحازوا لواحد ضد الآخر. كما بدا المستقبل  
في صالح مقدونيا بعد أن أرهقت الحروب طاقة المدن الأغريقية واستنزفت  
اقتصادها ، بينما كانت مقدونيا لا تزال أرضاً بكرأ .

وعندما بسد الضعف يحل بالامبراطورية الفارسية منذ أواخر القرن  
الخامس ق . م بدأت مقدونيا تسقط عنها التبعية لفارس ، وتكون لنفسها  
شخصية مستقلة وذلك منذ حكم الملك المقدوني أرخيلاوس ( ٤١٣ -  
٣٩٩ ق . م ) ولكن بعد موت هذا الملك غرقت مقدونيا في صراع على  
العرش تسبب في تأخير بسط نفوذها على الجنوب الأغريقي ، بل إن المدينتين



الكبيرتين في ذلك الوقت وهما أثينا واسبرطة سارعنا بالتدخل في صراع العرش المقدوني ١.

فقد كان زعيم طيبة الشهير بيلوبيداس يخشى أن تتحالف أثينا مع مقدونيا لتكرين تحالف يقضى على امبراطوريته ، فقداد حملة عسكرية كبرى ضد مقدونيا في عام ٣٦٧ ق . م ، وأجبر ملكة مقدونيا يوريديكي أن تعلن ولائها له . وضماناً لذلك بعثت الملكة بأبنها فيليب لكي يكون رهينة عند بيلوبيداس في طيبة . وظل فيليب ثلاث سنوات يتدرب في مدرسة طيبة الحربية ، التي كانت من أشهر مدارس القتال في ذلك الوقت ، فتعلم أحداث فنون التدريب والقتال ، التي نبغت فيها طيبة ، وبفضلها فرضت سيادتها على كل بلاد اليونان ، ومن ناحية أخرى أعاد بيلوبيداس الأمير فيليب لكي يكون ملكاً موالياً لطيبة لكي يجلسه على العرش في الرقت المناسب .

وبالفعل بعثوا به في عام ٣٦٥ ق . م عندما نشب القتال على عرش مقدونيا مرة أخرى ليساعد أخاه برديكاس الثالث في إنقاذ عرشه ، فادفعوا به ، وعندما سقط أخوه قتيلاً في الصراع ، بايع المقدونيون فيليب ملكاً على مقدونيا عام ٣٥٦ ق . م بأسم فيليب الثاني ، وعلى الفور تخلص فيليب من المطالبين بعرش مقدونيا واحداً تلو الآخر ، وأعاد الرسوخ والاستقرار إلى المملكة ثم بدأ يتفرغ للدور الكبير الذي ينتظر مقدونيا على ساحة الأحداث .

### فيليب وأحلام فتح الشرق الأدنى :

كان فيليب عندما جلس على العرش في الثانية والعشرين من عمره ، وكان قد تلقى تلمحيه في أحدث مدرسة عسكرية ، وهي مدرسة طيبة - كما ذكرنا من قبل - كما درس الثقافة والأدب والفكر الأغريقي ؛ فشرع على الفور في استخدام خبرته في تدريب وتنظيم رجال القبائل المقدونية في النيات العسكرية Phalanx على غرار فيالق جيش طيبة الشهير ، وبدأ في استغلال مناجم الذهب والنضمة في بلاده لتحقيق ثروة تساعده في تنفيذ مشروعاته ، كما قام بنشر اللغة ، والحضارة الأغريقية في كافة أنحاء مقدونيا لخلق رابطة فكرية وثقافية بين سائر أقاليم وقبائل مقدونيا من ناحية ، وبين مقدونيا والعالم الأغريقي من ناحية أخرى .

وما أن تم له بناء الدولة والجيش ، حتى شرع يجتبر قوته ، فاستولى على تراقيا المجاورة ، وأخضع حوض بحر إيجه الشمالى ، وبسط نفوذه على إقليم تساليا واليونان الوسطى ، ثم بدأ يخضع المدن الأغريقية واحدة تلو الأخرى .

وفى معركة خايرونيا عام ٣٣٨ ق.م ، سحق جيوش المدن الأغريقية الرافضة للخضوع للمقدونيا بزعامه أثينا وطيبة ، وغدت بلاد اليونان كلها تحت قدميه ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح تاريخ مقدونيا هو تاريخ الأغريق .

كان إخضاع الأغريق فى نظر فيليب هر مجرد خطوة لتحقيق مشروع بناء امبراطورية كبرى ترث الامبراطورية الفارسية التى كانت مقدونيا فى يوم من الأيام إحدى توابعها ، وكان ذلك حلما داعب رجال السياسة والفكر من الأغريق ، منذ أن هزم الأغريق الفرس فى بلاد اليونان عام ٤٩٠ ، ٤٨٣ ق.م ، تحت شعار الانتقام من الفرس لغزوهم بلاد اليونان ، وتبلورت هذه الفكرة فى القرن الرابع ، ونادى بها سياسيون مثل ايسوقراط Isocrates ؛ وفلاسفة مثل أفلاطون ، وأرسطو ؛ وكان هؤلاء المفكرون يرون أن القيام بحملة كبرى ضد الشرق لتقويض الامبراطورية الفارسية البربرية سرف يكون فرصة لتوحيد الأغريق ، واهتصاص طاقاتهم فى القتال حتى أن ايسوقراط دعى فيليب للقيام بهذه المهمة علنا فى خطاب وجهه إليه :

ورغم تأمر الأثينيين ضد فيليب ، ومقاومة المدن الأغريقية لمقدونيا ، إلا أن فيليب الثانى بعد أن تمكن فى عام ٣٣٨ ق.م من هزيمة الأغريق فى خايرونيا أعلن عن عزمه على فتح الشرق الأدنى وأعد جيشاً بقيادة بارمينيون Parmenion كان على أهبة عبور الدردنيل ؛ وكان مقترحا أن يبدأ الزحف عام ٣٣٦ ق.م غير أن طعنة خنجر قاتل أبعدت فيليب عن انجاز هذا الحلم ، ليكون من نصيب ابنه الاسكندر .

### الاسكندر وفتح الشرق الأدنى :

كان المسرح معدا لكي ياحب الاسكندر الثالث الذى عرف فيما بعد بالاسكندر الأكبر - الدور الكبير - وهو الفتح المقدونى للشرق الأدنى ، فالجيش مكتمل وملمرب ، ويقف على أهبة الاستعداد ، وعقول الأغريق والمقدونيين قد تشبعت بهذه الفكرة ، وبسرعة سحق الاسكندر الثالث حركات التمرد التى اندلعت على أثر مقتل أبيه ، وأعاد إخضاع الأغريق ، والحصول منهم على لقب قائد عام اليونان ومقدونيا فى اجتماع عام عقده بمدينة كورنثا ، وقد حضر ذلك الاجتماع كل المدن الأغريقية فيما عدا اسبرطة ، التى انزوت على نفسها ، ولم تكن بذات قيمة بالنسبة للأسكندر الثالث ، كما أيد ممثلو الأغريق المجتمعون فى كورنثا مشروع غزو الأمبراطورية الفارسية ، ووعدته بتقديم المساعدات العسكرية والسفن اللازمة وهو نفس الوعد الذى كانوا قد قطعوه على أنفسهم أمام والده الراحل .

وفى ربيع عام ٣٣٤ ق.م عبرت القوات المقدونية براً وبحراً مضيق البسفور فى طريقها الى آسيا الصغرى ، وتمكن الاسكندر وقائده بارمينيون Parmenion من هزيمة الفرس فى آسيا الصغرى ، واستولى على المدن الساحلية بعد معركة نهر جرانيكوس ، ثم استولى على اقليم كاريا واطليم ليكيا واطليم فريجيا ، وكذلك الجزر المتاخمة لساحل الأناضول : مثل جزر خيوس ، ولسبوس ، وموتيلينى ، وتقدم الى قبادوقيا عن طريق أنقرة وكذلك إلى قليقية ، ولقد واجه الاسكندر مقاومة شرسة من بعض المدن على ساحل بحر ايجة : مثل كاريا وهاليكارناسوس ، وميليتوس ، فقد كانت هذه المدن خاصة هذه الأخيرة تنعم بالرخاء التجارى فى ظلال الحكم الفارسى . وتستولى على نصيب الأسد من تجارة بحو ايجة وآسيا الصغرى ولم تخدعهم الرسالة القومية التى ادعى الاسكندر أنه يقوم بهامن أجل الأغريق وضد عدوهم الشرقى اللدود ، الذى أذلم وأهانهم عندما غزا بلادهم ، وحطم آلهتهم ، وسلب ممتلكاتهم ؛ إذ لم تنطلى هذه الحجة الا على عدد قليل من المدن الأغريقية ، التى أعماها التعصب ضد الفرس ، فنذ أن ظهرت

الدعوة الى حملة انتقامية ضد الامبراطورية الفارسية ، لم يكن ادعاء رد الشرف الاغريقي الا غلافا يحيط بالرغبة في جمع الغنائم والأسلاب ، وفتح وديان الشرق الأدنى الغنية بآثارها ، وثرواتها أمام المهاجرين الاغريق ، فقد كان الاغريق يعانون في ذلك الوقت من الافلاس الاقتصادي بسبب الحروب الكثيرة ومن تزايد عدد السكان ، وركود التجارة بسبب سيطرة الفرس وحلفائهم الزينيين على تجارة شرق البحر المتوسط ، ومن ثم فقد كان هناك تسابق في نجني هذه الثمرة الدانية التطرف . فقد كان الاغريق يحنقون على مقدونيا بزعماء الاسكندر ، لقدرتها على تنفيذ هذا الحلم ، أكثر مما كانوا يباركون حملتها . ولما أحس الاسكندر بذلك - بعد سقوط ميليتوس أسقط مساعدة الاغريق له من حساب ، وأدرك أن المعركة معركة مقدونيا وحدها . إذ لم تتقدم أى من كبريات المدن الاغريقية بأى مساعدة له سواء بتقديم السفن أو العتاد ، أو الرجال ، بل على العكس ، وجددهم يتآمرون مع الفرس لافشال حملته ، ومن ثم ، أجل متابعة الزحف الى قلب الامبراطورية الفارسية في الداخل الى بعلها تأمين خطوط الامداد والتأمين البحرية سواء في موانئ آسيا الصغرى أو الشام أو مصر .

وبناء على ذلك غير خطط حملته ليتجه نحو الجنوب ، ففي ربيع عام ٣٣٣ ق.م سار جنوباً حتى وصل الى طرسوس ( اسوس القديمة Issos ) ، وتحت مرتفعات جبال الأمانوس في شمال الشام ، التفت بجيوش الملك الفارسي دارا الثالث حيث اخلق به هزيمة أخرى مثل هزيمة نهر جرانيكوس السابقة ، وأسر والده الملك وزوجته . واستولى على درعه وعربته الملكية وردائه ، كما وقع في يد الاسكندر رسائل بعثت بها بعض المدن الاغريقية لتأييد الملك الفارسي ، وألقى الاسكندر القبض على بعض مبعوثي المدن الاغريقية الذين كانوا يخططون للملك طريقة للتضاء على الاسكندر ، وهزيمة حملته . واحتفاء بذلك النصر أمر الاسكندر ببناء مدينة وثغر عند خليج اسوس ، وأطلق على هذه المدينة الجديدة اسم الاسكندرية . ثم تحول اسمها بعد ذلك الى

الأسكندرونة تحريفاً للكلمة الأغريقية الكساندروسكيني Alexandroscene  
أى خيمة الأسكندر أو فسطاطه .

وبعلم انتصاره فى أسوس أصبح الطريق الى الشام مفتوحاً ، وبدأت الامارات  
الآرامية تسقط فى حوزته واحدة تلو الأخرى دون مقاومة تذكر ؛ واتجه  
الى ساحل الشام ؛ وبدأت الموانئ الفينيقية الشهيرة والتي كانت أهم قواعد  
الأسطول الفارسى فى البحر المتوسط تستسلم واحدة تلو الأخرى ، بل  
تسابق أهلها للتقرب الى الأسكندر ، وكسب رضاه ؛ فخرج للترحيب به  
سكان أرواد ، وبيلوس ، وصيدا Sidon ، وعندما اقترب من صور —  
القاعدة الرئيسية للأساطيل الفارسية ؛ أغلقت هذه المدينة أبوابها فى وجه  
الفتاح المقدونى ، رغم أنه لم يكن هناك حاميات فارسية بها ؛ ولم يجد  
الأسكندر بدا من ضرب الحصار حولها سبعة شهور كاملة ، وهو عاجز  
عن اقتحامها ؛ فقد كانت صور تربع على عرش تجارة شرق البحر المتوسط  
وغربه ؛ تعمل فى سلام تحت مظلة الحماية الفارسية . وأخيراً قام الأسكندر  
بردم البحرى المائى الواقع بين الجزيرة القابعة أمام ميناء صور وبين المدينة  
ذاتها ، ولما وصل الى منتصف البحرى المائى ، طوق المدينة من البر  
والبحر ؛ وجمع أربعة وعشرين سفينة من حلفائه من المدن الفينيقية الأخرى  
التي كانت تحقد على صور لنجاحها ؛ وتتمنى زوالها لترث تجارتها ؛  
وعلى رأسهم بيلوس وأرواد ؛ كما ساعدته قبرص أيضاً ؛ فأكمل الجسر ،  
وضيق الحصار على صور حتى سقطت بعد سبعة شهور من الحصار . وكان  
لسقوط صور أثره الكثير فى الاستيلاء على باقى إمارات الشام ؛ فقد سقطت  
بعد ذلك أمانة دمشق ، واستمر فى سيره جنوباً نحو الحدود المصرية وهو  
ينرى معاقبة صور بتحويل الطريق التجارى عنها ، ببناء ميناء جديد على  
ساحل مصر الشمالى .

### فتح الأسكندر لمصر :

وفى خريف عام ٣٣٢ ق . م تقدم بقواته نحو غزة فاستسلمت الحامية  
الفارسية ، ووجد الأسكندر نفسه يمدق أبواب مصر غازياً . وكما سبق أن  
رأينا أن مصر كانت رافضة لحكم الفرس ، رغم محاولة ملوكهم ارضاء

المصريين بشتى الطرق ؛ إذ رفضت مصر أن تكون مجرد سترابية فارسية مثل غيرها ؛ كما أنها لم ترض بفصل الشام عنها . ولقد استطاعت بعد عدة ثورات أن تستقل عن الامبراطورية الفارسية عام ٤٠٤ ق.م ، وتعاونت مع أثينا ، ثم اسبرطة في صراعها مع الفرس ؛ بل ان الفرعون تيوس ( جدحجر ) — أحد ملوك الأسرة الثلاثين — كان يحلم بتجريد حملة ضد الامبراطورية الفارسية بمساعدة اسبرطة ؛ ونجح في الزحف على الشام ؛ وكاد أن يحررها لولا حدوث خيانة في القصر الملكي في غيابها ؛ ولم يتمكن الفرس من استعادة مصر الا في عام ٣٤٣ ق.م ، في عهد الملك أرتاخشار شيأى أونخوس .

رغم ذلك لم تتوقف حركات التمرد والعصيان ضد الفرس . وربما كان المصريون أحدى الشعوب التي كانت تتمنى زوال الامبراطورية الفارسية لاستعادة سيطرتهم السليبية على الشرق الأدنى . ويقال أن مصريا اسمه تاف — نحت حارب الى جانب الاسكندر في موقعة أسوس ؛ وكان هذا الأمير المصرى من اهناسيا ( هيراقلوبوليس ) ؛ وأنه كان يحث الاسكندر على فتح مصر ، وشرح له الظروف غير المستقرة في ذلك البلد ؛ بل ربما أعطاه صورة عن آلهة المصريين ، وكيف يستطيع أن يستأثر بعواطف المصريين ومشاعرهم ؛ ولاشك أن هذا المصرى كان دليل الاسكندر في رحلته إلى مصر .

لم يجد الاسكندر أى مقاومة لامن المصريين ، ولا من الحامية الفارسية عند الحدود ؛ واتجه الى «منف» ، أقدم عاصمة وأول مدينة كبيرة يحيط فيها القادم من الشام ؛ وكانت هذه المدينة قد تمت في العصور المتأخرة حيث فضل كثير من الأجانب العيش فيها ؛ فأصبحت تعج بالأغريق ، والفرس ، والعرب ، والفيقيين ، والآراميين ، وغيرهم من شعوب الشرق الأدنى ؛ وبالطبع كانت الجالية الإغريقية أكبر الجاليات ؛ ويبدو أن هذا الامتداد والتوسع جعلها تشمل جزءا يقع شرق النيل ( في مصر القديمة ) . وكان كهنة منف — بعكس كهنة طيبة في الجنوب — أكثر انفتاحا على الحضارات والعبادات المختلفة ، وعلى الشعوب المتباعدة العرق واللسان . كما كانت منف تلعب في ذلك الوقت

دورا دينيا هاماً ، فهي مقر بناح ( الذى عادله الأغريق برهم هينايسنوس ) ومقر عجل أبيس المقدس ؛ وفي جبانها الكبرى فى سقارة أقيمت مدافن مقدسة لدفن هذا العجل بعد موته ، وهو ما يسميه علماء الآثار خطنا بالسيرايوم . ويبدو أن دليله ومساعدته المصرى « تاف نخت » ، أشار عليه بالتوجه الى معبد المدينة لتقديم القرابين والصلوات للكهنة ؛ ولم يكن هناك ما يمنع من زيارته لعجل أبيس ؛ ونقول المصادر الاغريقية أنه توج نفسه فرعوناً على مصر فى معبد « بتاح » ؛ فقد كان الاسكندر مقتنعا بأنه ابن آمون رع ومن صلبه ، والتالى فقد جاء لتحرير أرض أبيه من الفرس ، وتوكيدا لذلك ذهب ليحظى بمباركة كهنة رع فى معبد « أوون » الكبير ( هليوبوليس ) الباقية آثاره لليوم بالقرب من المطرية .

تأسيس الاسكندرية :

ثم سار بجزاء الفرع الغربى للنيل فى طريقة إلى قورينة Cyrene ، تلك المدينة المتوسطية التى بناها الأغريق على ساحل ليبيا ( حالياً قرية شعحات محافظة الجبل الأخضر ) ، التى كان الفرس يحتلوننا ويهددون منها مصر وبلاد اليونان . وقد توقف الاسكندر بالقرب من بحيرة مريوط ، وراعه الأهمية الاستراتيجية للشريط الضيق الممتد من الشرق إلى الغرب ، والمحصور بين البحيرة والبحر المتوسط ، ووجود مصب فرع النيل الكانوى بالقرب منه ؛ وبحسب الغريزي والعسكري بأهمية المكان ، رأى أنه يستطيع أن يقيم حاضرة وميناء تلتقى فيه تجارة الشرق والغرب ؛ وتتحول إليه طرق التجارة من الساحل الفينيقي ، فقد كانت صخور تحتكر التجارة البرية والبحرية طوال حكم الفرس ؛ بل ومنذ تدهور النفوذ المصرى فى الشام ؛ ولذلك فكر الاسكندر فى معاقبة صخور لمقاومتها له ، وذلك بإبعادها عن عرش التجارة العالمية ، بتحويل طريق التجارة عنها ؛ ومن ثم فكر فى بناء هذا الميناء الجديد ذى الموقع الفريد ؛ وبالقرب قرية مصرية كانت تدعى اقودة ، أسس مدينته التى أسماها بالاسكندرية التى ظلت تربع على عرش التجارة بين الشرق والغرب ردحاً من الزمن . ولم يكن هناك وقت للاقامة ، حتى اكتمال بناء المدينة ؛ فاكتمل بأن أوكل إلى أحد معاونيه من المهندسين الذين كانوا يرافقونه واسمه دينوقراط

## — ٧٤ —

Deinokrates باكمال بنائها ؛ وجعلها نموذجاً أمثل لفنندسة بناء المدن الأغريقية . ولا نعرف بالضبط التاريخ الذى وضع فيه أساس المدينة ، إلا أن البطالمة — ورثة الاسكندر فى حكم مصر — احتفلوا بعيد وضع أساسها كل عام فى اليوم الخامس والعشرين من الشهر الخامس من السنة المصرية القديمة وهو شهر طوبة ( الموافق العشرين من شهر يناير سنة ٣٣١ ق . م ) .

وبعد إختيار المكان سار الاسكندر وجنوده بحذاء الساحل الشمالى لمصر فى طريقهم إلى قورنى ؛ وعند مدينة « بارايتونيوم » (مدينة مرسى مطروح الحالية) التقى الاسكندر بو قد من مدينة قورنى يعلن المبايعة ، ويقدم الهدايا ؛ عندئذ لم ير الاسكندر مبرراً للمتابعة السير ، خاصة أن المعركة مع غريمه دارا الثالث — ملك الفرس — لم تنته ؛ وأن معركة الشرق الأدنى لم تحسم بعد .

لم تمنع هموم المعركة وعدم وفاء الأغريق له الاسكندر من أن ينتهز فرصة وجوده فى مرسى مطروح ليقوم برحلة روحية إلى معبد آمون رع بسيوة ، ليحصل على اعتراف كهنة هذا المعبد بأنه فعلاً ابن آمون رع من صلبه فى صورة بشر ؛ والحصول على مباركة كهنته ، وبذلك يكون قد حصل على اعتراف ثلاث هيئات دينية كبرى فى مصر وهى كهنة منف ، وكهنة هليوبوليس ، وكهنة سيوة ؛ وكذلك ليدأل آمون رع عن هوية قاتل أبيه الانسان فيليب . ويتألم أن الكهنة تهربوا من الإجابة قائلين أنه لا أحد يستطيع أن يقتل أباه (لأنه حى لا يموت) ، وكان هذا ما يريد ، ويقال أن سلوكه قد تغير بعد هذا الاعتراف ؛ إذ بدت عليه مظاهر التألم وجنون العظمة وتقليد الفراعنة الموهين .

### تنظيم الاسكندر لمصر :

ومن تصرفات الاسكندر فى مصر عامة وفى منف خاصة ، نرى أن الاسكندر بالرغم من ادعائه بنوة آمون رع ، وقيامه بتقديم الأضاحى فى المعابد ، وفروض الاحترام لعجل أبيس ، وسائر الآلهة المصرية بصفته



أول فرعون مقدوني على مصر ، إلا أنه أعلن عن قدوم الحضارة الأغريقية بشكل رسمي إلى هذا البلد ، وأنها أصبحت مفتوحة لحضارة العنصر الأقوى التي جاءت لتعيش مع الحضارة المصرية ، وتمتدح بها وتتفاعل معها . ففى « منف » أقام مهرجانات ثقافياً ورياضياً على طريقة المهرجانات الأغريقية ، وأرسل في طلب أشهر المغنيين والراقصين ، والفنانين والشعراء الأغريق ، ليعرضوا روائع الحضارة الهلينية أمام جمهور منف من مصريين وأجانب ، وعند الوضع أساس الاسكندرية قيل أن الاسكندر اشترك بنفسه في تحديد مواقع مرافق المدينة على النمط الأغريقى ، فحدد موقع الأسوار ، وموقع معبد إيزيس ، وسائر الآلهة الأغريقية . فقد كان هدفه أن تحل هذه المدينة بعنصرها الأساسيين الأغريقى والمصرى - محل منف كعاصمة جديدة لمصر ، ومعنى ذلك أن الحضارة الجديدة في مصر كانت تقوم على تفاعل الحضارتين المصرية الخالدة ، والأغريقية المنتصرة ، وتلدليل التنافر القومى بينهما .

ولقد انعكست هذه الفاسفة في طريقة إعادة تنظيمه لمصر ، فقد حرص على الإبقاء على النظم المصرية القديمة ، في نفس الوقت وضع المناصب الفعالة في أيدي موظفين من الأغريق . ولذلك جعل الحكم في مصر ثنائياً يقرم على مشاركة المصريين للأغريق ؛ فقد وضع في أيدي المقدونيين والأغريق السلطتين العسكرية والمالية ، وأبقى للمصريين السلطة الإدارية ؛ وبذلك ضمن عدم قيام ثورة وطنية ضد الحكم المقدونى ؛ وأرضى مشاعر المصريين القومية والدينية . كما أن حرصه على توزيع السلطة الخاصة بالجانب الأغريقى بين أكثر من فرد ، يعكس خوفه من احتمال قيام أحد الأغريق بالاستقلال بمصر ، لأنه كخبير بالاستراتيجية ، أدرك أن مصر بلد يسهل حكمه ، ويسهل الدفاع عنه في نفس الوقت ، كما نلاحظ الدقة في توزيع الحكم في الجانب الأغريقى ؛ فقد وضع السلطة العسكرية في أيدي المقدونيين السادة الجدد ؛ بينما وضع السلطة المالية في أيدي الأغريق من غير المقدونيين . كما أنه لم يعين حاكماً مقدونياً معيناً ، بل وزع السلطات بتوازن دقيق يمنع مثل هذا الاحتمال . وجدير بالذكر ، أن مصر هي البلد الوحيد الذى نظمته

الاسكندر بهذا الحرص دون سائر البلدان الأخرى ، التي فتحها سواء في آسيا الصغرى أو الشرق الأدنى .

ولحين إكتمال بناء الاسكندرية ، أبقى الاسكندر على « منف » كعاصمة لولاية مصر المقدونية ؛ وأبقى على التقسيم التقليدى والإدارى لمصر ؛ وهو مصر العليا ومصر السفلى ؛ وعين على كل منها حاكماً مصرياً إقليمياً . وتقول المصادر الأغريقية أن حاكم مصر العليا المصرى كان اسمه بتيسيس Petesis ( أو بت إيزيس أى ابن إيزيس ) ، أما حاكم الوجه البحرى فكان اسمه دولو أسبيس Dulo Aspis ، وكما حرص الاسكندر على ترك حامية مقدونية عسكرية في صحراء سقارة بالقرب من منف ، وعين ضابطاً مقدونياً اسمه بيوكستاس Peukestas (\*) قائداً لها . كما بعث بحامية إلى الجنوب ، لمنع النوبيين من إثارة المصريين أو الزحف إلى الشمال ؛ وقد عسكرية هذه الحامية قرب الشلال الأول جنوب أسوان ؛ وجعل على قيادتها مقدونياً اسمه أمونتاس Amyntas ؛ وعند سواحل مصر الشمالية ترك أسطولا ، جعل قيادته لأغريقى اسمه بوليمون بن ثيرابنيس ، كما ترك حامية أخرى صغيرة عند بيلوزيوم ( تل الفرما ) وهى بوابة مصر الشرقية ، ومن المحتمل أنه ترك حامية صغيرة عند باريتونيوم ( مرسى مطروح ) لحماية مصر من هجزم قد تشنه القبائل الليبية عليها من الغرب ؛ وبتأمين هذه المنافذ الثلاث أصبحت مصر مؤمنة في يده تماماً . ولعل هذا الحرص الشديد على تأمين مصر ، يوضح نظراته الاستراتيجية المستنقة من تاريخ مصر الطويل أن مصر هى مفتاح السيطرة على الشرق الأدنى . وكما سبق أن ذكرنا لم يحدث الاسكندر أى تغيير في نظم مصر الادارية لحكم أقاليمها ؛ فبقيت مصر مقسمة إلى مقاطعات ، والتي أصبحت تعرف الآن بإسم النومات Nomes ؛ وترك حكم كل مقاطعة لحاكم مصرى محلى ، يجمع الضرائب والعوائد ، وينفذ الأوامر الصادرة إليه ؛ لكنه عزل السلطة الإدارية عن السلطة المالية ؛ وقد اختار لإدارة السلطة المالية أحد كبار تجار ووجهاء مستوطنة نقرطيس الأغريقية في مصر ؛ وكان اسمه

(\*) أغلب الظن أن هذا الاسم هو الترجمة الإغريقية لاسم مصرى لانه يتعلق بثعبان الكوبرا ( واجت ) معبود الوجه البحرى القديم ( انظر ص ٧٧ ) .

كليومينيس النقراطيسى Kleomenes ؛ ولقد ثبت أن هذا الأغريقى المستوطن لمصر كان تاجراً جشعاً ، واستغلالياً مأكراً ؛ فقد عهد إليه الاسكندر بتحصيل الضرائب والعوائد لينفق منها على إكمال بناء الاسكندرية ، وترميم معابد مصر الكبرى ؛ فما أن غادر الاسكندر مصر ، حتى ظهر نفوذه المالى القوى ، فاحتكر تجارة القمح لنفسه ، ومنع تصديره إلى خارج البلاد ، إلا عن طريق وكالته ؛ وكان يشتري القمح بثمن بخس من الزراع ؛ بينما كان يصدره بأثمان باهظة ؛ ولم تتوقف تحدياته عند هذا الحد ، بل أرغم الكهنة المصريين على التبرع بمبالغ كبيرة بحجة ترميم المعابد ، وكان هدفه إخضاعهم لسلطته وتقليم أظافرهم ، كما حرص على جمع المتأخرات الضريبية من الفلاحين كاملة ، وبذلك حقن عليه الكهنة والشعب على السواء .

وتعليقاً لسياسة « أغرقة مصر » ، فقد فتح الاسكندر أبواب مصر على مصراعها للمهاجرين الأغريق خاصة المقدونيين ؛ لأن مصر كما تخيلها الاسكندر كانت ولاية مقدونية أغريقية فكراً وثقافة ؛ وكان ذلك نقطة انعطاف كبرى في تاريخ مصر ؛ إذ دخلت في طور حضارى جديد من أطوار حضارتها المتنوعة ظل سائداً حتى قدوم الحضارة العربية الإسلامية .

وبالرغم من أن الفترة التى قضاها الاسكندر في مصر كانت فترة وجيزة ؛ إلا أن حماسة « وديناميكيته » المتفجرة جعلته يقوم بأعمال كثيرة ، منها إصدار الأوامر ببناء جسر على النيل يربط بين منف القديمة غربى النيل ، ومنف الجديدة شرق النيل ( مصر القديمة تقريباً ) ؛ بل قيل أنه أمر بإرسال بعثة لاستكشاف منابع النيل ؛ لأن مسألة من أين ينبع النيل كانت قضية حيرت العلماء والفلاسفة الأغريق ؛ ومن الواضح أن الاسكندر كان يصطبغ معه مجموعة من العلماء . وهذا تقليد اتبعه غزاة مصر فيما بعد . كما قيل أنه لم يكن لديه وقت لزيارة طيبة ( الأقصر ) العاصمة الدينية الأولى لمصر ، التى خرج منها ودفن فيها أغلب فراعنة مصر العظام ؛ ومن ثم أوصى بأن تجدد معابدها ، وطلب أن تبنى له مقصورة في معبد الكرنك

بجوار مقصورة تخمس الثالث ، أعظم ملوك الدولة الحديثة ، ولا تزال هذه المقصورة موجودة حتى الآن .

ولقد أكسبه هذا السلوك المهذب إعجاب المصريين ، فاعترفوا به فرعونا عليهم ؛ ونقش اسمه في خرطوش على النحوى الذى كان تكتب به فراعنة مصر ؛ بل ومنح الألقاب الملكية الخمس ، مثل « ابن رع » ، و « صفى رب الشمس » ، و « حبيب آمون » ، و « ملك الوجهين » . ولا تزال هذه الألقاب منقوشة بجوار صورته ؛ التى صورت على الطريقة المصرية ؛ وهو يرتدى تاج الوجهين ، الذى تزينه حية الكوبرا المقدسة ( رمز التاج والخلود الأبدى عند المصريين ) مصورة على جدران مقصورته بمعبد الكرنك في مدينة الأقصر . ولقد بالغ التراث في حبه لمصر حتى قيل أنه أوصى بأن يدفن جثمانه في سيوة حيث معبد آمون رع .

يتضح مما سبق أن فتح مصر كان بالنسبة لالاسكندر أمراً ملحاً يجبىء قبل فتح آسيا الصغرى والشام ، ويستحق من أجله أن يوقف القتال مع عدوه دارا الثالث ، مغامراً باعطائه فرصة لالتقاط أنفاسه ، وإعادة تنظيم فلول قواته ؛ لأنه كعارف بفن الاستراتيجية أدرك أن مصر بحكم تاريخها وموقعها مفتاح الشرق الأدنى ، ولقد قيل أن الاسكندر كان يتمنى أن يعود لزيارة مصر بعد أن يفرغ من تقويض الامبراطورية الفارسية ، واكن القدر شاء أن يعود إليها مخنطاً وموضوعاً في تابوت ، ليكون مثواه الأخير في تراب مصر الخالدة .

### إكمال فتح الشرق الأدنى :

وفي ربيع عام ٣٣١ ، غادر الاسكندر مصر متجهاً إلى صور ، حيث بدأ في الاستعداد للزحف الأكبر نحو قلب الامبراطورية الفارسية ؛ ولما أتم استعداداته ، تحرك على رأس جيش يبلغ تعداده حوالى أربعون ألف رجل ، وسبعة آلاف فارس ، متجهاً شرفاً نحو بلاد الرافدين ؛ فوصل إلى مدينة ثابساكوس Thapsacus الواقعة على أعلى نهر الفرات ( مدينة الرقة

حالياً)، وذلك في صيف عام ٣٣١ ق.م وهناك أقام معبرين عبر بهما نهر الفرات مولياً وجهه شطر بابل ؛ تلك المدينة ذات التاريخ العريق ، والتي كانت تستولى على خياله ؛ متخذاً طريقه عبر شمال بلاد النهرين ؛ ثم سار جنوباً بحذاء نهر دجلة من ناحية الضفة الغربية ؛ ولقد قدم له اليهود — الذين كانوا ينتشرون في مدينا ، وبابل منذ الأسر البابلي — المعونة على أهل مساعدتهم في العودة إلى فلسطين ؛ بعد ذلك ، لم يشأ الاسكندر أن يتبع نفس الطريق الذي سار فيه الأمير قورش خلال رحلة العشرة آلاف ، وإنما سار شمالاً نحو أعلى بلاد النهرين ، ثم تحول نحو الجنوب بحذاء الشاطئ الشرقي لدجلة .

ولما كان دارا الثالث وجيشه يعسكران على الجانب الآخر من النهر ، فقد تفادى الاسكندر عبور النهر عند نينوى عاصمة آشور القديمة ، وإنما عبره عند مدينة بزابدي Bazabde ؛ وسار لعدة أيام نحو الجنوب ، ولما علم أن دارا يعسكر وقواته في مكان قريب من سهل جاجاميللا Gagamela ، تحرك الاسكندر ليلا ليسيطر على التلال المطلة على السهل .

وفي أول أكتوبر عام ٣٣١ تقدم الملك دارا الثالث وهو في وسط قواته ، ويحيط به الحرس الملكي من كبار الضباط الفرس ؛ وكان جيش الملك الفارسي يمثل عناصر قومية وعرقية مختلفة ؛ فقد كان في جيشه جنود مرتزقة من الأغريق ؛ وجنود من الهند ، معهم فيلة ضخمة ومدربة على القتال ؛ كما كان بين صفوف جيشه جنود من كاريا ، بل أن مؤخرة الجيش الفارسي دعمت من الخلف بخط من القوات البابلية الموالية ، وبعض رجال قبائل الخليج العربي ؛ وغيرهم من مختلف الشعوب الآسيوية التي كانت خاضعة للفرس ؛ والتقى الجيشان في معركة شرسة ؛ انتهت بفرار الملك دارا ، وتبعه بقية جيشه بعد هزيمته في جاجاميللا ؛ غير أن الاسكندر استمر في تعقبه ، واتجه إلى أربيل ، وهناك لم يجد الملك الذي تابع فراره شرقاً إلى مدينا ؛ غير أن الاسكندر استولى على عربته وقوسه ودرعه . عندئذ تابع الاسكندر طريقه إلى المدينة التي كان يشاق إليها دائماً ، وهي « بابل الساحرة » بحداثتها المعلقة ، ومعابدها الشائعة في كبرياء .

### الإسكندر في بابل :

ولما وصل إلى بابل ، فتحت له المدينة أبوابها راضية مرضية ، وخرج كهنتها وشعبها للترحيب به ، وقد ترك ذلك ذكرى طيبة في نفس الإسكندر ، فسلط مع المدينة العريقة سلوكاً نبيلاً شبيه بسلوكه مع منف ؛ وسلم له الوالي الفارسي مازايوس Mazaesus مفتاح المدينة والقلعة . وظهر الإسكندر بمظهر الغيور على الديانة البابلية ، والحامى لمعابدها ؛ وعلى الفور شرع في ترميم المعابد التي كانت في حالة سيئة ؛ وأمر بالاهتمام على وجه الخصوص بإعادة ترميم معبد الرب « بعل » « Bel » ( مردوخ ) ؛ كما أمر بأن يبقى الوالي مازايوس في منصبه كستراب على ولاية « بابل » ؛ ثم بدأ في تنظيم هذه الولاية ، وإعطائها عناية خاصة ، مثلما فعل في مصر ؛ فعين مقدونيا كة أمم أعلى للقوات ؛ وأغريته كاستول عن الإدارة المالية ؛ وسمح بتجنيد الوطنيين من أبناء الولاية لتكوين قوة لحفظ الأمن والنظام ، تحت قيادة ضباط مقدونيين .

ولقد حرص الإسكندر على كسب ود كهنة بابل وحكامها ؛ وقدم العطايا التقليدية كملك على بابل ، وكان ملوك الفرس أيضاً يحرسون على حمل ذلك اللقب . غير أنه بدءاً من الملك خشارشاي ، لم يعهد ملوك الفرس يحرسون على حمل ذلك اللقب ، بسبب الثورة العارمة التي قامت ضد الفرس في بابل ، وحيث اقتحم خشارشاي على أثرها معبد بابل الكبير ؛ وألحق به أضراراً كبيرة ؛ وكان للإسكندر شرف ترميمها . ولقد كانت المدة التي قضها الإسكندر في بابل أقل من المائة التي قضها في مصر ، إذ بقي في بابل ستة أسابيع ؛ بينما ترك قوائمه لتسريح وتمرح ؛ لكن لم نسمع عن حالة واحدة تعرض فيها معبد من معابد بابل لسلب أو هب من جانب جنود الإسكندر .

### نهاية الإمبراطورية الفارسية الأخمينية :

وفي مطلع شهر ديسمبر عام ٣٣١ ق . م سار الإسكندر في اتجاه الجنوب الشرقي قاصداً صرص ( سوسا Susa ) ، التي كان أحد ضباطه

واسمه فيلوكسينوس Philoxenos قد استولى عليها ؛ وفي داخل قلعة « صوص » استولى ضابط الاسكندر على كنوز من الذهب والفضة والحريز القرمزي ؛ ومن بين التحف التي استولى عليها أيضاً تمثالين كبيرين كان خشارشاي قد أتى بهما معه بعد أن استولى على آثينا في حملته الفارسية الثانية وهما تمثالاً هارموديوس وأرسطو جيتون Harmodius and Aristogiton ، وهما يقرمان باغتيال الطاغية هيبارخوس ؛ وقد عرفت هذه المجموعة بإسم Tyrannicides أى « قتلة الطاغية » ؛ وعلى الفور أمر بإعادتها إلى آثينا ليقاما فوق الأكروبول ، لتعود إلى مقرها الذى كانت عليه منذ تسعة وخمسين ومائة سنة سبقت ، كرسالة للأغريق بأن الاسكندر قد أعاد شرف الأغريق الذى انتهكه الفرس .

وبعد أن استراح الاسكندر في القصر الصيفي لدار الثالث ، استأنف مسيرته نحو هضبة إيران ؛ وكان هدفه توجيه الضربة القاضية للامبراطورية الفارسية في عقر دارها ؛ ثم التفرغ لاكتشاف هذا الجزء الغريب والغامض من الشرق ، وخلال السير استولى الاسكندر على القصور الملكية الفارحة في « مرف داشت Mervdasht » حيث الثراء الخرافي ، ثم مدينة « أصطخر Istacher » التي اعتقد الفرس أنها أقدم مدينة في العالم ؛ وكان بها قصر آخر للملك ، بعدها دخل الاسكندر عاصمة الامبراطورية ، وهي مدينة « برسوبوايس Persopolis » (١) وأضرم النار في قصورها ، ونهب كنوزها ، ثم تقدم نحو مدينة « باسارجادا » ، مسقط رأس قرش الأكبر ؛ ولما علم الاسكندر بوجود الملك دارا الثالث في « اكباتانا Ekbatana » ؛ تقدم نحو هذه المدينة ؛ ولما اقترب منها ، علم بأن دارا قد فر هارباً إلى بحر « قزوين » ؛ فاتجه لإيها ودخلها وكانت « اكباتانا » ؛ هي عاصمة إقليم ميديا الأصلي الذي تأسست منه الامبراطورية الفارسية الأخمينية ؛ ووضع الاسكندر كل الكنوز التي استولى عليها من قصور ملوك الفرس ، خاصة قصور برسوبوايس في

---

(١) هذا هو الأسم الذي عرفت به في المصادر الأغريقية ، أما اسمها الفارسي فقد كان « فارساً » Parsa على اسم فارس ، وهي تقع جنوب شرق إيران .

خزانة في هذه المدينة ؛ وعين عليها حارساً مائماً اسمه هارباوس Harpalus ، يساعده فرقة من الحرس المقدوني ؛ ثم تابع السير نحو مدينة قندوسيا Kadusia للقبض على دارا الثالث ، ماراً بمدينة راجاي Ragae التي تقع إلى الجنوب قليلاً من موقع طهران الحالية ؛ ولما وصل إلى هناك ، علم أن دارا قد عبر الممرات الجبلية المؤدية إلى بحر قزوين ؛ فاستراح في هذه المدينة ، ولما علم أن أحد أعداء دارا الثالث قد عزله عن العرش ، وتولى مكانه ؛ أسرع لملاحقتها معاً ؛ وإذ به يعثر على جثمان دارا ؛ فأقام له التكريم اللازم ؛ وأمر بإرساله مكرماً ليدفن في المقبرة الماكية للفرس في برسبوليس ، وبذلك سقطت الامبراطورية الفارسية .

غير أن الأسكندر استمر يطارد قاتل دارا وإسمه بيسوس Bessos ، فأحتل لإقليم هركانيا ، وإربا ، وباكتريا ، وسوجديانا ؛ بجاعلاً حدود امبراطوريته الجديدة هو نهر جاكسارتس Jaxartes ( سور داريا ) ، الذي يصب في بحر الأورال . ويقال أن الأسكندر هو أول من اكتشف ذلك النهر ؛ وعلى ضفافه أنشأ مدينة أخرى من سكندرياته المشهورة وهي « الأسكندرية القصوى أو آخر الدنيا » Alexandria Eschate ( ربما مدينة خوجند الحالية ) ، وذلك في عام ٣٢٨ ق . م ، وبذلك وضع يده على نقطة الاتصال بين الصين وجنوب شرق آسيا . وهنا أدرك الأسكندر بحذسه الاستراتيجي بأن يجعل وادي فرغانة الذي يجري فيه هذا النهر هو حدود امبراطوريته في الشرق .

وبعد قتله للمدعى العرش الفارسي بيسوس Bessos ، اعتبر الأسكندر نفسه وريثاً لعرش الامبراطورية الأخمينية ؛ وعاد إلى سمرقند ؛ وبعد أن قضى على جيوب المقاومة في الأصفق الشرقية ، عاد إلى باكتريا ؛ حيث أقام حفل قران جماعي له ولرفاقه الضباط المقدونيين على زوجات فارسيات ؛ إذ تزوج هر نفسه من الأميرة الفارسية ستاتيرا Statira ابنة الملك دارا وقلده رفاقه ؛ فقد كانت سياسة الزواج من فارسيات رمزاً لاتحاد شطري الامبراطورية الشرق والغربي ؛ وتحطيماً للفواصل العرقية



التي كان الأغريق يقيمونها بين الشرق والغرب ، أى بين الهلنيزيين Hellenes والبرابرة Barbaroi ؛ توكيداً لوضع الأسكندر الجديد كملك على المشرق . وقد تم ذلك في حفل كبير في عام ٣٢٧ ق . م .

### الإسكندر والهند :

ولقد كانت الرغبة في استكشاف العالم المجهول هي التي دفعت الأسكندر لكي يتقدم نحو الهند ؛ وبالفعل وصل إليها ، وكان دارا الأول قد ضم إلى إمبراطوريته بعض أجزاء الهند ؛ وتقدم نحو إقليم البنجاب ؛ وحاول التوغل فيه ، غير أن عدة عوامل جعلته لا يكمل هذه المغامرة ؛ منها المناخ الاستوائي الممطر الرطب ، والارهاق الذي أصاب جنوده ؛ فضلاً عن مقاومة ملوك أقاليم الهند له ؛ مما أدى إلى رفض جنوده لمتابعة التوغل في أراضيها ؛ وكان أقصى ما وصل إليه هو إقليم بلوخستان (في أفغانستان الحالية) شمال الهند . ولما أعلن قراره بالعودة ، تعالت هتافات الفرح من جنوده وضباطه .

وعلى أثر ذلك أصدر الأسكندر أوامره إلى قائده كراتيروس Craterus ليلقاه عند كرمان Kirman بالقرب من سواحل الخليج العربي الشرقية ؛ بينما أبحر شطر من الجيش متجهاً إلى شط العرب عند مصب الرافدين . وقد كان ذلك في موعد هبوب الرياح الموسمية المسماة بإسم المونسون Monsoon ، والتي تهب من الجنوب الغربي ؛ ولما كان المقدونيون لم يألفوا هذه الرياح من قبل ، فقد فقد الأسطول كثيراً من السفن ؛ وفي «كرمان» ، كلف الإسكندر أحد ضباطه وإسمه نيارخوس Nearchus بالقيام برحلة بحرية للكشف عن طريق بحري جديد يربط بين شطري إمبراطوريته ، أما هو فقد شرع في السير براً في إلخريف عائداً أدراجه ، ماراً بعاصمة الفرس « برسوبوليس » ثم إلى سوس (سوسا) ؛ أما نيارخوس فقد شرع في رحلته البحرية في نهاية خريف عام ٣٢٥ ق . م .

## مشروعات الإسكندر في المشرق العربي :

١ — اختيار بابل كعاصمة للأمبراطورية :

ترك الإسكندر صوصة متجهاً إلى اكباتانا ، ثم ركب السفينة إلى الخليج العربي ، وعند وصوله إلى شط العرب ، أمر الإسكندر برفع الخواجز التي كان الفرس قد أقاموها لمنع الملاحة في هذا الشريان الحيوى الموصول إلى الخليج ، وفي أواخر عام ٣٢٤ ق . م إنجه نحو « بابل » ، وعند بوابتها تلقاه المنجمون محذرين إياه بعدم دخول المدينة ، لأن ربههم « بل Bel » أوحى إليهم أن دخول الإسكندر لهذه المدينة المقدسة لن يكون لصالحه ؛ لكنه لم يعبأ برأيهم ، ضارباً عرض الحائط بتحذير المنجمين ؛ فقد كان مقلهاً على إعادة بناء بابل وبالذات معبد « بل » (مردوخ) ؛ بينما كان كبار الكهنة البابليين خائفين من أن تنفق كنوز معابدهم في مشروعات التعمير ، والتي كانوا يحرصون عليها أكثر مما يحرصون على المعابد .

ولقد كان الإسكندر يخطط لجعل « بابل » المقدسة عاصمة لأمبراطوريته ولهذا أمن المدينة ، ونظفها ، وقضى على قطاع الطرق فيها ؛ وانشغل في ترميم معبد رب بابل الأكبر « مردوخ » .

لقد كان الإسكندر حريصاً على هدم الخواجز النفسية بين الشرق والغرب ، فقد أزال العوائق وكشف اللثام عن غموض الشرق ؛ وفتح أبوابه على مصراعيها للأغريق والمقدونيين ، وفتح أمام شعوب البحر المتوسط عالم التجارة مع الهند والشرق الأقصى ؛ والتي كان لا يعرفها إلا عرب جنوب الجزيرة ، وأبقوها سراً ؛ ووقفاً عليهم ؛ غير أن مشروعات الإسكندر الفكرية والحضارية كانت تفوق مشروعاته الاقتصادية ؛ فقد كان مهتماً بمزج العنصر المقدوني والأغريقي بالعناصر الشرقية لأحداث وحدة عرقية لشعوب إمبراطوريته ، ومن أجل ذلك ، وضع عدداً من الخطط ؛ منها أنه اقترح تهجير المقدونيين والأغريق إلى الشرق ؛ وتهجير الشرقيين إلى بلاد اليونان ومقدونيا ؛ ومن أجل ذلك بنى عدداً من الخواضر التي

جعل سكانها يمثلون العنصرين أملا في الامتزاج . ومن خططه أيضاً ، تشجيع الزواج المشترك بين الشرقيين والأغريق . ولقد إفتتح هو نفسه هذا المشروع بحفل الزفاف الجماعى الذى أقيم فى صوصة ، وكان هو أول الذين أعلن زواجه من الأميرة ستاتيرا ابنة الملك دارا الثالث ، ولكن زواجه منها كان لهدف إنتقال العرش له بحكم المصاهرة ؛ كما تزوج صديقه القائد هيفاستيون Hephæstion من شقيقة هذه العروس فى حفل واحد ؛ وطبقاً لطقوس الزواج الفارسى ؛ حيث أقام حفلاً كبيراً ، دعا فيه تسعة آلاف ضيف ؛ ويقال أن عشرة آلاف مقدونى من جنوده وضباطه حذو حذوه ؛ وقد أمر الأسكندر بتكريمهم وترقيتهم ؛ وكان حلمه أن ينجب هؤلاء جيلاً يجمع بين الدماء الشرقية والدماء الغربية . ومن الراضح أن الأسكندر قلد الشرقيين فى زواجه من أكثر من واحدة ، فتزوج من عدد من الفارسيات ؛ أشهرهم روكسانا التى شاء القدر أن تحمل منه ابنه الوحيد (١) .

وكان من سياسة الأسكندر تدريب الشباب فى الشرق على الأساليب العسكرية المقدونية ، وتكوين فرقة منهم يعتمد عليهما إذا ما تمرد الجيش المقدونى عليه ؛ وأن يكون جيشه ممثلاً لكل شعوب الشرق ؛ مما أدى إلى تمرد المقدونيين عليه . ولقد أثار الأسكندر غضب جنوده بتقليده الشرقيين ملبسه وسلوكه . ولقد كان حرصه على المزج العنصرى يواكب حرصه على مزج الثقافة الأغريقية مع ثقافات الشرق الخالد ؛ مصدر الألهام ومهد الحضارة . ولذلك حرص الأسكندر على إرضاء شعوب الشرق الأدنى ؛ وحاول توحيد آلهته فى صورة رب واحد يعبد جميع شعوب الإمبراطورية ، فكان يربط نفسه بقرابة أو بنوة مع كل رب فى كل قطر ؛ كما فعل فى مصر وبابل ؛ وربما كانت فكرة « توحيد الآلهة » فى « رب واحد » يتصل بشخصه ، ألهمت إليه من قبل أستاذه أرسطو طاليس .

كما كانت أحلام الأسكندر ترتبط بالرخاء الاقتصادى ، وتحطيم القيود والعوائق للتجارة بين الشرق والغرب ، ولهذا السبب حرص على توحيد

---

(١) وتعرف عند الفرس بأهم روشان .

نظام النقد ؛ وجعل قيمة العملة ثابتة ومقبولة في كافة أنحاء إمبراطوريته . ولما كان العرب القدماء قد نبغوا في فن التجارة مع بلدان الشرق الأقصى ، فقد كان من الطبيعي أن يشجع الأسكندر تجارهم ، ولما كان المشرق العربي أيضاً هو مهد التجارة بين الشرق الأدنى والأقصى ، ويحتل مكانة ممتازة تساعده على هذا التبادل ؛ فقد لقي عناية خاصة من قبل الأسكندر لجعله جسر اللقاء ؛ ولذلك وقع اختياره على بابل لجعلها عاصمة الإمبراطورية المتحدة ، فقد كانت بابل شبيهة بمصر ؛ وإحدى مخازن غلال العالم الرئيسية ؛ كما أن المدينة كانت تقزم على ضفاف الفرات ؛ وكانت منذ فجر الألف الثانية موقراً للإمبراطورية ؛ وبها حدثت لها المعلقة إحدى عجائب الدنيا في العصر القديم ؛ وكان يحيط دائرة أسوارها ما يقرب من ٦٥ كيلومتراً طبعاً لما ورد عند هيرودوت ، وقال أرسطو عن بابل « أنها أمة أكثر منها مدينة » . وإلى جانب مواردها الزراعية ، كانت بابل أيضاً مركزاً لصناعة النسيج ؛ وقبل كل شيء كانت السوق الكبير والمركز العالمي للتجارة ، الذي جذب إلى أسواقه محاصيل الهند وفارس . كما كانت « بابل » ملتقى طرق القوافل القادمة عبر الطرق الصحراوية من جزيرة العرب والشام إلى بلاد الرافدين . وكذلك القادمة من أواسط آسيا .

ولقد أدى امتداد سلطان بابل التجاري والسياسي إلى انتشار حضارتها على مساحة كبيرة من الشرق الأدنى ، وبالذات كان تأثيرها شديداً على العبرانيين القدماء ؛ ولقد كانت بابل حاضرة تزخر بعلماء الفلك والتنجيم ؛ فلقد أثر البابليون في التراث العلمي للأغريق ، خاصة في علم الفلك ؛ فلقد توصل البابليون إلى رصد ملاحظات دقيقة حول مواقع الأجرام السماوية لمدة تزيد على ألفي سنة ؛ فهم الذين عرفوا الكواكب السيارة ، وجعلوا لكل منها اسماً ؛ ورصدوا ظواهر الكسوف والخسوف ، وابتكروا النظام الستيني في الحساب ، وابتكروا المذولة لحساب الوقت ، وعرفوا موعد حدوث الانقلابين والأعتدين . ولقد أدى نشاط التجارة في بابل ، أن انتشرت عملتها ، ومقاييسها ، ومعاييرها انتشاراً واسع النطاق في آسيا الصغرى وعالم البحر المتوسط ، فقد عرف أهل الهند في الشرق ، كما عرف

الأغريق في الغرب « المنا Mna » البابلي كوحدة للوزن منذ الألف سنة السابقة على الميلاد . كل هذه المميزات جعلت الأسكندر يختارها كعاصمة للأمبراطورية المقدونية . ولكن القدر لم يمهل له ليعلن ذلك رسمياً وفعلياً .

**استكشاف سواحل جزيرة العرب :**

كشفت الحفائر الأثرية التي أجريت سرّاء في جزيرة فيلكا في الكويت ، أو في جزيرة البحرين ، أو في مناطق أخرى من الخليج ، عن وجود آثار لكتابات أغريقية ترجع إلى القرنين الخامس أو الرابع قبل الميلاد ، أي قبل الفتح المقدوني ، مما يدل على أن التجار والجنود المرتزقة الاغريق الذين كانوا يتعاملون مع الأمبراطورية الفارسية كانوا يمرون ويتاجرون مع بلدان الخليج العربي . غير أن ذلك كان أمراً محدوداً . أما انفتاح التجارة مع الخليج العربي وشبه جزيرة العرب بشكل واسع ومباشر ، فلم يحدث إلا بعد فتح الأسكندر للمشرق الأدنى .

ولهذا فقد كانت أهم مشروعات الأسكندر قبل موته هو الدوران حول شبه الجزيرة العربية بدءاً من الخليج العربي حتى خليج السويس ، تمهيداً لاستكشافها ، وإمالة اللثام عنها ، والكشف عن الغموض الذي كان يحيط بها ، فقد كانت شبه جزيرة العرب قبل فتح الأسكندر للمشرق الأدنى ، عالماً تطويه الأسرار ، لا يعلم أحد غنه شيئاً إلا من خلال الروايات التي يتركزها البحارة الفينيقيون حول هذا الكيان الغريب ، فقد كانت جبال السراة الممتدة على طول ساحل البحر الأحمر الشرقي بمثابة الحائط العازل (١) ، ولقد نقل لنا هيرودوت بعضاً من الحكايات التي سمعها من البحارة الفينيقين ، أو من الكهنة المصريين عن جزيرة العرب ؛ وهي حكايات أغلبها من نسج الخيال ، تتسم بالمبالغة والتهويل ، أما بعد فتح الأسكندر للمشرق الأدنى فقد كان بداية انتهاء عصر الغموض بالنسبة للجزيرة العربية ؛ وبداية الاستكشاف العلمي والجغرافي القائم على القياس والحساب والوصف العيني ، وليس النقل السماعي ؛ ومن ثم بدأت الكتابات العلمية ، والزيارات الميدانية ؛

(١). ولهذا يرى البهض. أن اسم لهجاز مشتق من الفعل الثلاثي حجّز، أي منع وعزل .

لسواحل شبه الجزيرة من قبل الجغرافيين ، وعلماء النبات ؛ وبدأ التعامل المباشر بين الأغريق والعرب . ومن ثم بدأ كتاب الأغريق يدرسون طباع العرب ، ويصفون بلادهم ، وغرائب النبات فيها . ولعل ما سمعه الأسكندر عن ثراء التجار العرب من تجارة العطاراة والبخور والعطور ، وجلبهم لمستجات الهند وأفريقيا — عن طريق ميناء عدن — ثم براً عبر طريق البخور القديم ، ( الذى كان يسير بحذاء جبال السراة حتى الشام ، ويتفرع منه طرق إلى الخليج وآخر إلى مصر ) — هو الذى أوحى إليه بمشروع الدوران حول الجزيرة ، ومسح سواحلها ، ورصد موانئها ؛ فلقد بعث الأسكندر وهو فى الشرق بما قيمته خمسمائة تالنت من العطور والتوابل العربية لأستاذه أرسطر ، وهى هدية بلا شك ثمينة ، تعبر عن تقدير ملك عظيم لأستاذه الكبير .

وفى الوقت الذى اجتاحت فيه الأسكندر الشرق الأدنى ، كانت مملكة سبأ فى جنوب الجزيرة العربية تشهد قمة ازدهارها التجارى ، ولها مستوطنات تجارية فى شمال الجزيرة العربية مثل دادان ( العلا فى الحجاز ) ، ولقد روى أن المستوطنات السبئية فى شمال غرب الجزيرة العربية ( أى الحجاز ) لم تخرج لاستقبال الأسكندر أثناء غزوة للشام ، ولم تعلن مبايعتها له ، أو تقدم له الهدايا ؛ مما جعله يتوعدهم بفتح بلادهم فى الوطن الأم فى الجنوب ؛ لكن ذلك ليس مؤكداً ، لأن الدافع الحقيقى لمشروع استكشاف الجزيرة العربية ، هو فتح الطريق البحرى بين الخليج العربى ، وخليج السويس ، بالإضافة الى رغبة التجار الأغريق فى استغلال تجارة العطاراة والعطور ، وتأمين وصولها الى عالم البحر المتوسط ؛ وهو نفس السبب الذى جعل الأمبراطور اكتافيوس أغسطس يقوم بحملة عسكرية ماثلة ضد جنوب الجزيرة العربية بعد ثلاثة قرون ونصف قرن تقريباً من هذا التاريخ ، فلقد شعر الأسكندر أن غزواته للشرق ستظل ناقصة ما لم يفتح الجزيرة العربية .

ولقد كان اهتمام الأسكندر بالخليج العربى اهتماماً خاصاً ، فقد تمنى

أن يعيد النشاط الى موانيه ، حتى يصبح فيديقا الشرق الأدنى . ومن أجل ذلك بعث يطلب بحارة من الساحل السوري ، ويغريهم على استيطان موانئ وجزر الخليج الهامة ؛ وكان من بين مشروعاته فتح طريق دائم للتجارة بين وادى السند ، وبين وادى دجلة والفرات ، حيث تنقل السفن تجارة الهند الى الخليج العربى ، ثم الى خليج السويس ؛ وبالطبع كان الاسكندر سيعيد تطهير قناة سينوسترى ؛ والتي حاول الفرعون نخاو إعادة شقها ؛ وشاء دارا الأول أن يكمل ما بدأه نخاو ؛ فعن طريقها تنقل السفن النيلية البضائع حتى الاسكندرية ؛ ومن ميناء الاسكندرية تقوم سفن كبرى ينقل هذه البضائع الى موانئ ، بلاد اليونان وباقي أجزاء العالم . وبسبب اهتمامه بالخليج اختار بابل لتكون عاصمة امبراطوريته ، وقد شرع الاسكندر فعلا فى بناء ميناء كبير فى بابل يتسع لألف سفينة .

وتنفيدا لتعليمات الاسكندر ، أقبح قائد الأسطول نيارخوس فى خريف عام ٣٢٥ ق.م من سواحل الهند الى الخليج العربى ، ثم عبر شط العرب الى الفرات ، ليصل الى بابل ، وليلقى بالأسكندر وكانت رحلة نيارخوس أعلنتا عن افتتاح خط ملاحى دائم بين الهند وبين بلاد الرافدين ، وتصبح بابل عندئذ هى محطة التجارة البحرية مع الشرق الأقصى . ومن أهم ملاحظات نيارخوس خلال الرحلة ، أن الأسطول المكدونى ليس كافيا لتنفيذ المشروعات البحرية . ولهذا أصدر الاسكندر أوامره ببناء سفن كبيرة عابرة للبحار فى ترسانات فيديقا ؛ واعداد أسطول جديد يتكون من اثنتا عشرة سفينة ذات ثلاث طوابق من المحدفين Triremes ، وثلاث بوارج من ذات الأربع طوابق من المحدفين ، وأربعة أخرى من ذوات الأربع طوابق من المحدفين ، بالإضافة الى ثلاثين سفينة امداد صغيرة . وتم صنع هذه السفن كأجزاء منفصلة ، ثم نقلت على ظهور الأبل والعربات الى ميناء تابساكوس على الفرات ، حيث اعيد تركيب أجزائها ؛ بالإضافة الى ذلك بنيت عدة سفن أخرى من خشب السرو فى بابل . كل هذا استعدادا للرحلة الكبرى لاستكشاف واخضاع جزيرة العرب . وكان الوقت المحدد أن تبدأ هذه الرحلة البحرية

في صيف عام ٣٢٣ ق.م ، وكانت الثلوج تبددت تذوب . كما أن الأمطار هطلت بشدة في ذلك العام مما أدى الى حدوث فيضان على في دجلة والفرات وعمرت المياه سهل بابل ؛ وهنا أصدر الأسكندر أوامره بحفر قناة لتصريف مياه الفيضان التي تجمعت في مستنقعات ، امتدت لمسافات كبيرة جنوب بابل ؛ وكانت هذه القناة تبدأ من جنوب بابل حتى منطقة المستنقعات في الجنوب الغربي . وكانت قناة التصريف هذه تغلق بهوبس في الخريف وقت التحريق للمحافظة على منسوب المياه ، وقد قام الأسكندر بنفسه يتفقد منطقة المستنقعات جنوب بابل ، واقترح مكانا آخر لشق قناة جديدة ، كما اختار موقعا آخر لوضع أساس مدينة بابل الجديدة ؛ وشرع العمال والمهندسون في البناء على الفور ، وربما كانت هذه المدينة هي أولى سلسلة من القلاع والأبراج ، ومحطات الاستراحة ، التي تمتد من بابل حتى خليج السويس ، وقد أبحر الأسكندر بنفسه في قارب متفقداً هذه القناة .

### نتائج فتح الاسكندر للشرق الأدنى :

وبينما كان الأعداد للحملة الكبرى لفتح الجزيرة العربية واستكشافها يسير وفق خطة محكمة ؛ اقيم في بداية شهر يونيو حزيران عام ٣٢٣ ق.م وليمة كبرى على شرف قائد الرحلة نيارخوس ورفاقه من البحارة والعلماء بمناسبة قرب قيامهم بالرحلة الخرافية التي تبدأ من الفرات الى الخليج ؛ ثم عبر المحيط الهندي ( أو بحر العرب ) ، لتدور حول سواحل شبه الجزيرة العربية ، وفي صبيحة اليوم التالي للحفل أصيب الأسكندر بالحمى ، وهي وباء يكثر في الصيف بسبب الملاريا الناتجة من البعوض الذي يكثر في هذه المستنقعات ؛ ورغم ملازمة الأسكندر للفراش ، الا أنه لم يترقف عن الأعداد للحملة البحرية ؛ حتى اشتد عليه المرض ، ومات في الثالث عشر من شهر يونيو حزيران عام ٣٢٣ ق.م. قبل أن يتم عامه الثاني والثلاثين .

لقد كان فتح الاسكندر المقدوني للشرق الأدنى بداية فاتحة لعصر جديد ، وبداية نهضة حضارية وثقافية ، فقد قوض الأسكندر السد الذي كان يفصل بين حضارة الشرق ، وحضارة الغرب ، فأنساب حضارة الشرق لتغير وتؤثر بآرائها الصوفى العميق ، وعالمها الرائعة على حضارة الغرب ؛



كما انساب حضارة الأغريق لروى وديان الشرق الأدنى ، فقد أنتشرت اللغة الأغريقية وثقافتها لتصبح لغة التعليم الراقى والثقافة الرفيعة ، وبفضل فتح باب الهجرة الأغريق ، وتشجيعهم على الزواج من شقيقات ، ، بدأت الفنون وطريقة الحياة عند الأغريق تجد لها صدى فى الشرق الخالد ؛ فقد أنشئت فى مدن الشرق العريقة أحياء سكنها الأغريق ؛ كما أقام الأسكندر عددا من الحواضر أو السكندريات كان يحرص على أن يكون بها أحياء للوطنين الشرقيين ؛ وتلاأت حواضر أغريقية تمتد من وادى النيل الى وادى دجلة والفرات ؛ ومن خليج الأسكندرونة الى الخليج العربى ؛ وبدأ الخليج العربى بالذات يشهد حركة نشطة لم يشهدها العرب من قبل ؛ وبدأت حضارات الشرق الخالد كالبابلية ، والآرامية ، والمصرية ، والسبائية تمتزج مع حضارة الأغريق فى سيمفونية رائعة ؛ ولم يعد الأغريقى يربط نفسه بمدينة يعتبرها وطنه ، بل أصبح العالم كله وطنه . وتيسرت طرق الانتقال ، وانهارت الحدود ، واختفى العداء العنصرى بين الشرق والغرب ، وأصبحت بلاد الشرق الأدنى تستقبل المهاجرين ، والزوار ، والعلماء والباحثين ، فى شتى فروع المعرفة والثقافة ، وأصبحت المعلومات التى يكتبها الإغريق عن الشرق أكثر دقة ، وتعتمد على المشاهدة والقياس العلمى والحياة الفكرى ، ولم تعد تكتب بدافع عقدة الاستعلاء العنصرى ، ومن ثم بدأت الدراسات العلمية الدقيقة تصل عن شعرب الشرق الأدنى ، ومن ثم أدى ذلك الى ازدهار علم الجغرافيا والنبات ولم تعد شبه جزيرة العرب تعيش فى معزل عن تيار الحضارة العام ، فبدأ الرحالة والمستكشفون يترددون عليها ويلدسون حضاراتها القديمة ، ولأول مرة سمع الأغريق عن حضارة سبأ ومعين وقتبان وحضرموت كما بدأت الدراسات العلمية للشرق الأدنى على الطبيعة ، وبدأ الكتاب والبحاث الأغريق يترددون على الشام ومصر وبلاد الرافدين وجنوب الجزيرة ويكتبون عن جغرافيتها ، وشعوبها ونباتاتها وموانئها وامكانياتها الاقتصادية ، وبدأت سلع الشرق وتوابله وعطوره وحريره تؤثر فى طريقة الحياة اليومية عند الأغريق ، ونتيجة لفتح الشرق الأدنى لم يعد الشرق الأقصى فى معزل هو الآخر عن الحضارة العامة

- ٩٢ -

بفضل الاحياء البحرية لدور الخليج العربى ، وتطورت صناعة السفن لتواجه الرحلات البعيدة فى بحار الشرق الأقصى .

لقد كانت المعلومات عن بلاد العرب قبل الفتح المقدونى غامضة ومبهورة وساذجة وسماعية ، والمثل على ذلك نقرأه فى كتابات هيرودوت عن شبه الجزيرة العربية ، امكن بعد فتح الاسكندر بدأت الأبحاث العلمية والجغرافية والنباتية والحضارية تكتب عنها ، حيث جذبهم إليها أنها موطن البخور واللبان والطيوب والأحجار الكريمة والعطارة والتوابل، ولفت نظرهم أن سكانها يعشقون الحرية ويعتزون بها ويعتدون بأنفسهم وهكذا بدأ عهد جديد ودور جديد للشرق الأدنى فى العصر الهلنيسى استمر حتى ظهور الاسلام .

## مراجع الفصل الثالث

### (١) المراجع العربية والمعرّبة :

- ١- و. تارن : الأسكندر الأكبر : قصته وباريخه ( ترجمة زكى على ومحمد سليم سالم ) ، سلسلة الألف كتاب رقم ٤١١ ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٢- سيد أحمد على أنصاري : الأغريق تاريخهم وحضارتهم ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٤ ( خاصة من صفحة ٥١٤ - ٥٤١ ) .
- ٣- عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، الفصل السابع ( حملة الاسكندر على الشرق ) ص ٦٥٨ - ٦٨٠ .
- ٤- ج. ولز : معالم تاريخ الانسانية ( ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ومراجعة زكى على ) المجلد الثانى ، الطبعة الثانية لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩ ( الفصل الثانى والعشرون : سيرة الاسكندر ص ٤٠٥ - ٤٤٦ ) .

### المراجع الأوروبية : -

1. A.R. Burn : Alexander the Great and the Middle East, A. Pelican Book, 1963.
2. J.B. Bury : A History of Greece to the Death of Alexander, the Great, 3rd edition, 1951 (Chapter XVIII, PP. 747—822).
3. Cambridge Ancient History (C.A.H.) : Edited by J.B. Bury, S.A. Cook and F.E. Adcock, 1923.
4. M. Cary : A History of Greek World from 323—149 B.C., London 1951, Methuen and Company.
5. A. Weigal : Alexander, the Great, Thornton Butterworth Ltd London, 1935 (Part II : The Road to Egypt, PP. 133—166



## الفصل الرابع

### الحروب بين ورثة الاسكندر وحضارة العصر الهلنستي

قيام الممالك الهلنستية :

روت احدى الحكايات أن الاسكندر وهو في النزاع الأخير ، سأله أحد معاونيه عن هو أجدر بحكم الامبراطورية من بعده ، فأجاب لأقوى منهم .. وقد كان ذلك حقيقة . فقد كان موت الاسكندر المفاجيء وبلا وريث مدرب على حكم الامبراطورية الجديدة ، ومدعم من الجيش المقدوني ، بمثابة الزلزال الذي عصفت بالامبراطورية ، واستمر ما يقرب من أربعين عاما . تحطمت في نهايته بالدنيا ، وتحولت الى ممالك صغيرة ، حكمها هؤلاء الورثة ، وأورثوها من بعدهم لأولادهم وهو ما عرف باسم الممالك الهلنستية . فقد كان يحيط بالاسكندر مجموعة من كبار الضباط ، كل واحد منها كان طامعا في أن يرث الاسكندر ، ويتخلص من رفاقه ؛ كما كانت بلاد اليونان تتحين الفرصة للتخلص من السيادة المقدونية ، التي فرضها عليهم فيليب الثاني وابنه الامكندر ؛ فعندما وصلت أنباء موت الاسكندر الى أثينا ، صاح أحد الخطباء من أصدقاء الاسكندر واسمه ديماديس Demades قائلا « ماذا سيحدث للعالم ؟ » فقد اعتبر رفاق الاسكندر أنفسهم ورثة للامبراطورية ، وكل كان يتصور نفسه الأقوى .

موتمر بابل لتقسيم الإمبراطورية :

اجتمع كبار ضباط الجيش المقدوني بعد موت الاسكندر لأختيار ملك جديد لعرش الامبراطورية ، وكان أقرب المستحقين لوراثته من البيت المقدوني أخوه فيليب أرهيداوس ؛ وكان شقيقا له من أبيه ؛ ولكنه كان مصابا ببدء الصرع ، وليس في مقلوته السيطرة على نفسه ، وفي نفس

الوقت ، لم تحمل أى من زوجات الاسكندر الفارسيات سوى أجهن الى نفسه ، وهى روكسانا التى كان قد تزوجها فى مقاطعة سوجديانا عام ٣٢٧ ق.م ، وكانت تحمل فى أحشائها ابنا للاسكندر ، وعقد ضباط الفرقة الخاصة بحراسة الملك Stomaphylakes ، وكان عددهم ثمانية اجتماعاً . فى أحد أيام شهر يونيو حزيران عام ٣٢٣ ق.م وجثمان الاسكندر لا يزال مسجى فى خيمته فى بابل ، وطبقاً للتقاليد العسكرية المقدونية ترأس الاجتماع أكبر الأعضاء سنا وكان اسمه برديكاس Perdikaas ، قائد فرقة الألف Chiliarch ؛ وكان الاسكندر قبل موته قد سلمه أختامه الخاصة ؛ وكان من بين أعضاء هذه اللجنة أيضاً قائد خبيث ، ذو أنف معقوف ، وعينان غائرتان ، واسمه يطليموس بن لاجوس ، وانقسم الجيش المقدونى الى فريقين : فريق يرى أن يوثقل البت فى مسألة الوريث حتى تضع روكسانا ما فى بطنها فان كان ذكراً فليكن هو الملك الجديد ؛ ويختار أوصياء عليه يدبرون الامبراطورية باسمه حتى بلوغه مبلغ الرجال ؛ وكان هؤلاء يمثلون «الفرسان» الذين تشبعوا بفكرة الاسكندر فى تفضيل وريث يجمع بين الدماء المقدونية والدماء الفارسية ؛ ويتمنون أن تضع روكسانا ذكراً ، أما مشاة الجيش من رجال القبائل المقدونية ، وكانوا أجلاًفا متعصبين ؛ فقد طالبوا أن يتولى شقيق الاسكندر من أبيه وهر فيليب أرهيداىوس العرش ، لأنه لا يجب أن يجلس على العرش الا ملك مقدونى لحماً ودماً . ورد الفرسان بأن فيليب أرهيداىوس مختل العقل ؛ فضلاً عن أنه ابن راقصة من نساليا اسمها فيلينا Philinna ؛ أما ما فى بطن روكسانا ان قلر له أن يكون ولدأ ، فهو من دماء ملكية ، ويجمع بين دماء الشرق والغرب ، وبالتالي يمثل عنصرى الامبراطورية ، وذلك يتماشى مع فكر الاسكندر . وكاد الالتحام أن ينشب بين الفريقين خارج أسوار بابل القديمة ، فقد قاد برديكاس الفرسان ، بينما قاد ملياجروس المشاة ؛ لولا وساطة اغريقى اسمه يرمينيس Eumenes وكان صديقاً للقادة ، وأميناً على خزانة الاسكندر ، ومن أشد المؤمنين برسالة الانسانية ؛ فقد اقترح حلاً وسطاً هو تعيين فيليب أرهيداىوس ملكاً على

الامبراطورية باسم فيليب الثالث ؛ ويحفظ حق ابن الاسكندر من روكسانا إذا ولد ؛ ويعين برديكاس مفوضا على الامبراطورية ، ، بينما يعين كراتيروس وصياً على الملك فيليب ؛ وعلى أن يكون مقر برديكاس هو بابل . وبناء على اقتراح بطليموس بن لاجوس أول من رشح برديكاس لمنصب المفوض العام - قسمت ولايات الامبراطورية الى سترابيات على طريقة التنظيم الفارسي ، ووزع كبار القادة كولاة عليها ؛ كل منهم يحكم بصفته « ستراب » ، يخضع للمفوض العام برديكاس في بابل ، ويتواضع شديد اختار بطليموس أن يعين سترابا على مصر ؛ ووافق الأعضاء لأنهم اعتقدوا أن تعيين بطليموس على ولاية بعيدة مثل مصر سوف يعمله عن لعبة الصراع ، فقد كان كل منهم يريد أن يتولى حكم ولاية قريبة من مقدونيا لكي يسهل له الدخول في لعبة الصراع التصفوي القادم ؛ كما وافق المجتمعون أيضاً على تعيين انتيباتر Antipater سترابا على ولاية مقدونيا ؛ وكذلك لوسيماخوس Lysimachus سترابا على ولاية تراقيا في شمال بحر ايجة ؛ وعين انتيجونوس Antigonus على ولاية آسيا الصغرى ، وملياجروس على فينيقية ؛ كما عين لاء وميدون على الشام ؛ وعين أيضاً أحد كبار الضباط وكان اسمه سليوكوس ( أو سليوقوس ) Seleucus قائداً على بابل ؛ وكان سليوقوس قائدا لفرقة المدروع Hypaspitae وكان عملاقاً ضخماً وطموحاً ولا يقل دهاءاً عن بطليموس بن لاجوس .

وقبل أن يرحل السترابيات اتولى مناصبهم ، كانت روكسانا قد وضعت ما في بطنها ، وفرحة الفرسان كان المولود ذكراً ، وأعطى المولود اسماً هو الاسكندر الرابع ؛ لكنه كان يعرف في الوثائق باسم الاسكندر بن الاسكندر . وبذلك عين ملكاً شريكاً لفيليب أرهدايس ، واختير أنتيجونوس وصياً عليه . وبذلك حسمت مؤقتاً مسألة الأثر في الامبراطورية .

### تجهيز جثمان الإسكندر :

وكان القادة على إثر موت الاسكندر قد أسرعوا في طلب بعض الكهنة المصريين المتخصصين في التحنيط الى بابل ، لكي يقوموا بتحنيط جثمان ( م ٧ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستي )

الاسكندر ، تمهيداً لإعداد موكب جنازى يليق بالقائد العظيم ؛ وطبقاً  
للالة اليد المقدونية كان على برديكاس أن يتكفل بالإشراف على إعداد الدفن  
بصفته المفوض العام على الامبراطورية ؛ وكان ذلك مهما بالنسبة له ؛ لأن  
هذا العمل يدعم من سلطاته ومركزه ؛ فضلاً عن علمه بمدى عشق شعوب  
الامبراطورية المقدونية للاسكندر ، خاصة في ولايات الشرق الأدنى ؛  
ولذلك كلف برديكاس احد معاونيه ويدعى ارهيداىوس ( لا علاقة له  
بالملك فيليب ارهيداىوس ) للإشراف على الجناز ، ولقد اثار بطليموس  
مشكلة دفن الاسكندر ؛ وذكر أنه ما دام الاسكندر قد اعلن أنه ابن آمون —  
رع فيجب أن يدفن في سيوة في محراب معبد أبيه آمون ؛ وبالتالي فقد كان  
يطمح أن يصطحب معه جثمان الاسكندر ليدخل به مصر ؛ ولكن رفيقه  
القادة أدركوا ما يهدف اليه فرفضوا طلبه ، وأصرروا على أن يدفن الاسكندر  
في الجبانة الملكية المقدونية في مدينة ايجيا Aegea التي كانت العاصمة الدينية  
القديمى لمقدونيا . واقام كان برديكاس منذ البداية يشك في نوايا بطليموس  
ولذلك عين نائباً له من اتباعه وهو كليدمينيس النقراطيسى ، الذى كان  
الاسكندر قد اقامه اميناً على المانية في مصر . وكان بطليموس آخر الولاة  
الذين غادروا بابل ، لأنه تخلف الكى يطالب بحقه في ثروة الاسكندر التي  
وضع عليها برديكاس يده ، لكنه لم ينجح في مسعاه ؛ وأخيراً طالب  
بطليموس بحقه كوال على مصر أن يعيد الى مصر التماثيل والكتب المقدسة  
التي كان قبلاً قد خملها معه الى عاصمة بلاد الفرس برسر بوليس عقب فتحه  
لمصر ؛ متعللاً أن الاسكندر كان قد أمر باعادة التماثيل التي كان خشارشائ  
Xerxes قد نهبا من اكروبول أثينا عقب احتلاله للمدينة ؛ ولم يجد  
برديكاس بلداً من الموافقة على ذلك ؛ وبذلك حقق بطليموس أول نصر  
معنوى له على منافسيه من كبار ضباط الاسكندر .

### حروب الورثة Diadochi ق . م ٢٣٣ — ٢٨١ :

لا يخطئ من يقول ان الامبراطورية المقدونية ماتت مع موت الاسكندر  
فلقد اندفع الاسكندر كالأعصار يغزو الشرق ؛ ولم يكن لديه الوقت الكافى



لتدعيم هذا الغزو وتأمين بقائه ؛ كما أن امبراطوريته امتدت بقرار شاسع  
لا يمكن السيطرة عليه ؛ فهناك حاجب عنده القائد الغازي أن يقف ؛ بالإضافة  
الى ذلك ؛ لم يكن للاسكندر وريث معاد اعاداً خاصاً ليتولى حكم هذه  
الشعوب المتعددة القوميات واللغات والديانات ؛ وربما فكر الاسكندر في  
هذه القضايا بعد عودته من الهند ؛ غير أن القادر لم يمهله طويلاً ؛ ولذلك  
فقد بات واضحاً أن امبراطوريته باتت في مهب الريح ، فقد عصفت الحروب  
بين قاداته لما يزيد على أربعين عاماً ، ولا نستطيع أن نروى تفاصيل هذه  
الحروب المملة ، سوى أنها كانت بين قادة مقدونيين طموحين ومستبدين ؛  
محنكين في السياسة والحرب ، كما لعبت الأقارب بمصائر بعضهم ، ولم يكن  
لشعب الشرق الأدنى أو الأغريق أى دور فيها .

ولقد كان اللاعبون الكبار في هذه الحرب ستة من كبار قادة الاسكندر  
هم : أنتيجونوس وأنتيباتر ، وكاساندر ، ولوسياس خرس ، وبطلميوس ،  
وسايوقرس .

وخلال ذلك الصراع الدموي هالكت أسرة الاسكندر المقدوني نفسه .  
فقد اختفى الملك فيليب الثالث أرهداايوس أولاً ؛ والذي كان منذ البداية غير  
موهل للحكم ، ولكنه في عام ٣٢٢ ق.م تزوج من إحدى أميرات البيت  
المقدوني وتدعى يورديايكي Eurydike ، وكانت طموحة تسمى لأن تجلس  
هى وزوجها على عرش الامبراطورية المقدونية بعد التخلص من منافسيها ؛  
ولذلك زجت به فى أتون الصراع ؛ غير أن أولمبياس أم الاسكندر العجوز  
كانت لهما بالمرصاد ؛ لأنها كانت ترى أن العرش من حق حفيدها  
الاسكندر بن روكسانا ( ابن روشان بالفارسية ) ونحاه ؛ واستطاعت  
بمساعدة أتباعها أن تلقى القبض على فيليب وزوجته يورديايكي ؛ ثم دبرت  
اغتيال فيليب أرهداايوس عام ٣١٧ ق.م ، وبهذا بشم زر قليلة أجبرت  
زوجته يورديايكي على تجرع السم .

أما الاسكندر بن الاسكندر من روشان الفارسية ؛ فقد استخامة الوراثة  
المتصارعون كورقة رابحة فى الصراع لأضفاء الشرعية على حق كل منهم فى

لرث الامبراطورية ؛ كما أن أولمبياس تدخلت في الصراع أملاً في ابقاء العرش لحفيدها ، ولكنها خسرت عندما كسبت عداء كاساندر ، الذي كان يكره الاسكندر الأكبر منذ البداية ؛ منذ أن كان معه في فتح الشرق ، بل كان متأثراً بأصدقائه من الفلاسفة المشائين الأغريق Peripatetic (\*) الذين كانوا يحقنون على الاسكندر المقدوني ؛ وكان كاساندر قد أمن لنفسه حكم مقدونيا وبلاد اليونان خلال ذلك الصراع ؛ ولما حاولت أولمبياس استخدام سحر الاسكندر لاثارة الجنود على كاساندر في مقدونيا ؛ قرر كاساندر أن يتخلص من ذرية الاسكندر جميعاً حتى لا ينافس على عرش مقدونيا أحد ؛ ولهذا ألقى التهم على الاسكندر بن الاسكندر وأمه روشان وتخلص منهما عام ٣١٠ ق.م ؛ واعتبره المؤرخون قاتل ابن الاسكندر ؛ أما أولمبياس فلم يشأ أن يقتلها بيده ، وإنما سلمها لأعدائها من البيت المقدوني ليقتلواها بأيديهم أخذاً بالثأر ؛ وبذلك اندثرت سلالة الاسكندر المقدوني منذ ذلك التاريخ وأصبح الورثة في حل تماماً من مسألة الولاء لامبراطورية واحدة .

واقدم حسب مشاحنات هؤلاء الورثة في معركتين هامتين : الأولى معركة إبسوس Ipsus في إقليم فريجيا في آسيا الصغرى عام ٣٠١ ق.م ؛ عندما تكاثف أربعة من المتصارعين وهم : كاساندر ، ولوسيانخوس ، وسليوقوس وبطليموس ، للتضاء على أقواهم وهو أنتيجونوس ، الذي كان يترشح هيمنته على آسيا الصغرى ، وأطبقوا عليه ، وكان أنتيجونوس قد تقدم به العمر وشارف على الثمانين . وعند إبسوس في فريجيا في خريف عام ٣٠١ ق.م قتلوه ، وتفرق جيشه ، وهرب ابنه ديمتريوس الى بلاد اليونان ؛ وقسم المنتصرون ممتلكاته ؛ فحصل بطليموس على جنوب الشام ، ودخلت قواته الى صبور وصيدا وبيلوس ، بينما حصل سليوقوس

---

(\*) نسبة إلى الفيلسوف المعلم أرسطو الذي قيل أنه كان يلقي دروسه على طلابه سواء في ملاعب الرياضة أو في معهدة اليسيوم (والذي منه اشتقت كلمة ليسييه عند الفرنسيين) وهي يتحرك جيئة وذهاباً . وكانت هذه المدرسة تدعو إلى المنطق والبحث العلمي ، والتأمل الميتافيزيقي ، ومن أشهر إستانذتها المؤسسين ثيوفراستوس وستراتون .

على أرمينيا ، وقبادوقيا ، وسوريا العليا ؛ وحصل لوسياخوس على ما يريد من الأناضول . وكان بطليموس قد انسحب من المعركة على أثر شائعة أن انتيجونوس وابنه قد انتصرا ، ولهذا طالب المنتصرون بحرمانه من ثمار النصر ، وطالبوه بالجللاء عن جنوب الشام ؛ لكن سليوقوس الذى كان فى يوم من الأيام لاجئاً فى بلاط بطليموس عندما طرده انتيجونوس ، وساعده فى العودة الى اماره بابل ، لم يشأ أن يدخل فى حرب مع بطليموس ، فترك له جوف سوريا حين أن يفرغ من تأمين مملكته ؛ ولذلك بقيت مشكلة الشام قائمة بين خلفاء بطليموس وسليوقوس ، بين الحق التاريخي الذى طالب به بطليموس ، وبين الحق القانوني الذى قرره المنتصرون فى أبسوس وأدى فيما بعد الى حروب بين البطالمة والسليوقيين .

أما المعركة الفاصلة فى حروب الورثة ، فقد كانت معركة كوروبيديون Kourupedion ( ثى معركة سهل قرش ) فى صيف عام ٢٨١ ، وكان لوسياخوس قد انتزع مقدونيا وتساليا من ديمتريوس بن انتيجونوس عام ٢٨٥ ق.م ، وبذلك أصبح أقوى المتصارعين ، مما جعل رفاقه يحنون عليه ، خاصة سليوقوس الذى أراد أن يطرد لوسياخوس من آسيا الصغرى ؛ والتقى الجيوشان فى سهل قرش فى صيف عام ٢٨١ ق.م فى إقليم مغنيسيا Magnesia وحقق سليوقوس نصراً حاسماً ؛ وهلك فى هذه المعركة لوسياخوس ؛ الذى كان قد تقدم به العمر ، وطحنته المعارك ، وبذلك اختفى رأس كبير من الورثة ، ولم يبق من الورثة سوى إثنان هما بطليموس وسليوقوس ، أما سليوقوس فلم يفتح بحكم آسيا والشرق الأدنى ، بل ركب الغرور بعد أن ضم اليه ممتلكات لوسياخوس ، وتطاع للاستيلاء على عرش مقدونيا . ولذلك عين ابنه الأكبر أنطيوخوس Antiochus نائباً عنه لحكم الولايات الآسيوية فى الشرق الأدنى ، وسار على رأس جيش نحو مقدونيا ولكنه اغتيل قبل أن يعبر البسفور والدرديل من آسيا الى أوروبا على يد بطليموس الصاعدة ، الابن البكر لبطليموس من زوجته الأولى .

وبذلك انقشع غبار معارك الورثة عن ثلاثة ممالك كبرى هى : مملكة البطالمة فى مصر ؛ ومملكة آل سليوقوس فى سوريا الكبرى وبلاد الرافدين

وايران وبعض أجزاء آسيا الصغرى ؛ ثم ولاية مقدونيا التي آلت في أول الأمر الى بطليموس الصاعقة ، ثم آلت من بعده الى أنتيجونوس جوناتاس ابن ديمتريوس وحفيد أنتيجونوس الكبير ؛ واستطاع أنتيجونوس جوناتاس أن يؤمن العرش لأسرته من بعده في مقدونيا ، وأصبحت تعرف بالـ أنتيجونوس Antigonids ، وظلت تحكم مقدونيا حتى استيلاء الرومان عليها عام ١٦٨ ق.م وكانت أول مملكة هيلينية تسقط في حوزة الرومان .

### تحول الحضارة الأغريقية من المرحلة الكلاسيكية إلى الهلينية :

تخطت كل أمانى المفكرين والفلاسفة الذين ظهروا منذ مطلع القرن الرابع ، والذين دعوا دويلات المدن أن تتنازل عن كبرياتها ، وتسلم قيادتها لمقدونيا ، حتى تقوم بحملة مقدسة لفتح الشرق أمام المهاجرين والتجار الأغريق ؛ فالأحداث التي عصفت ببلاد اليونان عقب موت الاسكندر ، خيبت الآمال ، ففي خلال حياة الاسكندر الأكبر كانت الأمور تبدو طيبة ، فالخيرات والغنائم كانت تتدفق على بلاد اليونان من الشرق ، مما أنعش الاقتصاد وخلق حالة من الرواج والاستقرار ؛ وخفف من حدة الأزمة الاقتصادية التي كانت بلاد اليونان تعانيها قبل مجيء الاسكندر ؛ غير أن الصورة تغيرت فجأة بعد رحيل الاسكندر ، فتمد توقف تدفق الثروات من الشرق ، بل إن المدن الأغريقية — ذات التاريخ التليد — وجدت نفسها فجأة وقد فقدت مكانتها السياسية القديمة ؛ وما تبقى لها من حرية واستقلال منحها لها الاسكندر ؛ ووجد مواطنوها أنفسهم وقد تحولوا الى رعايا ملوك مقدونيين مستبدين ، أكفاء في الحرب والدياسة ؛ وكثيرا ما كانوا « رومانسين » في شخصياتهم وأحلامهم ؛ معامرين معجابين لذواتهم ، وهواة للهنون والآداب ؛ ميالين لحياة الأبهة والعظمة ؛ ذوي تصرفات عاطفية تنزع إلى العنف والانتقام ، أما أهمية هؤلاء الحكام في التاريخ ، فأنها ترجع الى توسيع سياسة الاسكندر في صيغ الشرق الأدنى بالضفة الهيلينية ؛ أما خلاف ذلك فتمد ساروا في طريق التعاطف الشخصي ؛ واتبعوا في مناهجهم في الإدارة النماذج التي سار عليها ألف من قراعنة مصر ؛ ومالوك الامبراطورية النمرسية ومقدونيا .

لقد أحدث فتح الشرق تغييراً في ذوق كل من شعوب الشرق الأدنى والأغريق معاً ، فمن ناحية ، تحرر الشرقيون من الاستبداد والسلطة التي كانت تحكمهم طوال تاريخ حضارتهم ، ومن سيطرة الكهنة الصارمة على الفنون بالذات ، ويبدأوا يتحررون من قيود التراث الديني العتيق الذي كان يشكل أفكارهم ، فبستورط الفراعنة ، وملوك بابل ، وآشور الموثلين ، الذين ذاب الفرد في سطوتهم ، وكذلك سطورط عرش الطاووس في فارس ، تحرر الفرد في الشرق من الكبت ؛ وذاق حلاوة الابداع وحرية التفكير ؛ ولم يعد يخاف لا من الكهنة - حراس العقائد ؛ ولا من جبروت حكامه الموثلين ؛ فتححرر لأول مرة من نزعات السيطرة والاستبداد ؛ أما بالنسبة للأغريق المهاجر الى الشرق ، فقد ترك وراءه عقيد المدينة وصرامتها ؛ والتي كانت تقيد حرية الفرد ، وتفرض عليه أفكاراً ومعتقدات ؛ فلم يعد صخبنا لفلسفة المدينة السياسية والأخلاقية ؛ ووجد نفسه في مدن الشرق وحاضره الجديدة حراً ؛ ينعم بالحرية الشخصية ؛ وحرية الابداع والتعبير الذي لا يعرف حدود ؛ ولم تعد هناك موانع تحد له حرية البحث العلمي ؛ بعد أن هجر السياسة والتعصب ؛ وتعلم من مواطنيه الشرقيين أصول التسامح والتعايش ، ولم يجد من يمنعه أو يصده من أن يحب من حضارة الشرق في كل جرائها ، ويتعلم من الذين كان يتعالى عليهم أجداده قديماً ، ويلقبونهم بالبرابرة ، فتنطورت الحضارة الجديدة - الهلنستية كما أطلق عليها - وازدهرت مدارس الفلسفة في الشرق ؛ هكذا تغير المهاجر الأغريقي عندما عاش في رحاب الشرق ؛ فقد نسى عقيد المدينة Polis الكلاسيكية ؛ والتي كانت طوال تاريخها أتونا للحرب ، استنفذت طاقاته ؛ ونسى النزعة العنصرية والاستعلاء القوي ؛ واستبدل ذلك باحساس إنساني متدفق وحر ، يدعو الى محبة الإنسان والبشر والأخوة بين الناس ، وتمهيس السلام ، لأنه السلوك الطبيعي للإنسان المحضر ؛ ووجد في تراث الشرق الفلسفي ضالته المنشودة ، فراجت فلسفات التبشير بالحب من أجل تحقيق السعادة القصوى ، والسلام والاستكانة للنفس البشرية . فظهرت كلمة Anthropos (أى الإنسان) ومشتقاتها ، كما

ترددت كلمة العالمية Cosmopolitanism ، وأصبح العالم المسكون هو العالم المتحضر ؛ بل أصبح الأغريق يتفاخر بأن هذا العالم المتحضر هو وطنه وليس مدينة متعصبة ضيقة الأفق ، كما كان الحال قبل الاسكندر .

في عالم ما بعد الاسكندر ، كان واضحاً أن مستقبل الحضارة لم يعد في مدن بلاد اليونان التي كان دورها قد انتهى ، وإنما في مدن الشرق الأدنى التي كان دورها على وشك أن يبدأ ؛ والشرق هو مهد الحضارة الانسانية الأولى ؛ والذي من حضارته نسج الأغريق الأقدمون حضارتهم ؛ ولذلك تسابق الأغريق أفراداً وجماعات للهجرة الى مدن الشرق الفتية الجديدة ، وكان ملوك الشرق الجدد أغريقاً في السلالة واللغة والعادات ؛ يديرون دفة البلاد من قصورهم الفارهة ، في عواصم ممالكهم الجديدة بمعاونة الخبراء ورجال الفكر من الاغريق ، وتعتمد ركائز حكمهم على جيوش من المهاجرين ومن المرتزقة الاغريق ، وكانوا عازمين على نشر المدنية الاغريقية في كل ربوع الشرق ؛ والحفاظ عليها حتى لا تذوب في بحر حضارات الشرق العريق ؛ فراحوا يدعون ويروجون لفكرة الهجرة إلى ممالكهم ، ودفعوا للشعراء لكي يروجوا لفكرة أن الشرق هو الجنة الموعودة للأغريق ؛ وبفضل هذا النزوح الكبير الى الشرق ، قويت شوكة الملوك الجدد ؛ فقد أصبح لهم جيوش من بني جلدتهم ؛ ولاؤها لهم ، فبقاؤهم في هذه البلاد رهن ببقاء الملك المقدوني في الحكم ، فهم يقيمون وراثتهم إذا ما ثار أهل البلاد الأصليون عليهم ؛ ولذلك التفت المهاجرون الاغريق في الشرق حول الملوك ؛ يتسلقونهم ، مهما كانت شخصيتهم وأفكارهم ؛ وانهاوا عليهم بألقاب التكريم ؛ متأثرين بذلك بشعوب الشرق التي درجت على تأليه ملوكها ؛ وبذلك أصبح الملوك آلهة ، والآلهة ملوكاً .

لقد كان العصر الهلنستي عصر ازدهار حضارة مدن الشرق الأدنى ، خاصة ، فقد كان عصر بناء الخواصر في كل أرجائه ، وتحويل هذه الخواصر الى منارات لاشعاع الفن والثقافة ، وتطويع البحث العلمي ؛ ولقد ساعد على ذلك أن الملوك عملوا على قيام طبقة من الأثرياء والأعيان حولهم لمساعدتهم في الحكم ، بالإضافة الى ذلك ، ففي غمار حروب الورثة ، ازدهرت طبقة

انتهازية من البرجوازيين الجدد من سكان المدن والمستوطنات ، التي استغلت الظروف ، وغرقت في بحر من الرثاء ، بينما كانت الغائبية العظمى من باقى السكان سواء من المهاجرين أو الوطنيين تعاني من شظف العيش ، في عصر ارتفعت فيه الأسعار ارتفاعا جنونيا ، وظهرت فيه الأزمات ، ولذلك استلهم المفكرون الأغريق من فلسفات الشرق الدواء والعلاج ، كما نبغ الشرقيون المظلومون في وضع أساس فلسفات إنسانية ، تحطم الحواجز الاجتماعية والعنصرية . فقد وضع زينون القبرصى ، وهو في الأصل فينيقي ، عاش في مدينة كيتيون القبرصية Ctium حوالى عام ٣٠٠ ق.م أسس الفلسفة الرواقية كعلاج لأزمات العصر ، وازدهرت في صيدا في فينيقيا مدرسة رواقية خرج منها أشهر الفلاسفة الرواقيون من أمثال زينون الصيداوى الرواقى ، وبوثيوس Boethos ، الصيداوى ، ومن أعلام فلاسفة الشرق الأدنى الرواقيين زينون الطرسوسى ، وقد ترك من بعده تلاميذا ازدهرت بهم مدرسة طرسوس في الشام منهم انتياتر الطرسوسى ، وأرخيديموس الطرسوسى ، وخرج من صهرو أيضا انتياتر الصورى الرواقى ، في القرن الاول الميلادى . وفي القرن الثانى قبل الميلاد أخرجت مدينة سلوقية على نهر دجلة ديوجين البابلى .

وكما ابتكر فلاسفة الشرق الفلسفة الرواقية الانسانية العالمية للأغريق ، فقد ساهموا أيضا في تطوير الفلسفة الابيقورية ، فنسمع عن أعلام الابيقورية الجديدة مثل زينون الصيداوى الابيقورى في القرن الثانى ق.م وعن ديوجين الطرسوسى الابيقورى . هذه الفلسفات التي ابتدعها أو طورها الشرقيون كانت العلاج الروحى والفكرى للقلق النفسى ، والظلم الاجتماعى ، الذى ساد بلاد الأغريق في الغرب ، فقدم فلاسفة صهرو ، وصيدا ، وطرسوس ، وسلوقية دجلة ، العلاج الشاقى لأزمات الغرب . فقد دعت الرواقية الى المساواة بين البشر ، والزهد في متاع الدنيا ، وحب الواجب ، وبشرت بالتصوف ، وكبح جماح النفس ، كعلاج للجشع المادى ، والتكالب على الثروة ، واستبدال ذلك بآمتاع النفس بالمعرفة ، لأنه الامتاع الذى لا يتبعه

ألم : بينما نادى الأبيقورية بالتححرر من الخوف ، والاستمتاع بغير  
الامكان بحياة الدنيا ، قبل الرحيل إلى عالم غير معروف .

وبالرغم من التحلل المادى والاجتماعى ، الذى ساد مدن ومستوطنات  
العصر الهلينى ، الا أن الحواضر نجحت فى الاستفادة من تراث الشرق  
الخالد ، فازدهرت الفنون ، وعرف المستوطنون بذخ الشرق وترفه من  
حرير وعطور ، وطيب وبخور ، وعطارة وتوابل ، وأصبح الفن الهلينى  
فن امتاع فاضح ، بعد أن تحرر من كل القيود والتقاليد الأغريقية الكلاسيكية  
التي كانت سائدة فى بلاد اليونان قبل مجئ الاسكندر ، وأصبح فنا فى خدمة  
رغبات الطبقة الغنية البرجوازية من سكان المدن الجديدة . ووجد الفنانون طلبا  
عليهم من جانب هؤلاء الأثرياء ، وجندوا قوتهم لامتاحهم بالفن ، ولهذا  
فقد جاء الفن الهلينى تعبيراً عن رغبات الفرد ، وليس املاء لرغبات  
الدولة السياسية أو الكهنوت الشرقى .

لقد كانت حضارة العصر الهلينى هى حضارة الحواضر الأغريقية فى  
الشرق ، فقد كان ملوك الممالك الهلينية يهتمون أن رسالتهم — بعد  
أن استتب الأمر لهم واختتمت حروب الورثة — هى نشر الحضارة الهلينية  
فى أرجاء ممالكهم ، فازدهرت مدن عامرة كالاسكندرية فى مصر ، وأنطاكية  
على نهر العاصى ( Orontes ) ، وسليوقية على نهر دجلة ، ومائة مدينة أخرى  
كانت تدين بوجودها الى الاسكندر وخلعاؤه ، ولقد وقع العبء الأكبر  
فى بناء الحواضر فى الشرق الأدنى على ملوك الأسرة السليوقية بالذات ،  
فبعكس الحال فى مصر أو مقدونيا ، كانت الامبراطورية السليوقية فى  
الشرق الأدنى وآسيا الصغرى مترامية الأطراف ، يعوقها عدم الوحدة  
الجغرافية والتماكك العرقى ، وتعدد القوميات واللغات ، ولذلك وبمرور الزمن  
فقدت كثيرا من أطرافها البعيدة ، ووجدت نفسها فى النهاية محصورة بين  
الشام والفرات وآسيا الصغرى ، قضى خلال القرون الثلاثة خفق الديوقيون  
نجاحاً عظيماً فى بناء المدن فى الشام وبلاد الرافدين وحول الخليج العربى ،  
وكذلك فى آسيا الصغرى والأراضى الواقعة حول بحر قزوين ، فغرسوا



## - ٧٠١ -

جذور الحضارة الهلنستية في الشرق الأدنى ، ومهدوا لتزاوج الفكر الأغريقي الوافد ، مع الفكر الشرقي الضارب بجذوره في أرض الشرق الأدنى ، فقد حلت سلوقية على نهر دجلة محل بابل ، التي أصبحت منذ ذلك الحين مركزاً دينياً ، وحلت أنطاكية محل دمشق ، كما حلت الأسكندرية في مصر محل منف وطيبة .

وإذا كانت الثقافة الهلنستية الوافدة قد تأصلت في عالم الشرق الأدنى وآسيا ، فإن ديانات وفلسفات الشرق الأدنى ومصر بدأت تغزو عالم البحر المتوسط المادي ، ولقد كان الملوك السليوقيون مخلصين في وفائهم للحضارة الهلنستية ، لأنهم كانوا يرون أن السبيل الوحيد لتوحيد شعوب الشرق وقومياته المختلفة في بوتقة واحدة هو إخبار السكان على التأخرق ؛ فشلا حاول أنطيوخوس الرابع الملقب بالرب الظاهر أو المتجلى Epiphanes ( ٢١٥ - ١٦٣ ق . م ) عندما تولى العرش عام ١٧٥ ق . م أن يرغم اليهود على التأخرق للاندماج مع باقي شعوب مملكته في الشرق الأدنى ؛ مما أدى الى رفض اليهود لذلك ، وإحياء النهرة القومية لديهم ؛ ولقد عرف أنطيوخوس الرابع بنشاطه المحموم في بناء الخواضر في الشرق الأدنى ؛ بل أنه فقد حياته وهو يواصل فتوحاته في أعماق الشرق الأدنى ليقم الخواضر ؛ ولقد أدت هذه الخواضر خدمة كبيرة للأغريق ، إذ وسعت آفاق تفكيرهم ، وأوجدت لهم مصالح جديدة ، فبوجود التجارة والمصالح الكبرى في أيدي الأغريق المهاجرين أضف الأغريق بصماتهم في تنشيط التجارة الشرقية ، وبعث الروح الجديدة فيها ، فقدموا مناهج جديدة للتعامل ، وظهرت النقود السليوقية والبنوك الأغريقية كعوامل مؤثر ، فاندسجت هوة الخلاف بين صاحب رأس المال والعامل ، وتعددت المشاكل الاجتماعية ، وأصبح السلام في المدن التجارية مهددا بالخوف من اندلاع الثورات الاجتماعية أو القومية ، ونتيجة لنشاط التجارة تجمع رأس المال لدى فئة قليلة من التجار والأغنياء ، مما أدى الى انتشار الفقر بين الغالبية العظمى من سكان المدن الجديدة ، وبسبب نشاط رأس المال ارتفعت القائمة ، وبالتالي ارتفعت أسعار السلع ارتفاعاً لم يتناسب

مع المدخول ، وفقدت الدراخا الأغريقية نصف قيمتها في القرن الثالث ، وكانت الجماهير في خطر دائم من حدوث مجاعة ، بل حدثت بعض الاضطرابات ، وعرف العالم البطالة ؛ إذ لم يوجد طبقة وسطى لتكون جسرا بين الأغنياء والفقراء ، ولهذا تعالت الأصوات مطالبة ببعض العلاجات الثورية : كإلغاء الديون ، وإعادة توزيع الملكية الزراعية ، ومصادرة الممتلكات الشخصية ، والدعوة لتحرير الرقيق ؛ وهي تلك القضايا التي طرح الرواقيون لها حلولاً ، ومن ثم ، انتشرت الرواقية بين الطبقات المستتيرة من أبناء الشرق والغرب على السواء ، بل وجدت الرواقية لها أنصاراً فيما بعد عند الرومان .

ولقد كان الفن والأدب من أهم نتائج هذا التغيير في العصر الهلينيستي ؛ فقد أصبح الأدب يتميز بالوضوح والثقة ؛ وبالنقد والتأمل ، واحياء التراث القديم في ثوب جديد ؛ وأصبح المسرح يقدم الروايات الاجتماعية الانسانية لجمهور رفيع الذوق ؛ فقد كانت قصور الملوك مراكز للنشاط الأدبي والعلمي ، تماماً مثلما كانت قصور الخلفاء في العصر العباسي . فقد كانت المعرفة تحظى برعايتهم فظهر شعر « الرعاة » الغارق في رومانسية الريف وجماله الحالم ، هرباً من المدينة ومشاكلها وهومها ، ولينسى الناس ما أحدثته حروب الرزثة من دمار ، وسفك للدماء ؛ وانتشر في عاصمة البطالمة حتى أطلق عليه النقاد اسم « شعر الاسكندرية » ، ولمع نجمه الأول الشاعر ثيوكريتوس Theocritus ، الذي وجد الرعاية من بلاط بطليموس الثاني ، وطور ميثاق الكوميديا الجديدة لتختار موضوعات انسانية لا شأن لها بالسياسة ، وتمثل كافة قطاعات المجتمع وتناقضاته ، وأصبح العشق والحب أفكاراً تسيطر على المسرح وعلى الشعراء ، وبرزت العاطفة الانسانية الجياشة في في شعر المراثي المؤثر .

ولعل أهم ما تعلمه الأغريق من مدن الشرق الأدنى إقامة المكتبات الكبرى لجمع عيون التراث ؛ ولقد ذكرنا سابقاً كيف أن آشور بانيبال كرس السنوات الأخيرة من حياته في إقامة مكتبة كبرى في نينوى عاصمة ملكه ، وأرسل الرسائل لجمع الألواح القيمة ، ولم يدخر وسعاً في الحصول

على أية نسخة فريدة لنص موجود ؛ بل ازدهر فن المكتبات في بلاد  
الرافدين منذ أيام السومريين ؛ حيث كان لعلم المكتبات أصل ثابت وخبرة  
فنية متوارثة في فن الأرشفة ؛ ويعترف العالم الآن بأن الأغريق قد تعلموا  
فن المكتبات من مكتبة آشور بانيبال ابان العصر الهلنستي ؛ ولهذا نقل  
البطالمة هذه الفكرة على نطاق أحدث ، وحافظوا على التقاليد البابلية  
والآشورية الخاصة بالفهرسة ؛ فأقاموا في الاسكندرية أضخم مكتبة عرفها  
العالم القديم ؛ بل عندما ازدحمت المكتبة أقاموا ملحقة لها ؛ وكانت المكتبة  
وملحقتها تحتويان على سبعمائة ألف مخطوط من كافة اللغات والعلوم ؛ وهذا  
يدل على وجود جمهور كبير من المثقفين عكف على الدراسة والقراءة ؛  
وأصبح هناك متخصصون في علوم الشرق الأدنى ولغاته وحضارته ؛ وذلك  
نظراً لأهتمام البطالمة بالشرق العربي . هذا النشاط والحماس الذي جمع به  
الملوك المتدريون عيون التراث لكافة الثقافات ، وبكافة اللغات ، أدى الى  
ظهور فن الترجمة من اللغات السامية الى اللغة الأغريقية الجديدة ( Koine ) ،  
فنشط فن الترقيم والتصنيف ؛ وظهرت مدارس من النقاد والسراخ ،  
أظهرت مهارتها ، وازدهر فن النقد اللغوي ، والنقد الجمالي ، ونقد النصوص  
وتحقيقها ، وبفضل اهتمام البطالمة بصناعة الورق من نبات البردى وتطويره ،  
وجعل مصانع الورق من احتكار الدولة ، وبفضل تيسير اللغة الأغريقية  
الشعبية لتصبح عامة للجميع ، وليس فقط على قلة من اللغويين المتحذلقين ،  
اتسع نطاق المعرفة ، بل أن المثقفين من الشرقيين عكفوا على تعلم الأغريقية ،  
وفضلوا الكتابة بها على لغاتهم العتيقة الكهنوتية ؛ فكتب مانيتون المصري  
تاريخ بلاده باللغة الأغريقية الجديدة ؛ وأعاد كتابة تاريخ مصروفق منهج  
علمي جديد ؛ فقسم تاريخ مصر الى ثلاثين أسرة ؛ وهذا التقسيم لا زلنا نسير  
عليه حتى يومنا هذا ؛ كما كتب بيريوسوس Berossus - وكان أيضاً كاهناً  
من بابل تحول إلى الأغريقية واتخذ لنفسه اسم سيلوقوس - كتب تاريخ بابل بناءً  
على طلب الملك السيلوقي أنطيوخوس الأول بدءاً من الطوفان وحتى موت  
الأسكندر في ثلاث مجلدات ؛ بل قام بترجمة بعض أبحاثه في علم الفلك الى

## ١١٠ -

الأغريقية ، ووضع نظرية جاذبية تقول بتركيز الشمس بالنسبة للأجرام في الكون . وقصّل اليهود في الاسكندرية استخدام الأغريقية المبسطة على لغتهم العبرية والآرامية ؛ فقاموا بترجمة أسفار العهد القديم Septuagint من العبرية إلى الأغريقية ؛ وفيما بعد ترجمت أناجيل العهد الجديد من الآرامية إلى هذه اللغة أيضا لأنها هي اللغة العالمية للمعرفة في كل مكان . . . . .

وفي عصر اهتم بالبحث العلمي ، والاستقصاء العملي ، والكشف الجغرافي ، والقياس الرياضي ، قفز العلم قفزة كبيرة إلى الأمام بمعاونة الوسائل والمعطيات الجديدة ، وتهافت على الاسكندرية خيرة العلماء ، الذين وجدوا كل رعاية من القصر الملكي ؛ ومن بين العلماء الذين نبغوا في جامعة الاسكندرية يوقليد عالم الرياضيات ، وأرشميدس Archimedes واضع قوانين الطفو وأسس الارتفاع ، والجغرافي أراتوسين Eratosthenes القريني أول من قاس درجات العرض على سطح الأرض ، فقدر محيط الأرض بحوالي تسعة عشرين ألف كيلومتر ، وكان من ثمرات دراساته الجغرافية ، تلك الرحلة الدائمة الصيت التي قام بها بيثياس Pytheas من ميناء مرسيليا ( ماسيليا ) في أواخر القرن الرابع ق.م ، حيث سار بمحاذاة سواحل أوروبا على المحيط الأطلسي ، حتى بريطانيا وسواحل بحر الشمال وحتى مصب نهر الألب . وتقدم من بناء السفن فأصبحت تبهر لأول مرة عبر البحر الأحمر والخليج العربي إلى الهند في خطوط منتظمة ، بهذا ان كان ذلك وقتاً على العرب السبائيين ، وسراً من أسرار حضارتهم . . . كما ازدهر علم الجغرافيا . وفي الاسكندرية أيضاً ازدهر علم الطب ، وكانت مدرسة الطب في مصر مزدهرة منذ أيام الفتح الفارسي ، وكان مركزها تانيس ، لكن البطالمة نقلوا مقرها إلى الاسكندرية وبفضل النتائج التي توصل إليها المصريون عبر القرون ، استفاد العلماء الأغريق وبدأوا من حيث انتهى الأطباء المصريون ، ففي الاسكندرية أصبح علم التشريح لأول مرة هو أساس علم الطب على يد هيروفيلوس Herophilus حراً إلى عام ٣٠٠ ق.م ، كما ازدهر علم السموم وعلم الصيدلة من الأعشاب الطبية ، والتي كانت سرّاً من أسرار التطبيب ، عند المصريين فأصبحت علماً معروفاً ومتاحاً للجميع . . .

وبسبب تحرير الفرد من القيود الأخلاقية والسياسية للمدينة الإغريقية ،  
وبسبب تحرير الشرقيين من قيود الكهنوت والتمكر المادني العتيق ، واستبعاد  
الزراعة وملوك الشرق ؛ ازدهرت الفصاحة والبلاغة ، وقامت مراكز  
للبحث العلمي ، والأكاديميات في مدن الشرق العامرة مثل الإسكندرية ،  
وطرسوس ، وأنطاكية ، وفي سلوقية دجلة ، وفي بابل ، وصيدا ، وصور  
وبرجامة ، ورودس . ولم يعد الأدباء والعلماء يكتبون لأجل مواطنهم ،  
ولكن لأجل العلم كله ، ووفقاً للنظرة العالمية الجديدة ، لأن جمهور القراء  
أصبح عالمياً وليس أغريقياً .

وبالمثل أصبح الفن هو الآخر عالمياً ، ومرآة لمفاهيم الحياة الجديدة ،  
فحقق الفنانون درجة عالية في إتقان الصنعة أثناء حاذقاً ، ونجحوا في تصوير  
العواطف والانفعالات النفسية ؛ كما حقق المصورون والنحاتون درجة عالية  
في تحقيق ورصد الخصائص والملامح الفردية لكل إنسان . فقد أصبح الفانون  
يصنعون التماثيل للملوك والعظماء ، فقد جلس الاسكتنار نفسه طويلاً أمام  
النحات الشهير لوسيپوس Lysippos المتخصص في نحت تماثله ؛ كما جلس  
عدة مرات أمام المصور الأغريقي ابيلليس Apelles ، وبذلك نجح الفنانون  
في رصد قسمة الزعماء حتى أننا يمكن التعرف عليهم من وجوههم ، وبذلك  
ازدهر فن البورتريه ( Portraiture ) . وظهرت أعظم الأعمال الفنية بخارج  
بلاد اليونان وفي الشرق خاصة ؛ وأشهرها ضريح الملك الشرقى ماوصولوس  
Mausolus ٣٥٠ ق.م ، والمسمى الموصوليوم ؛ وكان ماوصولوس ملك  
كاريا في آسيا الصغرى محباً للفن الأغريقي ، ولذلك استدعى الفنان الشهير  
سكوباس Scopas لينفذ له هذا العمل . وفي الإسكندرية أقبل الفنانون على  
احياء الفن المصرى القديم بروح أغريقية كما نرى في تماثيل ايزيس وهى  
ترضع حورس ، والتي تحولت في الفن المسيحى فيما بعد الى العذراء ترضع  
الطفل يسوع . وفي رودس أقام أهلها تخليداً لنجاحهم في ضد ديمتريوس  
عام ٣٠٤ ق.م تماثلاً عملاقاً لرب الشمس Helios بلغ ارتفاعه مائة قدم ،  
وكان أحد عجائب الدنيا السبع ، ولقد انتصر أهل رودس بفضل مساعدة

«ديتقهم بطلميوس الأول فرعون مصر المقدوني ، واعترافاً بذلك الجميل ، منحوه لقب المنقذ Soter ، واختاروا رباً له علاقة برب مصر الأبدى «رع» رب الشمس ، الذي كان يعبد في رودس باسم Helios ، ليقدموا له التمثال العملاق ، ولا شك أن عبادة رب الشمس في رودس مصرية الجذور ، ولذلك جاء التمثال مزيجاً من فن الشرق وفن الغرب ، الفكرة مصرية والتنفيذ أغريقي .

أما فن التصوير فقد بلغ أوج عظيمته ممثلاً في فن التصوير السكندري حيث أبدع المصورون في تصوير المناظر المألوفة من الريف التي تتماشى مع « شعر الرعاة » السكندري ، كما تسابق الأغنياء في ملء جدران منازلهم بالرسومات الساحرة ، وفي عهد السليوقيين ذاع الفن الأغريقي صوب الشرق حتى وصل إلى الشرق الأقصى ، حتى أن الهنود تأثروا به في نحت تماثيلهم المقدسة .

ونخلاصة القول . لقد جلبت فتوحات الإسكندر عالماً أوسع إلى داخل النفس البشرية ، وفي نفس الوقت لم يخطف التراث القديم سواء في الشرق أو الغرب ، إنما أعيد بهما في لغة جديدة ، وبشكل جديد ، يمثل روح العصر وفلهناته الكونية الانسانية ، ولم تعد الحضارة سراجاً يهدي الأغريق وحدهم وإنما أصبحت شمساً سطعت على الشرق الأدنى كله ، بل والعالم المسكون بأسره ، لأنه في الوقت الذي نخبأ فيه نور هذا المصباح في بلاد اليونان ، توهج نوره في مكان آخر ، في ربوع مصر والشرق الأدنى .



## أهم المراجع للفصل الرابع

### أولاً : المراجع العربية والمعرّبة :

- ١- و.ج دى بوج ترأث العالم القديم ، الجزء الأول الفصل السادس (ص ٢٠٧ - ٢٢٣ ) .
- ٢- و. تارن ، ج جريفث : الحصار الهلنستية ( ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ) .  
القاهرة ١٩٦٦ .
- ٣- و. لجران ( فيليب لجران ) شعر الاسكندرية ، ترجمة محمد صقر خفاجة ، دار النهضة العربية القاهرة ١٩٥٢ .
- ٤- ج . سارتون ( جورج ) تاريخ العلم ، الجزء الرابع ( ترجمة لفيف من العلماء : العلم والحصار الهلنستية في القرون الثلاثة قبل الميلاد ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ .
- ٥- د. سيد أحمد على الناصري ، التأثير الرومانسى للحصار المصرية على تفكير شعوب البحر المتوسط ( مصر وعالم البحر المتوسط - إعداد وتقديم روف عباس )  
القاهرة ١٩٨٦ .

### ثانياً : المراجع الأجنبية :

1. H. Bengston : Die Diadochen — Die Nachfolger Alexanders ( 323—281 V.Ch. ), Munich, Ch. Beck, 1987.
2. R.M. Berthold : Rhodes in the Hellenistic Age, Ithaca Cornwell University Press, 1984.
3. J.B. Bury (et alia) : The Hellenistic Age, Cambridge, 1952.
4. M. Cary : History of Greek World from 323 — 146 B.C., London 1951.
5. P. Cléche : La dislocation d'un empire, paris 1959.
6. F.G. Grant (editor of the series and writer of the Introduction) Hellenistic Religions, Liberal Arts Press, New York, 1953 .
7. P.Jouget : l'Imperialisme macedonian et l'hellenisation de l'orient, Paris, 1926 (Translated into English by J. Ogden: Macedonian Imperialism and the hellenization of the East, London, 1928
8. G.M.A. Richter : Three Critical Periods in the Greek Sculpture, Oxford, 1951.

( م ٨ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستى )

9. M. Rostovtzeff : Social and Economic History of the Hellenistic World, Oxford, 1953.
10. P. Roussel, La Grece et l'Orient : Des guerres medique a la Cnoquete romaine, Paris, 1928.
11. K. Schneider : Kulturgeschichte des Hellenismus, Munich, 1967
12. W.W. Tarn : Hellenistic Naval and Military Development, Cambridge University Press, 1930 .
13. W.W. Tarn and Griffith : Hellenistic Civilization, London, 1952.
14. F. Theodore : Hellenistic Architecture : An Introductory Study Cambridge university Press, 1936.
15. V. Tscherikower : Die Hellenistischen Staedtergrundungen von, Alexander Dem grossen bis auf die Roemerzeit, Philologus, Supplement band XIX, Heft 1, Leipzg. 1927.
16. F.W. Walbank : The Hellenistic World : Fontana History of Ancient World, William. Collins, Son and Company, Glasgow, 1981.
17. T.B.L. Webster : Hellenistic Poetry and Art, Methuen, London, 1964.
18. T.B.L. Webster : Hellenistic Art, London, 1967.





## الفصل الخامس

### امبراطورية البطالة في مصر والشرق الأدنى

٣٢٢ - ٣١ ق م

بطليموس الأول (٣٦٧ - ٢٨٢ ق. م) :

كان بطليموس بن لاجوس - مؤسس الأسرة البطلمية - رفيق حياة الاسكندر منذ صباه ، فعندما كان الاسكندر غاضباً من أبيه فيليب ، قام فيليب بنفى بطليموس معه ، ولم يعد بطليموس من المنفى الا بعد مقتل فيليب وتولى صديقه الاسكندر ملكاً ، وبالطبع قرب الاسكندر إليه صديقه بطليموس ، فجعله واحداً من ندمائه المقربين ( Hetairei ) ؛ وجعله أحداً ضباط حرسه الخاص Somatophylax ، ومشرفاً ورقياً على طعامه Edcatros . ولقد رافق بطليموس صديقه الاسكندر في كل فتوحاته ومعاركه ، حيث أبدى شجاعة في الهند لفتت نظر الاسكندر ؛ بل كان بطليموس يقوم بتسجيل وقائع هبائه المبارك ويوميته الاسكندر في مؤلف تاريخي فقا ، ولم يصل إلينا ؛ غير أن هذا المؤلف كان المصدر الأول للمؤلف الذي كتبه أريانوس Arrianos عن حياة الاسكندر . وفي حياة الاسكندر كان بطليموس متشبعاً بأفكاره العالمية ؛ فعندما دعا الاسكندر رفاقه للزواج من فارسيات لتكوين جيل يجمع بين دماء الشرق ودماء الغرب ، وتزوج الاسكندر نفسه في الحفل الذي أقيم في سوسا عام ٣٢٤ ق. م ، من ستاتيرا ابنة دارا الثالث ، عقد بطليموس قرانه على فارسية اسمها أرتا كما Artacama ابنة الرالي الفارسي Artabazos ، لكن ما أن مات الاسكندر حتى نبذ بطليموس هذه الأفكار ، فهجر زوجته الفارسية ؛ واقرن بزوجة مقدونية اسمها يوريديكي Eurydike وهي ابنة انتيباتر والى مقدونيا في ذلك الوقت وهي ، التي أنجب منها ابنه الأكبر بطليموس الصبي ، غير أن هذا الزواج لم يستمر ،

وذلك لأنه هجرها ربما بعد تصاعد الخلافات مع أبيها أنتيباتر ، وفضل عليها شقيقته من أبيه ، وكان اسمها بيرينيكي Berenike ، فتزوجها قبل عام ٣١٦ ق.م ، وهى التى أنجبت له ابنته أرسيونوى ، التى ولدت عام ٣١٥ ق.م ، كما أُببت له ولدا ، ولد فى جزيرة كوس فى بحر إيجه عام ٣٠٨ ق.م ، وهو بطليموس فيلادلفوس .

### ١ - قيام الأسرة البطلمية فى مصر :

رأينا كيف أن بطليموس كان آخر الضباط الكبار الذين غادروا بابل لتولى الحكم فى ولايا الامبراطورية المقدونية ، وبعد موافقة المؤتمر على تعيينه « سترابا » على مصر ، تقدم بثلاثة مطالب الى برديكاس المفوض العام على الامبراطورية ا : أولها أن يدفن الاسكندر فى مصر ليكون فى رحاب أبيه آمون رع فى سيوة ، وقد رفض هذا الطلب خوفا من نوايا بطليموس ؛ وثانيها أن يعيد لمصر الآثار والكتب المقدسة التى كان الفرس قد نقلوها الى عاصمتهم ؛ وقد وافق عليها برديكاس على مضض ، وثالثها أن يطالب بنصيب من الأموال التى جمعها الاسكندر من الفتوحات ، ليشرع بها فى تأسيس حكمه فى مصر ، ولم يوافق برديكاس على هذا الطلب ؛ ولذلك كان هناك خوف وكراهية متبادلة بين برديكاس و بطليموس - « ستراپ مصر » منذ البداية . فقد كان كل منهما يشك فى نوايا الآخر ، ويخطط للتخلص منه ، ولذلك سارع برديكاس بكسب كليومينيس النقراطيسى الى جانبه ، والذى كان الاسكندر قد عينه أمينا على خزانة مصر ، فقام بتعيينه نائبا لبطليموس حتى يراقبه ، وكان ذلك فى عام ٣٢٢ ق.م ، وبالطبع لم يعجب ذلك بطليموس .

ووصل بطليموس بن لاجوس الى مصر بعد خمسة شهور من موت الاسكندر وهو ينوى الاستقلال بمصر ، وتأسيس أسرة حاكمة وراثية بها على أمل أن يوحده امبراطورية الاسكندر تحت زعامته ، بعد أن يتخلص من منافسيه واحدا تلو الآخر . كان بطليموس فى ذلك الوقت فى حوالى الرابعة والأربعين من عمره ، وربما أحضر معه من بابل عددا من الضباط والجنود

المقدونيين ، الذين وثق فيهم ، ليساعدوه في حكم بلد غالبية سكانه من الوطنيين ذوى الحضارة العريقة .

منذ البداية كان بطليموس مصمماً على دفن جثمان الاسكندر في مصر ، حتى يلفت انتباه العالم المحب للاسكندر — خاصة في الشرق الأدنى — ؛ وصمم على تنفيذ ذلك بأى وسيلة ؛ فقد كان برديكاس الوصى العام على الامبراطورية قد كلف أحد الضباط المكدونيين باعداد موكب جنازى لجثمان الاسكندر يبدأ من بابل ويتجه نحو شمال الشام وآسيا الصغرى ، ثم يعبر مضيق البسفور والدردنيل الى مقدونيا ، حيث يدفن جثمان الاسكندر في المقبرة الملكية في آيجاي Aegae مسقط رأس فيليب المقدونى ؛ وكان هذا الطريق هو نفس الطريق الذى سلكه الاسكندر وهو ذاهب لفتح الشرق ؛ غير أن بطليموس قبل أن يغادر بابل تفاهم مع الضابط أرهيداىوس ، حتى يغير طريق الموكب فيتجه به الى جنوب الشام بدلا من شمالها ، متتبعا نفس الطريق الذى دخل منه الاسكندر مصر ، وفوجيء شعب مصر بموكب جنازى كبير يدخل بلادهم ، يقرده الساتراب بطليموس في خمشوع ، ويقعه به الى منف ، ليدفن هناك في رحاب بتاح ، الذى كان أول آلهة مصر القديمة التى قدم لها الاسكندر فروض الطاعة والولاء بعد وصوله إليها . وبالطبع كان بطليموس يفضل أن يدفن الاسكندر في مدينة الاسكندر في مصر ، وهى الاسكندرية ، ولكنها كانت تحت الانشاء والتأسيس . ويذكر الكاتب الرحالة باوسانياس Pausanias أن جثمان الاسكندر بقي في منف حتى نقله بطليموس الثانى الى الاسكندرية بعد اربعين عاما ، إذا أصبح من المؤكد أن بطليموس لم ينقل الجثمان الى سيوة ؛ إنما كان ينتوى دفنه في الاسكندرية — مدينة الاسكندر الكبرى ؛ والذى لاشك فيه أنه أصدر أوامره على الفور بالشروع فى بناء ضريح يلينى بالجثمان ؛ ولما كانت عادة المملوك المقدونيين أن يقوم الملك الجديد بالأشراف على مواراة جثمان الملك الراحل التراب ، كنوع من انتقال السلطة من الملك الراحل الى الملك الجديد ؛ فربما كان المقصود من ذلك أن يعلن بطليموس عن عزمه أن يكون هو ، وليس برديكاس ، الذى يجب أن يخلف الاسكندر على العرش ؛ وأن

الاسكندرية وليس « بابل » هي التي يجب أن تكون عاصمة الامبراطورية الجديدة . ويؤكد باومانياس مرة أخرى أن من بين ذنوب بطليموس الثاني التي ارتكبها في مطلع حكمه نقل جثمان الاسكندر من مشواه في منف الى الاسكندرية إذ لم يعرف الأغريق فكرة إعادة الدفن .

ولعل بطليموس وهو يدرك متطلبات تأسيس أسرة جديدة في مصر ، كان يهدف أيضاً الى لفت نظر المصريين إليه ؛ وتلقى شاعرهم الدينية وكسب رضا الكهنة في منف وسيوة ؛ وتحويل بلادهم الى مزار يفد اليه مريدو الاسكندر من كل مكان في العالم الهلينيستي ، ويؤكد ذلك حرصه على أن يتقدم موكب قدومه الى مصر التماثيل المقدسة للآلهة المصرية التي كان الفرس قد نقلوها الى عاصمتهم ، وذلك كرد اعتبار الكهنة والشعب المصري ويؤكد ذلك أيضاً استماعه الى شكوى الكهنة وكبار المزارعين وسائر أفراد الشعب من تصرفات كليومينيس النبطي معهم ، وجشعه في جمع الأموال ، والاستيلاء على خرائن المعابد ، وفرض الضرائب الباهظة ، واحتكار شراء القمح من الفلاحين بثمان نجس ، حيث يقوم هو بتقديره لحسابه بثمان عال . ووجد بطليموس أن مصالحته تلتقي مع مطالب الكهنة والشعب المصري في وجوب التخلص من كليومينيس النبطي ؛ وعلى الفور قدمه للمحاكمة حيث أصدر حكمه باعدامه ، وتنفض الكهنة والشعب الصعداء . وبدأ الكهنة يلتفون حوله كفرعون جديد حتى قبل أن يعلن نفسه رسمياً كملك على مصر عام ٣٠٥ ق.م . فقد كان بطليموس عازماً على تحويل الاسكندر الى رب يعبد من بجانب المصريين والأغريق المستوطنين على السواء ، لأنه باعتراف كهنة منف وسيوة أصبح الاسكندر الأكبر هو الفرعون الجديد ، الذي حلت فيه روح آمون رع ، ومن ثم أصبح في مكانه إقامة تماثيل للأسكندر داخل المعابد المصرية ، وبالتالي يصبح من حق أى مقدوني أو أغريقي مستوطن أن يتردد على المعابد المصرية لأداء طقوس العبادة للأسكندر في صورته الأغريقية ، وهناك أدلة على قيام عبادة رسمية للأسكندر ابن آمون رع ، وتأسيس كهنوت لهذه العبادة ؛ حيث عين أخاه مينالاوس

Minalaous كاهنا أكبر لعبادة الاسكندر ؛ وأصبحت الوثائق الرسمية في مصر فيما بعد تؤرخ بتاريخ تولى كاهن الاسكندر منصبه ؛ وربما كان مقر هذه العبادة الجديدة في أول الأمر في المعبد الجنائري الذي دفن فيه الاسكندر في منف قبل الانتهاء من بناء الضريح « السوما » Soma في الاسكندرية .

ولقد أثار تصرف الساتراب بطليموس في مصر غضب برديكاس ، وبدأ العلماء يندلع بينهما ، ولكن برديكاس كان غارقا في مشاكل الامبراطورية وقمع الثورات في بلاد اليونان ، وربما استغل بطليموس ذلك في بداية توسيع ممتلكاته ، عندما استجاب لطلب التدخل في قورينة ؛ تلك المستوطنة الأغريقية المحاورة لمصر على ساحل ليبيا ؛ فأرسل على الفور قوة احتلت هذه المستوطنة ، وضمها الى ممتلكاته ، وذلك في أواخر عام ٣٢٢ ق.م ؛ فقد كان في حاجة لتأمين ظهر الاسكندرية ومصر ؛ فقد كانت مصر دائما تتعرض لهجوم القبائل الليبية من الغرب منذ أيام الفراعنة ، كما أنه كان في حاجة لنقل بعض المستوطنين الأغريق من قورينة الى مصر لزيادة عدد الجالية الأغريقية التي يعتمد عليها في تأسيس مملكته ، ولقد قدمت قورينة عددا من كبار الأدباء والعلماء الذين هاجزوا الى الاسكندرية فيما بعد ، من أمثال الشاعر كاليماخوس القوريني ، واراتوستين الجغرافي ، وغيرهم ؛ بالإضافة الى عدد كبير من الجنود الذين انضموا الى قوات بطليموس . فقد حرص منذ البداية على تكوين جيش أغريقى قوى ، لأنه كان يدرك أن رفاهه من الورثة لن يتركوه دون محاولة استقاطه . ويؤكد ذلك أن عددا كبيرا من الجنود المستوطنين في الفيوم ومصر الوسطى جاءوا اصلا من قورينه ؛ وعلى أثر ضم قورينة ، عين بطليموس نائبا عنه لحكمها وهو أوفيللاس .

وما أن فرغ برديكاس من مشاكله ، حتى التفت للتخلص من بطليموس

فقد قواته الى مصر في ربيع عام ٣٢١ ق.م ، ولكنه فشل في احتلالها ولقى مصرعه ، ولم يشأ بطليموس أن يحل محله ، ويعلم نفسه مفوضا على الامبراطورية لأنه أدرك أن مصر أهم وأكثر ضمانا من غيرها ؛ فقد كانت بمثابة القلعة الحصينة ، لأنها بلد يسهل الدفاع عنه ، ولها وجود جغرافي محدد ومضمون ، وعلى أثر مصرع برديكاس ضم بطليموس قوات برديكاس الى قواته ، ولقد كان لسقوط شخصية كبيرة مثل برديكاس ، أثره في صراع الورثة ؛ إذ عقدوا اجتماعا في مكان ما في شمال الشام اسمه تريباراديسوس (Triparadisos) (الجنة المثلثة) حيث أعيد تقسيم الامبراطورية في خريف عام ٣٢١ ق.م ، وكان من نصيب بطليموس مصر وقوزينة . وبذلك حصل على اعتراف بأحقية في ضم قوزينة الى مصر رسمياً . وكان ذلك أول خطوة نحو تأسيس الامبراطورية .

### سياسة بطليموس الأول في الشرق الأدنى :

وبينا كان الورثة الآخرون يتصارعون على كرسي الزعامة ، ويتسابقون لحكم مقدونيا ، التي كانت في نظرهم المقر الذي يجب أن يكون للامبراطورية المقدونية التي يحلم بها كل منهم ؛ وخاضوا من أجل ذلك حروبا دامية ، كان بطليموس يلوك أن زعامة الامبراطورية ليس لمقدونيا ، ولكن لمصر مقر جثمان الاسكندر ، فضلا عن أن مصر في عصور فراعنتها كان لها امبراطورية في الشرق الأدنى وبلاد النوبة ، ومن حقه أن يطالب بآثر هذه الامبراطورية ، لأن ذلك قد يحقق رضا المصريين . وكان بطليموس يرى أن امبراطوريته الجديدة هللينستية في المقام الأول ، أي أن توسعها يجب أن يكون شمالا لا جنوبا ، أي في حوض البحر المتوسط وجزره ، لأن ارتباطات مصر السياسية والاقتصادية والحضارية يجب أن تكون مع العالم الهليني في المقام الأول ؛ ولكي يحقق ذلك فلا بد من أن يكون لمصر قوة بحرية كبيرة تسيطر على جزر وسواحل حوض البحر المتوسط الشرقي ؛ ولذلك لم يشأ أن يتوسع جنوبا نحو النوبة ، واكتفى بالحدود التي توقف عندها

الفراعنة عند الشلال الأول . لكنه كان مصراً على استعادة نفوذ مصر في الشام ، خاصة في فلسطين وجنوب سوريا لأسباب دفاعية ، سبق ذكرها عند معالجة اهتمام الفراعنة بجنوب الشام ، وأيضاً لأسباب اقتصادية ، فقد كانت تجارة الشرق الأقصى التي تحمل من الهند الى الخليج ، تنقل برأ عبر الطريق الرأسي الذي أقامه دارا ، والذي كان يخترق صحراء الشام حتى سواحل البحر المتوسط ، حيث منافذ التصدير الى سائر أنحاء العالم الهلينيستي . وكذلك كان الطريق التجاري القادم من ميناء عدن ، والذي يسير بمحاذاة جبال السراة في الحجاز ويتجه شمالاً حتى الشام ومصر ، والذي كان يسمى طريق البخور وكان يسيطر عليه العرب السبئيون ، وينتهي في جنوب الشام ، وكان هذان الطريقان هما اللذان يغذيان العالم الهلينيستي بسلع الشرق الأقصى ، والتي كان الطلب يتزايد عليها في عالم البحر المتوسط ، وبالتالي أدرك بطليموس أنه إذا ما وضع يده على جنوب الشام ، فانه سوف يتحكم في اقتصاد الشرق الأدنى كله ، بل وفي اقتصاد عالم البحر المتوسط ، بالإضافة الى ذلك فان حاجة مصر الماسة الى الأخشاب لصنع الأساطيل الحديثة ، القادرة على حماية الامبراطورية البحرية ، كانت تقتضي السيطرة على هذا الجزء من الشام ، حيث تكثر أشجار الأرز الصالحة لبناء السفن الكبيرة العابرة للبحار ، والتي كانت أخشابها تقاوم ملوحة البحر ، وكان الفراعنة يجلبون هذه الأخشاب من فينيقيا مجاناً أثناء حكمهم لها ، لكنهم فقدوا هذا المصدر مع فقدانهم لحكم الشام ، ولذلك لم يتوقف اهتمام فراعنة مصر منذ سقوط الأسرة الواحدة والعشرين وحتى فتح الفرس الثاني لمصر عن محاولة استعادة جنوب الشام ؛ ولهذا عزم بطليموس على أن يعيد حق مصر التاريخي في هذه المنطقة ، وساعده على ذلك التقارب الحضاري والثقافي الذي كان قد نشأ في هذه المنطقة من الشام عبر عصور التاريخ القديم مع مصر ؛ كما أن ذلك كان يتماشى مع الشكل الجديد للامبراطورية التي يتخيلها ، وهي امبراطورية تضم سواحل حوض البحر المتوسط وتسيطر على الشرق الأدنى ، الى جانب الجزر الهامة في هذا البحر خاصة في حوض بحر ايجة وساحل الأناضول .

ومن أجل تحقيق ذلك ، عزم على الاستيلاء على جزيرة قبرص المتاخمة لساحل الشام ؛ وكان ملوك الأسرة الصاوية قد سبقوه في أهمية امتلاك قبرص منذ عهد أحورسى الثانى ، الذى لقبه الأغريق باسم أماسيس Amasis فى القرن السادس ق.م لأن امتلاكها سوف يحقق له السيادة على سواحل الشام ، وجزر بحر إيجه ، وسواحل آسيا الصغرى ، وبعض المناطق الهامة فى بلاد اليونان ذاتها . فضلاً عن أن سواحل قبرص مهيئة لأن تكون مرافئ طبيعية ، فسواحلها فى الشرق والجنوب تحقق له السيطرة على موانئ الشرق الأدنى ، وتكون قاعدة بحرية لحماية مصر ، وصد العدوان البحرى عنها ؛ وفى نفس الوقت تتمكن سواحلها الشمالية والغربية من التدخل فى شئون جفوب بلاد اليونان إذا اقتضى الأمر ، بالإضافة الى ذلك فقد اشتهرت قبرص بأخشاب الأرز التى يحتاج اليها ، وبمناجم الفضة ذلك المعدن الذى يندر فى مصر والذى كان الفينيقيون ، ثم الأغريق يحتكرون تصديره اليها ، كما كان فى حاجة ماسة لسك عملة جديدة لمصر تفرض نفوذها السياسى فى حوض البحر المتوسط ، وكانت العملة السائدة فى العالم الأغريقى هى التترا دراخما Tetradrachma الفضية ؛ ومصر تملك الذهب الكافى ، ولا تملك الفضة الكافية لسك القدر الكاف من هذه العملة المقبولة فى العالم الهلينى ، صحيح أن البطالمة سكوا عملات ذهبية ، ولكن الذهب كان مطلوباً عند شعوب الشرق الأدنى لتحويل صفقات التجارة معهم ؛ وبقي ذلك محدوداً ؛ ولذلك أقام البطالمة فيما بعد دور سك العملات المصرية الفضية فى قبرص ، التى ظلت تعمل فى هذه الجزيرة حتى استيلاء الرومان عليها . ومن أجل تثبيت محاور هذه الامبراطورية كان بطليموس مستعداً للدخول فى حروب ومغامرات سواء بالحرب أو بالسياسة .

كان ساحل الشام من لبنان حتى غزة جنوباً يحكمه حاكم أغريقى من مواطنى مملكة أمفيبوليس Amphipolis اسمه لأوميدون Laomedon . وذلك طبقاً لقرارات مؤتمر تريباراديسوس Triparadisos عام ٣٢١ ق.م ؛ ولقد حاول بطليموس أن يدفع له مبلغاً كبيراً من المال لتأبى أن يتنازل لبطليموس عن هذه المنطقة ، ولكنه رفض ، فانتزعها منه بالقوة ، ويعتقد المؤرخون



أنه في خلال ذلك الغزو اقتحم بطليموس الأول أورشليم - القدس يوم السبت لأنه كان يعلم أن أغلب سكانها من اليهود الذين يقدسون يوم السبت ، ويرفضون العدل أو الحرب فيه ، وكان ذلك قبل عام ٣١٨ ق.م .

وبعد سقوط برديكاس ، صعد ، مكانه أنتيجونوس ، الذي بسط نفوذه على الولايات الشرقية عام ٣١٦ ق.م ؛ وأطلق على نفسه اسم ملك آسيا ؛ وطرده عامله على بابل وهو سليوقوس ، فهرب لاجئاً عند بطليموس الذي عينه قائداً على أسطوله في البحر المتوسط ، على أمل أن يجهز له قوة تعينه إلى بابل ، وقد احتفظ به بطليموس لأنه كان يعلم أن المعركة القادمة ستكون ضد أنتيجونوس ، وفي عام ٣١٥ ق.م اجتاح أنتيجونوس بحرف سوريا Koile Syria ، واضطر بطليموس إلى الانسحاب من الشام بسرعة ؛ واحتل أنتيجوس مدن الساحل السوري حتى غزة ؛ بينما كان أسطول بطليموس بقيادة سليوقوس يواصل المعارك ضد أنتيجونوس ، وتعرضاً عن انسحابه من الشام ، هاجم بطليموس قبرص ، وأخضع ممالكها كلها ؛ وحولها إلى قاعدة بحرية للعمل ضد أنتيجونوس ، الذي كان يتحكم في الموانئ الفينيقية والساحل السوري. وفي عام ٣١٣ ق.م فقد بطليموس أيضاً قورينة ، ولكنه سرعان ما استعادها . وفي عام ٣١٢ ق.م قاد بطليموس قواته لاستعادة الشام ، وكان أنتيجونوس قد ترك فيها ابنه الشاب ديمتريوس Demetrios ، وقد نجح بطليموس في أن يلحق به هزيمة ساحقة قرب غزة ، وقد لعب سليوقوس دوراً هاماً في إلحاق الهزيمة بديمتريوس ؛ ومكافأة له ، جهزه بطليموس بقوة تمكنها من العودة إلى بابل في أكتوبر عام ٣١٢ ق.م ؛ ففقد أصبح يورخ بتاريخ قيام الامبراطورية السلوقية منذ ذلك اليوم . وللمرة الثانية تقدم بطليموس بقواته ليخضع مدن ساحل الشام لسيطرته ، لكن الأمور لم تستقر له بعد ؛ إذ عاد ديمتريوس لينتقم لهزيمته ، وأوقع هزيمة بالقوات البطلمية في شمال الشام عام ٣١١ ق.م بينما لحق به أبوه أنتيجونوس متجهاً لاحتلال فلسطين ؛ وللمرة الثانية انسحب بطليموس من الشام ، كما ان حاكم قورينة أوفيللاس Ophellas أعلن استقلاله عن بطليموس في نفس العام ؛ وبسبب

سطوة أنتيجونوس، وقوة ولده ديمتريوس، اذعن القادة المقدونيون لمطالب أنتيجونوس الذى عين كاساندر Cassander حاكماً على مقدونيا ؛ ولوسيامخوس حاكماً على تراقيا شمال بحر إيجه ، وأن يبقى بطليموس حاكماً على مصر بشرط ان يتعهد بالانسحاب من جوف سوريا وساحل فينيقيا . وأذعن بطليموس لهذا الطلب، لكنه كان يعتبر ذلك وقتاً ، لأنه كان عازماً على ضم الشام لمصر . وقرر ان ينقل معاركه بعد عام ٣١١ ق . م إلى ساحل آسيا الصغرى ، معتمداً على تعزيز وجوده في قبرص رغم تأمر عملاء أنتيجونوس في قبرص عليه . ولقد ظهرت قواته في عام ٣٠٨ ق . م في بلاد اليونان حيث تمكن من احتلال أهم مدن اليونان مثل ميجارا وكورنثا، وسيكيون Sicyon ، وفى نفس العام نجح فى احتلال جزيرة أندروس كبداية لفرض نفوذه على جزر الكيكلاديس ( الأرخبيل ) فى بحر إيجه ليكمل سيطرته على سواحل البحر المتوسط الشمالية ؛ بل تمكن من تحرير جزيرة ديلوس من نفوذ أثينا لأول مرة منذ ما يقرب من قرنين ؛ وكانت مدينة ذات أهمية دينية وتجارية عند الإغريق ؛ وفى عام ٣٠٨ ق . م نجح ماجاس Magas ابن زوجته من استعادة قورينة حيث عينه بطليموس نائباً عنه لحكمها ، غير أن قوة بطليموس البحرية تلقت ضربة بحرية مؤلمة فى عام ٣٠٦ ق . م قرب قبرص على يد ديمتريوس الذى كسب شهرة بأنه أحسن محاصر للمدن Poliorbetes ، حيث تمكن من طرد أنصار بطليموس من قبرص ، التى وقعت فى يد ديمتريوس ؛ وبذلك فقد بطليموس ساحل الشام وفلسطين وقبرص فى عام ٣٠٦ ق . م لكنه ظل يحتفظ بقورينة وتوابعها . إذ أنه لم يتوقف عن عزمه فى استعادة الشام وقبرص أبدا .

ولقد كان عام ٣٠٦ ق . م نقطة تحول فى تاريخ الامبراطورية المقدونية ، فلقد هلك ابان هذا الصراع فيليب أرهيداومس عام ٣١٧ ق . م على يد أولمبياس والدة الاسكندر ؛ ثم اغتيل الاسكندر بن الاسكندر على يد كاساندر عام ٣١١ ق . م ، وبعده ، سلم أولمبياس لأعدائها ليقتلوا ، ولم يعد هناك خليفة للاسكندر الأكبر ، وكان من الممكن للورثة المتصارعين أن يعلنوا

استفلاهم بولاياتهم عن الامبراطورية المقدونية ، لكنهم كانوا متخوفين من اعلان ذلك رسمياً ، لكن قوة أنتيجونوس المتصاعدة خاصة بعد انتصاره على بطليموس في قبرص بعد معركة سلاميس Salamis عام ٣٠٦ ق.م ، أعطته ثقة لكى يعلن رسمياً تغيير لقبه ليصبح ملكا Basileus . وتذكر الوثائق الديموطيقية أن بطليموس أعلن نفسه ملكا في خريف عام ٣٠٥ ق.م ؛ فمنذ ذلك التاريخ بدأت الوثائق تؤرخ بحكم بطليموس . أما قبل ذلك التاريخ فكانت تؤرخ بحكم الاسكندر ابن الاسكندر حتى بعد مقتله عام ٣١١ ق.م . ولم يعد بطليموس يوصف باسم الستراب ولكن باسم الملك . وظهر ذلك واضحاً على النقود التى سكها . أما بالنسبة للمصريين فقد بايعه الكهنة فرعوناً وكتب اسمه فى الخرطوس الملكى بالهيروغليفية ، ومنح الألقاب الخمسة التى كان الفرعون يحملها ؛ وانهار الكهنة عليه بالألقاب المقدسة كما لو كان فرعوناً منذ موت الاسكندر ، أو أنه ورث مصر نيابة عنه مباشرة ، بل أصبح يؤرخ للأحداث منذ مجيئه الى مصر ، وليس منذ عام ٣٠٥ ق.م . حين أسقطوا اسم « الستراب » ليحل محله اسم الملك Basileus .

كان أنتيجونوس عازماً على خلع بطليموس من ولاية مصر ، فقد قاد قواته لغزو مصر بعد طرد بطليموس من قبرص وساحل الشام ، مرتكباً نفس الخطأ الذى ارتكبه برديكاس من قبل ، إذ جمع قواته فى مدينة أنتيجونيا بشمال الشام (وهى التى أصبحت فيما بعد أنطاكية ) ؛ وتحرك فى أواخر عام ٣٠٦ ق.م صوب غزة ، وقد بالغ ديودوروس فى حجم قواته وسفنه ؛ وعند غزوة استعدت الحملة بالموث اللازمة ، واصطحب معه قافلة من بلدو سيناء بحملهم الحملة بالموث والعتاد وعلف الخيول والأفيال ؛ ولكن الخطأ الذى وقع فيه أنتيجونوس أنه اختار وقتاً كانت فيه مياه الفيضان لا تزال تغطى أراضي الدلتا ، كما أن « النوات » التى تحدث على الشواطئ المصرية فى ذلك الوقت من العام عاقت الأسطول الذى كان يقوده ديمتريوس محاصر المدين ؛

وضخاخ التعاون بين المشاة والبحرية ؛ وعندما وصلوا الى بيلوزيوم وجلبوها  
محصنة ؛ وبعث بطليموس عملاء يعرض على جنود انتيجونوس الرشاوى ،  
والعوود بالأراضي الجيدة على ضفاف النيل ؛ ولما شعر انتيجونوس بذلك  
انسحب خروفاً من مصر مشابه لمصير سلفه برديكاس . وفي نفس الوقت  
لم يستطع ديمتريوس أن يرسو بسفنه ؛ وبسبب « النوات » أيضاً اضطر  
الى الانسحاب ؛ وغادر انتيجونوس وابنه مصر وأعلن بطليموس انتصاره ،  
أما أنتيجونوس ، فقد اتجه لمحاورة جزيرة رودوس ، التي كانت على علاقة  
طيبة ببطليموس ؛ وضرب ديمتريوس الحصار حول الجزيرة ما يقرب من  
العام ونصف العام ٣٠٥ - ٣٠٤ ق.م وفشل في النهاية في اقتحامها ؛ وقد  
تحدث المؤرخون والشعراء كثيراً عن حصار رودوس ، وكأنه حصار  
طروادة . ويرجع الفضل في مقاومة أهل رودوس للحصار الى إمدادات  
بطليموس التي لم تتوقف ، وقد أظهر أهل رودوس اعترافيهم بالجميل لكل  
من ساعدتهم في صدهم للعدوان ، فأرسلوا الى معبد أمون رع في سيوة يستشيرون  
الوحي عما إذا كان في مقدورهم تقديم بطليموس كرب ؛ وقد أجابهم  
الوحي بالموافقة ؛ ولذلك أقاموا تمثالا عملاقا عند الميناء في رودوس لرب  
الشمس « هليوس » الذي هو صورة أغريقية من رع المصري . وبالتالي  
كان ذلك إشارة الى عبادة بطليموس وربما كان أهل رودوس ، هم الذين  
منحوه لقب سوتر Soter أى المنقذ وذلك منذ عام ٣٠٤ ق.م

معركة إيسوس :

وفي خريف عام ٣٠٢ - ٣٠٣ ق.م تكون حلف من كل من كاساندر  
ملك مقدونيا ، ولوسياخوس ملك تراقيا ، وسليوقوس ملك بابل ،  
وبطليموس ملك مصر ، ضد انتيجونوس . وفي ذلك الوقت كان سليوقوس  
في قلب آسيا يحاول إعادة فتح الأقاليم الآسيوية حتى الهند ، للحصول على  
فيلة ، مثل التي كان يستخدمها انتيجونوس في حروبه . وعلى أثر قيام  
التحالف ضد انتيجونوس ، اندفع سليوقوس غربا ليقام خلفائه دعماً من  
القوات والفيلة المدربة . وكان بطليموس حريصاً في تعامله مع هذا التحالف ،  
فكل ما كان يهيمه هو استعادة جنوب الشام ، فانتزح فرصة انشغال خلفائه بأمر

المعركة ؛ وللمرة الثالثة اندفع بقراته لاستعادة الشام ؛ غير أن شائعة سمعت الشرق ان انتيجونوس قد سحق أعداءه في معركة فاصلة ؛ وأنه في طريقه الى الشام ، جعلت بطليموس للمرة الثالثة يسرع بالانسحاب خروفا من جيوش انتيجونوس وولده ديمتريوس ، أما الحقيقة ، فقد كانت أن الحلفاء الآخرين سحقوا جيوش انتيجونوس في سهل ابسوس في صيف عام ٣٠١ ق.م ، حيث لقي انتيجونوس مصرعه ، وفر ابنه هاربا . وقد شعر المنتصرون بخيانة بطليموس وتقماعه عن مساعدتهم ؛ ولذلك عندما عقدوا اجتماعا لتوزيع تركة انتيجونوس عليهم في موقع المعركة ، قرروا حرمان بطليموس من الوعد الذي قطعوه على أنفسهم قبل المعركة . وضم الشام بكاملها الى ممتلكات سلوقوس ملك الشرق الأدنى وآسيا ، بينما رفض بطليموس هذا القرار وتمسك بالقرار السابق على المعركة ؛ وقد أدى ذلك الى قيام نزاع سياسي بين أسرة سلوقوس وأسرة بطليموس حول أحقية كل منهم في المطالبة بحجوف سوريا وفلسطين . وتسبب ذلك في حروب طويلة بينهم حول جنوب الشام ، عرفت في التاريخ باسم الحروب السورية، وأعاد ذلك الى الأذهان الصراع القديم الذي كان يدور بين ملوك الفراعنة ، وملوك بابل وآشور حول الشام ، مع تغير الأدوار في الشرق الأدنى ، اذ حل السلوقيون محل الآشوريين والبابليين ؛ وحل البطالمة محل الفراعنة ؛ وعلى أثر صدور قرار حرمان بطليموس من جنوب الشام ، قام بطليموس للمرة الرابعة باحتلال جنوب الشام والساحل السوري ، وعندما تقدم سلوقوس لاحتلال جنوب الشام ، وجد قوات بطليموس وقد تحصنت في مواقعها ، ولم يشأ سلوقوس أن يرفع السلاح في وجه بطليموس ، لأنه كان يتذكر الجميل الذي كان بطليموس يطوق به عنقه ؛ عندما ساعده وهو لاجئ هارب من انتيجونوس . وجهزه بالقوات اللازمة التي أعادته الى ولايته في بابل عام ٣١٢ ق.م ؛ ولذلك قرر أن يؤجل تنفيذ قرار الحلفاء في ابسوس ، لينظر في تنفيذه فيما بعد . وكان هذا هو أساس الصراع الدائم بين الأسرتين ، والذي لم يتوقف الا بعد أن ضم الرومان الشام على يد يرمي عام ٦٢ ق.م أى بعدما يقرب

من قرنين وأربعين عاما ، وبفضل استعادة جنوب الشام والساحل الفينيقي ،  
أمكن لبطليموس أن يستعيد قبرص عام ٢٩٤ - ٢٩٥ ق.م .

### المصاهرات السياسية بعد ابسوس :

ولقد كانت معركة ابسوس عام ٣٠١ ق.م نقطة تحول في تاريخ العالم  
الهليستى ؛ فقد أنهت بشكل رسمى وضع الامبراطورية المقدونية التى تحولت  
الى ممالك ؛ كما أصبح قطبى الصراع هما سليوقوس وبطليموس ؛ وبدأ  
الورثة الباقون ، والجيل الثانى من أبناء الورثة فى الانضمام الى أحد المعسكرين ،  
فمثلا انحاز ديمتريوس بن أنتيجونوس الى ساليه قوس أملا فى مساعدته  
للجلوس على عرش مقدونيا ، ودعم سليوقوس هذا التحالف بزواجه من  
ستراتونيكي Stratonike ابنة ديمتريوس ؛ بينما قام لوسياخوس بالتحالف  
مع بطليموس ، ودعم هذا التحالف بالزواج من أرسينوى Arsinoe ابنة  
بطليموس من زوجته بيرنيكي وشقيقة ولي العهد بطليموس الثانى . وذلك  
١٠ بين عام ٣٠٠ و ٢٩٨ ق.م ؛ كما قام كاساندر ملك مقدونيا بالتحالف  
مع بطليموس ، وزوج ابنته لوساندر Lysandra من ابن كاساندر الأكبر  
وولى عهده ، وكان اسمه الاسكندر ؛ كما قام بطليموس بدعم علاقته مع  
بيرهوس Pyrrhos ملك ابيروس المجاورة لمقدونيا وزوجه من ابنة  
زوجته برنيكي من زواج سابق . وكان اسمها أنتيجوني Antigone وذلك  
ما بين ٢٩٨ - ٢٩٥ ق.م ، وزوج شقيقتها وكان اسمها ثيوكسينا Theoxena  
من أبجاثوكليس ملك سيراكوزة فى صقلية وذلك حوالى عام ٣٠٠ ق.م ؛  
أى أن عالم مابعد ابسوس كان عالم المصاهرات السياسية . وخلال ذلك  
نجح بطليموس فى تطهير الشام من الجيوب الباقية ، التى كان ديمتريوس  
قد تركها فى بعض مدن الشام وكذلك فى قبرص . بعدها بدأت نفس بطليموس  
فقد حصل على كل ما يريد فأصبحت امبراطوريته تشمل الى بجانب مصر  
كل جنوب الشام ، وساحل فينقيا وفلسطين ، وكذلك قورينة وقبرص .  
وخلال عام ٢٨٧ ق.م نجح الأسطول المصرى فى فرض نفوذ بطليموس  
على حوض بحر ايجة ، وجزر الكيكلاديس ، التى كان نواتها جزيرة  
ديلوس المقدسة ، التى بدأت تكسب شهرة كسوق دولية للرقيق . وكانت

مقدونيا تعتبر هذه الجزر تابعة لها . مما سيؤدي الى قيام العداء بين مملكة مقدونيا ومملكة البطالمة ؛ كما أقام بطليموس علاقة خاصة مع مدينة ميليتوس Miletus المطلة على الساحل جنوب الأناضول ؛ لتكون قاعدة بحرية تمكنه من فرض نفوذه على حوض بحر ايجه وسواحل الشام . وبذلك اكتملت ملامح الامبراطورية كما أرادها مؤسسها .

وأخيرا شعر بطليموس في عام ٢٨٥ ق.م أنه قد بلغ من العمر عتيا ؛ إذ كان في الثانية والثمانين من عمره ؛ بعد حياة مليئة بالكفاح والحروب والمغامرات والموامرات ؛ ورأى أن الوقت قد حان لتسليم زمام الامبراطورية لولي عهده الذي اختاره وهو ابنه من زوجته بيرينيكى ؛ الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم بطليموس فيلادلفوس ؛ وفي مطلع عام ٢٨٤ ق.م أعلن رسميا نتويجه ملكا في مدينة الاسكندرية التي كان بناؤها قد اكتمل ؛ والتي نقل إليها مقر الحكم رسميا ؛ وفي عام ٢٨٢ ق.م مات بطليموس سوتر وتولى بطليموس فيلادلفوس .

### تنظيمات بطليموس الأول للإدارة في مصر :

منذ الفتح المقدوني لم تعد مصر كما كانت — عبر آلاف السنين — بلدا يتكون من نسيج قومي واحد ، بل أصبحت بلدا يتكون من قوميتين وحضارتين مختلفتين ؛ الغلبة والسيادة للقومية الغازية المستوطنة بحق الفتح ؛ وهم المقدونيون وفي ركبهم الأغريق من كافة أنحاء العالم الأغريق ؛ أما القومية المغلوبة فهم المصريون ، والذين لقبهم المستوطنون باسم قاطنو الوادي Enchorioi ؛ فقد فتح بطليموس أبواب مصر على مصر اعيان للمهاجرين ، بل كان من أهم دعائم سياسته تشجيع الهجرة والاستيطان إلى مصر ، لكي يخلق طبقة مقدونية أغريقية يعتمد عليها في حكم البلاد ؛ كما كان في حاجة الى تكوين جيش مقاتل من بقايا جيوش الاسكندر ، ومن الأغريق المرتزقة المدربين على نخوض المعارك ، بحيث يكون ولاء الجيش له ، وعلى هذا ( م ٩ — مصر والشرق الادنى في العصر الهلينستي )

الجيش يقوم العرش البطلمي :. الأغريقى يقاتل ويملك ويحكم ؛ والمصرى يزرع ويدفع ويطيع .

ولم يشأ بطليموس أن يهجر المصريين الوطنيين من بعض مناطق مصر ، ليحل محلهم مهاجرون مقدونيون وأغريق على طريقة الآشوريين فى الشام ؛ بل آثر أن يتركهم وشأنهم يفلحون ويزرعون ؛ وكان يدرك أنهم شعب فخور بماضيه التليد ؛ وبفراغتته الخالدين ؛ الذين تركوا لهم آثارا خالدة كان السائحون يأتون من كل فج عميق لمشاهدتها ؛ والتفرج عليها ؛ بل كان المصريون يشعرون بينهم وبين أنفسهم بالاستعلاء على الأغريق عنصر وحضارة ؛ ولهذا آثر بطليموس أن يكون ملكا على شعبين مختلفين ؛ فهو بالنسبة للمصريين فرعون ، وخدام الآلهة والمعابد المصرية ؛ وبالنسبة للأغريق هو ملك وخليفة لالاسكندر ؛ وحامى حما الحضارة الأغريقية والمدافع عنها . ففى الحقيقة لم يكن هناك مبدأ أو عقيدة تحرك بطليموس سوتر سوى تأسيس أسرة حاكمة فى بيته .

لم يشأ بطليموس أيضاً أن يحدث أى تغيير جذرى فى نظام الحكم وأجهزته عند المصريين ، لأنه نظام ضارب فى القدم ، وزاد رسوخا على مرور الزمن ، ولأنه كان الأنسب والأصلح . فقد أبقى على التقسيم الإدارى لمصر كما كان أيام الفرعنة مع وضع تغيير بسيط تطلبته الظروف الجديدة . ولهذا أبقى بطليموس الإدارة المحلية فى أيدي المصريين ؛ ولما كانت مصر مقسمة منذ قديم الزمان الى حوالى اثنين وأربعين مقاطعة وهى بالمصرية القديمة حسبىو Hesept ، فقد أبقى على هذا التقسيم لكنه غير الاسم الى Nomoi أى أقاليم ؛ كما قسم كل اقليم الى عدد من المراکز Topoi ، وكل مركز كان مقسما الى عدد من القرى Komai ؛ كما اعترف بامتيازات وحقوق الكهنة المصريين ، ووضع مهمة جمع الضرائب فى أيدي المصريين فى الأقاليم ؛

وفى أيام الفرعنة كان يحكم كل مقاطعة حاكم ؛ وبالتالى أبقى التقسيم الجديد على هذا المنصب فأصبح يعرف باسم النومارخوس ؛ كما أصبح يحكم



كل مركز الطوبارخوس Toparchos ، أى حاكم المركز ؛ وكل مافعله بطليموس هو ادخال تعديل بسيط ، هو أنه جعل بجانب النومارخوس مساعدا ماليا من الأغريق ؛ وكذلك بالنسبة « الطوبارخوس » ، وكلاهما خاضع لاشراف القصر الملكي ، وللأدارة المركزية في مدينة الاسكندرية . وبالتالي نجح بطليموس في خلق إدارة فعالة ، ومنظمة ، ومقننة ، ومركزية فرضت النظام ، وقد ركز بطليموس في يده السيادة الخارجية ، والعسكرية وإدارة الاقتصاد بطريقة تشبه مافعله محمد على باشا في مصر ، أما الادارة في الأقاليم ، فقد تركها للموظفين من الأغريق المهاجرين ؛ وترك السواد الأعظم من المصريين الوطنيين للعمل في الأرض والأنتاج لصالح الدولة التي أقامت نظاما احتكاريًا اشتراكيًا "State Socialism" يتحكم فيه الملك وحدة بصافته المالك لمصر وما فيها وما عليها بحق النتح أو حق السيف . هذا بالنسبة للريف المصرى ، الذى سماه الأغريق الخورا Chora ، وعرفوا سكانه باسم سكان الخورا Enchorioi . وكانت حدود الخورا تبدأ من خارج الاسكندرية وحتى حدود مصر جنوب الوادى .

### تعمير إقليم الفيوم لتوطين الجنود المرتزقة فيه :

ولكى يشجع بطليموس نظام الاستيطان العسكرى الأغريق والمقدونيون في مصر ، قام بتوزيع أراضى جيدة عليهم يزرعونها ويتعيشون من دخلها حتى يمكن استدعائهم للقتال في أى وقت ، بدلًا من دفع رواتب مالية ، وبدلًا من مغامرة الاحتفاظ بالجنود المتفرغين في معسكرات مما قد يدفعهم الملل في المعسكرات في أوقات السلام الى القيام بأعمال الشعب ، أو الثورة على السلطة . وبذلك انتشر الأغريق في كافة أنحاء الوادى ، ولكن نلاحظ أن أكثرهم كان يتركز في عواصم الأقاليم المصرية .

ويدخل في عملية الاستيطان العسكرى مشروع تعمير واحة الفيوم ، لتوفير أكبر مساحة من الأراضى لهؤلاء الجنود ؛ وبذلك يخلق مقدونيا جديده في هذه المنطقة . وكان منخفض الفيوم يتحول الى بحيرة كبيرة

تمتلىء بالماسيح عقب كل فيضان ، مكوّناً بحيرة قارون التى شاهدها هيرودوت وسماها بحيرة مو - ايريس Moeris ، وكلمة « مو » فى المصرية القديمة تعنى المنياء ، مما يشرح وضع المنخفض ؛ وكان فراعنة الدولة الوسطى قد شرعوا فى مشروع تجفيف المنخفض ، وبناء سد لحفظ مياه الفيضان ، ولكن المشروع أهمل . وكانت الفيوم ترتبط بطريق برى مع منف ، وكذلك بقناة مائية فقد كانت منتجات الفيوم تصدر إلى الاسكندرية عن طريق ميناء منف ( أثر النبي ) ؛ وكانت ترتبط معها أيضاً بطريق قافل وتدل أوراق البردى على أن كوس التصدير والبحمارك عن ميناء منف كانت تدفع عند نقاط مخارج الفيوم ، وأن أغلب الذين استوطنوا هذا الأقليم كانوا من جنود قورينة وجاءوا إليه عبر الصحراء الغربية .

#### تأسيس مدينة بطلمية فى الصعيد Ptolemais Hermiou

وعلى طريقة الاسكندر أيضاً ، قام بطليموس ببناء مدينة إغريقية فى صعيد مصر لتوطين الجنود المسرحين من المقدونيين ، بالقرب من أبيدوس القديمة فى إقليم طيبة Thebaid . وسماها بطلمية على اسمه ؛ ومكانها الآن المنشأة محافضة سوهاج بالقرب من مركز البلينا ؛ وطبقاً للتقاليد الإغريقية ترك المستوطنين الحق فى وضع قوانينهم وحكم أنفسهم ذاتياً ، وربما أدرك بطليموس أنه لا توجد فى مصر سوى مدينتين إغريقيين هما الاسكندرية ونقراطيس ؛ وهذا لا يتناسب مع الأعداد الغفيرة من المهاجرين الإغريق إلى مصر ؛ إذ لم يكن فى الصعيد أى مدينة إغريقية على الإطلاق ؛ ومن ثم ، فقد أقام هذه المدينة لكى تشع الحضارة الإغريقية فى قلب الصعيد مركز القومية المصرية ، ومصدر الثورات ضد الغزاة والأجانب . ولقد نجحت هذه المدينة وأصبحت تعد ثالث المدن الإغريقية فى مصر بعد الاسكندرية ونقراطيس ؛ حتى أن استرابون الجغرافى ساواها فى أهميتها بمنف ؛ بل أنها فاقت نقراطيس وأصبحت تلى الاسكندرية فى الأهمية . وقد دلت النقوش التى عثر عليها فى خرائبها على وجود مجلس شورى بها ، وعدد من المعابد أقيمت لعبادة بطليموس الأول كموثس لها .

#### تنشيط التجارة وسك أول عملة لمصر :

اهتم بطليموس بدعم وتوطيد تجارة مصر مع الشام وعالم البحر المتوسط ؛

خاصة أن المنتجات المصرية مثل القمح ، وورق البردى ، والكتان ، والزجاج كانت سلعاً رائجة في الخارج ؛ كما أنه أراد لمدينة الاسكندرية أن تلعب دورها التجاري كنقطة الالتقاء لطرق التجارة الدولية ؛ ووجد بطليموس أنه لا يستطيع تنشيط التجارة داخلياً وخارجياً إلا عن طريق سلك عملة قوية تتماشى مع نفوذ مصر السياسي ، ولقد كان المصريون قبل الفتح المقدوني يفضلون نظام المقايضة أو التعامل بقطع المعادن مثل الذهب والفضة على أنها بديل للنقود ؛ بل تداولوا الدراخما الإغريقية الفضية على أنها قطع من الفضة وليس لأنها عملة ، ولم يكن لمصر عملة رسمية ، وهذا يعيق حركة النشاط التجاري ؛ ولهذا قام بطليموس بسلك عملة لمملكته مستغلاً رصيد الذهب والفضة الموجود لدى المعابد ، وعن طريق صهر عملات المدن الإغريقية المتداولة في مصر سكّت عملة بطلمية هي التترادراخما من الفضة على غرار عملات المدن الإغريقية والفنيقية رغم ندرة الفضة في مصر بالنسبة إلى الذهب . فقبل الفتح المقدوني كانت نسبة الذهب إلى الفضة هي ضعف القيمة ، وعلى أثر دخول الاسكندر مصر ، أراد أن يدمج مصر إقتصادياً مع عالم البحر المتوسط ، فطبق السعر السائد فيه ، وبالتالي أصبحت نسبة الذهب إلى الفضة عشرة أمثال على غرار النظام الأثيني ؛ ولما ضم بطليموس الأول إليه المدن الفينيقية التي كانت تتعامل بالفضة وتفضل الذهب ، اضطر بطليموس إلى إجراء تخفيض في قيمة الفضة بالنسبة للذهب ، فأصبح الذهب ثلاث عشرة مرة من قيمة الفضة ، لتتماشى مع النظام الفينيقي المطبق في الشرق الأدنى ؛ ولذلك أصبحت عملة مصر الفضية تسلك من دور سلك النقود في صور ، وصيدا ، ومن يافا وعكا ، حيث تكثر الفضة ، ويلاحظ أنه كلما بقيت الشام في أيدي البطالمة فإن وزن التترادراخما البطلمية الفضية ظل ثابتاً ونقياً . وبعد فقدان الشام بعد عام ٢٠٠ انخفض وزن التترا دراخما الفضية ؛ وزادت نسبة الرصاص فيها ؛ ولهذا انتقلت دار سلك النقود الفضية إلى قبرص . وظلت تسلك العملات الفضية للبطالمة حتى بعد إستيلاء الرومان عليها في القرن الأول ق. م .

كانت التترادراخما البطلمية في البداية تحمل اسم الملكين المقدونيين ، وبعد إختفائهما ، استبدلت بعملة تحمل رأس الاسكندر وهو يضع على رأسه جلد الأسد ، وعلى ظهر العملة وضعت صورة زيوس - آمون وتحت أقدامه النسرين الطائر المقدس عند الرب الإغريق . . وبعد عام ٣٠٥ ق. م. ، استبدلت هذه العملة بعملة جديدة تحمل صورة بطليموس وهو يرتدى الأكليل الملكي وتحته ظهر اسمه « بطليموس ملكاً » . وعلى ظهرها ظهرت صورة النسرين الذى يمسك بقاذف الصواعق Thunderbolt ، وهو رمز لقوة زيوس . وقتئذ انتشرت هذه العملة في حوض البحر المتوسط والشرق الأدنى . أما بالنسبة للتعامل الداخلى فقد سلك عملة برونزية كبيرة لأن نسبة البرونز للذهب كانت ١ : ٤٨٠ عند المصريين ، وعلى وجهها ظهرت صورة بطليموس يرتدى الأكليل ، أما على الظهر فقد ظهرت صورة لنسرين البطلمية .

#### سياسة بطليموس الأول الدينية :

والى جانب احترامه لديانة المصريين ، فكر بطليموس في مشروع دينيين ، أولها : تأليه الاسكندر ، الذى كان يلقي الاحترام والعبادة من المصريين ، الذين سمحوا بوضع صورته كأبن آمون في معابدهم ، ولهذا فكر في خلق شعائر وكهنوت من أجل عبادة الاسكندر ، وكذلك فكر في وضع أسس ديانة مقبولة للمصريين وللأغريق على السواء ، تربط الشعبين روحانيا من أجل السلام والتعايش السلمى . وكان المشروع الأول سهلا وممكنا ، وهدف بطليموس منه اعطاء مدينة الاسكندرية عاصمة مملكته مهابة دينية لأنها تحوى ضريح الاسكندر الأكبر مؤسس الامبراطورية المقدونية . ولهذا بنى ضريحاً هو « السوما » وسمى الشارع الرئيسى في الاسكندرية باسم شارع السوما ( النبي دانيال ) ، وأعلن بطليموس عيداً قومياً لتأسيس مدينة الاسكندرية وهو الخامس والعشرين من شهر طوبة (الموافق ٢٠ يناير عام ٣٣١ ق.م) حيث تقام الاحتفالات والمآدب والمهرجانات ؛ أما أساس عبادة الاسكندر فهي تقوم على أساس عبادة البطل ، الذى عاد الى آباءه الآلهة بعد موته ، ومن انعكاس لعبادة وتقديس الموتى عند الأغريق من ناحية ، ومن ناحية أخرى عرفت الديانة المصرية عبادة الفرعون الذى يقدم نفسه قرباناً لافتداء شعبه ، ودرء الخطر عنه ؛ ولهذا

وصف الاسكندر بأنه الروح المباركة Agathodaemon والروح الخيرة Agatho-tyche التي كانت تصور في شكل حية . وأغلب الظن أنها خصائص دينية مترجمة عن المصرية كان يوصف بها الفراعنة بعد موتهم .

لقد وجد بطليموس أن المعابد المصرية وطبقة الكهنة تسيطر على ما يقرب من ثلث مساحة الأراضي المزروعة ، فضلاً عن الثروات الأخرى ، وكانت كلمة المعبد مسموعة ، وحكم الكهنة لا ينقض ، وأوامرهم قوانين ، ولهذا كان بطليموس حريصاً على التعامل بحذر مع الكهنة ، في نفس الوقت ، سعى إلى فرض سيطرة الدولة على المعابد ، فقد أعاد لها ما نهبه الفرس من آثار وكتب مقدسة ، وحرص على تجميل طيبة (الأقصر) عندما كان سترابا ، فبنى في الكرنك مقصورة لفيليب ارهيدايرس . وهو يتعبد إلى جحوتي أو « تحوت » رب المعرفة ، وأقام في بهو الأعمدة تمثالا للاسكندر بن زوكسانا ، وصور نفسه على إحدى البرابات وهو يتعبد أمام موت ربة السماء ، وزوجة آمون والدة خونسو ، وكان هذا هو ثالث طيبة . كما ظهرت معه زوجته وهي تعزف الهارب ، وبناته وهن يدقون الطبول لطرد الأرواح الشريرة ، بينما كان هز السستروم Sistrum المقدس ، كل هذا تم بالشكل المصري ومن أجل تملق الكهنة ومشاعر المصريين الدينية ، كما حرص على حضور الاحتفالات الدينية مثل عيد « سيد » ( عيد التتويج ) ، ورسم المعابد الشهيرة في صعيد مصر وفي الدلتا ، والتي كانت تعرضت للنهب أو الدمار .. ووصف بطليموس نفسه بأنه محبوب آمون ، وحمل الألقاب الملكية الخمسة ، التي كان يتلقب بها الفراعنة ، وأمر بوضع اسمه في « خرطوش » على طريقة الفراعنة ، لأنه حرص على ممارسة حقوقه كاملة كفرعون مصر .

### قيام عبادة سيرايس :

وبالرغم من هذا كله ، حرص بطليموس على ابتكار عبادة جديدة تلقى الاعتراف من الوطنيين المصريين ومن الأغريق على الدوام ، فقد كان يترك أن الديانة تلعب دوراً هاماً في حياة الشعب المصري ، الذي هو شعب زراعي ، تتمحور فيه التقوى والزرع ، ويخضع خضوعاً مطلقاً للمعبد وللكهنة . وأراد بطليموس أن يستغل هذه الظاهرة لدعم حكمه وربط هذه

الديانة الجديدة بالعرش ؛ ومن ناحية أخرى كان يدرك مدى حاجة الناس إلى عقيدة جديدة تعيد إليهم الأطمئنان الذي افتقدوه ، وتريحهم من القلق الذي كانوا يعانون منه ، وأخذ الأغريق يتطلعون إلى الشرق الأدنى بحثاً عن الخلاص الروحي ويبدو أن عبادة محلية كانت تقوم في منف حول معبد بتاح وهي عبادة أوزوريس في شكل أبيس العجل ، أو عبادة العجل في شكل أوزوريس الرب ، ولكنها كانت محدودة ، غير أن بطليموس أدرك أن أوزوريس هو الرب المحبوب عند المصريين ، لأنه يرتبط بالفيضان والزراعة ، وكذلك بالعالم الآخر وبالبعث ، فضلاً عن ذلك هو زوج ايزيس البهية ، التي ترمز إلى الأرض الطيبة ، وهو والد حورس الذي يحمي الملوك ويرعاهم . وكانت العبادات الكبرى في مصر قد أهملت في عصور التدهور التي سادت منذ القرن الثاني عشر ق.م ، واستبدلت الأرباب الكبرى بالآلهة الصغرى المحلية ، التي كان معظمها في شكل الحيوانات المقدسة ، عندئذ أدرك بطليموس لماذا لا يتزعم حركة بعث عبادة أوزوريس وايزيس و حورس في شكل جديد ، وبصورة وملامح أغريقية تناسب الوضع الجديد ؟ فثلاً لما إذا لا يضمن على هذا الثالث صورة إنسانية رقيقة جميلة بدلاً من الصورة التي كان الفراعنة يصورون بها هذه الآلهة ؟ فجمع بين صورة زيوس وهاديس الأغريقين ، وبين صورة أوزوريس وآمون المصريين في ملامح واحدة ؛ الفكرة اللاتينية مصرية ، والتنفيذ الفني أغريقي ، ويخلق منهما رباً مشتركاً اشتق اسمه من أوزوريس أبيس العجل المقدس ؛ ليتحول إلى سيرابيس الرب ، الذي ظل يثبت وجوده ، حتى نهاية حكم الرومان ودخول المسيحية ؛ بل انتشرت عبادته خارج مصر في حوض بحر إيجة وإيطاليا وصقلية . ومع سيرابيس ظهرت ايزيس الهلينية في الزى الأغريقي ؛ جالسة على العرش ترضع طفلها حورس ؛ الذي أصبح اسمه بعد التأغرق هربوقراطيس Harpocrates . ولم يمانع الأغريق في ذلك ، لأن الديانة الأغريقية تدين في أصولها للديانة المصرية والشرقية ، فضلاً على أن الامتزاج والتسامح بين الديانات Syncretism كان الطابع السائد في العصر الهلينيستي . فقد امتزج رب الزراعة والخمر الأغريقي ديونيسوس Dionysus بأوزوريس رب الزراعة

في مصر ، وامتزج أوزوريس في نفس الوقت مع الرب هيفايستون الأغرقي لأنها  
يشرفان معاً على العالم السفلي ، ويحكمان بين الأموات كما امتزج هيفايستون مع بتاح  
منف ، وتساوت افرووديت ، به الجبال الأغريقية بهاتور المصرية وبأيزيس أيضاً ؛  
وتساوت نايت ربة العدل المصرية مع اثينا الأغريقية . . . الخ . وهكذا ظهر  
الثالوث السكندري الهلينيستي ، بصورة جذابة لشعوب البحر المتوسط  
المتأخرقة ، أكثر مما هي جذابة للمصريين انفسهم . وأصبحت الاسكندرية  
هي مقر الثالوث الجديد ، حيث أن ايزيس وأوزوريس كانا يعبدان في  
الاسكندرية عندما كانت قرية صغيرة تسمى راقودة ، قبل أن يحولها  
الاسكندر إلى مدينة الاسكندرية .

ويروى بلوتارخوس وثاكيثوس المؤرخان ، أن بطليموس رأى طيفاً  
في منامه يأمره باحضار تمثال من مدينة سينوبي Sinope على البحر الأسود ،  
ونصح الفيلسوف تيموثيوس Timotheus الملك باحضار تمثال هاديس  
رب العالم الأسفل من معبده هناك إلى الاسكندرية ، وبعد مفاوضات طويلة  
مع أهل هذه المدينة ، أمكن احضار هذا التمثال . وقد أشاع الأغرقي أن  
الاله سار بنفسه من المعبد إلى القارب الذي حمله إلى الاسكندرية . غير أن هذه  
القصة تبدو مختلفة ، فقد كانت تلال صحراء سقارة تسمى سينوبيون Sinopion  
وبالتالي أرادوا تأسيس هذا الاسم عن طريق ابتكار رواية لاجداد وتشابه بين  
هذه التلال ومدينة سينوبي الأغريقية ، كما أن هاديس الأغرقي كن هو  
المنظر لسوكر رب الموتى في سقارة — جبانة منف — والتي أخذت اسمها  
الحالي من إسمه .

من الواضح أن سيرابيس اسم مركب من أوزوريس وآبيس Osiris-Apis ،  
وآبيس هو العجل المقدس الذي يموت بهنجد مع الآله أوزوريس . وتجسيد  
حابي رب النيل ، فقد كان العجل يسمى في حياة حابي — أوزير ، وبعد  
موته يصبح أوزير — حابي Osirapi الذي كان يعبد في سقارة قبل فتح الاسكندر  
وكانت منف ( ميت رهينة ) هي مركز عبادته ؛ خاصة أن العالم الفرسي  
مارييت كشف في سقارة ( جبانة مميس ) عن مقبرة كبرى للعجول المقدسة  
أطلق عليها اسم السيرابيوم Serapeum . كما أنه عثر على بقايا السيرابيوم  
الكبير في منطقة كوم الشقافة بالاسكندرية (راكوتيس القديمة) وهي كوم الشقافة

الحالية ) - الذى يتشابه فى دهاليزه المظلمة مع سيرايوم سقارة ، وفوق هذا التل أيضاً بنيت مجموعة من المحاريب والمعابد لسيرايبس والثالث السكندرى ، يحيط بها الأعمدة الرخامية الجميلة فى شكل مربع ، ويصعد المتعبد الى قمة التل المقدس عن طريق درجات من السلام ، التى يقارب عددها المائة ، وفى جنب السيرايوم كان يوجد تمثال كبير لهذا الاله ، وقد دمرت معظم هذه التماثيل على يامى المسيحيين عام ٣٩١ ميلادية انتقاماً من الوثنيين ، بعد أن فرض الامبراطور ثيودوسيوس الكثير المسيحية كديانة رسمية ولم يبق فوق التل سوى بقايا قليلة من القرايين والتماثيل ، التى نقلها البطالمة من المعابد المصرية ، ليزينوا بها هذا المعبد الذى أصبح المعبد المركزى الذى تتبعه سلسلة من المعابد الصغيرة التى انتشرت على طول الوادى .

غير أن العمورة الثنية لهذا الاله الجديد ، كانت أغريقية وليست على طريقة الرسم المصرى . فلاحقه ولحيته الكثنة تذكرونا بصورة زيوس الأغريق وكان يعلو رأسه القلج Modius أو السلة المقدسة Calathos ، وتسلط يده بالصرلجان رمز القوة ، وحينما قرن الأخصباب Cornucopia ، وعند قدميه يجلس الكلب الأسطورى كيريروس Cerberos ذو الثلاثة رؤوس . كرمز لسيادة سيرايبس ونفوذه على العالم الأسفل تماماً مثل أوزوريس المصرى أما ايزيس الهلينستية زوجته فقد صورت جالسة على العرش ، ترضع ولياءها هاربوكراتيس وبذلك تكون الثلاث السكندرى Triad الذى غزت عبادته أقطار البحر المتوسط خاصة بلاد اليونان وإيطاليا ، ووصلت إلى بريطانيا فى العصر الرومانى .

### تحويل الاسكندرية إلى عاصمة عالمية للحضارة الهلينستية :

كذلك حرص بطليموس على أحداث نهضة فكرية وفنية وعلمية فى مدينة الإسكندرية ، لتجمع بين عرش التجارة والثقافة فى عالم البحر المتوسط ، وكعادة الملوك القانونيين القاء ، فتح أبواب انقصر الملكى أمام الأدباء والفلاسة ، خاصة أن مجد أثينا الثقافى كان قد بدأ يذبل ويتوارى خلال فترة الصراع بين الورثة ، وبسط بطليموس الذهب أمام هؤلاء العلماء .



والفكرين ، واعدا أياهم بحياة كلها رغد . لقد بدأت الادارة الذكية لمصر  
توثق ثمارها في أواخر عهد بطليموس الأول ، ففاد زاد دخل الدولة وتراكت  
الأموال في الخزانة في القصر الملكي ، فتدفق على الاسكندرية العلماء في كل  
فرع من فروع المعرفة أمام المغريات المادية ، فهاجر إلى الاسكندرية كبار  
الرسامين من أمثال انتينيلس وأبيللس ، وهاجر إليها عالم الرياضيات  
يوقليد Euclid الذي عرف عند العرب باسم إقليدس . وكذلك  
ايراتوستين ، وهيروفيلوس Herophilos الطبيب المشهور ، وتيود وروس  
الفيلسوف ، وزينودوتوس عالم اللغة ، وهيبارخوس أعظم علماء  
الفلك ، وأرشيميديس عالم الطبيعة ووضع نظرية الكتلة والكثافة ،  
وغيرهم الكثير ، وشجع بطليموس قيام التشامخ والمناظرات بين العلماء .  
فقد كان يوقليد من أعظم علماء الرياضيات ، الذين خلّوا مبادئ علم  
الرياضيات ، كما كان هيروفيلوس أول جراح دعا إلى وضع علم التشريح  
وتبيان وظائف المخ والجهاز العصبي من أجل التشخيص السليم للأمراض ،  
وبالتالي وضع العلاج السليم بدلا من طريقة الأدماء التي كان يتبعها الأطباء  
الأغريق ، وقد أغرى بطليموس هؤلاء العلماء بتسجيل اتصالهم بنظرائهم  
المصريين ، وتطوير ما وصلوا إليه في الفلك ، والرياضة ، والطب بصورة  
أغريقية ، والعلماء عادة يبحثون عن الثراء ومصادر المعرفة . وبطليموس  
كان يملك الاثنين معا في مصر ، ولكي يفاخر بعراقة مصر ، شجع أحد  
الكهنة المصريين لوضع تاريخ للأسرات التي حكمت مصر حتى عهد  
الاسكندر ، ونجح مانيتون Manethon السمنودي في كتابة تاريخ مصر باللغة  
الاغريقية ، سماه « التاريخ المصري » Aegyptiaca الذي فقد ، لكن تبقت  
بعض أجزائه تناقلها الكتاب الاغريق : وهذا التقييم لازلنا نستعين به في تاريخ  
مصر القديمة ونشير على منزلته حتى الآن ، إذ قدم الأسرات إلى ثلاثين أسرة  
حكمت مصر منذ ميناء حتى تختانبو الثاني .

وبتزايد عدد العلماء والفنانين ، والفلاسفة في الاسكندرية قرر بطليموس  
بناء أكاديمية لهم ، فعهد بذلك المشروع إلى ديمتريوس الفاليريوس حاكم  
أثينا ، الذي كان قد هاجر إلى مصر بعد طرده من منصبه ، وكان ديمتريوس

فيلسوفاً إدارياً وأديباً وخطيباً . وبالفعل نفذ الفاليريوس مشروع بناء أكاديمية أو جامعة أطلق عليها اسم الموسيون Mouseion ، أى بيت ربات الفنون والآداب التوسع ، وجعله كالجنتية محاطاً بالحدائق ، وله أبنية فخمة ، ذات حجرات وأهمية لراحة العلماء الوافدين ، وكانت المعيشة فى الموسيون جماعية ومجانبة للأساتذة والطلاب ، حيث يتباحثون ويتناظرون ويتأملون ويكتبون فى هدوء تام . وكان للموسيون رئيس فخرى سمي « بكاهن بيت ربات الفنون » . وقد حدد برتشيا Breccia مكانه فى المنطقة الواقعة بين شارع شريف وسيزوستريس والنبي دانيال بالاسكندرية الحالية .

وتلى ذلك التفكير فى بناء مكتبة كانت تقع بين الحى الملكى والموسيون ، جلب لها الكتب والمخطوطات النادرة من كل مكان ، خاصة من أثينا وغيرها من مدن بلاد اليونان ، وقد حرص خلفاء بطليموس على مضاعفة أعداد الكتب والمخطوطات ، سواء بالشراء أو بالنسخ ، بل أصدر البطالمة قراراً بأن يحفظ كل قادم الى الاسكندرية الكتاب الذى يحمله ، مقابل الحصول على صورة منسوخة منه . وفى عصر فيلادلفوس ، أشرف الشاعر الشهير كاليماخوس على إدارة وتنظيم المكتبة . وفيما بعد أنشئت مكتبة صغرى مكملية للمكتبة الكبرى ، وكان سبب شهرة مكتبة الاسكندرية أنها كانت أول مكتبة عامة تمتلكها الدولة بخلاف المكتبات الأخرى التى كانت خاصة بالأفراد فى العالم القديم ؛ وكان بها ١٢٨ ألف مجلد ؛ ويقول Beck أن بطليموس جعل نواتها الكتب الموجودة فى المعابد المصرية ؛ كما قاموا بترجمة الكتب الخمسة الأولى للتوراة التى عرفت بالترجمة السبعينية Septuagint هكذا بلد بطليموس الاموال ببذخ وسخاء من أجل جعل عاصمته المركز الأول للاشعاع الحضارى فى الشرق الهلينيستى ، لدرجة أن البعض يسمي هذه الفترة بالعصر السكندري ، كما سبق أن ذكرنا ، وبذلك نجح بطليموس الأول فى جمع السيادة الاقتصادية بالنفوذ السياسى والتفوق الأدبى والثقافى .

٢ - بطليموس الثانى ( فيلادلفوس ) ٢٤٦ - ٢٨٥ ق. م :

سياسته الداخلية :

عندما جلس على عرش مصر ، كان بطليموس الثانى فى الخامسة والعشرين

من عمره ، ووجد أباه قد قام بالشطر الأكبر من الكفاح من أجل وضع أساس الامبراطورية ، ولذلك كان أكثر حظاً من أبيه ؛ بالإضافة الى ذلك فقد نال قسطاً وافراً من التعليم والتثقيف الراقى ، جعلته يفضل استخدام الدبلوماسية وسلاح الاقتصاد على الحروب ، كما أنه نشأ محباً للترف والتعظيم وحياة الفسور الرغدة ولقد تزوج بطليموس الثانى فى عام ٢٨٩-٢٨٨ ق.م من أرسينوى Arsinoe الأولى ابنة أنتيباتر ؛ وأنجب منها ولدين وبنتاً ، أكبرهم هو بطليموس الثالث ( فيما بعد ) ؛ أما الابنة فكانت تدعى بيرينيكى Syra Berenike غير أن هذا الزواج لم يستمر طويلاً ؛ فقد وصلت الى الاسكندرية شقيقته الكبرى أرسينوى ( الثانية ) هاربة ولاجئة ؛ فقد كانت متزوجة من لوسيا خوس ، الذى أنجب منها ابناً ، ووهبها بضعة ممتلكات فى بحر ايجه ؛ وبعد مقتله تزوجت من أخيها من أبيها بطليموس الصاعقة ؛ الذى أساء معاملتها ، وقتل أولادها ، فهربت الى مصر واستقبلها أخوها ؛ وأنزلها فى القصر الملكى ؛ ولكنها ظلمت تدبر المكائيد ضده زوجته أرسينوى الأولى ؛ حتى اتهمها بطليموس بأنها تدبر مؤامرة ضده ؛ فذفأها الى قفط بالصعيد عام ٢٧٩ ق.م ، وبعد سنوات قليلة أعلن زواجه من أخته أرسينوى الثانية على طريقة الفراعنة ؛ وقد مارست عليه نفوذاً كبيراً ، حتى أنه لقب باسم فيلادلفوس أى المحب لأخته . وبزواجه من أخته ضم الى الامبراطورية ممتلكاتها فى بحر ايجه التى كان زوجها الأول لوسيا خوس قد وهبها لها . ولقد بدأ بطليموس الثانى فيلادلفوس عهده بتنشيط الحياة الاجتماعية والثقافية فى مدينة الاسكندرية ، فاحتفل بعيد جلوسه على العرش ( عيد الباسيليا ) فى مهرجان كبير ، دعا إليه وفرداً من كافة أنحاء العالم الهلنستى . مما جعل الاسكندرية حديث العالم ؛ وقد وصف الأديب آثيناىوس Athenaeus هذا المهرجان الذى أقيم فى الاسكندرية عام ٢٧٨ واستعرض فيه خيرات الامبراطورية . ويعتبر عصر فيلادلفوس أغنى عصور البطالة ؛ فعلى يديه بلغت الاسكندرية أوج عظمتها ورونقها فقد أشرف على بناء فنار الاسكندرية المهندس ستراتوس بن ديكسياس الذى أقامه على جزيره تناخم جزيره فاروس من الجانب الشرقى بجوار قلعة قايتباى ؛ كما حرص على دعم مكتبة

الاسكندرانية بالخطوط النادرة ، ففاد. كان هو نفسه ولوعا بدراسة الجغرافيا والتاريخ الطبيعي ، ومن أجل ذلك أنشأ حديقة حيوانات كبرى ، جمع فيها غرائب الطيور والحوانات والنباتات من كافة أنحاء الإمبراطورية ، كما ازدهرت دار الفنون بمشاهير الشعراء والعلماء الذين جلبهم للعيش في الاسكندرانية ، وكانوا يقومون بتعليم الأمراء ، ويعقدون الندوات ؛ ويقال أن عددهم بلغ مائة مائة من مكر وعالم وفيلسوف ، أولهم زينودوتوس أول من نشر الألبانده والأودسا ، ثم أبولونيوس شاعر الملاحم ، وآخرهم هو أريستارخوس من جزيرة ساموس الذي قام بنشر وتحقيق كل الأشعار الأغريقية من هوميروس حتى بندار .

ولقد سار فيلادلفوس على سياسة والده في تنظيم وبناء جهاز الدولة الإداري والاقتصادي والمالي ؛ ووضع القوانين واللوائح الخاصة بالضرائب . كما اهتم بتوسيع نطاق التجارة واحتكار تجارة العاج ؛ واستخدام الاقتصاد كسلاح من أسلحة الحرب ضد منافسيه ؛ ولذلك ثبت قواعد النقد ، وطبق قواعد احتكار الدولة للمصادر الطبيعية ؛ بل أنه كان أول من حاول إقامة علاقات تجارية مع الرومان . ومن أجل ذلك عمل على تنشيط الزراعة وأكمل مشروع تعبير الفيوم مما زاد من الانتاج الزراعي القابل للتصدير خاصة القمح وورق البردي ، والتوابل والعطور والأقمشة الكتانية والثوم والبصل والتبيل وكان الاقتصاد يشرف عليه أمين الخزانة Dioketes الشهير أبو الونيوس ، صاحب الضيعة الكبرى في الفيوم ؛ والتي كان يديرها نيابة عنه وكيل أعماله زينون Zenon . ومن أجل تنشيط التجارة الداخلية ، أمن الطرق البرية والنيلية بإنشاء قوة الحراسة ؛ ولم يتردد في انزال العقاب بالخالقين للقانون ؛ فصاغر ممتلكاتهم ، وضمها تحت إشراف مسئول خاص عرف باسم كاتب الحسابات الخاصة Idios Logos .

سياسة بطليموس الثاني في الشرق الأدنى :

١ - الحرب السورية الأولى : ٢٧٦ - ٢٧٢ ق. م :

من الواضح أن شقيقته ، وزوجته أرسينوى الثانية لعبت دوراً كبيراً في توجيه سياسته الخارجية ؛ فكثيراً ما كانت الوفود الأجنبية تتصل بها وتتشاور معها ، وكانت سياسته الخارجية هي نفس سياسة أبيه ؛ وهو التسلط

بجنوب الشام ، وفينيقيا وفلسطين شرقاً ، وقبرص وبعض ما من آسيا الصغرى  
و-جزر بحر ايجة شمالاً ، وبرقة غرباً . و من أجل الاحتفاظ بجنوب الشام  
وفينيقيا ، دخل في حربين مع الملوك السليوقيين أولهما وهى التى تعرف  
بالحرب السورية الأولى ضد الملك المليوق أنطيوخوس الأول ، وقام انما لت  
هذه الحرب فى ربيع عام ٢٧٦ ق.م عندما اجتاحت بطليموس الثانى الشام ،  
ونعلم ذلك من نقش مسامى بابلى ، ولا نعرف تفاصيل هذه الحرب إلا من  
خلال معلومات متفرقة ، فالمؤرخ الأغريقى باوسانياس يذكر أن هجوم بطليموس  
على مواقع المليونيين فى الشام كان من أجل الدفاع عن مصر ذاتها ، لأن  
أنطيوخوس الأول كان ينوى الهجوم عليها ، وتؤكد لوحة بيتوم Pithom  
زيارة بطليموس الثانى الى مدينة هيرونوبوليس Heroonopolis  
( تل المسخوطة على خليج السويس ) فى مطلع عام ٢٧٣ ق.م. لتنفذ  
الاستحكامات الدفاعية ، وهناك نقش بالهيروغليفية موجود فى متحف  
الوفر به ألقاب مشابهة للألقاب التى كانت تمنح للأمرأة أيام كانوا يقومون  
بغزواتهم السنوية للشام أقامه كهنة سايس ؛ وهناك أيضاً قصيدة صاغها  
الشاعر الرعوى ثيوكريتوس Theocritus يكيل فيها المديح لبطليموس الثانى .  
وتوضح لوحة سايس أن بطليموس فرض الجزية على مدن آسيا ، وطاراد  
بأوها وفنك بهم ؛ وأن أعداءه عثا نظموا لمواجهة ما لا يعد ولا يحصى  
من السفن الحربية والخيول والعربات «أكثرهما فى حوزة أمراء بلاد العرب  
وفينيقيا » . وأنه احتفى بنصره ، وأن تاج مصر تثبت فوق رأسه ، وماقاله  
كهنة سايس لا يختلف عما نظمه الشاعر ثيوكريتوس فى الاشادة بعظمة مملكة  
بطليموس فيلادلفوس فى مصر ومنها قوله : « لقد اقتطع لنفسه أجزاء من  
فينيقيا وبلاد العرب وليبيا ، ومن بلاد الأثوريين السود<sup>(١)</sup> بينما يعلن النقش  
المسامى أن الجيش البابلى دحر الجيش البطلمى فى الشام ؛ وربما فى ذلك اشارة  
لاستعادة أنطيوخوس المدينة دمشق من القائد البطلمى ديون ، « لكن الذى  
لاشك فيه ، أن قبضة بطليموس على ساحل فينيقيا كانت قد استحكمت ،  
وسنجاهه يعين واحداً من أتباعه من الفينيقيين يدعى فيلوكليس Philocles ملكا  
على صيدا ، فقد كانت صيدا قد أصبحت المدينة الكبرى فى ساحل فينيقيا

(1) Theocritus, Idyl. xvii, 86-92.

بعد انكماش صور ، ومن ثم فقد خضعت لصيدا التي تظهر كـ مدينة مستقلة في عام ٢٧٤-٢٧٣ ق.م. وهذا يعني وجود تغيير في سياسة البطالمة نحو فينيقيا خلال الحرب السورية الأولى ، بينما تظهر طرابلس الشرق كـ مدينة بطلمية في أعرام ٢٥٨ - ٢٥٧ ق.م . وبالإضافة الى ذلك نفهم من قصيدة ثيوكر يتوس أن الأسطول المصري قد نجح في إخضاع بعض سواحل الأناضول في كيليكيا ، وبامفيليا ، وليكيا ، وكاريا ؛ في الوقت الذي كانت فيه جيوش انطيوخوس الأول تهبط من أعالي الشام ؛ كما تظهر السيادة البطلمية على جزر الأرخبيل ، والتي كانت من ممتلكات زوجته ، التي ورثتها عن زوجها لوسيمخوس ، بالإضافة إلى ذلك ضم إليها جزيرة ساموس . كما كانت مدينة ميليتوس خاضعة له قبل اندلاع الحرب السورية الأولى ، وأيضاً كانت كريت تحت نفوذ بطليموس المطلق ، بينما نجح انطيوخوس الأول في تخريض حاكم برقة ماجاس على الثورة والانفصال بها ، وتعيين نفسه ملكاً مستقلاً ؛ بل صاهر ماجاس التأثير انطيوخوس الأول عندما تزوج من ابنته أباما من زوجته الفارسية ، التي كانت تحمل نفس الاسم . وأخيراً نجد انطيوخوس و بطليموس يعقدان هدنة عام ٢٧٢-٢٧١ ق.م ، كانت لصالح بطليموس ، وربما أضطر أنطيوخوس إلى ذلك بسبب انتشار وباء الطاعون في بابل في ذلك الوقت ؛ ويظهر تأثير ارسينوى في هذه السياسة من خلال النقرش التكريمية ، التي أقيمت لها في عدة جزر ومناطق من بحر ايجة وآسيا الصغرى وبلاد اليونان ، ومن خلال ألقاب التشريف التي أنهالت عليها وعلى زوجها . وفي مصر كتب اسمها في خرطوش مثل حتشبسوت ، وظهرت صورتها على النقود مع زوجها حيث عبدت معه كـ ربين آخرين Theoi adelphoi ، وبعد وفاتها عام ٢٦٩ رفعت إلى درجة « الربة » التي رحلت إلى السماء حيث عالم الآلهة .

**حرب خرمونيديس :**

ويقول أحد النقوش أن بطليموس فيلادلفوس سار على طريق سياسة أخته عندما دخل في تحالف مع بعض مدن اليونان العريقة بزعامة أثينا واسبرطة ضد الوجود المقدوني في بلاد اليونان ؛ وكان أنتيجونوس جوناتاس بن ديمتريوس محاصر المدن قـد أسس أسرة آل أنتيجونوس في مقدونيا وبلاد اليونان ؛ وبلدت حركة التمرد ضد مقدونيا في نهاية عام ٢٦٦ ق.م ، وقد بنى الأغريق آمالاً كبيرة على معونة الأسطول المصري الذي كان يسيطر في ذلك

الوقت على حوض بحر ايجة؛ وقاد الثورة على مقدونيا أثينى يدعى خرمونيديس Chremonides ، غير أن الأسطول المصرى لم يستطع أن يفعل شيئاً مؤثراً . فى الحرب ؛ ونجح أنتيجونوس فى استعادة مقدونيا من الاسكندر ملك ابيروس ، الذى كان قد هاجمها ؛ ثم سحق ابيروس ذاتها وتقدم نحو أثينا فاستسلمت عام ٢٦١ ق.م ، وسقط ملك اسبرطة قتيلا وهو يحاول نجدة أثينا ؛ أما خرمونيديس . فقد فر لاجئا الى مصر . وهكذا ظهر تأثير غياب ارسينوى على الحركة حيث ظهر عجز وعدم كفاءة قادة بطليموس فيلادلفوس . وقد شهد العام الذى تلى حرب خرمونيديس صراعاً بين مصر ومقدونيا حول السيادة على بحر ايجة ، ويبدو أن مقدونيا حققت نصراً ، غير أن الاسطول البطلمي نجح فى استعادة ممتلكاته فى جزر الأرخبيل اليونانى قبل موت بطليموس الثانى .

### إنذلاع الحرب السورية الثانية :

منذ انتهاء الحرب السورية الأولى ، عصفبت الأحداث الداخلية بالأمرة السليوقية مما عطلها عن اتخاذ أى خطوة فى البحر المتوسط ؛ كما أن أنطيوخوس الأول سقط قتيلا فى معاركه مع يومينيس ملك برجامون وخلفه على العرش ابنه أنطيوخوس الثانى الملقب بالرب Theos . ولقد شعر أنطيوخوس الثانى أنه يستطيع أن ينتقم من بطليموس الثانى ، ويسترد ما فقدته فى الشام . خلال الحرب السورية الأولى ، وبالفعل اندلعت الحرب السورية الثانية التى لا نعرف تاريخ بدايتها ولا نعرف الكثير عن تطور معاركها . ويقول جبروم Jerome أن أنطيوخوس حارب بكافة قواته فى بابل والشرق . ومن الواضح أنه رغم ذلك لم ينجح فى انتزاع جوف سوريا من مصر ؛ بل ربما لم يضع قائمه فى هذه المنطقة المتنازع عليها ، واتسع نطاق المعارك بين الجانبين ليشمل مدن وجزر بحر ايجة ، وفقدت مصر أفيسوس Ephesos 'والتي أصبحت المقر الصيفى للملك أسرة سليوقوس منذ عهد الملك أنطيوخوس الثانى ، ولقد شهدت هذه الحرب تحالفا بين أنتيجونوس ملك مقدونيا ( م ١٠ - مصر والشرق الأدنى فى العصر الهلنستى )

وأنطيوخوس ، وقا، دعم ذلك التحالف بالمصاهرة بينهما ، ويباؤ أن ما كسبه بطليموس الثاني في الحرب السورية الأولى بخسرة في الحرب السورية الثانية .

وفي النهاية عقد بطليموس الثاني وأنطيوخوس الثاني هدنة ، وذلك في نهاية عام ٢٥٢ ق. م ، والتي اعتبرت في الاسكندرية نصراً للنشاط الدبلوماسي البطليموسي ، ولتوثيق ذلك الاتفاق تزوج أنطيوخوس من ابنة بطليموس من زوجته الأولى وشقيقة ولي عهده ؛ وكان اسمها برنيكى . وكان أنطيوخوس الثاني متزوجاً من قبل من لاو ديكى Laodike والتي أنجبت له ولدين ، وقرر أنطيوخوس أن يرسل زوجته الأولى إلى إحدى مدن آسيا الصغرى الرئيسية ، وهى ماينة اينيسرس ؛ بينما تبقى زوجته الجليادة . ابنة بطليموس في القصر الملكي بالعاصمة انطاكية . ولقد اصطحب بطليموس ابنته حتى ييلوزيوم على حدود مصر ؛ وبالتالي فقد فسر ذلك على أن ممتلكات مصر في جنوب الشام وفينيقيا ذهبت كمهر ( دوطه ) للعروس تدفعه إلى عريسها ، جرياً على عادة الزواج عند الإغريق . وبالتالي فقد أصبحت ييلوزوم ( تل الزمرا ) هى الحد الرسمى بين مصر والشام ، ولكن ثبت ان ذلك الراى غير صحيح ؛ فقد عثر في ارشيف زينون على خطاب كتبه المشرف على بيت ابرالونيوس - وزير مالية بطليموس - من فينيقيا في ربيع عام ٢٥١ ق. م ، يذكر فيه ان ابرالونيوس على وشك من الوصول إلى صيدا ومعه الموكب « لاصطحاب الملكة إلى الحدود » ، والتي كانت لا تزال عند شمال سوريا الحالية او -جوف سوريا Koile Syria ، ويروى ان بطليموس أرسل إلى ابنته تمويناً مستمراً من مياه النيل من أجل تطوير الزراعة ، وعندنا حملت برينيكي ولداً من زوجها أنطيوخوس الثاني ، اعتبر بطليموس أن تولى هذا الوليد العرش يوماً ما كملك على الشرق الأدنى سيزيد من نفوذ مصر فيه ؛ لكنه لم يعيش ليرى ماذا حل بهذا الوليد على يد زوجته أبيه .

### سياسة بطليموس الثاني في فلسطين وشرق الأردن :

كانت فلسطين بسكانها العرب المتأخرين واليهود المتطرفين جزءاً من



إمبراطورية البطالمة في الشرق الأدنى ، وكان لها أهمية اقتصادية هامة ، فقد كشفت أوراق زينون مدى حجم التعامل التجاري بين البلمانيين في ذلك الوقت ؛ فقد كانت فلسطين تمتد مصر بزييت الزيتون ، والخيول العربية ، والأغنام والرقيق والنخضة . كما أن أسماء المدن في فلسطين اتخذت أسماء بطلمية بجلاء ، فسمع عن مدينة فيلوتيرا عند الطرف الجنوبي لبحيرة طبرية ؛ كذلك نسمع عن مدينة أخرى تسمى أرسينوى على حدود فلسطين مع لبنان ، ويذكر اسطفان البيزنطى أن مدينة ثالثة كانت تحمل نفس الاسم ، وأخرى تحمل اسم برنيكى في الشام ؛ لكن المركز الرئيسى للنفوذ البطلمى في فلسطين كان في مابنة عكا ، التى كانت تسمى في العصر البطلمى بطلمية Ptolemais ، وظلت تحتفظ بألك الاسم حتى العصر الرومانى ؛ وكانت الدولة اليهودية تشمل أورشليم وما حو لها ، وكانت شديدة الارتباط بالبطالمة ، فقد كانت تدفع الجزية لمصر . كما ألفت برديات زينون بعض الأمراء على أسلوب الحكم البطلمى في شرق الأردن ، والذي كان يسمى في ذلك الوقت أرض عمون Ammon وبالإغريقية Ammonitis ، ونعرف أن عاصمة الأردن كانت تسمى في العهد القديم « رباط عمون » Rabbath Ammon ، لكن في العصر البطلمى أعيد تسميتها تخليداً للملكة أرسينوى فأصبحت تسمى فيلادلفيا Philadelphia ، ويتردد في أوراق البردى من العصر البطلمى اسم أحد الشيوخ المحليين ويدعى طوبياس Tubias ( بالعربية طوبيا ) وكان يعمل كرئيس لفرقة فرسان في خدمة البطالمة . ويبدو أن مثل هؤلاء الفرسان قد منحوا إقطاعيات زراعية Kleroi في أرض عمون على نفس النظام الذى طبقه البطالمة في مصر ، وأيضاً في إحدى أوراق البردى الخاصة بعملة عمل ، تظهر أسماء بعض أسماء المستوطنين العسكريين في الأردن ، فنجد اثنين منهم يصفان نفسيهما بأنهما فرسان السلالة ، وآخر يصف نفسه بأنه مقاتل . ومن الجدير بالذكر أن المكان الذى حرر فيه ذلك العقد هو برته عمان ، Birtu Ammonitis وكلمة « برته » تعنى بالآرامية « القلعة » . ومن لهجة خطاب موجه من الشيخ

طوبيا إلى الملك بطليموس الثاني ، نجد الكلام مباشراً ، وخالياً من عبارات التزلف والتفاني مما يدل على منزلة طوبيا الرفيعة عند بطليموس . ففي هذه الرسالة يخطر طوبيا صديقه الملك بأنه قد أهواه بعض الخيول ، والبغال ، والحمير ، والجمال ، والكلاب ؛ ربما لتعرض في حديقة الحيوان بالاسكندرية . هكذا يتضح أن بطليموس قد عهد لكبير أسرة محلية تقيم في أرض عمون بشرق الأردن أن تتولى حكم الإقليم نيابة عنه ؛ وظلت هذه الأسرة قائمة حتى القرن الثاني قبل الميلاد في عهد أنطيوخوس ابيفانيس حيث لعبت دوراً مؤثراً في الأحداث المحلية . وبما أن اسم طوبيا يتردد في التوراة ، فهذا يعني أن هذه الأسرة الآرامية قد تزوجت مع اليهود ، وأصبحت نصف يهودية بحكم المصاهرة . ولقد كان الشيخ طوبيا يتاجر في الرقيق ؛ فقد كانت سوريا وفلسطين تمتد البيوت الكبرى الإغريقية في مصر بالحواري . ففي إحدى الوثائق البردية نجده يبيع لزينون فتاة من الرقيق تدعى صفراحيتيس Saphragitis ؛ وفي رسالة أخرى يرسل طوبيا إلى أبولونيوس وزير مالية بطليموس الثاني أحد الخصبان وأربعة فتيان من الرقيق « ذوى عيون سوداء » .

### بطليموس الثاني وشبه الجزيرة العربية :

كشفت النقوش اللحيانية والثمودية عن اهتمام بطليموس بالجزيرة العربية ، خاصة سواحلها الغربية ؛ ولقد كانت صحراء مصر الشرقية امتداداً من ناحية المناخ والظروف الحيوانية والطبيعية والسكانية لصحراء الجزيرة العربية ، حتى أن هيرودوت في القرن الخامس أطاق على صحراء مصر الشرقية اسم بلاد العرب . ولقد أدرك بطليموس الثاني بحسه الاقتصادي مدى أهمية الجزيرة العربية ؛ أو ربما ورث هذا الإحساس عن الاسكندر الأكبر ؛ ومن ثم أراد أن يكمل ما كان ينوي الاسكندر القيام به قبل موته ، إذ كان بطليموس الأول مشغولاً بمعاركه مع الورثة في تأمين الشام الجنوبية وفيقيقا ؛ كما أن ميله لنشر نفوذه في آسيا الصغرى ، وجزر بحر إيجه

شغلته عن الاهتمام بالجزيرة العربية. ومن ثم، نجد بطلينمونس فيلادلفوس في العام السادس من حكمه يقوم بتطهير القناة القديمة التي كانت تربط فرع النيل الشرقي وخليج السويس.

وكما سبق أن ذكرنا ، كانت الجزيرة العربية قبل العصر الهلنستي ، وقبل ظهور وجمع النقوش اللحيانية والثمودية وترجمتها مجالا للتخمين من جانب المؤرخين ، ولكن الآن بفضل مقارنة الكتابات العلامية الإغريقية من العصر الهلنستي بما جاء في النقوش العربية القديمة يمكن استخراج معلومات مفيدة تلي الأضواء على تاريخ جزيرة العرب في العصور القديمة. ولقد كان لجزيرة العرب أهمية اقتصادية كوسيط لنقل تجارة الشرق الأقصى وشرق أفريقيا، وبما تصله جنوب الجزيرة من بخور وذيب إلى عالم البحر المتوسط ، وذلك بفضل طريق البخور الشهير الذي يسير محاذياً لجبال السراة ، بادئاً من ميناء عدن عبر سبأ ، ومعين ، ومتجهاً شمالاً مختاراً مكة والطائف ، ثم يتجه شمالاً إلى يثرب ومنها إلى ديدان ( العلا ) والحجر Hegra ( مدائن صالح ) ؛ ويستمر الطريق شمالاً حتى يصل إلى مدينة البتراء في بلاد الأنباط ؛ كما تخرج منه تفرعة إلى تيماء ، ثم يستمر الطريق الرئيسي حتى دمشق وصور . ولقد كان هذا الطريق سبباً في تصارع القوى الكبرى في الشرق الأدنى للسيطرة عليه ، إذ لم يكن أقل أهمية عن الشام من ناحية الأهمية التجارية ؛ فمن النقوش نعرف أن تجلات بيلاسر الثالث فرض الجزية على واحة تيماء في الحجاز ؛ ونعرف أن سرجون تسلم من قبيلة ثمود الكبرى في الحجاز الجزية ؛ ونعرف أن نابونيدس آخر ملوك بابل استولى على تيماء وأقام بها ؛ وقام بتعميرها بالمباني ، كما أنشأ فيها معبداً لرب القمر « سن » . وبالمثل نجد قورش الأكبر قبل أن يفتح بابل يرسل حملة للاستيلاء على تيماء وطرده البابليين منها . ويقول دارا في نقش بهستون أنه كان يتسلم ما قيمته ألف تالنت من البخور من العرب ( ويقصداً عرب شمال غرب الجزيرة ) ؛ ومن ثم ، كان القصد من إرسال دارا للحملة للاستيلاء على تيماء ، هو الاستيلاء والسيطرة على طريق البخور ؛ ولما كان التحكم في شمال طريق البخور

يعنى التمتعكم فى جنوبه ؛ فقد كان الغزاة الذين يحملون تيام وشمال غرب الجزيرة يتسلمون الجزيرة من سبأ فى الجنوب دون إرسال قوات لفتحها ؛ إذ يكفى الاستيلاء على طريق تجارتها الشمالى ، وقد فعل ذلك سرجون وسنخريب . وبالتالى ، فإن دارا بسط نفوذه على سبأ الجنوبية دون أن يغزوها . وخلاصة القول ، لم يجروا أحد على إرسال حملة لاختراق الجزيرة العربية من أجل الاستيلاء على سبأ فى الجنوب قبل حملة الرومان الفاشلة ؛ فليس لدينا أى دليل على قيام أحد بمثل هذه المغامرة مهما كانت قوته لا سنخريب ولا سرجون ، ولا قورش ولا دارا . وعندما غزا الاسكندر الشرق الأدنى من شمال الجزيرة ؛ فلم تخرج مدنها لتحية الاسكندر ، وتقديم الهدايا ؛ وربما لأن النفوذ الفارسى كان قوياً فيها ؛ ولم يكن لدى الاسكندر الوقت الكاف لفتح شمال غرب الجزيرة ؛ لأنه كان يعلم أن إسقاط الامبراطورية الفارسية يعنى سقوط هذه المناطق فى حوزته ؛ ولهذا اعتزم استكشاف شبه الجزيرة لمعاينة السبثيين فى الشمال والجنوب . ولما لم يتمكن أحد من الذين خلفوه من فتح شمال الجزيرة فقد بقى التأثير الفارسى قوياً فيها .

ولذا كانت مصر هى القوة الكبرى التى نافست بابل وآشور فى السيطرة على الشرق الأدنى ، فلا بد أنها هى الأخرى حاولت بسط نفوذها على شمال غرب الجزيرة والدواحل العربية المواجهة للسواحل المصرية ؛ فقد كان المصريون فى حاجة ماسة إلى البخور لإقامة الشعائر فى المعابد ؛ وكذلك إلى الأعشاب الطبية التى يتطلبها التحنيط ، وصناعة العقاقير ؛ وهناك إشارة إلى العثور على نقش يحمل اسم « بت اوزير » على أحد أحجار تيام ؛ ومن ثم ، فإن مغامرات الفراعنة فى الدولة الحديثة لا بد وأنها حاولت السيطرة على المنافذ الشمالية لطريق البخور ؛ ولما كانت سياسة البطالمة هى إحياء نفوذ الفراعنة فى الشرق الأدنى كقوة ، ومن أجل السيطرة على البخور والعطور والتوابل ، التى كانت تجارتها رائجة ، فرمى فكر بطليموس الثانى فى تنفيذ مشروع الاسكندر للاستيلاء على الجزء الشمالى من طريق البخور .

ولقد عثر فى مدينة هيرو وبوليس Herconopolis . (بيثوم) عند خليج

السويس ، والتي منها كان يبدأ طريق حورس الحربي الشهير ؛ على لوحة بها نقش بالهيروغليفية يذكر ان بطليموس الثاني في العام السادس من حكمه « بعد ان طهر القناة التي كانت تربط بين النيل والبحر الأحمر ، وسار إلى مكان يدعى تشيت او تيشي Tshyt ، وإلى مكان في الجنوب بعيد اسمه بارست Parstet ( بلاد الفرس ) ، وجد هناك تماثيل آلهة مصرية فأعادها لمصر . ولقد دار جدل بين العلماء لتحديد هذين المكانين المذكورين ، فأقترح بعضهم أنه يقصد مكاناً ما كان يقع عند الخليج العربي ، ولكن لم يثبت ذلك على الإطلاق لأن منطقة الخليج العربي كانت قلب الاهتمام السلوقي ومركز نشاطه . وبما أن النقش يذكر ، أنه سار جنوباً فلا بد . وأن هدفه كان مكاناً ما في الجزيرة العربية . أما تفسير كلمة الفرس ، فربما أنه قصد جيباً صغيراً كان لا يزال في حوزة الفرس في الحجاز ، وبالتالي جعل ذلك كاتب النقش يصف الحملة بأنها ضد الفرس ؛ فقد كان الفرس قديماً قد استولوا على ثيما ، وعلى الطرف الشمالي لقطيف البخور ، « تشيت » أو « تيشي » ، ولذلك يقترح تارن أن المقصود باسم تشيت أو تيشي هو مدينة « معان مصران » - المستوطنة التي أقامها المديونيون على طريق البخور في الشمال ؛ وهي التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم ديدان أو دادان ؛ خاصة أن النقش يقول أن بطليموس قد توغل مسافة كبيرة جنوب هيرونوبوليس ، ومن ثم يرى تارن أن حملة بطليموس على الحجاز تمت في عام ٢٧٧ ق . م ؛ لأن الحرب السورية الثانية لم تبدأ إلا في عام ٢٧٦ ق . م ، ويؤكد تارن أن أنطيوخوس كان في موقف صعب سياسياً واقتصادياً قبل هذه الحملة ؛ ولذلك كان من الأفضل لبطليموس أن يأخذ المبادرة في وقت كان عاوه أنطيوخوس غارقاً في المشاكل ؛ غير أن بطليموس نفسه كان مشغولاً هو الآخر بحملته على بلاد العرب ؛ التي ربما فضل غزوها على مهاجمة عاوه أنطيوخوس في الشام ؛ أو ربما فرضت عليه هذه الحملة فرضاً .

لقد كان بطليموس الثاني مهتماً بالمنطقة الشمالية الغربية لشبه الجزيرة العربية ، فمن المعروف أنه اهتم بإرسال المستكشفين إليها لاستكشاف سواحل البحر الأحمر

من على الجانبين : الجانب الأفريقي ، والجانب العربي . فقبل عام ٢٧٦ ق . م ، أرسل مستكشفاً اسمه ساتيروس Satyros لاستكشاف الساحل الأفريقي ؛ وقبل أن يقوم بحملته على الحجاز أرسل مستكشفاً آخر اسمه أرسطون Ariston لاستكشاف سواحل الجزيرة العربية الغربية حتى المحيط الهندي ؛ وبالفعل وُضِل هذا الكشف حتى باب المندب ؛ واستفاد العالم أراتوستين Eratosthenes من قياساته لطول ذلك الساحل ، والتي صحح بها القياسات التي تمت في عهد الإسكندر على يد الكشاف أناكسينكراتيس Anaxicrates والتي كان ثيوفراستوس Theophrastus قد أوزدها في كتاباته .

### بطليموس الثاني والأنباط :

بدأ أرسطون باستكشاف سواحل سيناء بادئاً بميناء إيلانا Aelana ( ميناء إيلات حالياً ) على خليج العقبة ، ولم تكن دولة الأنباط في ذلك الوقت قد توسعت أبعد من الطرف الجنوبي لخليج العقبة ؛ لأننا نعلم أن جنوب خليج العقبة كانت تسكنه قبيلة ثمود العربية ؛ فتملأورد في تقريره أن هذه القبيلة العربية كانت تستوطن شطراً كبيراً من ساحل البحر الأحمر الشمالى (فيما يعرف الآن بالحجاز) ؛ ثم ذكر أسماء بعض القبائل العربية القاطنة إلى الجنوب ، وتحدث عن وفرة الذهب عندها ؛ حتى يصل إلى ذكر مملكة معين والتي كانت عاصمتها قرناو ؛ ويذكر الممالك العربية الأربعة التي نقلها أراتوستين عنه ، وهي قتيان ، وسبأ ، وحضرموت ومهرة . لكنه لم يذكر شيئاً أبعد من حضرموت شرقاً لأن رحلته انتهت رسمياً عند باب المندب . ولا شك أن معلومات الكشافة ، دعمت بالمعلومات التي جمعت من التجار ، الذين كانوا يغامرون بالإبحار في المحيط الهندي بحثاً عن الذهب ، ولشراء البخور ، والتوابل . وتؤكد الظواهر الأثرية ، أن بعض البعارة والتجار الإغريق كان لهم اتصال بسواحل البحر الأحمر والخليج ، حتى قبل الفتح المقدوني ، ولكن في شكل مغامرات فردية ودون سياسة مرسومة .

ومن ناحية ثانية ، كان الأنباط سبباً في حملة بطليموس على شمال

غرب الجزيرة ، والأنباط قبائل بدوية عربية هاجرت على ما يبدو في القرن السادس ق.م من بابل ، وسكنت في منطقة شرق الأردن ؛ واستولت على أرض الأدوميين وانتزعت منهم عاصمتهم سلع ( البتراء فيما بعد ) . وأول ما بلغنا عن الأنباط هو ما ورد في كتاب ديودوروس الصقلي ، الذي ذكر فيه أن الأنباط كانوا قوة مؤثرة مكنتهم من صد حملتين أولاهما في عام ٣١٢ ق.م وهي التي قام بهما أنتيجونوس عندما كان يحتل سوريا وحارب فيها بطليموس الأول ، والثانية قام بها ابنه ديمتريوس ؛ وانتهت الحملتان بالفشل ؛ وكان الأنباط يتحدثون الآرامية ومتأثرين بالثقافة البابلية ، فقد كانوا يستخدمون الشهور البابلية في حساباتهم ؛ وكانوا يشتهرون بالقرصنة وقطع الطريق على القوافل التجارية القادمة من الخليج إلى ساحل الشام ، ومنذ أواخر القرن الرابع مدوا نفوذهم على طول الساحل الشرقي للبحر الميت ؛ ولكن البطالمة انتزعوا تلك المنطقة منهم ؛ وبالتالي كان الأنباط يشعرون بالكرهية لآزاء توسع البطالمة ؛ خاصة أن حملات الاستكشاف البحري نشطت التجارة المصرية بين هيرونوبوليس (السويس) ، وميناء إيلانا (العقبة) ؛ ولذلك شعر الأنباط بالخطر خوفاً من فقد سيطرته على التجارة ، فأخذوا يتعرضون بسفنهم لقطع الطريق على السفن المصرية ونهبها ؛ مما جعل بطليموس الثاني لا يتورع عن القيام بحملة بحرية لمعاكبة الأنباط ، ولحماية التجارة الشرقية ، ولهذا قام بحملته البحرية ضدهم ؛ وطاردهم وربما أبعدهم عن سواحل البحر الميت ، وربما تمت هذه الحملة في عام ٢٧٨ ق.م وتلتها حملته ثانية على الحجاز عام ٢٧٧ ق.م .

ولقد ظل الأنباط وحلفاؤهم من قبائل البدو العربية مصدر خطر على البطالمة ، وكانوا دائماً يتحالفون مع السلوقيين ضدهم . ولهذا السبب نجد بطليموس الثاني يقوم في عام ٢٧٣ ق.م بتقوية حصون مدينة هيرونوبوليس على خليج السويس ، وبناء سور حولها ؛ استغرق بناؤه أربعة أعوام ؛ ولقد استمر الأنباط يتحالفون ضد البطالمة ويتحالفون مع كل من يحاربهم ، حتى سقوط الممكلة البطلمية كما سنرى .

## سياسة بطليموس إزاء عرب الحجاز :

وعموماً ، كانت أهداف وطموحات بطليموس الثانى يغلب عليها الجانب الاقتصادى ؛ وربما كان دافعه فى حملته على الحجاز أن يسيطر على الطرف الشمالى لطريق البخور ؛ كما فعلت القوى التى توالت على الشرق الأدنى ؛ ولهذا فكر فى التعمق قليلاً على طول ساحل الحجاز إلى الجنوب من بلاد الأنباط من أجل تحويل طريق البخور بحيث يتجه إلى الأراضي المصرية ، وبذلك يحرم الأنباط من الاستفادة من التجارة مع السبئين ، ويلتزمهم درساً اقتصادياً مريعاً ؛ وكما يعتقد « تارن » فإن من نتيجة هذه الحملة ارساء قواعد الصداقة الوثيقة مع مستوطنة معان مصران ( مدينة العلا على ساحل الحجاز ) . ولقد كانت معان مصران فى الأصل مستوطنة أقامها المعيانيون قديماً على الطريق التجارى للبخور ، وهى ما تعرف الآن بموقع العلا بالقرب من المدينة المنورة . واقتد ثبت من النقوش العربية القديمة أن منطقة شمال غرب الحجاز قد امتلأت بالمستوطنات الميعانية التى تركزت حول معان مصران . وكانت هذه المستوطنات تابعة لمملكة معين الأم فى جوف اليمن ؛ التى سيطرت على معظم الأراضى الجنوبية فى الجزيرة ؛ والتى كانت عاصمتها قرناؤ . وقد استغلت معين موقعها الجغرافى على منفذ البحر الأحمر فى زيادة ثروتها بنقل التجارة إلى البتراء عاصمة الأنباط ، ولذلك فقد أطلق على الميعانيين الجنوبيين اسم « فيثيقي الجنوب » لنشاطهم البحرى ؛ وكان الملك المعين الملقب بالمرزود وهو لقب دينى - يمرض نفوذه على هذه المستوطنات الشمالية . وتخضع لحكمه ، ومن المعروف أن مملكة معين لم تزدهر كفترة اقتصادية الابعاء سقطت القوى الكبرى فى الشرق الأدنى مثل الامبراطورية المصرية الفرعونية ؛ وفى وقت ضعفت فيه بابل وآشور بسبب الحروب بينهما ؛ فقدت نفوذها التجارى من حضرموت إلى الحجاز ؛ وأنشأت لها حضارة وثقافة ؛ وبفضل مستوطناتها فى شمال الحجاز أصبحت على اتصال بالشام ؛ لدرجة أن الرثائق السريانية والنصرىة التراتبية اعتقدت أن جنوب شرق البحر الميت هو موطن الميعانيين ؛ ورغم سقوط دولة الميعانيين على أيدى



ملوك سبأ الذين خلفوهم حو إلى عام ٦٥٠ ق.م ؛ ألا أنهم ظلوا يحتفظون بتجارهم وقوتهم الاقتصادية حتى وقت متأخر ؛ ولقد ورثت سبأ كل تراث معين ؛ لكن علاقة المعينيين بالمصريين كانت قوية ؛ فها كان هناك تجار معينون هاجروا إلى مصر ، وكونوا جاليات تجارية احتكرت تجارة البخور واللبان ، وبعد حملة بطليموس الثانى توثقت الصداقة المعينية في الحجاز مع البطلمية ، وازدهرت تجارتهم بفضل تعاظم النفوذ البطلمي في البحر المتوسط وإذا كانت سبأ قد سيطرت على جنوب الجزيرة ؛ فإن معين ظلت قائمة في مستوطناتها في الحجاز . وأصبحت معان مصران « عاصمتها الكبرى ؛ ففي الوقت الذى قام فيه بطليموس الثانى بحملته على الحجاز ، كانت معين الشمالية تتوسع في التجارة برأ وبحراً ؛ ولذلك فرمما أقاموا لهم ميناء على ساحل الحجاز هو ميناء « الحجر » Hegra ( مباتن صالح ) ، عنا. وادى خند ، الذى كان ممخلاً يودى إلى طريق البخور الرئيسى القادم من جنوب الجزيرة العربية. إلى الشام .

ويحتفل « تارن » أن بطليموس الثانى كانت لديه معرفة عن « معان مصران » قبل القيام بحملته ذات المصالح الاقتصادية ، وذلك من خلال تقارير المستكشفين الذين أرسلهم لاستكشاف سواحل الجزيرة العربية الغربية لأختيار الأماكن المناسبة لإنشاء موانئ بطلمية تكون مركزاً لتجميع فيه تجارة العرب لنقل إلى مصر ، وبالفعل أقام بطليموس على ساحل الحجاز ميناء اميلونى . Ampolone . وبعد ضعف الدولة السبئية الأم في الجنوب ، سيطرت قبيلة اللحيانيين على الشمال ، وخضعت معان مصران لحكمهم . وكان اللحيانيون فعا من قبيلة ثمود ؛ وبالتالي ورثوا كل حضارة المميين في الشمال ؛ وبالرغم من ذلك لم يترقب دور المميين في معان مصران عندما سيطر اللحيانيون عليها . ولقد رصد العلماء تأثير اللحيانيين بالحضارة المصرية البطلمية في الفنون والآلةاب ؛ إذ ظهر تغير « مناجى » في الفن اللحياني في العصر البطلمي خلال القرنين الثالث والثانى قبل الميلاد ؛ كما أن هناك احتمالاً أن يكون بطليموس الثالث قد أقام هناك معبداً لهرقل الجدا الأسطورى للبطلمية. والذى كان يعادل « بعلى شامين » الرب السورى الذى تسلمت عبادته

إلى اللحيانيين ، والذي إلية نسبت الأساطير اللحيانية أنه هو الذي أسس  
مدينة ميجان مصران ( دادان ) ، وهو أيضا ينظر عند آلهة الفينيقيين الرب  
ملقارت .

وبفضل النقوش اللحيانية ، أمكن التعرف على بعض أسماء ملوك لحيان  
الذين حكموا مدينة العلا ؛ فقد ثبت أن اثنين منهم أو ثلاثة حملوا « لقب  
طولمى » أو طالمى ، وهو التحريف العربى لأسم بطليموس ، بل إن  
هناك احتمالا أن بعضهم قبل البطالمية فى حمل ألقاب مؤهلة أثناء حياته ؛ وهو أمر لم  
يحدث من قبل عند اللحيانيين القدماء . ومن ناحية أخرى نجد شخصية من  
معين تدعى « زيد ايل » يشغل وظيفة كاهن فى سينرايوم فى منف ، حيث  
كان يزود المعبود بالمر والبخور من خلال سفينته ، التى كانت تحمل هذه  
المواد الى مصر ؛ ولقد عثر على تابوت له فى الفيوم مؤرخ فى العام الثانى  
والعشرين من حكم أحد البطالمية ؛ وقد اتفق أغلب الناشرين لهذا النقش على  
أن البطليموس المقصود هو بطليموس الثانى ؛ أى أن هذا التابوت يعود  
الى عام ٢٦٣ ق.م ، ومن ثم فهو يلى تاريخ حملة بطليموس على الحجاز  
وذلك دليل قوى على قيام علاقات قوية بين مصر ومدينة العلا ؛ ونلاحظ  
فى أوراق البردى المصرية من العصور البطلمية كثرة ترديد كلمة « اللبان  
العربى » ، وبالذات من عصر بطليموس الثانى ، وهذا دليل على افتتاح  
خط ملاحى تجارى بين ميناء العلا ، وميناء ميوس هرموس المصرى على  
البحر الأحمر . ولقد ازدهرت التجارة اللحيانية فى العصر البطلمى ، فقد عثر  
فى جزيرة ديلوس الجزيرة الرئيسية فى جزر الأرخبيل اليونانى — والتى  
كافع بطليموس الأول والثانى لكى يفرضا النفوذ المصرى فيها — على نقش  
معين يرجع الى النصف الثانى من القرن الثانى ق.م ، إقامة تاجر معين  
اسمه أيضا زيدايل قد جاء أيضا من العلا أو من معان — ولا يعرف على وجه  
اليقين عما إذا كان زيد ايل الأخير من نفس أسرة زيد ايل الكاهن ، أم أن  
ذلك كان مجرد تشابه فى الأسماء ، لكن الذى لا شك فيه أنه كان من أصدقاء مصر .  
وهما يؤكد قيام الصداقة بين ملوك لحيان ، وملوك البطالمية كنتيجة لحملة  
بطليموس الثانى على الحجاز ، ظهور نقود معينية تقلد العملة الإسكندرية . من

فئة التترادراخا بعضها موجودة الآن في متحف جامعة ابردين باسكوتلندا ؛ ولقد كان اللحيانيون يصعدون لمصر الخيول الأصيلة والجمال . وتدل احادى وثائق البردى على أن بطليموس الثانى قد كون فرقة من الأعراب لحراسة الصحراء الغربية ، خاصة أن هذه البردية جاءت من الفيوم أيضاً . ومن ثم ، فان الجالية العربية في عصر البطالمة كانت تفضل الإقامة في واحة الفيوم ، التي تشابه من حيث الطبيعة واحات الجريرة العربية (١) :

كان من أهم ملامح الشرق الأدنى في العصر الهلنستي ، تشجيع المدن والجزر الأفريقية التي كان لها خبرة عزبة في إقامة المستوطنات على إنشاء مستوطنات في بعض مناطقه النائية من أجل نشر الحضارة الأفريقية فيها ، نظراً لاتساعه وتعدد حضاراته وقومياته ؛ فمد فعل ذلك السليوقيون ؛ لأنهم كانوا في حاجة ماسة لإقامة هذه المستوطنات ؛ ولقد فعل البطالمة ذلك خاصة حول سواحل البحر الأحمر والسواحل الأفريقية ؛ وهناك حالة واضحة وهي دعوة بطليموس الثانى لأغريق مدينة ميليتوس Miletus على ساحل الأناضول لإقامة مستوطنة على ساحل الجزيرة العربية ؛ فأسسوا له مستوطنة أمبيلونى Ampelone ( أى مدينة الكروم ) ، وكانت ميليتوس تحت السيادة البطلمية عام ٢٧٩ ق.م ؛ ثم استولى عليها انطيوخوس الثانى ، غير أن بطليموس الثالث إستردها بين ٢٤٥ و ٢٤١ ق.م وبقيت تابعة للبطالمة حتى عام ١٩٧ ق.م ؛ ويرجح تارن أن امبيلونى أسست بعد ختمته على الحجاز عام ٢٧٧ ق.م ، وقبل عام ٢٦٠ ق.م ؛ وهو عام اندلاع الحرب السورية الثانية . ولقد حدد الرحالة جلاسر موقع أمبيلونى لأسباب جغرافية بأنه إلى الشمال من ميناء جدة الحالى ؛ بينما يقترح تارن والسيركروان أن موقعها عند نهاية وادى حمد ؛ حيث يكون ذلك طريقاً سهلاً الى العلا ؛ ولأنها ستكون في مواجهة ميناء ميوس هورموس المصرى ؛ حيث ربط بين المينائين خط ملاحى ولعل السبب في إنشاء ذلك الميناء الجديد هو أن محل محل ميناء الحجر Hegra الذى كان المعينيون قديماً قد أسسوه ، والذي تدهورت حالته حتى تحول إلى قرية ليس لها أهمية تذكر في عصر الامبراطور أغسطس . وربما قام

(١) انظر البحث الجديد :

Mohamed E. Abd - El - Ghany : "The Arabs in Ptolemaic and Roman Egypt Through Papyri and Inscriptions", Atti Del Colloquio Internazionale : Egitto e Storia Antica Dall' Ellenismo al eta Araba", Bologna 1989.

بطليموس ، بتجهيز بعض القبائل العربية المرافية له لتسكن حول هذا الميناء لتؤمن الطريق بين امبيلونى وبين العلا ؛ لقد كانت العلا تلعب دوراً هاماً فى اقتصاد البطالملة ، وفى ماء مصر بالعطارة والأعشاب والبخور العربية ، مثلما كانت مدينة « جرها » ( الجزعاء ) بالنسبة للمصريين . فقا ، كانت الجرعاء على ساحل الجزيرة العربية الشرقى ( بالقرب من الهفوف - عاليا ) هى النذ المناظر فى النشاط الاقتصادى للمدينة ديدان ( النيل ) ؛ ومن ثم ، فاذا كانت الجرعاء قد تحالفت مع البليزيين ، فأنه من المرجح أيضاً أن تكون ديدان قد تحالفت مع البطالملة ، خاصة أن علاقتها بمصر كانت وثيقة كما أوضحنا من قبل ؛ وربما نجح البطالملة من خلال صداقتهم مع ديدان من توجيه ضربة اقتصادية للبراء ، بتحويل طريق البخور عنها ليتجه الى ميناء امبيلونى ، ثم تبخر السفن عبر البحر الأحمر الى ميناء ميوس دورموس المصرى ، ومن ثم ، حرمت البراء خلال تصاعد نفوذ البطالملة فى القرن الثالث ق.م من أن تكون سوقاً لتفصيل التوابل والبخور ومنتجات الشرق الأقصى ؛ حتى انها أصبحت تستورد متعلقاتها من البخور من الجرعاء عن طريق رحلة طويلة عبر طرق وسط الجزيرة العربية .

### بطليموس الثانى والسبثيون :

ولم يكن الأباط وحدهم هم الذين أضيروا من نشاط بطليموس الثانى فى البحر الأحمر ؛ فقد أضرب ذلك أيضاً السبثيون ؛ بعد أن فقدوا السيطرة على طريق البخور ، كما فقدوا السيطرة على مستوطناتهم الشمالية التى دخلت فى حما البطالملة ، وخزت حزوهم ديدان معان ؛ وبالتالي فقد انتقلت التجارة الشرقية الى أيدى البطالملة وتجار الاسكندرية ، خاصة بعد افتتاح الخط الملاحي بين خليج السويس والهند وان كان ضعيفاً ؛ وكانت مدينة الاسكندرية مبعث هذا النشاط البحرى والتجارى بحكم موقعها الهام على البحر المتوسط ، واتصالها بالبحر الأحمر عن طريق قناة نيلية ؛ كما بدل البطالملة مجهودا كبيراً لإعادة الحياة الى الطرق البرية بين موانئ مصر القديمة على البحر الأحمر وبين موانئ النيل . وزودت هذه الطرق بالحراسة ، وحفرت فيها آبار المياه ؛ ومن ثم ،

كان من الطبيعي أن ينحاز السبئيون إلى جانب الأباط والسليوقيين في عداوتهم للبطالمة ، بل أن هذا النشاط أدى إلى انفصال سبأ الشمالية في الحجاز (المستوطنات المعينية القديمة) عن سبأ الجنوبية ؛ فقد انضمت سبأ الشمالية إلى جانب البطالمة ، وبالتالي في وقت من الأوقات أصبح الشمال يحازب الجنوب في جزيرة العرب كما ذكر النقش اللحياني .

### بطليموس الثاني ومملكة برجامون (٢٦٣ - ٢٦١) :

كانت برجامون في الأصل قلعة بحرية في إقليم ميسيا Mysia في آسيا الصغرى ، تتوسط سهلاً زراعياً غنياً ، ولا تبعد عن البحر أكثر من أربع وعشرين كيلومتراً . وكان انتيجونوس الأعور قبل هزيمته في أبسوس عام ٣٠١ ق.م قد عين أحد خصميانه قائداً على هذه القلعة واسمه فيليتياروس Philitaeros ابن أتالوس ؛ وعندما استولى لوسياخوس على غرب آسيا الصغرى بعد هزيمة انتيجونوس ، حول فيليتياروس ولاءه إليه ، وأصبح تابعاً له ؛ حيث جمع في هذه القلعة ثروة كبيرة من الأسلاب والغنائم ، وعندما استولى سليوقوس على غرب آسيا الصغرى ، تظاهر فيليتياروس بالولاء نحوه ؛ ولكنه كان ينوي الاستقلال وإقامة مملكة هليينسية على غرار الممالك الأخرى . ولقد ظهرت شجاعة فيليتياروس عندما نجح في صد قبائل الغال التي هاجمت آسيا الصغرى في عام ٢٧٦ - ٢٧٨ ق.م ، وأنقذ مملكته ؛ وراح يوسعها وينفق على تعزيزها ، حتى أصبحت من أجمل الممالك الهليينسية ، ووضع لها قوانين مثل التي كانت لدى المدن الأغريقية ، ورغم أن أغلب سكانها كانوا من الآسيويين ، لكنهم عن طريق الاستيطان العسكري للأغريق سيطروا على السكان ، واستغل فيليتياروس المصادر الطبيعية الغنية لهذه المنطقة مثل مناجم الفضة ، واستمر في وضع أسس مملكة هليينسية مستقلة تحكمها أسرته من آل أتالوس ، وفي حوالي عام ٢٦٣ مات فيليتياروس وكان قبل موته قد تبني ابن أخيه يوميذيس ليخلفه على العرش ، وقام يوميذيس بتكوين جيش من المرتزقة ، وأعلن عام ٢٦٢ ق.م استقلاله عن الدولة

السليوية وذلك بالاتفاق والتفاهم مع بطليموس ، الذى كان فى حاجة الى أنخساب برجامون وجلودها . فضلا عن ادراكه لموقعها الممتاز فى شمال هرب آسيا الصغرى ، ولإستخدامها كخنجر فى ظهر الدولة السليوية ، وأبحر الأسطول البطالى لحماية استقلال برجامون عام ٢٦٢ ق.م ، وليبسط منها نفوذ بطليموس على أهم مدن آسيا الصغرى مثل أفيسوس وميليتوس ، كما كان بطليموس يهدف من تدخله فى ذلك الوقت فتح جبهة عسكرية ، تشغل أنطيوخوس الأول عن مساعدة حليفه انتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا فى قمع ثورة المدن فى بلاد الأغريق بزعامة أثينا وأسبرطة ضد السيطرة المقدونية ، والى عرفت باسم حرب خريمونيديس . ولقد ظل أنطيوخوس الثانى يحاول استعادة برجامون عبثا حتى موته عام ٢٦١ ق.م ، ولم يجد ابنه أنطيوخوس الثانى مناصا . من أن يعترف بالأمر الواقع ويقر باستقلال برجامون . ولقد شعر أنطيوخوس الثانى بالمرارة ازاء هذه الضربة الموجهة التى دبرها له بطليموس الثانى . وردا على ذلك زاد من تحالفه مع انتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا ، وأخذ يدبران عملا للانتقام من بطليموس فيلادلفوس ، ودعم تحالفها بالمصاهرة .

### موقف بطليموس الثانى من الحرب البونيقية الأولى :

وعندما كانت روما تخوض حربا ضد بيرموس ملك ابيروس الذى حاول غزو أراضيها عام ٢٧٣ ق.م وذلك أثناء حياة أرسينوى فيلادلفوس ، سافر وفد من الاسكندرية الى إيطاليا لعرض على الرومان صداقة الأسرة البطلمية ، وهى أول مرة نسمع فيها عن اسم الرومان يردد فى سياسة البطلمية ، فقد كانت التجارة المصرية فى ذلك العصر قد توسعت فى غرب البحر المتوسط وكانت تهدف الى اقامة علاقات تجارية مع جميع بلدان البحر المتوسط . وفى عام ٢٦٤ ق.م وقعت الحرب البونيقية الأولى بين الرومان وقرطاجة ، وطلبت قرطاجة من مصر اقراضها بعض الأموال لدفع تكاليف هذه الحرب غير أن بطليموس أثر الحياء واعتذر عن تلبية طلب القرطاجيين متعللا بأن الطرفين المتحاربين أصدقاءه ، وأنه يفضل أن يكون وسيطا للصلح

بينهما . وتظهر إحدى أوراق البردى المؤرخة عام ٢٥٢ ق.م تواجد بعض الجنود المرتزقة الرومان الذين عملوا في خدمة الجيش البطلمي ، ولا ندرى أن كانت هذه حالة فردية من بعض المغامرين أم تصرف سياسية مقصود من بطليموس فيلادلفوس .

### استعادة قوريني وتوابعها :

ولربما كان من الأسباب التي جعلت بطليموس الثاني يحرض مملكة برجامون على التمرد ضد انطيوخوس الأول هو الانتقام من هذا الملك السليوقي لتحريض اماره برقة ( قوريني ) وتشجيع حاكمها ماجاس على التمرد وإعلان استقلالها عن مصر ، لكن شاءت الظروف أن تعود برقة الى جانب بطليموس فيلادلفوس ، فقد مات ماجاس المتمرد تاركا أرملته السليوقية أباما ، التي كانت شديدا الكراهية للبطالمة والتعصب لأسرتها السليوقية ؛ كما ترك ماجاس ابنه هي بيرينيكي ؛ وكان ماجاس ابنا لبطليموس الأول من إحدى عشيقاته ؛ أى أنه أخ غير شقيق لفيلادلفوس ؛ وربما أدرك ماجاس في أواخر أيامه أنه لا مستقبل لأمارته بدون مصر ، فربما اتفقا مع بطليموس فيلادلفوس وهو أن يتزوج ابنه وولى عهده بطليموس الثالث ابنته بيرينيكي ؛ وبذلك يعود اتحاد مصر مع قوريني . غير ان أباما السليوقية الغاضبة نقضت هذا الاتفاق ، واتصلت بأسرتها في أنطاكية تطلب زواجا لابنتها ليتولى العرش ؛ ورشح السليوقيون مقدونيا هو ديمتريوس الأشقر شقيق أنتيغونوس جوناثان من أبيه ؛ وهو في نفس الوقت ابن شقيقة بطليموس فيلادلفوس من أبيه ، والتي كان اسمها بطوليماثيس . وبالفعل وصل ديمتريوس الجميل الى برقة ليتزوج بيرينيكي ؛ غير أن الملكة الأم هانت به حبا ، واتخذته عشيقا لها ، فردت الابنة بيرينيكي بتدبير مصرع ديمتريوس وهو في فراش أمها ، وأرسلت الى فيلادلفوس تطلبه بتنفيذ الاتفاق القديم المعقود بينه وبين أبيها ؛ ويبدو أن فيلادلفوس لم يضيع الفرصة فأرسل حملة أعادت إخضاع قوريني لمصر ، وقطعت علاقتها بالمملكة ( م ١١ — مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستي )

السليوقية ؛ ولم يتم زفاف بطليموس الثالث ولى العهد على بيرييكى إلا قبيل توليه العرش بقليل ، أى فى اواخر أيام ابيه ، لأنه كان متزوجا بها قبل خروجه إلى الحرب السورية الثالثة عام ٢٤٥ ق.م . ولقد قامت الحملة التى قادها ولى العهد بطليموس الثالث الى قورينى ، بتأمين مدنها والقضاء على نفوذ السليوقيين فيها ؛ كما قام بتغيير أسماء المدن لتأخذ أسماء الأسرة الهللمية ، فمثلا مدينة يوهسبير يدس Euesperides أصبحت تعرف باسم بيرييكى ، وتوخيرا Tychira أصبحت تسمى ارسينوى ، أما برقة فقد تغير اسمها الى بطوليائيس .

#### سياسة بطليموس الثانى نحو النوبة :

سبق أن ذكرنا أنه من الأسس التى أقام عليها بطليموس الأول دعائم امبراطوريته هو عدم التوسع فى أغوار أفريقيا جنوبا ، لأنه أثر التوسع شمالا فى حوض البحر المتوسط ، وفى بلدان الشرق الأدنى شرقاً . واكتفى بالحدود التى وصل إليها الفراعنة من قبله وهى عند الشلال الثانى ، غير أن ديودوروس الصقلى يروى لنا أن بطليموس الثانى اصطعب قوة من الجنود المرتزقة فى حملة مفاجئة على النوبة (أثيوبيا القديمة) على غرار حملات الفراعنة ؛ وعلى غرار الحملة التى قادها بسماتيك الثانى فى العصر الصاوى ، واصطعب فيها جنودا من المرتزقة الأغريق ؛ غير أنه لم يوضح لنا السبب الذى دفعه القيام بهذه الحملة ؛ فربما كانت أشبه ببعثة لاستكشاف هذه الأغوار الأفريقية بحيواناتها ، ونباتاتها ، وطيورها ؛ بل وربما لمحاولة تتبع هز النيل الذى كان منبعه مشكلة حيرت العلماء والباحثين ؛ فلقد كان بطليموس فيلادلفوس شغوفاً بدراسة الجغرافيا وعلم النبات والحيوان ، وربما كان هذا هو الدافع الحقيقى وراء هذه الحملة لأنه لم يحاول ضم النوبة ما بعد الشلال الى مملكاته أبدا . وكانت النوبة فى ذلك الوقت قد انقسمت الى مملكتين احدهما مملكة مروى Meroe ( البجراوية الآن ) الى الجنوب من المملكة القديمة نباتا ( بالقرب من جبل البرقل ) ، بل تفرقت هذه المملكة الجنوبية



المروية على نباتا ، وكانت المملكة المروية الجديدة أكثر انفتاحا على الحضارة الهلنستية من المملكة القديمة نباتا التي ظلت شديدة التعصب في الحفاظ على التراث المصرى الفرعونى فى النوبة ؛ فقد سمحت مروى لباحث أغريقى اسمه داليون لكى يتسلل جنوبا إلى قلب السودان متتبعا منابع النيل وسجل اكتشافاته فى مؤلف سماه أثيوبيا Ethiopia . ولقد كانت هذه الحملة فاتحة دخول الحضارة الهلنستية من شمال الوادى الى قلب أفريقيا السوداء فى نفس الوقت الذى تدفقت منه هذه الحضارة من المستوطنات العسكرية التى أقامها مبعوثو فيلادلفوس على ساحل البحر الاحمر الأفريقى وفى شرق أفريقيا حيث التقت حضارات عرب جنوب الجزيرة مع الحضارة البطلمية على التراب الأفريقى ، مما كان سبباً فى زرع بذور النهضة والثقافة فيها .

#### نهاية بطليموس فيلادلفوس : ٢٤٦ ق. م :

وبعد هذا النشاط الكبير الذى دعم فيه بطليموس الامبراطورية المقاتونية فى مصر والشرق الأدنى ، وتحويله طرق التجارة الشرقية الى مصر ، واجباط التحالف السليوى - المقدونى ضده ؛ ووضع بذور الصداقة مع الرومان ، تدفقت خبرات الامبراطورية الشاسعة على الاسكندرية ؛ التى حولها الى منارة وجوهرة البحر المتوسط ، وحقق ثراء وبذخا ضرب به المثل ؛ فقد فاق بذلكه ومهارته أقرانه من الملوك الهلنستيين ؛ فعاش فى قصره المنيف فى الاسكندرية يغرق فى حياة اللهو والترف ، حتى شبهه اليون بسليمان الحكيم . ولقد هاجمه فى آخر أيامه مرض النقرس فألزمه الجلوس فى القصر ، ولقد روى أحد الكتاب الأخلاقيين حكاية تقول انه وهو مريض حبيس ، يتألم من داء النقرس ، شاهد من نافذة فى القصر مجموعة من المصريين الأمعاء ، تستلقى فى الشمس بالقرب من البحر تأكل ما تصطاده من الأسماك والتواقع بنهم وسعادة ، فصاح متحسرا لماذا لم يولد مثلهم ، وأغلب الظن أن هذه الرواية من وضع أحد الكتاب الأخلاقيين المتأثرين بالتوراة وأندياها ليبين أن بطليموس فيلادلفوس كان كسليمان مجبا للترف ، غير أنه اكتشف فى النهاية أن متاع الدنيا وهم وخيال !

واخيرا في شتاء عام ٢٤٦ ق.م ، مات بطليموس الثاني ؛ بعد حياة حافلة بالفتوحات والمقامرات والمؤامرات والمغامرات . وبعد أربعين عاماً من الحكم الذى وطد فيه دعائم حكم أسرة بطليموس ، وخلفه ابنه من زوجته أرسينوى الأولى ، لأن أخته وحبيبته وزوجته أرسينوى الثانية ( أرملة نوسياخوس ) لم تنجب أبناء منه ؛ انما رضيت بتبني أبنائه من زوجها الأولى . وهكذا تولى بطليموس الثالث عرش الامبراطورية .

### ٣ - الظروف التى تولى فيها بطليموس الثالث ( بورجيتيس الأول ) :

وما أن جلس بطليموس الثالث على العرش حتى اتخذ لنفسه لقباً يميزه عن جده وأبيه ؛ فاختار أو اختير له لقب الرحيم Euergetes ، وفى عهده حدثت تطورات كبرى بين المتصارعين على سيادة العالم الهلنستى ؛ فبعد توليه العرش بشهور قليلة ؛ اغتيل أنطيوخوس الثانى فى مدينة افيصوس بآسيا الصغرى ؛ وربما كان اغتياله من تدبير زوجته الأولى التى كانت تسمى لاءوديكى والتى على اسمها أسس مدينة لاءوديكي ( اللاذقية الآن ) ، وكانت لاءوديكي من الأسرة السلوقية ، وكانت قد أنجبت له ولدين وبنتين ، كان من المفروض أن يختار أنطيوخوس الثانى أكبرهما ولياً للعهد ، غير أن الاتفاق الذى تم بين بطليموس فيلادلفوس وبينه كان ينص على أن يتزوج من ابنة بطليموس فيلادلفوس ( وشقيقة بطليموس الثالث ) ، وكان اسمها بيريكي ، التى بدورها أنجبت له ولداً ، عزم على جعله ولي عهده ؛ هما أثار حفيظة لاءوديكي ، فدبرت مقتل زوجها قبل أن يعلن ذلك رسمياً ؛ وحتى تؤمن العرش لابنها سليوقوس الثانى ، وسافرت الى الأناضول مع ابنها سليوقوس ، للتصدي لأى محاولة من جانب بطليموس الثالث .

وفى ذلك الوقت أيضاً ، كان أنتيجونوس جوناثان ملك مقدونيا وحليف و صهر السلوقيين يطارد النفوذ البطلمي فى بحر ايجة ؛ وتمكن فى عام ٢٤٥ ق.م بالتعاون مع اسطول جزيرة رودس من تدمير الأسطول المصرى عند جزيرة اندروس فى بحر ايجة ؛ وبذلك تمكن من إنهاء الوجود

البطلاني في جزر الارخبيل (الكيكلاديس) ، وبذلك لم تعد مصر قادرة على القيام بدور رئيسي في بلاد اليونان ؛ بالرغم من قوة اقتصادها وقوة جيوشها ؛ وخلوها من الثورات وحركات الانفصال ، التي غرقت فيها المملكة السلوقية الشاسعة ، والمتعددة التوميات واللغات والأديان ، فقد كان الشعب المصري إلى حد ما مسالما للحكم البطلاني بسبب توافق خيالات الامبراطورية على مصر ؛ إلا من بعض حركات المقاومة الوطنية التي كانت تندلع من آن لآخر في أعماق الصعيد ؛ وكانت قوات البطالمة من المرتقة تقوم بسحقها ؛ كما أثر فقدان ديلوس على تجارة بحر ايجه ، وحرم البطلانيروس الجديد من فرض سيادة مصر على بحر ايجه وجزر بلاد اليونان ، بالإضافة إلى ذلك ، فقد بدأت مدن بلاد اليونان تتبع سياسة مستقلة عن قوى الصراع في البحر المتوسط ، وأخذت في تكوين الأحلاف الدفاعية فيما بينهم : مثل الحلف الآسي ، والأيتولي لحماية استقلالها من السيطرة المقدونية ؛ ومن ثم انشغلت مقدونيا في صراع مع رعاياها الأغريق ؛ كما أن بطليموس الثالث تفرغ لدعم مملكته في مصر وفي الشرق الأدنى خاصة في جنوب الشام .

ولقد واجهت الدولة السلوقية عدة ثورات قام بها رعاياها في أقاصي الأطراف الشرقية ، فقد كان من الصعب على هذه الدولة أن تحتفظ بقارة كبرى بشعوبها وقومياتها المختلفة ، خاصة أن انطيوخوس الثاني كان قد أهمل الأصمقاع الشرقية من مملكته ؛ مركزاً أهمه على الجانب الغربي من آسيا الصغرى والشام لمحاربة البطالمة . ففى عام ٢٥٠ ق.م انفصل إقليم سوجديانا وباكتريا في الشمال الشرقي عن مملكته ، وأعلننا قيام مملكة مستقلة بزعامه السراب الفارسي ديودتوس الذي سلك عملة لنفسه . كما أسس البارثيون دولة لهم بزعامه تيريداتيس جنوب بحر قزوين منذ عام ٢٤٧ ق.م مقتطعين جزءاً من ممتلكات الامبراطورية السلوقية في فارس القديمة ليؤسسوا عليها دولتهم القوية التي طالبت بأرث الامبراطورية الفارسية .

هكذا في ظل هذه الظروف والمتغيرات تولى بطليموس الثالث .

### الحرب السورية الثالثة : ( ٢٤٦ - ٢٤١ ق.م ) :

كان الصراع على العرش السلوقي هو السبب المباشر في إندلاع هذه الحرب ، فعلى أثر مصرع انطيوخوس الثانى ، قامت الملكة لاعوديكي بتدبير مقتل ابن زوجها من الملكة المصرية بيرينيكى ، و اعلان ابنها ملكا باسم سلبيوقوس الثانى Seleucus تيمنا باسم جده سلبيوقوس الأول مؤسس الأسرة السلوقية. ولم تجد الأميرة المصرية أمامها سوى طلب النجدة من أخيها بطليموس الثالث Euergetes الذى وجد فى ذلك فرصة لاستعادة نفوذه فى الشام ، لأنها المجال الحيوى الوحيد المضمون لمصر ، فتقدم بقواته على الفور عبر طريق حورس الحربى الذى كان يبدأ من بيشوم ( تل المسخوطة عند خليج السويس ) عبر سيناء فى طريقه الى الشام ؛ وفى نفس الوقت أصدر أوامره الى شقيقه الذى كان يحكم قبرص أن يتحرك بالأسطول لاحتلال عاصمة السلوقيين فى أنطاكية ، وكذلك مدينة سلوقيا الواقعة على نهر دجلة انتقاماً لأخته التى لقيت حتفها على يد الملكة السورية ، ولضم الشام وبلاد الرافدين إلى مصر ؛ معلنا أن هذا الجيش الذى يقوده هو جيش بيرينيكى وابنها ، جاء للانتقام لمقتلهما ، واستخلاص العرش من مغتصبية ؛ ونجح فى اختراق سوريا حتى عبر جبال طوروس شمالا ، واستولى على مقاطعة كيليكيا المجاورة لحدود سوريا شمالا ؛ ثم اندفع شرقاً ليعبر الفرات ، وليصل الى مدينة سلوقية على نهر دجلة ؛ وكان هدفه الوصول الى منطقة الخليج العربى شريان الاقتصاد فى الدولة السلوقية ؛ وفجأة لأسباب لانعرفها استدار عائداً إلى مصر فى نهاية عام ٢٤٥ ق.م ؛ بالرغم أنه كان فى استطاعته أن يقضى على الدولة السلوقية ويوحد الشرق الأدنى من الخليج العربى الى خليج السويس فى إمبراطوريته ، وربما كانت الأسباب التى دعتة أن يضحى بنصر مثل هذا كان قاب قوسين أو أدنى هو وصول أنباء من مصر بأن النيل لم يفيض الفيضان اللازم للزراعة فى ذلك العام ، مما سبب قحطا وجماعة كادت تؤدى الى حدوث ثورة ، ولقد أتاح هذا الانسحاب فرصة ذهبية لغريمه سلبيوقوس الثانى ليجتمع شتات جيوشه ، ويستعيد ما سلب منه ، وبدأ سلبيوقوس

الثاني يستعيد مركزه في آسيا الصغرى ، رغم انفصال افيسوس عن ممتلكاته وانضمامها الى بطليموس الثالث ، ومن المدن التي انحازت لسليوقوس الثاني مابينة سمرة Smyrna (أزمير الحالية) وتوابعا ، واضطر سليوقوس الثاني الى التحالف مع ملك بنطوس مثريداتيس Mithridates ، بل وزوجه من اخته لاعدىكى ؛ وكان هذا يعنى اعترافا واقعيا بقيام مملكة بنطوس جنوب البحر الأسود على حساب الدولة السلوقية ؛ وبذلك أصبحت ممتلكات الدولة السلوقية تضم بلاد الرافدين والشام وجزءاً من آسيا الصغرى . وفي عام ٢٤٤ ق.م أعد أسطولاً استطاع أن يستعيد به السواحل السورية ، ثم اجتاحت الشام معلناً أنه الوريث الشرعى لانتيوخوس الثاني ؛ وفي خلال شهرين قليلة تقلص النفوذ المصرى في الشام ؛ ولم يتبق لمصر من الشام الكبرى سوى ساحل فينيقيا وسهل البقاع (جوف سوريا) وفلسطين ؛ ولقد ساعد سليوقوس الثانى على هذا الاجتياح السريع أن عملياته العسكرية قد تمت في نفس الوقت الذى تمكن فيه أنتيجونوس جوناتاس من تدمير الأسطول المصرى في بحر إيجه عند جزيرة انثروس .

لكن بالرغم من ذلك ، بقى البطالمة نفوذ لا بأس به في الشرق الأدنى فقد انتهت الحرب السورية الثالثة بعقد صلح بين بطليموس الثالث وسليوقوس الثاني عام ٢٤١ ق.م أقر فيه سليوقوس الثاني بحق البطالمة الشرعى في بعض مناطق جنوب آسيا الصغرى ، وبحر إيجه ، وسواحل الأناضول ، وبعض الجزر المتاخمة لهذا الساحل : مثل جزيرة ساموس ، ومابنتى أفيسوس وميليتوس ، بل وفي منطقة شبه جزيرة القرم Chersonese في إقليم تراقيا .

ويقول يوتروبيوس Eutropius أن الرومان بعد أن فرغوا من الحرب البونية الأولى عام ٢٤١ ق.م والتي هزموا فيها قرطاجة ، بعثوا بسفراء إلى بطليموس الثالث ملك مصر لتأكيد وعودهم السابقة بمساندته في حروبه ضد أنطيوخوس ملك سوريا (١) .

(1) Eutropius, III, 1.

### سياسة بطليموس الثالث الداخلية :

بعد هذه الانتصارات التي حققها بطليموس الثالث على غريمه سليوقوس الثاني ، تفرغ لتوطيد دعائم حكمه في مصر ، فالنصف الأول من حكمه كان حروباً للحفاظ على أمن ووحدة إمبراطوريته ؛ أما الشطر الثاني من حكمه فقد أثر فيه استخدام سلاح الحرب الدبلوماسية ضد أعدائه ؛ كما فعل عندما زاد هيب الصراع بين هيراكس وسليوقوس الثاني ليرقى العرش السليوقي ممزقاً وضعيفاً ، كما ساعد إمارة برجامون لكي تنفصل عن الدولة السليوقية ، كما حرص الإغريق في بلاد اليونان ضد السيطرة المقدونية فقد تزعم هذه الثورة ضد مقاوميا الحلف الآخى بزعامه قائده آراتوس Aratos ، كما ساعد ملك اسبرطة كليومينيس في القيام بثورته الاجتماعية والمطالبة بالاستقلال عن مقدونيا ، غير أن ملك مقدونيا أنتيجونوس دوسون سحق هذه الثورة ، وفر كليومينيس الاسبرطي الثائر الاجتماعي هارباً إلى الاسكندرية لاجئاً في بلاط بطليموس الثالث ، وبذلك نجح بطليموس يورجيتيس عن طريق سلاح الذكاء والدبلوماسية في أن يحافظ على توازن قوى الصراع ، وهو جالس في قصره بالاسكندرية في نفس الوقت مستمر في سياسة التودد للمصريين خاصة الكهنة .

ويعتبر بطليموس الثالث من أعظم البطالمة اعتماداً وإتزاناً ، فقد كان ذكياً مثقفاً ، محباً لفعل الخير ، بذل قصارى جهده في دعم مركز الاسكندرية الأدبي والعلمي لتصبح كعبة النور والثقافة ؛ كما كان محباً للحضارة المصرية مؤمناً بأصالتها كينبوع الحضارة الهلينية ، ومن ثم فقد أقام علاقة طيبة مع الكهنة المصريين الذين بادلوه نفس الشجور . ولقد نال إعجاب المصريين عندما تصرف بسرعة في مواجهة المجاعة التي حدثت في البلاد بسبب انخفاض منسوب مياه الفيضان ؛ إذ أعلن تنازله عن كافة الضرائب والمتأخرات ؛ سواء كانت عيناً أو نقداً ؛ وجلب إلى البلاد كميات كبيرة من القمح ، وبذلك أنقذ البلاد من القحط وإبادة بسرعة التصرف ؛ ولذلك عر الكهنة المصريون عن هذا التصرف بإصدار قرار في ربيع

عام ٢٣٧ ق. م عقب اجتماع لهم تم في كازوب ، وعرف هذا القرار باسم قرار كازوب ؛ وقد أطل الكهنة في شكرهم للملك العطوف لكفائه في الإدارة ؛ ورعايته للمعابد المصرية ، وإنقاذه البلاد من المجاعة ، ومنحوه لقباً مصرياً كان من صفات أوزوريس وهو لقب « فاعل الخير » الذى ترجم للإيونانية بلفظ « يورجيتيس » . .

. ومنذ ذلك التاريخ أصبح تقليداً أن يسعى كل بطليموس للحصول على مبايعة كهنة مصر قبل توليه العرش ، وكان ذلك نقطة تحول في مصير الحضارة الأغريقية في مصر .

كان بطليموس الثالث شديداً الاحترام للمعابد المصرية ؛ وقد شهد عهده لإنشاء العديد من المعابد الجميلة على الطرز المصرية . الخالصة ؛ فقد بنى صرحاً Pylon فى الكرنك ، عرف باسمه تقليداً لما كان يفعله فراعنة مصر القدماء ، كما شرع فى بناء معبد كبير على غرار معبد الكرنك . وذلك فى مدينة إدفو ( Apollonopolis ) ، وهى مدينة مقاسة تقع إلى الجنوب من طيبة ، وخصصه الرب المصرى حورس الإدفوى ، الذى يعتبر قطعة فنية رائعة ؛ وقد بلغ من ضخامة المعبد أن استمر العمل فيه بانتظام مائة وثمانين عاماً ، على نحو يذكرنا ببناء معبد الكرنك ؛ إذ أصبح تقليداً أن يخلد كل بطليموس نفسه بأكمال جزء منه ، فهو « كرنك البطالة » ؛ ولم يكتمل العمل فيه إلا فى عهد بطليموس الزمار والآخر ملكة بطلمية على مصر ؛ وهى كليوباترا السابعة ؛ وتظهر الوثائق أنه أوقف على هذا المعبد أراضى كثيرة ، موزعة على أربعة مقاطعات ، وقلده فى ذلك من خاضه على العرش ، ومن ثم ، فقد كان هناك هدف سياسى من بناء هذا الصرح الدينى الذى يفوق ما بناه الفراعنة ضخامة وفخامة ، ألا وهو تحويل الأنظار عن معبد آمون فى طيبة ، وسحب البساط من تحت أقدام كهنة الذين كانوا يوغرون صدور الناس بالثورة فى الجنوب ضد البطالة .

كما كان بطليموس الثالث محباً لتاريخ مصر القديم ، خاصة تاريخ

الزراعة ، كما كان مهتماً بوضع تاريخ رسمى لقيام حكم الأسرة البطلمية ، فاختار لذلك عام ٣١١ ق.م ، وهو العام الذى تمثل فيه الاسكندر بن الاسكندر ؛ كما تم فى عهده تطوير وضبط السنة المصرية الزراعية ، التى كانت تقوم على التقويم الشمسى ؛ وذلك بإضافة يوم كل أربع سنوات إلى أيام النسيء الخمس التى كانت تضاف إليها عند نهايتها ، فأصبحت السنة بذلك ٣٦٥ يوم فى السنة العادية و ٣٦٦ كل سنة كبيسة ؛ ولا شك أن علماء الفلك فى الاسكندرية ساهموا فى وضع هذا التقويم الجديد الذى أصبح يعرف بالتقويم السكندري ، والذى نقله الرومان على عهد يوليوس قيصر ، وبالتالى أصبح أساس التقويم الإفرنجي ، كما حرص فى الوثائق على استخدام الشهور المصرية بدلا من الشهور المقدونية .

لقد كان بطليموس الثالث : برأياً من الإغريق والمصريين على السواء ، فقد حقق السلام فى الداخل ، وثبت ممتلكات الامبراطورية فى الخارج ؛ كما لم يعف عنه العبث او المحون الذى عرفه ابوه وجده ؛ ولذلك احترمه المصريون ، وراوا انه جدير بلقب ومكانة الفرعون ؛ وبسبب كفائته وعدله ازدهرت الزراعة والتجارة ، والبحرت سفن مصر فى البحر الأحمر والبحر المتوسط ، تنقل التجارة ، وأصبحت الاسكندرية سوقاً دولية لتصدير السلع الشرقية ، ولقد تمسك بزوجته برينيكى ابنة ماجاس من الملكة السورية أباما ، وكرمها فى حياتها فظهرت معه مصورة تحت اسم « الربان الرحمان » .

لكن العيب الوحيد الذى أخذه المؤرخون على بطليموس الثالث يورجيتس الأول ، أنه آثر السلام فى الشطر الأخير من حياته ، معتمداً على سلاح الدبلوماسية والوقعة بين أعدائه ، مما جعله يهمل فى إعداد وتدريب الجيش القوى ، المستعد لمواجهة الأحداث المتقلبة ، مكتفياً بأن أعداءه وهما ملكا سوريا ومقناونيا ، قد غرقا فى مشاكلهم الداخلية ، التى لن يفريقاً منها ؛ ولم يكن يارى أنهما سوف يخرجان من هذه المشاكل أصلب عوداً ، وأكبر عداء لمصر ، فإهمال الجيش كان بداية تاكل



الامبراطورية البطلمية . هكذا كان الحال عندما مات يورجيتيس فى زيج عام ٢٢١ ق. م ، وانتقل العرش إلى ابنه بطليموس الرابع .

#### ٤ - بطليموس الرابع فيلوباتور الأول :

يعتبر عصر فيلوباتور نقطة تحول فى تاريخ أسرة البطالمة ، أو بمعنى آخر بداية العد التنازلى لها ؛ فقد تسلم الحكم من أبيه دون أن يجد جيشاً قوياً ، بالإضافة إلى ذلك فقد كانت شخصية الملك الجديد ضعيفة ومتخاذلة ، مما جعله العربة فى أيدي رجال القصر من أمثال أجاثوكليلس وسوسيبوس Sosibios الذى خطط للوقعة بن الملك وأسرته ، فخرضه على قتل أمه برينيكى ، ثم عمه ، وأخويه ، وعدداً من أصدقائه ، حتى الملك الأسير طى اللاجئ كليومينيس لم ينج من الفتك به ، كما استخدم سوسيبوس هذا الملك الطائش للتخلص كل منافسيه ليخلو له الجو ، ويتصرف كما يشاء فى البلاد فى ذلك الوقت الذى حكم فيه مصر ملك ضعيف جلس على العرش فى إنطاكية أقوى ملوك الأسرة السلوقية ، وهو أنطيوخوس الثالث ؛ كما جلس على عرش مقدونيا الملك فيليب الخامس ، وكان ملكاً طموحاً يتوقد غيرة ونشاطاً لإحياء الامبراطورية المقدونية ، وقد تحالف الملكان السورى والمقدونى للانتقام من أسرة البطالمة لما فعلته بهما ، فقد كانا طامعين فى تقسيم الامبراطورية البطلمية بينهما ؛ بل كان أنطيوخوس الثالث يحلم بغزو مصر وضربها إلى إمبراطوريته حتى تصبح إمبراطورية واحدة فى مصر والشرق الأدنى وآسيا الصغرى ؛ وفى ذلك الوقت نفسه ، كانت روما تخوض حروباً مريرة مع قرطاج ؛ بقيادة عدو الرومان هانيبال ، التى إنحاز اخلا لها الملك السورى والمقدونى إلى جانب قرطاج خرفاً من تزايد الخطر الرومانى على الممالك الهلنستية ؛ بينما وقفت مصر وبرجامون ورودى إلى جانب الرومان ؛ وكان هذا بداية تطلع روما لوضع قدم لها فى شرق البحر المتوسط ، ولحسن الحظ خلد لنا بوليبيوس سجلاً عن سياسة روما الصاعدة إزاء الممالك الهلنستية المتصارعة فى ذلك الوقت .

### إندلاع الحرب السورية الرابعة في الشرق الأدنى :

وبعد أن فرغ الملك السليوقي أنطيوخوس الثالث من إخضاع الثورات في مملكته الآسيوية ، وقضى على بعض الحركات المناوئة في إقليم بابل عام ٢٢٢ ق. م ووجد شمل مملكته ، رأى أن عليه أن يتزوج عمله باستعادة جنوب الشام وساحل فينيقيا وفلسطين من أيادي بطليموس الرابع ؛ وتصفيته الحاسب القديم مع مصر . وبالفعل سار بجيش كبير صوب ساحل فينيقيا ، فاستولى على معقل البطالمة ، وساعده في ذلك قائد الجيش البطلمي ثيودوتوس الذي كان قافرا إلى الشام وإحتمى بالسليوقيين ، فقد ساعد هذا القائد الهارب أنطيوخوس الثالث في الاستيلاء على جوف سوريا وفلسطين دون مقاومة تذكر ، حتى وصل جيش أنطيوخوس الثالث إلى غزة ، وأصبح يبادق أبواب مصر ، عازماً على احتلالها ، مستغلاً ضعف فيلوباتور وفوضى الإدارة بسبب تحكيم الوصي سوسيبوس . غير أن هذا الأخير أثبت في مواجهة هذه الأزمة كفاءة ودهاء لا يمكن إنكارهما . إذ بدأ في تعطيل الملك السوري عن الزحف إلى مصر بحجة التفاوض للوصول إلى حل مرض ، كما جعل الملك السوري يتوهم أن قوات كبيرة من الجيش المصري متحصنة عند بيلوزيوم ( تل الزرما ) ، واستمرت المفاوضات عامين ، تمكن خلالها من إبعاد جيش من المتطوعين الإغريق وبقايا المستوطنين العسكريين والمرتزة ، بل إتخذ قراراً شجاعاً عندما قرر تجنب الفلاحين المصريين وتدريبهم على طرق القتال الحايثة ، وبالفعل تم تكوين فرقة مصرية وطنية في الجيش البطلمي تعادها نحو ألف مقاتل ، يقودها ضباط مقدونيون وإغريق ، وجعلها تحت إشرافه وقيادته الخاصة ، تاركاً للملك بطليموس الرابع قيادة القوة الإغريقية ؛ وبذلك عادت الأحوال إلى أيام الدولة البصاوية الوطنية عندما كان الجيش المصري يتكون من فرقتين ، واحدة مصرية ، وأخرى من المرتزة والإغريق مع تغير الأدوار .

### المعركة الكبرى على الشرق الأدنى : معركة رفح ٢١٧ ق. م :

المعارك التاريخية كثيرة ، ولكن قليل منها هو الذي يغير مجرى التاريخ بصرف النظر عن حجم تلك المعارك ؛ ومعركة رفح التي وقعت بين جيوش

أنطيوخوس الثالث ، وبين جيش بطليموس الرابع بشطريه الاغريقى والمصرى ، كانت واحدة من هذه المعارك التى حولت مجرى الأحداث فى تاريخ مصر . فبالنسبة للمصريين الوطنيين كانت المرة الأولى - منذ وقوعهم تحت الاحتلال - التى استمدعوا فيها لحمل السلاح دفاعا عن الوطن ؛ فقد أبعد المحتلون المصريين عن سلك الجيش والمعارك خوفا من ثوراتهم ؛ و فرغوهم للزراعة والفلاحة والخدمات الالزامية التى تطلبها الدولة ، حتى وان كان بعضها لخدمة الجيش وحراسة مواقعه ، وبمرور الزمن نسى المصريون حمل السلاح ؛ وحرموهم من خبرة الجيش التى تطورت فى العصر الهلينيستى تاريبا وسلاحا ، فاذا هم ياءعون فجأة لحمل السلاح ، والتأريب والقرين تحت قيادة ضباط مقلدون لليونانيين واغريق ؛ وتكونت فى الجيش فرقة وطنية ، حنت إلى أيام الماضى التليد ، أيام خروجهن فى غزوات البند وراء فراعنهن العظام وفى تاريخ مصر القديم ، نجد أن تاريخ الجيش المصرى هو تاريخ قوة مصر ، وتدهورها . ولهذا عرصت هذه الفرقة المصرية منذ البداية على أن تهبدى شجاعة منقطعة النظير ، ليس دفاعاً عن العرش البطلمى فحسب ، ولكن دفاعا عن مصر وتراثها وتاريخها القديم .

فعندما أيقن سوسيبوس أن الاعاءاد للجيش قد اكتمل ، جعل مبادرة الهجوم فى جانبه ، وليس فى جانب العدو ؛ وتقدم هنا الوزير يقود فيلقه المصرى ، بينما تقدم الملك بطليموس الرابع فى هيأانه ، يقود القوات الأغريقية والمرتزة التى بلغ تعدادها سبعين ألف جندى مابين فارس وراجل ؛ ولحسن الحظ خلأ لنا المؤرخ بوليبيوس Polybios وصفا دقيقاً لأحداث المعركة التى دارت فى لظى القىظ على رمال رفح ، فى الثانى والعشرين من شهر يونيو (حزيران) عام ٢١٧ ق.م . ولقد ثبت من دراسة أحد النقوش العربية القديمة أن المعركة لم تكن بين البطالمة والسلوقيين ، بل شملت أيضاً الحرب بين المستوطنات المعينية فى شمال الحجاز بزعامة ديدان العلا ، والتى انحازت بالطبع الى جانب مصر ؛ وبين سبأ اليمن التى كانت من الواضح متحالفة مع الأنباط والسلوقيين ، وربما حاولت سبأ اليمن انتهاز الفرصة لاستعادة

سيطرتها على مستوطناتها في شمال غرب الحجاز ، وتحرير طريق البخور من السيطرة البطلمية . والأغرب من ذلك أن هذه المعركة حدثت في نفس الوقت الذي كان فيه هانيبال القرطاجي يلحق الهزيمة بالرومان في إيطاليا عند بحيرة تراسيمينوس . أى أن هذه الحرب تخرج عن نطاق الحروب المحلية، إذ اشتعل الشرق الأدنى كله مما أدى الى تعرض قوافل التجارة للخطر .

ونفهم من وصف بوليبيوس لوقائع المعركة الرئيسية ، بأن قام الملك السوري أنطيوخوس الثالث وحلفاؤه باجتياح الفيلق الأغريقي ، الذي كان يقوده بطليموس فيلوباتور ، مستخدما الأفيال الهندية المدربة ، غير أن سوسينيوس وفيلقه المصري أحاط بالقوات السليوقية من تحلف وألحق بها هزيمة ساحقة لم تخطر على بال أنطيوخوس الثالث ، فتقهقر راجعا من حيث أتى بعد أن عقد هدنة مع الملك بطليموس الرابع أقر بمقتضاها حق مصر في جوف سوريا وفلسطين وسواحل فينيقيا ؛ وضاعت أحلامه في الاستيلاء على مصر ؛ ولقد شهدا بوليبيوس أن النصر يرجع الى شجاعة وبلاء الفيلق المصري ؛ في نفس الوقت نفهم من النقوش الهيكلية أن الشمال أيضا قد انتصر على الجنوب ، حيث قدم تجار الحجاز القرابين للآلهة اعترافا بهذا النصر ولنجاة قوافلهم من الخطر .

ولهذا فإن المؤرخين يعتقدون أن معركة رنج عام ٢١٧ ق.م كانت نقطة تحول في تاريخ دولة البطالمة في مصر ؛ فقد تلى نجاح المصريين في تحقيق النصر ارتفاع روحهم المعنوية ؛ وعودة الثقة الى أنفسهم لأول مرة منذ قرون مضت ؛ وراحوا يحنون لأيام الكفاح والسلاح في عهود ملوكهم الفرعنة المعظم ؛ وتلى ذلك أيضا انتشار روح التضحية للوجود الأجنبي على أرض مصر ؛ وذلك بعد أن عاد الجنود المصريون المسرحون الى قراهم ؛ فكثر حركات المقاومة الوطنية خاصة في أعماق الصعيد . معقل القومية المصرية ، بل وبدأت النبوءات الدينية المصرية تكثر وتبشر المصريين بقرب ظهور البطل المصري الذي سوف يعيد لطيبة مجدها من سيطرة الأسكندرية ؛ وبذل الملوك للبطالمة جهدا كبيرا في القضاء على هذه الثورات ، التي كلفت

الاقتصاد البطالىس الكثير ؛ فقدت ادت إلى تدهور الزراعة ، لإنعدام الأمن فى الصعيد ؛ ولم يجد ملوك البطالمة بعد ذلك التاريخ بدا من تملك المصريين ، والظهور بالمظهر الوطنى الفرعونى ، وانحسار المد الأغريقى ؛ والتودد الى الكهنة ، والى المعابد لكسب رضاهم ، والاغداق عليهم بالامتيازات ؛ وعلى المعابد بالأراضى ؛ حتى أصبحت المعابد المصرية دويلات داخل الدولة ؛ ولم تشهد المعابد المصرية ازدهارا فى تاريخها يمثل هذه الدرجة ، حتى أصبح تقليدا أن يسعى البطاليسوس عنا ، بتوجيه الى شراء مبايعه الكهنة ؛ ومن النتائج التى واكبت هذا النصر ازدهار الحضارة المصرية ، وبعثها من جديد ، وبدأت تطغى على الطابع الأغريقى ؛ بل وأخذ كثير من الأغريق الذين كانوا يعيشون فى المناطق البعيدة فى خلع الرداء الأغريقى والظهور بمظهر الفلاحين المصريين ولم يجدوا عيبا فى أن يتغنوا بالملاحم الشعبية المصرية الديموطيقية التى نسجت على نسق الألياذة لتحدث عن بطولات ملوك مصر العظام .

ولذا كان عام ٢١٧ ق.م ، هو نقطة التحول بالنسبة للمصريين ، فانه كان أيضاً نقطة تحول لشعوب الشرق الأدنى وغرب آسيا الصغرى ، فقد واجهت الدولة السليوقية هى الأخرى ثورات قومية ، وانفصلت عنها العديد من المقاطعات الشرقية التى أعلنت استقلالها ، وبدأ تأثير الحضارات الشرقية يشهد نشاطا فى مواجهة حركة الأغركة السليوقية ، وفى التخوم الشرقية زاد نفوذ العناصر الفارسية على حساب العناصر الأغريقية . وكان على أنطيوخوس الثالث أن ينتظر سنين أخرى ليعود لمصر بجيش أقوى ؛ إذ أن فقدان التخوم الشرقية والشالية قلص حيز الدولة السليوقية ، وجعل حيزها الرئيسى هو بلاد الرافدين والشام ، وبالتالى زاد اصرارهم على طرد البطالمة من جوف سوريا . غير أن انتصار روما فى النهاية على هانيبال ، واستدارتها لمعاقبه أعدائها خاصة أنطيوخوس الثالث ، وحليفه فيليب الخامس ، قضى على أحلامه فى إعادة احياء الامبراطورية السليوقية الكبرى التى تضم الشرق الأدنى كله بما فى ذلك مصر .

### سياسة بطليموس فيلوباتور بعد معركة رفح :

كانت شخصية الملك الضعيفة ، وسيطرة رجال القصر عليه ، إحدى الأسباب التي أدت الى تدهور الأحوال في البلاد ؛ فقد انتشر الفساد والرشوة واستفحل البيروقراطية ؛ وزاد جشع جامعي الضرائب لزاء الفلاحين ؛ مما أدى الى تدهور الانتاج في المحاصيل الزراعية ، خاصة أن تجنيده الفلاحين في الجيش أدى الى وجود نقص في الأيدي العاملة بالزراعة ، وهروب الكثير من فلاحية الأرض تجنباً لظلم حياة الضرائب ؛ كما أن تكاليف الحروب الخارجية، وقمع الثورات الداخلية أفلس الخزينة العامة . وفي وسط هذه الظروف الصعبة كان على الملك بطليموس فيلوباتور أن يواجه تحالفاً خارجياً معادياً لمصر ، وطامعاً في الاستيلاء على ممتلكاتها ، وهو تحالف فيليب الخامس ملك مقدونيا ، وأنطيوخوس الثالث ملك سوريا وآسيا الصغرى ؛ كما أن الرومان من خلال مساعدات البطالمة لهم بالقمح المصري ، أثناء تدمير هاننبال لحقول القمح في إيطاليا ، بدأوا يدركون أهمية مصر كزرعة للغلال ، التي كانوا في حاجة إليها ، فبدأوا بدورهم يتطلعون لزيادة نفوذهم فيها، وعلى الجانب الآخر، دفع ضعف البطالمة المتأخرين الى زيادة الاعتماد على هذه القوة الجديدة لتحميهم من طمع ملوك مقدونيا وحلفائهم السيلوقيين . وبضعف الحكومة البطلمية، بدأ نفوذها يضعف في الشام وآسيا الصغرى وبحر ايجة مؤذناً بقرب مغيب شمس الامبراطورية البطلمية .

ورغم ذلك ، فقد حاول الثائمون على تسيير سياسة مصر الخارجية من رجال البلاط في الاسكندرية ، تدعيم وتوثيق علاقة مصر مع القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط خاصة مع رودس وبرجامون ، اللتين جمعهما الخوف من نشاط الملك المقدوني وحليفه أنطيوخوس الثالث في خندق واحد ؛ فقد قضى بطليموس الرابع كما يقول بوليبيوس ثلاثة أشهر في سوريا وفينيقيا بعد معركة رفح ، لتدعيم الممتلكات المصرية في الشام ؛ ويذكر سفر المكابيين اليهود ، أنه زار أورشليم وحاول دخول قدس الأقداس في معبد سليمان ، غير أن اليهود منعه من ذلك ، مما جعله يكن لهم الكراهية، وهو الذي يعتبر

نفسا موثقا في مصر ؛ وان كانت هذه الواقعة غير ثابتة ، بل ربما كانت من خيال المكابيين اليهود ، كذلك حاول بطليموس الرابع تدعيم علاقته مع الملك المروى أركاماني في النوبة .

عاد بطليموس الرابع الى الاسكندرية من رفح في خريف عام ٢١٧ ق.م ودخلها دخول المنتصرين ؛ وبعد ذلك بقليل تزوج من أخته أرسينوى الثالثة على طريقة الامراة ، ومحاكيا ما فعله جده فيلادلفوس . واتخذ لنفسه لقباً هو فيلوباتور أى الحب لأبيه ، لأنه كان يعلم أن أباه كان محبوباً من عامة الأغريق والمصريين ، وظهرت صورته مع زوجته مع عبارة الربان الخبّان لأبيهما Philopatores ، وأُخذت فيبلغ في انتصاره على أنطيوخوس الثالث كما نفهم من النقوش المصرية ، وبعثات الصنّيع والألقاب الدينية المصرية الفرعونية تظهر مترجمة إلى اليونانية تؤكد لشخصيته كفرعون ؛ وفي خريف عام ٢٠٩ ق.م أنجبت له أخته ابناً ذكراً أعلن رسمياً أنه شريك مع أبيه في الحكم بعد مرور بضعة أسابيع فقط على مولده .

ومن النقوش التي ظهرت في النوبة ، يتضح أن بطليموس الرابع استمر في إرسال البعثات لأصطياد الأفيال الأفريقية وتدريبها لتواجه أفيال السليوقيين الهندية ؛ رغم أنه لم يتدخل في الصراع الذي نشب بين أنطيوخوس الثالث وابن عمه آخاينوس بعد معركة رفح ، وإنما آثر البقاء على الحياد . ومن مظاهر عهد فيلوباتور كثرة ظهور السفراء الرومان في الاسكندرية ما بين أعوام ٢١٥ و ٢١٠ ق.م لضمان وصول التمتع المصري الى ايطاليا للقضاء على المجاعة الناجمة عن حروب روما مع هانيبال .

ولقد اختلف المؤرخون حول شخصية بطليموس الرابع ؛ فقد ظهرت صورته غامضة ومهزوزة ، كما أنه كان نادر الظهور في المناسبات العامة مع زوجته التي يقال أنها بقيت حبيسة في القصر حتى موتها في حريق غامض بعد موته بقليل . ويعتبر البعض ان الصورة التي رسمها بوليبيوس عن ذلك البطليموس وتقاعسه ، صورة ظالمة ، يكذبها عشرات النقوش التي أقامتها المدن الأخرقية خارج مصر تكريماً له ، كما يؤكد بها بصماته الواضحة على ( م ١٢ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينيستي )

معبد لإدفو ؛ ويؤكد لها أن أنطيوخوس الثالث وحليفه فيليب الخامس عزفا عن مهاجمة مصر في حياته لعلهم بما بقوة مصر تحت إدارته ، أو على الأقل تحت إدارة وزيره سوسيبديوس ؛ غير أن المصادر الأدبية تذكر أنه في أيامه الأخيرة أغرق نفسه في المحن والبوهيمية ، وعبادة ديونيسوس الماجنة ؛ وغير ذلك من السلوك المروبي ، مثل محاولة تأليف المسرحيات الماجنة ، تاركاً شئون الحكم للوزير سوسيبديوس الذى كان الحاكم الفعلى للبلاد . وظل على هذا الحال حتى قضى نحبه بالأسكندرية في خريف عام ٢٠٣ ق.م ؛ وأخذت سلطات القصر اعلان موته بضعة شهور . وهكذا انتهى هذا البطليموس المفترى عليه ، والذى لم يحظ بما حظى به البطالمة الثلاثة السابقون رغم تفانيه في خدمة العرش البطلمي .

#### ٥ - بطليموس الخامس المتجلى ( ابيمانيس ) :

ترك فيلوباتور من بعده طفلاً لم يتجاوز السابعة من عمره ، وكان أبوه قد أشركه معه في الحكم منذ عام ٢٠٩ ق.م ؛ وكان من المنروض أن تبين أمه أرسينوى الثالثة وصية على أبنها الطفل طبقاً للتقاليد البطلمية المتبعة ، غير أن الوزير سوسيبديوس ومساعداه أجاثوكليس أخفيا نبأ موت الملك عن زوجته خوفاً من أن تقوم الملكة الأم بالوصاية على ابنها ، ثم تعلن طردهما لعدم ثقتها فيهما ، ثم دبرا مؤامرة قتلها الملكة في حريق غامض ، ثم أعلنتا موت بطليموس الرابع وموت زوجته أرسينوى الثالثة معا ، وتعيين نفسيهما وصيين على الملك الطفل بمقتضى وصية مزيفة نسبها للملك الراحل ، ولما شعر المتآمران بالسخط العام حاولا كسب رضا الجنود بتوزيع المكافآت عليهم وعينا الموالين لهما في المناصب الهامة .

لكن ذلك لم يمنع من اندلاع حركات التمرد في الجيش البطلمي ؛ وبدأت في بيلوزيوم ، ثم امتدت إلى الاسكندرية ؛ وخرجت جماهير الناس لتأقى القبض على أجاثوكليس ، وتفتك به وبأسرته ؛ أما سوسيبديوس فقد كان قاء توفى قبل هذه الثورة بأيام قليلة . وبالمطبع فقا ، تزايد خطر ثورات المصريين في الجنوب ، خاصة في طيبة التى كادت أن تنفصل عن مصر ،



حتى ملوك أثيوبيا حماة الحضارة المصرية القياسية وديانة آمون بلداً وإيفكرون جابيا في التدخل لاسقاط حكم البطالمة ، وإعادة مصر الى نهدها الفرعونى ، فى هذه الأثناء أيضاً تم الاتفاق بين أنطيوخوس الثالث وفيليب الخامس على اقتسام ممتلكات مصر فى الخارج ، وتقدم الملك السلوى لتنفيذ ذلك فيما يعرف بالحرب السورية الخامسة .

### الحرب السورية الخامسة وفقدان مصر لممتلكاتها فى الشام :

تقدم أنطيوخوس الثالث فى ظل ظروف مواتية . واستولى أولاً على جوف سوريا وفينيقيا ، ثم تقدم للاستيلاء على غزة فى عام ٢٠١ ق.م ؛ وحاول الوصى الجايد على الملك وكان اسمه ارسطومينيس أن يتصدى لهذا الغزو ؛ فبعث بجيش يقوده قائد أتولى اسمه سكوباس ، نجح فى إستعادة غزة ، غير أن أنطيوخوس نجح فى إلحاق هزيمة ساحقة بالجيش البطلمى عند بانيون Paneion بالقرب من نهر الأردن وذلك فى عام ٢٠٠ ق.م ، وفقدت مصر بذلك الى الأبد فينيقيا وجوف سوريا ، وكانت مصر من قبل قد فقدت ما تبقى لها من ممتلكات فى آسيا الصغرى ، كما استولى فيليب الخامس على جزر الكوكلايس وما تبقى البطالمة من ممتلكات عند مضيق البسفور وفى اقليم تراقيا . على أى حال يعتبر عام ٢٠٠ ق.م هونهاية أمبراطورية البطالمة فى الشرق الأدنى والى لم يتبق لها سوى برقة وقبرص .

### تزايد النفوذ الرومانى فى مصر :

ولما بلغ الملك بطليموس الخامس سن الرشده عام ١٩٧ ق.م حاول تحسين علاقاته مع السلوقيين ، إذ تزوج من أميرة سورية هى كليوباترا الأولى ، وذلك فى عام ١٩٣ ق.م ، أملا أن يكون مهر العرس عودة جنوب الشام الى مصر. وفى نفس الوقت حاول زيادة الصداقة مع روما على نفس النحو الذى فعلته كل من أثينا ومملكة برجامون ورودس ؛ بهاف الحصول على حماية روما من اطماع فيليب الخامس وأنطيوخوس الثالث ، وعلى أمل ان يرغم الرومان هذا

الملك السوري ليعيد جنوب الشام إلى مصر، وذلك واضح من وصول سفارة رومانية عام ٢٠٠ ق. م لتبشر بطليموس بهزيمة قرطاجة وهانيبال ، وتشكره على وفائه لها في وقت حرج ؛ كاد فيه هانيبال أن يفضى على اقتصادها لولا القمح المصرى الذى بعث به أبوه في الوقت المناسب ؛ كما أن السفارة الرومانية رجته أن يبقى على وفائه لروما في حالة دعوها الحرب ضد فيليب ملك مقدونيا وأنطيوخوس الثالث ، حليف هانيبال (١) ولم يمض وقت طويل حتى رد بطليموس الخامس بأرسال سفارة الى مجلس الشيوخ الرومانى ليعطوهم أنه قد تلقى دعوة من الأثينيين والأغريق للتدخل الى جانبهم عسكريا ضد فيليب الخامس المقدونى ؛ وأنه آثر أن يستأذن السناتو الرومانى قبل قبول الدعوة بالغم من وجود تحالف مشترك بينه وبين الأثينيين ، ثم يخبر السناتو الرومانى اما أن يتدخل الرومان لحماية الأثينيين ، وينفض هو يده من الأمر ؛ أو يعلم السناتو أنه ليس على استعداد للتدخل وفي هذه الحالة يتدخل هو بأرسال قوات لحماية أثينا من عدوان فيليب المقدونى على الأثينيين ؛ لكن الرومان تركوا الأمر معلقا حتى لا يعطوا بطليموس فرصة للتدخل خارج مصر ، فأخبروه أنهم ينوون مساعدة حلفائهم في الوقت المناسب ، وأهم إذا احتاجوا لمعونة مصر في تلك الحرب ، فلن يترددوا في طلبها لثقتهم الكبيرة في الاعتماد على موازد مصر ( من القمح ) لسد حاجات الجمهورية كما فعلت من قبل (٢) . وبالتالي فان ذلك يكشف أن روما كانت تريد تجميد الدولة البطلمية عند الحد الذى هى عليه ( Status quo ) ولا تسمح لها بمد نفوذها خارج هذا الحد ؛ حتى لاتصبح قوة كبيرة في شرق البحر المتوسط . وهذا يثير الشك حول مهمة الوفد الرومانى الذى جاء الى مصر عام ٢٠٠ ق. م وعما إذا كان قد فرض على الملك قيودا سياسية مقابل حماية ممتلكات مصر . ومن ناحية أخرى كان حضور السفارة الرومانية إلى مصر بقيادة لبيدوس بمثابة توجيه الانذار الى كل من فيليب

---

(1) Titus Livius, XXXI, 2, 3—4.

(2) Titus Livius, XXX, 7, 1—5.

الخامس وانطيوخوس الثالث بعدم التدخل في شئون مصر ؛ لكن تحت تأثير الحزب المهادى للرومان داخل البلاط سعى بطليموس الخامس الى شراء السلام مع الملك انطيوخوس الثالث ، غير أن الملك السورى كان يطمع فى الاستيلاء على مصر نفسها ، وكان يأمل أن تنجب ابنته من بطلموس الخامس ابناً يرث عرش مصر ؛ وبالفعل عندما انتشرت شائعة بأن الملك بطليموس قد مات ابجر انطيوخوس إليها ؛ لكنه انسحب عندما علم بكذب الشائعة . وازاء التهديد الرومانى له بعدم التدخل فى شئون الأغريق وما تلى ذلك من تحديه للرومان سعى انطيوخوس الى قبول السلام المصرى ليؤمن مؤخرته إذا ما دخل فى حرب مع روما خاصة وأنه كان قد إنتزع جنوب الشام من مصر بعد معركة باننيون رام ٢٠٠ ق.م . واتى على أثرها تم الاتفاق الذى دعم بزواج بطليموس الخامس من كليوباترا الأولى ابنة أنطيوخوس الثالث ، وكان مهر العروس أن تجنى مصر دخل اقليم جوف سوريا وفلسطين على أن يظل هذا الاقليم تابعاً سياسياً لأنطيوخوس ، وازاء ذلك فقد تقاعس بطليموس الخامس عن مساعدة روما فى حربها مع انطيوخوس الثالث ، التى انتهت بهزيمته ، ولأن مصر لم تساعد روما ، وآثرت الحياد فى هذه الحرب ؛ فقد ردت روما رداً عملياً وذلك فى صلح أباميا عام ١٨٨ ق.م والذى جرّدت فيه أنطيوخوس من كل ممتلكاته فى آسيا الصغرى ، وضمّتها الى مملكة برجامون ، لأن ملكها يومينيس اشترك بأسطول ضد أنطيوخوس ، الى جانب روما ؛ كما كافأت روما رودس ولم تعط مصر شيئاً ، بل لم تعد إليها حتى ممتلكاتها التى كان الملك السورى قد اغتصبها منها ، بالرغم من أن بطليموس الخامس كان قد نقض معاهدة السلام مع صهره أنطيوخوس الثالث عندما ادرك أن الدائرة قد دارت عليه ، وأرسل يعرض على روما المساعدة المالية لصد غزو أنطيوخوس على بلاد اليونان عام ١٩٢ ق.م . ولكن روما رفضت ذلك تعبيراً عن غضبها من تصرف بطليموس السابق ، ومرة ثانية عرض بطليموس عام ١٩١ ق.م عن طريق وفد بعث به الى السناتو بأن تضع مصر مصادرها تحت تصرف روما لمحاربة صهره أنطيوخوس الثالث ؛ ولكن روما رفضت للمرة الثانية تعبيراً عن

استنكارها لموقف بطليموس المائع ؛ ون النهاية لم تعد إليه أى جزء من ممتلكاته السليبية فى الشام بعد صلح أباميا ؛ ولم يند ندم بطليموس الخامس وتوبته وانقلابه على صهره السورى لأنه لم يكن من مصلحة الرومان إعادة جنوب الشام الى مصر لانها هى الأخرى كانت تريد أن تضع اقدامها فى الشرق الأدنى .

وهكذا فقدت مصر ممتلكاتها الخارجية باستثناء قبرص وبرقة ؛ وازاء ذلك اضطربت تجارتها الخارجية فى البحر الأحمر نتيجة لفقدان جنوب الشام ، ووقوع طريق القوافل الأفقى بين الخليج العربى والبحر المتوسط فى أيدي السليوقيين ؛ وصاحب ذلك تزايد الثورات الوطنية من جانب المصريين ، وتدهور الزراعة وضعف السلطة المركزية ؛ وفشلها فى السيطرة على البلاد ، وبداية شراء ود الكهنة المصريين وذمهم ؛ ومن قبل عندما توج بطليموس الخامس نفسه ملكا عام ١٩٧ ق.م ، اختار منف العاصمة المصرية القديمة وليس الاسكندرية مكانا لحفل التتويج ، كما عين بعض المصريين فى المناصب العليا سواء فى الجيش أو فى الإدارة .

### حجر رشيد :

ومن أهم الوثائق التى تعبر عن امتنان الكهنة المصريين لسياسة التحجب والتودد إليهم من جانب بطليموس الخامس ، صدور قرار المجتمع الكهنوتى المصرى الذى عقد فى منف عام ١٩٦ ق.م لشكر الملك وتأييده والتعبير عن مجهوداته فى القضاء على الثوار ، وقد كتب القرار باللغة المصرية بخطها الهيروغليفى والديموطيقى ، يليها اللغة اليونانية فى الامثل ، وقد عثر أحد جنود الحملة الفرنسية على مصر على هذا الحجر المنقوش قرب رشيد ، ولهذا عرف باسم حجر رشيد ؛ وهو الحجر الذى تمكن العالم الفرنسى شامبليون عن طريقه من حل رموز الكتابة الهيروغليفية ، وكان بداية فعلية لعلم الدراسات المصرية Egyptology ؛ وبعد هزيمة الحملة الفرنسية على

يد النelson اشترط الانجليز تسليم هذا الحجر إليهم ، ولا يزال موجودا حتى الآن في المتحف البريطاني بلندن .

على أى حال ، نلاحظ من تحليل قرار كهنة منف عام ١٩٦ ، مدى ارتفاع روحهم المعنوية ، وازدياد الثقة في أنفسهم ، عن قرار كانوب الذى كان قد صدر في عهد بطليموس الثالث يورجيتيس قبل ذلك بأربعين سنة ، وهذا يبين أن مقياس القومية المصرية كان في ارتفاع مستمر .

### ثورة طيبة القومية ضد الحكم البطلمي :

كانت واست أو طيبة كما سماها الأغريق ، قلعة المقاومة المصرية ، لأنها كانت المركز الدينى لآمرن ؛ وعاصمة المراعنة الأولين ، والتي منها خرج الأبطال المحررون ، فمنها خرجت حركة المقاومة ضد ملوك الهكسوس ، بل أنها رفعت لواء المقاومة ضد الآشوريين حتى دخلتها جيوش آشور بانيبال عام ٦٦٣ ق.م وأنزلت بها الخراب بدرجة هزت أرجاء العالم القديم ، ولكنها رغم ذلك عادت الى الحياة من جديد ؛ لأنها كانت مقر معابد آمون التى إليها أبدى المراعنة المقادونيون احترامهم ، مثل الاسكندر الأكبر ، وفيليب أرهيدايوس ، والاسكندر بن الاسكندر ؛ وبطليموس الأول ، والثانى ، والثالث ، عندما أقاموا نصباً هناك على غرار المراعنة القدامى تعبيرا عن تقديرهم لعقيدة الشعب الذى يحكمونه ؛ كما أنه منذ دخول الاسكندر كانت حركة تعمير طيبة وإعادة ترميم معابدها قائمة ومستمرة .

### تأزم العلاقات بين مصر ودولة مروي بعد فقدان جنوب الشام :

كانت علاقة البطالمة الثلاثة الأول وثيقة مع دولة مروي فى النوبة ، حيث كانوا يحصلون منها على الأفيال المستأنسة ؛ كما ساهم بطليموس الرابع فى بناء معبدى فيلة ودكة حيث كان مهتما بمنطقة البحر الأحمر وباب المناب ؛ لكن ابتداء من عهد بطليموس الخامس ابيفانيس فترت العلاقات المصرية المروية ، بل انقلبت الى عاء حيث قام الملك البطلمي بتشيويه اسم الملك المروى أركامانى من على المعابد ، الواقعة على الحدود .

ومما زاد على ذلك، أن هزيمة بطليموس الخامس في الحرب السورية الخامسة أدت إلى فقدان البطالمة لطرق القوافل البرية عبر الشام، فلهجأوا إلى الاعتماد على طريق التجارة في البحر الأحمر، وحولوا مراكز صيد الأفيال القديمة إلى قلاع عسكرية دائمة؛ ورداً على ذلك تحولت سياسة ملوك النوبة من الصداقة مع البطالمة إلى تحريض العناصر المصرية في الجنوب للثورة عليهم، بل وتدخلوا عسكرياً لمناصرة الثوار في طيبة؛ وقد حاولوا كل عون ممكن؛ خاصة أن الثورة اندلعت من معاقل آمون وبزعامة كهنته، والذين كان ملوك النوبة ينظرون إليهم نظرة الوفاق، كنظرة القادة الكاثوليك إلى بابا روما في العصر الحاضر؛ كما أن نجاح هذه الثورة كان يحقق أهداف ملوك النوبة السياسية في التوسع شمالاً، وطرد البطالمة من مصر، أو على الأقل تحويل انتباههم عن التوسع جنوباً؛ وقد أدى سوء الأحوال في آخر عهد بطليموس الرابع فيلوباتور إلى اندلاع الثورة في طيبة، التي كادت أن تحقق الاستقلال عن سلطة الملك في الاسكندرية، واستمرت هذه الثورة من ٢٠٦ حتى ١٨٦ ق.م، كما أن زعيمها كانا حورمانخيس Hormachis وعنخمانخيس Anchmachis وهما اسمان مصريان، بل ليس من المستبعد أن يكون هذان الثاران نوبيين متمصرين.

وعندما تولى بطليموس الخامس، وأبدى تودداً كبيراً للمصريين؛ هدأت الثورة عام ١٩٧ ق.م خاصة أن الفيضان في ذلك العام كان عالياً فأضعف مركز الثوار مما دفعهم إلى الاستسلام، عندئذ أرسل بطليموس قوة قوامها ٥٠٠ مقاتل، جند فيها بعض النوبيين الموالين له بقيادة هيالوس. وقد أساء قائدا الحملة التصرف في الثوار المستسلمين، حيث أعدمهم بطريقة وحشية، فعادت الثورة من جديد؛ وبلغ من عنفها في الجنوب أن أعلنت طيبة الاستقلال عن سلطة الملك في الاسكندرية عام ١٨٧ ق.م، ولم يستطع هيالوس القائد العسكري في إقليم طيبة من القضاء عليها إلا بشق الأنفس؛ وذلك في عام ١٨٥ ق.م بعد أن استولى على المنطقة الواقعة جنوب الشلال وجعلها حزاماً حاجزاً يفصل بين بلاد كوش ومصر؛ لمنع تحريض ملوك النوبة من الثورة مستقبلاً؛ وسار على هذه السياسة بطليموس السادس.

وما أن قضى على الثورة في الجنوب حتى هبت ثورة في الشمال أى في الدلتا ضد الحكم البطلمي قضى عليها في عام ١٨٤ / ١٨٣ ق.م .

ولم يكن القضاء على ثورات المصريين بالأمر السهل ، إذ اضطرت القصر الملكي الى إلغاء الضرائب المتأخرة ، وتخفيض الضرائب القائمة ، بل وصار عفو شامل عن الجنود المصريين الذين انضموا الى الثورة ، ومنح كهنة آمون امتيازات جديدة ، وأعطى بعض زعماء المصريين مناصب عليا في الجيش والادارة وخلاصة القول أن القومية المصرية بدأت تكتسح وتتحدى لأول مرة الوجود الهليني والذي بدأ يندوب في بحر الحضارة المصرية .

ومنعامن إندلاع الثورة في طيبة مستقبلا ، وتوكيادا لسلطة الملك البطلمي على الجنوب ، عين على اقليم طيبة حاكم عسكري بدرجة ايبستراتيجوس Epistrategos ، كان له مطلق التصرف اداريا وعسكريا بمثابة نائب الملك ؛ حتى يتفرغ لقمع الحركات المعادية في الجنوب ؛ وهذا أعطاه وضعاً مميزاً عن غيره من حكام الاقاليم الذين كانوا يحكمون بدرجة ستراتييجوس فقط . وربما كان هذا المنصب احياء للمنصب الفرعوني نائب الملك في النوبة الذي ظهر بعد قيام الماواة الحديثة بعد ثورة النوبة على الفراعنة خلال عصر الدولة الوسطى وتعاونهم مع الهكسوس .

وهكذا بدأت دولة البطالمة تحصر بين شقي الرحي ؛ فمن الشمال بدأ تدخل الرومان يزداد تدريجياً تحت شعار حماية مصر من أطماع فيليب وأنطيوخوس ، وفي الجنوب بدأ تيار القومية المصرية في الازدياد ، وبدأ يطغى على تيار الحضارة الأغريقية ، ويصبح قوة مؤثرة يتودد الملوك إليها بالتنازل عن الملامح الأغريقية الخالصة ؛ والأخذ بمظاهر الحضارة المصرية القديمة ؛ وتدل شواهد الآثار عن مدى تمصر الأغريق في أنحاء البلاد ، وظهور طبقة من أبناء الزواج المختلط ، بالإضافة الى تعبد الأغريق وملكهم للآلهة المصرية بعد أن هجروا ألهتهم الأغريقية .

وفي ظل هذه الظروف مات بطليموس الخامس ايبثمانيس عام ١٨٠ ق.م

فجأة ، وقد قيل انه مات مسموما ، تاركا ثلاثة أبناء من زوجته كليوباترا الأولى السورية أكبرهم كان في السابعة من عمره .

## ٦ - بطليموس السادس فيلوميتور ١٨٠-١٤٥ ق.م :

هكذا تولى أكبر أبناء بطليموس الخامس تحت وصاية أمه ؛ وعرف باسم فيلوميتور أى المحب لأمه كليوباترا الأولى ابنة أنطيوخوس الثالث . ولم تكن كليوباترا الأم من دماء مقدونية خالصة ؛ بل نصف شرقية ، فأما كانت ابنة الملك مشربا ، اتيس ملكة مملكة بنطوس الواقعة جنوب البحر الأسود ، أما جدتها فكانت الملكة أباما الفارسية ؛ وبذلك أدخل على العنصر الملكي البطلمي دماء شرقية فارسية . لكن الملكة الأم ماتت عام ١٧٦ ق.م ، فأنفرد بطليموس السادس بالحكم ؛ وتولى أمر السياسة اثنان من العتقاء هما يولايوس Eulaeus ولينايوس Linaeus ؛ ثم تزوج بطليموس من اخته كليوباترا الثانية عام ١٧٥ ق.م ؛ وتزوج نفسه ملكا عام ١٧٢ ق.م في منف ، وبتولية العرش تغيرت سياسة مصر الخارجية ؛ فقد كانت الملكة الأم تدعو لحياد مصر ازاء ما يجرى في العالم الهلينيستي من صراع مع الرومان ، ومهادنة بني قومها السليوقيين ، لكن بعد موتها اتجه الملك الى سياسة محاربة الرومان ؛ ومعاداة اخواله السليوقيين من أجل استعادة جوف سوريا وفلسطين . وأخذ الوزيران يولايوس ولينايوس يدبران المؤامرات من أجل استعادة هذه المنطقة ، مستغلين انشغال انطوخوس الرابع في القضاء على الفتن في مملكة يهوذا ، بسبب إجباره اليهود على التأخرق ومسايرة التيار العام للحضارة ؛ مما أدى الى ظهور دولة المكابيين اليهود في فلسطين كوريث لدولة اليهود التي أسقطها البابليون والأشوريون ، والتي يسميها اليهود المعاصرون اسرائيل الثانية .

## الحرب السورية السادسة :

ولما أحس انطيوخوس الرابع بذلك التغير في سياسة مصر ، سارع الى المبادرة بغزوها عام ١٧٠ ق.م ، مستغلا سوء الأحوال الداخلية فيها ، وتقدم إليها



دون مقاومة واستولى على قلعة بيلوزيوم ( تل الفرما ) ؛ ثم تقدم صوب منف حيث توج بها فرعوننا على طريقة الاسكندر الأكبر ، وهناك عقد الصلح مع بطليموس السادس فيلوميتور ، ووضعه تحت حمايته . ولما علم شعب الاسكندرية بذلك ، ثار على الوزيرين يولايوس ولينايوس لفشلهما ؛ وهتفوا بالشقيق الأصغر فيلوميتور ملكا على مصر ( وهو الذى سوف يصبح بطليموس الثامن فيما بعد لأن السابع لم يكن قد ولد بعد ) ؛ ثم أخذت الاسكندرية فى الاستعداد لملاقاة العدو السورى ، الذى تقدم إليها بحجة إعادة فيلوميتور إلى عرشه ؛ لكنه قبل أن يصل إلى الاسكندرية اضطر إلى الانسحاب لقيام ثورة بامون المكابى كبير الكهنة اليهود فى فلسطين ؛ وبذلك أصبح لمصر ملكان شقيقان فى وقت واحد ؛ الأول يحكم من منف وهو بطليموس السادس فيلوميتور ؛ والثانى يحكم من الاسكندرية وهو بطليموس الثامن الذى اتخذ لنفسه لقباً هو يورجيتيس الثانى .

وتحت ضغط رأى العام من شعب الاسكندرية ازاء الخطر السورى ، إتفق الأخوان على التصالح على أن يحكما معا ، بالاشتراك مع شقيقتهما كليوباترا الثانية زوجة فيلوميتور الشقيق الأكبر ، حتى لا يعطو للملك السورى حجة لغزو مصر .

### حادثة عصا السفير الرومانى لايناس :

وما أن فرغ أنطيوخوس الرابع من قمع ثورة اليهود ، حتى عاد إلى غزو مصر ، بحجة مناصرة فيلوميتور ؛ وذلك فى ربيع عام ١٦٨ ق.م ، بعد أن استولى على قبرص وهو فى طريقه إليها ؛ ولما أخبره الأخوان أنهما قد تصافيا ، طالب بعقد معاهدة يتنازلا فيها عن قبرص ، وبيلوزيوم ، والمنطقة المحاورة لها القرية من الفرع البيلوزى للنيل ، حتى يؤمن جنوب سوريا من أى محاولة للاستيلاء عليها من بجانب البطالمة ، وقابل رجال البلاط والملك ذلك المطلب بالرفض الكامل ؛ عندئذ تقدم أنطيوخوس الرابع صوب منف ، فدخلها للمرة الثانية ؛ ومنها تقدم لأحتلال الاسكندرية

وسط مقاومة شديدة ؛ وكانت روما ترقب الموقف باهتمام شديد ، ولم تكن تسمح أبداً للملك السوري باحتلال مصر ، فأرسلت أحد سفرائها البصريين ، يحمل قراراً من السناتو ، يطالب الملك السوري أن ينسحب على الفور من مصر ، إذا أراد أن يكون صديقاً للرومان ؛ وإذا رفض ذلك فإنه سيصبح في نظر السناتو عدواً يجب محاربته ، وعند ضواحي الاسكندرية تقابل الملك السوري مع السفير الروماني ، وسلمه قرار السناتو ، طالبا منه أن يقبل أو يرفض ؛ ولما حاول انطيوخوس الرابع أن يسوف الأمر ، رسم السفير الروماني — وكان اسمه بوبيليوس لايناس — Popilius Laenas بهضاه الرسمية دائرة حول الملك ، طالبا منه أن يقدم له رداً يحمله للسناتو قبل أن يخطو خطوة خارج تلك الدائرة ؛ عندئذ مده الملك السوري يده مصافحاً السفير ؛ مفضلاً أن يكون صديقاً للرومان ، وأعلن انسحابه على الفور من مصر وقبرص ؛ وهمل الرومان للدائرة التي رسمها لايناس ، والتي أتمت مصر من الاحتلال ؛ وكانت هذه الحادثة بمثابة بداية لفرض الحماية على مصر (١) من جانب الرومان .

#### تدخل الرومان في النزاع بين بطليموس السادس وأخيه بطليموس الثامن :

أثار التدخل الروماني في شئون مصر شعب الاسكندرية ، فقامت ثورة بزعامة أحد الأغريق المتمصرين من رجال القصر يدعى بيتوسيرابيس ؛ مطالباً بطرد فيلوميتر ، وتعيين شقيقه الأصغر يورجيتش الثاني ملكاً على مصر ؛ وحاول الأخوان التصالح حتى لا يعطيا الفرصة للثورة الوطنية ، بل تعاونوا معاً في القضاء على شطر من هذه الثورة في الاسكندرية ؛ غير أنها امتدت الى الصعيد ؛ عندئذ سافر بطليموس فيلوميتر على رأس قواته لقمعها ، ولما عاد عام ١٦٤ ق.م إلى الاسكندرية وجد أن أخاه قد دبر انقلاباً ضده ، استولى به على العرش ؛ فهرب الى روما ؛ حيث راح يتذلل مرثياً ماء وجهه للرومان ، لكي يعيده الى العرش ، فأرسل السناتو وفداً لفض

(1) Titus Livius, XLV, 11; 10.

النزاع بين الأخوين ، واقترح الوفد أن يتنازل فيلوميتور عن حكم إمارة برقة لأخيه يورجيتيس الثانى ، ويكتفى بحكم مصر وقبرص ، غير أن يورجيتيس الثانى لم يكتف برقة ، بل ظل يطالب بقبرص أيضاً ، ولكى يقنع الرومان بذلك ، راح يتألل لهم ويتملقهم ، لدرجة أنه كتب وصية أن يؤل حكم برقة الى الشعب الرومانى إذا مات دون وريث ، وقد عُثِر فى برقة على نص لهذه الوصية التى حررت عام ١٥٥ ق.م .

أما بطليموس السادس ، فقد انفر بحكم مصر وقبرص ، ودعم علاقته بالرومان فقلد كان يشعر بأنه ما بين لهم بمساعدته فى الجلوس على العرش ؛ وهكذا إستفادت روما من خلق آخرين متعادين . كل منهما يتنافس فى إظهار حبه وتودده لها . وهكذا مرت علاقة الرومان بالبطلمية من مرحلة الصداقة ، الى مرحلة الحماية ، الى مرحلة اختيار البطليموس ، الذى يجلس على عرش مصر ، كما عهد الرومان الى ترك الخلاف بين الآخرين على العرش مستمراً حتى يحقق لهم ذلك فرصة التدخل عملاً بمقولتهم « فرق تسد » .

### المحاولة الأخيرة لبطليموس السادس لاستعادة جنوب الشام :

حاول فيلوميتور أن يستغل المصاعب التى كانت تواجهها الدولة السلوقية ؛ فقد تحرك انطيوخوس الرابع شرقاً من أجل استرداد الأقاليم الشرقية ليواجه الرومان وهو فى مركز أقوى ؛ ولكنه لقي حتفه فى أصفهان عام ١٦٣ ق.م ؛ وتولى من بعده ابنه الطفل انطيوخوس الخامس الملقب باسم يوباتور Eupator ( أى الأب الطيب ) ، وتولى لومسياس الوصى . شئون الحكم نيابة عنه ، ولم يحكم هذا الملك الطفل سوى عامين ؛ إذ قام ديمتريوس بن سليوقوس الرابع والذى كان يقيم فى روما كرهينة ، بالنزاع العرش وقتل الملك الطفل . ولكن سرعان ما ظهر منافس للملك السورى الجديد ، وهو الإسكندر بالاس Alexander Pallas ، الذى ألبه بطليموس السادس وملك برجامون ، وكذلك السناتو الرومانى خيلاً من تزايد نفوذ ديمتريوس ، الذى كان يطمح فى احياء الامبراطورية السلوقية

كما كانت قديما ، وبالفعل نجح بطليموس السادس وحلفاؤه في هزيمة ديمتريوس والقضاء عليه ؛ وتتويج منافسه باللاس ملكا في أنطاكية عام ١٤٥ ق.م ؛ وكان بطليموس السادس يتوقع الحصول على مكافأة من الاسكندر باللاس بعد جلوسه على العرش ، وهو إعادة جوف سوريا الى مصر ؛ ولكن أثناء القتال ، تلقى بطليموس السادس جرحا أدى الى وفاته في صيف عام ١٤٥ ق.م ؛ وهكذا مات قبل أن يحصل على مكافأته من الملك السورى الجديد .

أما في مجال السياسة الداخلية ، فقد تابع سياسة التودد الى المصريين ومنح الكهنة امتيازات خاصة واقطاعيات ، حتى يشتري سكوت المصريين ؛ كما أنه منح اليهود الفارين من حروب أنطيوخوس الرابع معهم ، منطقة ليقربوا عليها معبدا ؛ وهى منطقة ليونتوبوليس وذلك لكى يكسب اليهود الى جانبه ليكونوا عوناً له فى صراعه مع السليوقيين . وعموما كان بطليموس السادس آخر البطالمة الذين سعوا لاستعادة مصر ممتلكاتها المفقودة فى الشام .

### بطليموس السابع وعمه بطليموس الثامن :

ترك بطليموس السادس ابناً تحت وصاية أمة كليوباترا الثانية ؛ تولى العرش بعد موت أبيه ؛ وعرف باسم نيوس فيلوباتور Neos Philopator وكان أبوه قد أشركه معه فى الحكم قبل وفاته كنوع من إعلان التوريث كعادة البطالمة . وقد أيد حق هذا الطفل فى أن يحكم تحت وصاية أمه اليهود المقيمون فى مدينة الإسكندرية ، فقد كان بطليموس السادس وزوجته كليوباترا الثانية على علاقة طيبة باليهود كما سبق أن ذكرنا ؛ وقد غضب الشعب السكندرى لتدخل اليهود فى الصراعات الملكية ، واعتماد الملكة الأم على تأييدهم ، ورداً على ذلك أعلن السكندريون أنهم يؤيدون بطليموس الشقيق الأصغر للملك الراحل ومنافسه على العرش سابقاً ؛ والذي كان يحكم برقة وعلى علاقة قوية بالرومان ؛ وكادت أن تحدث حرباً أهلية حول العرش لولا تدخل الرومان ؛ الذين أقروا عودة صديقهم يورجيتيس الثانى من

برقة وتولية العرش ؛ بشرط أن يتزوج أرملة أخيه كليوباترا الثانية ، وبسرعة  
نفلد بطليموس ملك برقة هذا المخطط ، وتولى العرش وتزوج من أرملة أخيه ،  
ولم تمض شهور حتى تخلص من ابن أخيه الطامل بطليموس السابع ليعلن  
نفسه ملكا بأسم بطليموس الثامن يورجيتيس الثاني ؛ وذلك في عام ١٤٤  
ق.م ؛ ولكن هذا الملك المستهتر لم يكن على وفاق مع أرملة أخيه ، حتى أنه  
تزوج عاينها من ابنتها الصغيرة كليوباترا الثالثة عام ١٤٢ ق.م ؛ ومن ثم ،  
قادت الملكة ضده ثورة شاركها فيها الساخطون على ذلك السلوك الشائن ،  
امتدت الثورة من الاسكندرية الى سائر انحاء مصر ، وذلك في عام ١٣٢ ق.م ،  
ولم يستطع الملك قمعها فهرب ، ولم يتمكن من العودة الى الاسكندرية إلا في  
عام ١٢٧ ق.م ؛ وذلك بتأييد الرومان ؛ لأن التجار الإيطاليين عبروا عن  
تلك المناسبة السيئة بأقامة نقش تذكاري في جزيرة ديلوس ؛ ولقاء كانت  
هذه الثورة عفيفة إذ إجتاحت مصر كلها ، وتسببت في شل الإدارة  
والنظام ؛ ولهذا عرفت باسم Amixia اى « الهوجة » ، غير انها سرعان ما  
عادت من جايده في طيبة ؛ لكن بفضل دعم الرومان ، وبعد عامين من  
القتال ، نجح بطليموس الثامن في استعادة سيطرته على البلاد ، وفرت أرملة  
أخيه وزوجته الأولى كليوباترا الثانية لتعيش في انطاكية عاصمة الدولة  
السليوقية ؛ املا في ان يقوم احد الملوك السليوقيين باعادتها الى عرش مصر  
ولإسقاط زوجها السابق وزوج ابنتها في نفس الوقت من العرش .

### وثيقة العفو العام :

بعد ذلك بدأ يورجيتيس الثاني باعادة تنظيم البلاد ؛ فعين أبنة من احدى  
محظياته واسمه بطليموس أبون Apion حاكما على برقة ؛ ثم أعلن عفو شاملا  
للناس عرف باسم وثيقة العفو العام Philanthropa ، التى حاول فيها إعادة  
الأمن والنظام ؛ وفرض عقوبات صارمة على المخالفين للقانون والمنحرفين  
واللصوص ؛ وأعلن عفوهم التام عن جميع الجرائم التى ارتكبت من قبل ،  
وإستثنى من ذلك العفو لصوص المعابد ، والمتهمين بقتل النفس ؛ ولكى  
يهادأ الفلاحين ، ويعوضهم عن الكرارث التى لحقت بهم ، أعلن تنازل  
الدولة عن معظم الضرائب والمتأخرات ؛ وحظر على عاملى الضرائب استخدام

العنف ضد الفلاحين ؛ أو استغلالهم بغير حق . كما أعلن تشجيعه لاستزراع الأراضي البور ؛ ومنح امتيازات لذلك ، كما شملت هذه الوثيقة محاولات لارضاء الثوار المصريين مثل اعفائهم من بعض الخدمات الاجبارية ، وثبت ملكيتهم الحيازات العسكرية ، التي منحت للجنود المسرحين منهم على غرار ما كان يمنح قديماً للمستوطنين العسكريين من المرتزقة الأغريق في مطلع العصر البطلمي كما أكل شطراً كبيراً من معبد إدفو .

ولم يكن أمام بطليموس الثامن ومستشاريه إلا أن يفعلوا ذلك ، لأن الاحوال في مصر كانت قد ساءت للدرجة التدهور ، كما أن الاقتصاد أصيب بالدمار الشديد ، والانتاج الزراعي هبط هبوطاً حاداً ، وبالتالي تأثرت تجارة مصر الخارجية التي كانت تعتمد على القمح ، فقلت الصادرات وانعدم الأمن ، وبدأ شعب الأزمة الاقتصادية . غير أن هذه الاصلاحات جاءت متأخرة ، كما أنها لم تكن جذرية ومن ثم ، لم توقف التدهور والانحيار ، الذي قابله ازدياد الاهتمام الروماني بمصر ، وزيادة نفوذهم تدريجياً تمهيداً لاحتلالها .

وفي عام ١١٦ ق.م ، توفي بطليموس الثامن ( يورجيتيس الثاني ) ، وهو في السنتين من عمره ، تاركاً وصية ، يمنح فيها السلطة وحقوق التصرف لزوجته ( وابنة أخيه ) كليوباترا الثالثة ، لتختار من تشاء من أبنائه الثلاثة منها .

### حكم بطليموس التاسع سوتر الثاني والعاشر الإسكندر الأول :

تولى أكبر أبناء بطليموس الثامن من زوجته الثانية كليوباترا الثالثة وهو بطليموس التاسع ؛ وكان يشغل من قبل وظيفة كاهن الاسكندر ؛ وفي أثناء حياة أبيه عينه حاكماً على قبرص ، وزوجه من أخته كليوباترا الرابعة ؛ وفي عام ١١٦ ق.م تولى العرش بالاشتراك مع أمه كليوباترا الثالثة ، غير أن أمه لم تكن على وفاق معه ، ولقب نفسه باسم سوتر الثاني لاتوروس غير أنه سرعان ما طلق زوجته كليوباترا الرابعة ؛ وتزوج من أخت له أخرى كانت تعرف باسم كليوباترا القمر Cleopatra Selene هي كليوباترا الخامسة ؛ وغادرت كليوباترا الرابعة مصر الى سوريا لتجتمع لها جيشاً . لكنها توفيت هناك .

وفي عهد سوتير الثاني لم تتوقف الوفود الرومانية الرسمية وغير الرسمية عن زيارة مصر ، بهدف رصد الأحوال فيها . ورفع التقارير عن أوضاعها إلى مجلس السناتو ، فقد اوردت إحدى الوثائق البردية التي عثر عليها في كوم أم البريجات ( تبتونس Tebtunis القديمة ) في جنوب الفيوم . خبر وصول أحد أعضاء مجلس الشيوخ البارزين إلى مصر وزيارته اليوم في مارس عام ١١٢ ق.م. وتضمنت الأوامر التي صدرت إلى حاكم الأقليم المذكور بخصوص مايجب القيام به نحو اكرام وفادته ، والأغداق عليه بالهدايا (١).

وفي عام ١١٠ ق.م . ضاقت الملكة الأم كليوباترا الثالثة بابنها الأكبر سوتير الثاني لتصرفاته الغريبة ؛ فأثارت عليه شعب الاسكندرية ، واستدعت ابنها الأصغر الاسكندر الأول من قبرص ليتولى عرش البلاد ؛ وفر سوتير الثاني لاتوروس إلى قبرص وبقي هناك ، بينما حكمت الملكة مع ابنها اسكندر الأول ، والذي عرف باسم بطليموس العاشر منذ عام ١٠٧ ق.م . غير أنه في عام ١٠١ ق.م توفيت الملكة الأم ، وانفرد الاسكندر الأول بالعرش وحده ؛ ولكنه كان ضعيفا متخاذلا ، فثار عليه شعب الاسكندرية واضطر إلى الهرب إلى سوريا ، ومنها إلى قبرص ؛ حيث لقي حتفه هناك ، ثم استدعى بطليموس سوتير الثاني لاتوروس من منفاه في قبرص لتولى العرش مرة أخرى ، فتولاه في عام ٨٨ ق.م . وظل يحكم مصر وقبرص معا حتى موته في عام ٨٠ ق.م . وكان قد تزوج من اخته بيرينيكى الثالثة على إثر عودته إلى مصر ، غير أنه لم ينجب منها أطفالا ، ولهذا بقيت بيرينيكى ملكة بمفردها على العرش بعد موت زوجها عام ٨٠ ق.م .

#### بطليموس التاسع وأحلام العودة إلى الشام :

أما عن سياسة بطليموس التاسع الخارجية فلا تكاد تذكر ، باستثناء عداائه للسافر لدولة اليهود التي أقامها المكابيون ؛ ففي خلال الفترة التي كان فيها منفيا في قبرص ؛ استعجبت الملكة الأم باليهود لمنعه من العودة إلى مصر ؛ ولذلك لم ينس الانتقام منهم ؛ فوقف إلى جانب السليوقيين ضدهم ؛ وأزلت قواته هزيمة ساحقة بالقائد اليهودي بانايوس حليف أمه ؛ وكان هدفه من التدخل

(1) P. Tebtunis, 33 ; A. Wilhelm, "Papyrus Tebtunis, 33 ( Journal of Roman Studies, Vol. 27 (173 ), pp. 145—151.

( م ١٣ ) - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينيستي )

هو الحصول على جوف سوريا من السليوقيين ؛ ومنها يبدأ زحفه على مصر  
لأستعادة عرشه ؛ وبالفعل نجح في ضم غزة إليه ؛ ولكنه سرعان ما عاد إلى  
إلى قبرص ، وهجر المشروع كله ، حتى استدعى للعرش مرة أخرى .  
عندئذ عادت إليه أحلام العودة إلى الشام ، وطالب السليوقيين بأعادتها — كما  
كانت — لمصر ، ولما رفض السليوقيون إعادة جنوب الشام إليه ، إنقلب  
عليهم وتحالف مع الرومان للقضاء على البقية الباقية من دولتهم .  
تزايد النفوذ الروماني :

وفي أثناء الصراع بين بطليموس التاسع وأمه ، فقد بطليموس ابيون حاكم  
برقة ثقته في العرش البطلمي ؛ فكتب وصية يوصي فيها ان توول برقة إلى  
الشعب الروماني في حالة وفاته دون وريث مقلداً ما فعله بطليموس الثامن  
عندما كان حاكماً على برقة ، ولما مات ابيون دون وريث عام ٩٦ ق.م أعلن  
الستاتو قبول الوصية ، وضم برقة عام ٩٦ ق.م ؛ وبذلك فقدت مصر  
جزءاً مما تبقى لها من امبراطورية ؛ ولم يتبق لها سوى قبرص ؛ التي كانت  
عيون الرومان هي الأخرى مركزة عليها .

أما عن السياسة الداخلية ، فظلت الأحوال في تدهور شديد في كافة  
النواحي ، خاصة ازدياد التيار الوطني المصري ؛ فتجددت الثورات في طيبة  
منذ عام ٨٨ ق.م ، وظلت مشتتة حتى عام ٨٦ ق.م ؛ وقد حاول سوتير  
الثاني كسب ود المصريين . ببناء المعابد وإكمال بناء معبد أدفو ، وتقرب  
إلى الكهنة ، ومنحهم الامتيازات ، وزار أدفو ومعابد أسوان .

وفي أثناء عهد ذلك البطليموس ، قامت الحرب الأهلية الرومانية بين  
ماريوس الذي كان يتزعم العامة ، وسوللا الذي كان يتزعم الأشراف  
الارستقراطيين ؛ وفي أثناء حصاره لمدينة أثينا ، طلب سوللا مساعدة بطليموس  
التاسع سوتير الثاني لاتوروس ، غير أن بطليموس التاسع تردد كثيراً ، ولم يقدم  
للرومان سوى القليل حتى لا يغضب الدكتاتور الروماني ؛ وفي عام ٨٧  
ق.م ، طلب سوللا مرة أخرى عن طريق ارسال وفد إلى مصر المعونة  
الاقتصادية من القمح ، ومن الواضح أن مصر لم يكن أمامها سوى الاذعان  
لذلك الابتزاز الروماني (١) .

(1) Plutarchus, Bioi (Lucullus) .



### بطليموس الحادى عشر الملقب بالإسكندر الثانى :

مات سوتير الثانى لاتوروس عام ٨٠ غير مأسوف عليه من الشعب الإسكندري ؛ وطبقاً لوصية تركها من بعده ؛ إنتقل الحكم الى ابنته بيرنيكى التى تولت العرش دون معارضة من شعب الاسكندرية ، وسرعان ما برزت مشكلة البحث عن زوج لها من سلالة الأسرة البطلمية ؛ وأخيراً عثر على ابن للأسكندر الأول (بطليموس العاشر) كان قد أنجبه من إحدى عشيقاته ، وكان هذا الابن يعيش فى جزيرة كوس ليتعلم فيها ، وعندما إستولى ثريداتيس ملك بنطوس على هذه الجزيرة ؛ حمل هذا الأمير معه الى بلده ، غير أنه هرب الى روما ، حيث عاش فى كنف الدكتاتور سوللا ، الذى فكر فى تربيته واعاداده ليغينه على عرش مصر ، ويكسب بذلك ملكاً عميلاً للرومان . وفى الوقت المناسب بعث به سوللا الى مصر ليتولى الحكم ، ويصبح بطليموس الحادى عشر ؛ ولقب بالإسكندر الثانى ؛ وتزوج من ابنة عمه بيرنيكى الثالثة التى كانت تتمتع بمحبة شعب الاسكندرية ؛ ولكن لم يمض على زواجه منها تسعة عشر يوماً ؛ حتى قتلها غدراً ، لأنها أرادت أن تستأثر بالحكم ؛ وانتقم الإسكندريون لمقتلها بأن تجمهروا حول الملك القاتل فى الجمنازيوم ، وركلوه حتى قتلوه فى غده اليوم الذى قتل فيه أخته عام ٨٠ ق.م . ولم يكن قد مضى على حكمه سوى عشرين يوماً .

وبذلك قتل آخر وريث شرعى للعرش البطلمى ، ولقد إدعت روما فيما بعد أنه أثناء وجوده بها كان قد أودع وصية لديها يوصى فيها أن تؤول مصر الى روما بعد وفاته ؛ غير أن هناك شكوكاً حول هذه الوصية ، ويقال أنها زورت من قبل العناصر الرومانية الطامعة فى إحتلال مصر من أنصار الحزب الشعبى الرومانى الذى كان يحلم بتوزيع أراضي مصر على فقراء الرومان .

### الدولة البطلمية فى النزع الأخير :

هكذا شاء القدر أن تكون مصر آخر مملكة هيلينستية فى الشرق الأدنى تستولى عليها روما ، وأن يتلو ذلك الحدث قيام الامبراطورية الرومانية ، وذلك

عام ٢٧ ق. م . ليدخل تاريخ الشرق الأدنى مرحلة جديدة من تاريخ صراع القوى الكبرى للسيطرة عليه ، فقد عاد الفرس للمطالبة بحقوقهم ، وهو ما يشكل تاريخ الصراع على الشرق الأدنى فيما بعد .

وعموماً ارتبط تاريخ مصر في الخمسين سنة الأخيرة قبل إستيلاء الرومان عليها ، بتاريخ الصراع الحزبي في روما بين الحزب الشعبي ، وبين الحزب الجمهوري الأرستقراطي ، فهما ، مقتل الاسكندر على يد الغوغاء الثائرة عليه في الاسكندرية عام ٨٠ ق. م ، وبعد عشرين يوماً فقط من حكمه ، أبرز الحرب الشعبي الروماني وثيقة تدعى أن الاسكندر الثاني كان قد اوصى بأن تؤول مصر للرومان بعد وفاته ؛ خاصة ان الأبناء الشرعيين لسلالة الأسرة البطلمية اختنقوا ، ولم يعد هناك سوى الأبناء غير الشرعيين والاشكوك في نسبهم .

#### بطليموس الثاني عشر ( الزمار ) :

وبعد بحث وتفتيش ، عثر الرومان على ولدين غير شرعيين لبطليموس التاسع سوتير الثاني ؛ عين اصغرهما ملكاً على قبرص ، واكبرهما ملكاً على مصر ؛ وهو الذي حكم منذ عام ٨٠ ق. م متخذاً لقب بطليموس ديونيسوس الجديد Neos Dionysos ؛ ثم اُضيف إلى اسمه لقب فيلادلفوس الثاني (١) بعد زواجه من أخته كليوباترا السادسة ؛ ليذكر الناس بعهد سلفه العظيم بطليموس فيلادلفوس الأول ؛ وتم ذلك وسط احتجاج الحزب الشعبي الروماني بأن ذلك مخالف لوصية بطليموس الحادي عشر الاسكندر الثاني ؛ أما أهل الاسكندرية فقد أطلقوا عليه تهماً اسم بطليموس الزمار Auletes ؛ لأن ذلك الملك كان متقاعساً محباً للهو والعبث ، وحفلات الرقص والغناء ؛ حيث كان يعشق العزف على مزماره . ولكي يحظى باعتراف روما ، راح الزمار ويتنذل ويريق ماء وجهه للرومان ؛ ويدفع لهم بسخاء الهدايا

(١) لقد تأكد لنا ذلك من خلال النقش التذكاري الذي عثرنا عليه في معبد سوكسيس

في الفيوم ونشرناه عام ١٩٧٥ انظر : -

S. EL-Nassery and WG. Wagner : "Une nouvelle dedicace au grand dieu Soxis", ZPE, Band 19 (1975), pp. 139—142, Tafel I.

والرشاوى، ويشترى ذمم قادتهم من أمثال بومبي، ويوليوس قيصر وغيرهم؛ وكان زعماء الحزب الجمهورى الارستقراطى. يفضلون أن يظل الزمارى فى هذا الوضع المهيّن، ويدفع لهم الأموال؛ التى لا تقل عن دخل مصر إذا ما ضبوها، كما أنهم رأوا أن ضم مصر لن يفيدهم فى شىء؛ لأن خيرها سوف يذهب للعمامة ولجباة الضرائب من الفرسان؛ ولرجال الطبقة الوسطى، وهم المعادون للحزب الجمهورى. ولهذا عندما قدم كراسوس تقييب العمامة الرومان عام ٦٥ ق. م مشروعا لاحتلال مصر وفرض ضرائب عليها، اعترض زعماء السناتو على هذا المشروع بإيجاء من الزعيم الجمهورى بومبي،

ودافع صديقه شيشرون عن الملك الزمار دفاعاً مستميتاً، ولما قام التحالف الثلاثى الأول بين كل من بومبي، وقيصر، وكراسوس، دفع الزمار رشاوى باهظة لهذا التحالف حتى حظى منه فى عام ٥٩ ق. م على اعتراف رسمى بأنه ملك شرعى على مصر، وأنه صديق للرومان، بل وتنازل لروما طواعية عن جزيرة قبرص، وآخر ما تبقى للبطالة من ممتلكات خارج مصر؛ وبذلك استولت روما على قبرص عام ٥٨ ق. م، وجعلتها إلى ولاية رومانية؛ واحتجاجاً على هذا التصرف من جانب الزمار؛ انتحر أخوه ملك قبرص؛ ولما وصل النبأ إلى الاسكندرية، قامت ثورة ضد الزمار؛ فهرب إلى روما؛ وراح يتزلف زعماءها؛ ويحثهم على إعادته بالقوة إلى العرش مقابل مكافأة باهظة، وراح يقترض من المراهبين الرومان خاصة رابيريوس Rabirius، وطمعاً فى المكافأة تنافس قادة الحزبين المتنافسين فى روما على إعادة البطليوس المخلوع إلى عرشه؛ وكان صديقه بومبي الذى نزل فى ضيافته، يتمنى أن يقوم بتلك المهمة، وأخيراً بإيعاز منه، أو عن طريق إغراء من الزمار، اندفع إلى سوريا الرومانى جابينيوس دون استئذان من السناتو، وعبر حدود مصر، حيث فتحت الحامية اليهودية التى كانت تحرس بوابه مصر الشرقيه عند بيلوزيوم الأبواب لجابينيوس وقواته لتمر؛ فدخل مصر عام ٥٥ ق. م، وكان فى استطاعة جابينيوس أن يعلن ضم مصر إلى روما، لكنه لم يشأ ذلك حتى لا يغضب سيده بومبي زعيم الحزب

الجمهوري ؛ وبعد أن ترك حامية لحماية الزمار انسحب عائداً إلى سوريا ؛ وبذلك وضع حداً للأزمة السياسية التي سادت في روما بين الحزبين بسبب تنافسهما . مسألة إعادة الزمار إلى العرش ؛ ونال جايينيوس مكافأة كبيرة . وتراكت الديون على الزمار في نهاية عهده ، حتى فشل في تسديد ديون رابيريوس المرابي الروماني ؛ حتى أنه عرض عليه أن يعينه وزيراً للخزانة حتى يستخلص ما يشاء من ديونه ، وكان ذلك إهانة كبيرة لشعب الاسكندرية فهبوا في ثورة . وعندئذ ، دبر الزمار هروب رابيريوس سرّاً إلى روما ؛ ومات الزمار عام ٥١ ق . م . بعد أن ترك وصية أودعها في روما ، توصي بأن تشرف روما على تنفيذ وصيته ، وهي أن يتولى العرش من بعده أكبر بناته ؛ وهي كليوباترا . السابعة على أن تزوج من أخيها الصبي الصغير بطليموس الثالث عشر .

### كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة ٥١-٣٠ ق . م :

شاء القدر أن تكون آخر سلالة البطالمة في مصر ملكة فاقت أسلافها ذكاء ودهاء وطموحاً . فبعد تنفيذ الوصية تولت كليوباترا العرش ، وتزوجت من أخيها ، ولكنها أحست أن زواجها منه سوف يعوق طموحها ومخططاتها السياسية الكبرى ، خاصة أن رجال البلاط ، كانوا يقرضون وصايتهم عليه ، وبعد ثلاثة أعوام من توليها ، تأزمت العلاقة بينها وبين رجال البلاط الذين اتهموها بمحاولة اغتصاب الحكم لنفسها ؛ واثاروا عليها اخائها ؛ فهربت من الاسكندرية ، ولجأت إلى الصحراء الشرقية لتجنّد جيشاً من البدو ، على أمل أن تهاجم به الاسكندرية ، وتستولى على العرش ؛ بينما اعتمد رجال البلاط وقائد الجيش في إعداد جيش يساند الملك ؛ وداروا به شرقاً إلى بيلوزيوم لمنع الملكة الهاربة من العودة . في هذه الأثناء كانت روما تشهّد حرباً أهلية بين زعيمها بومبي صديق الزمار ، وزعيم الحزب الجمهوري ؛ وبين يوليوس قيصر زعيم الحزب الشعبي ، ونجح قيصر في هزيمة بومبي . عند فرسالموس . ففر بومبي إلى مصر بلاد صديقه الزمار ، آملاً في أن يحصل على ما تبقى لديه من أموال ورشاوى ؛ وأملاً في أن يجنّد جيشاً جديداً

يعاود به المهجوم لطرده قيصر من إيطاليا؛ ولما وصل بومبي، فوجئ بأن الزمار قد مات؛ وأن الملك الجديد، يحارب أخته قرب بيلوزيوم، فتوجه بومبي إلى معسكر الملك البطلمي؛ وقبل أن ينزل من القارب إغتناله أحد الجنود المرتزقة الرومان، ربما بتحريض من رجال القصر حتى لا يعطوا قيصر فرصة لإحتلال مصر.

ووصل قيصر إلى مصر متبعاً غريمه، ولما دخل الاسكندرية قدمت له رأس بومبي، فحزن وأعلن الحداد عليه؛ بل وطلب بناء معبد لربة الرحمة في الاسكندرية تدفن فيها رأسه، ثم شرع بصفته دكتاتوراً على الشعب الروماني، في التدخل لحل النزاع بين كليوباترا وأخيها؛ فأصدر أمراً أن يمثل الملك والملكة أمامه في القصر الملكي بالاسكندرية للتحكيم. وقد غضب أنصار الملك لتدخل قيصر في خلافات القصر الملكي؛ كما أن تجولة علناً في شوارع الاسكندرية بزيه الروماني، ومن أمامه حملة الشعارات أثار ضيق الأهالي؛ لكن قائد الجيش أخيلاس اقترح أن يمثل الملك أمام قيصر؛ بينما يستعمل الجيش خارج الاسكندرية؛ وإذا ما أحس الملك بأن هناك إنحيازاً لكليوباترا من جانب قيصر، يعطى إشارة من نافذة القصر عندئذ يهجم الجيش بقيادة أخيلاس، ويتخلص من قيصر ومن كليوباترا معاً.

أما كليوباترا؛ فقد تسللت عبر جيوش أخيها؛ وقيل أنها تخفت في بساط وثير، حمله أحد أتباعها داخل المدينة ليقدمه هدية إلى قيصر؛ ولما دخل الرجل القصر حل البساط، فبرزت كليوباترا وكأنها أفروديتية الجمال تخرج من قوقعة البحر؛ وسرعان ما سحرت أعين قيصر، الذي كان ذواقاً للنساء؛ وقامت بينهما علاقة الوجل بالمرأة. وكانت كليوباترا لاتمانع من ذلك، ما دامت تهدف إلى السيطرة على روما عن طريق السيطرة على دكتاتورها القوي؛ على أمل أن تربطه بالزواج منها؛ وتنجب ابناً يحكم مصر وروما معاً، وبذلك تتخلص من الانحياز الروماني، الذي كان يعاني منه أجدادها البطالمة في الأونة الأخيرة.

وجاء حكم قيصر أن تعود كليوباترا إلى العرش كشريكة فيه طبقاً

لوصية أبيها ، وهنا اعتبر بطليموس الثالث عشر ذلك تدخلا لفرض النفوذ الرومانى على مصر ؛ وأعطى الإشارة إلى قائد أخيلاس ليهاجم على القصر ؛ ليقتضى على قيصر وقواته القليلة بالنسبة للجيش البطلمى ؛ الذى دعم بالحامية الرومانية الموالية لبومبي ، الى كان جابيزوس قد تركها لحماية الزمار ؛ كما دعم الجيش البطلمى بالاصوص والمهاريين ، وقطاع الطرق والعميل من كل أجزاء العالم الهلينستى ، فضلا عن ألفين من الفرسان وبلغ تعدادها جميعاً عثرون ألفاً .

ودارت المعارك بين هذه القوات ، وجنود قيصر ، عرفت بحرب الاسكندرية ، ونظراً لمهارة القادة فى الجيش البطلمى ، واجه قيصر مواقف حرجية ، حتى كاد أن يقتل ، حتى اضطر الى احراق سفنه الراسية فى الميناء الشرقى ، لكى يمنع جنود الملك من احتلال هذا المنفذ ، وحتى لا يفقد الاتصال بالبحر . ونجح قيصر فى الاحتفاظ بالميناء ، لكن النيران اشتعلت فى أرصفته ومبانيه ، ويقال ان جانباً من مكتبة الاسكندرية حرق نتيجة لذلك غير أن وصول مساعدات لقيصر من حلفائه الأنباط واليهود ، غيرت من الموقف ؛ ومكنته من الانتصار على الجيش البطلمى ، ومات البطليموس غربيقا ، واحتل قيصر الاسكندرية عام ٤٨ ق.م ؛ وأعلن عودة كليوباترا ملكة بالاشتراك مع أخيها الأصغر بطليموس الرابع عشر ؛ وكان صبياً ، ثم قضى قيصر الشتاء وهو يتجول فى صعيد مصر ، بصحبة كليوباترا ، ويقال أنها اصططحته الى ادفو للاحتفال باكتمال بناء معبد حورس الذى كان بطليموس الثالث قد بدأ ببناءه ، تاركاً لحلفائه مهمة إكماله ، وبعد أن استجمع قيصر عاد الى روما ، تاركاً حامية رومانية لحماية الملكة ؛ وفى صيف عام ٤٧ ق.م أنجبت كليوباترا منه ابناً سماه أهل الاسكندرية تهما قيصرين أى قيصر الصغير أما هى فقد سُميت بطليموس الصغير ، وعلى أى حال كان قيصرين رغم أنه غير شرعى ، الابن المذكور الوحيد الذى أنجبه قيصر . فقد كان زواج قيصر بالملكة البطلمية غير شرعى بالنسبة للقانون الرومانى ؛ لأن قيصر كان لا يزال متزوجاً فى روما من كالبورنيا ، أما بالنسبة لقوانين مصر البطلمية ؛ فقد كانت تبيح تعدد الزوجات ؛ ويبدو أن كليوباترا كانت تسعى للاعتراف الرسمى بزواجها ؛ وذلك عندما زارت روما عام

٤٦ ق.م ؛ وأحاطت زيارتها بالدعاية لنفسها ؛ مما أثار حنق زعماء السناتو الذين عابوا سلوكها المتعالي والمتصلف ، واتهموا قيصر بأنه يسعى أن يكون ملكا كعشيقته المصرية ؛ ويحول الجمهورية الرومانية الى مملكة هلائية ، وكان الرومان منه ثورتهم قدما على ملوكهم الأثروسيين يبغضون الملوك ويعتبرون كل من يسعى لأن يكون ملكا بمثابة من يسعى لأن يكون طاغية ؛ وينوجب قتله بلا محاكمة ؛ وقد أدى ذلك الاتهام الى اغتيال قيصر في ١٤ مارس عام ٤٤ ق.م وهو يهيم بدخول السناتو ، بعد هاءادت الحرب الأهلية من جديد بين ورثة يوليوس قيصر وهما أنطونيوس واوكتافيوس ، وبين زعماء السناتو الذين دبروا المؤامرة وعلى رأسهم كاسيوس وبروتوس ؛ وأدركت الملكة المصرية أن الامبراطورية الرومانية سوف تغرق في بحر من الدماء ، وأثرت أن تعود سرا للاسكندرية ، وتعنى بشئون مملكتها ؛ وتقوم باصلاحات جذرية ؛ فقامت بالتخلص من أخيها شريكها في الحكم ؛ وعينت ابنها من قيصر شريكا لها ، وذلك حتى تلفت أنظار أتباع قيصر في روما بأن الوريث الشرعى الوحيد المستحق لأن يكون خليفته هو ابنها قيصرون ، وليس اوكتافيوس الابن الذى تبناه قيصر طبقاً لوصيته .

وبينما كان الصراع يعصف بالامبراطورية ، كانت كليوباترا قد ارسدت قواعد حكمها قويا ؛ وعنت بالزراعة والاقتصاد ، وتقريت الى المصريين ، فراحت تتكلم اللغة المصرية ، وتقلد الربة إيزيس في مظهرها ، وأعلنت أنها سليلة أنوبيس وسائر الآلهة المصرية ؛ أملا في توحيد المصريين الوطنيين من ورثها ، وكان من نتيجة ذلك أن دب الاستقرار ، وتحسنت أحوال مصر بشكل ملحوظ ؛ وتدفق الثراء على خزائنها ، وعادت إليها أهميتها الدولية كمصدر غنى لانتاج القمح ، ومركز رئيسى للتجارة .

وبعد أن انتهت الحروب الأهلية بهزيمة قتلة قيصر في معركة فيليبى Philippi عام ٤٢ ق.م ، إقتسم الوريثان انطونيوس واوكتافيوس الامبراطورية ؛ حيث حصل أوكتافيوس على الجزء الغربى ؛ بينما حصل انطونيوس على الشطر الشرقى . وسافر انطونيوس الى الشرق ؛ ومن هناك أرسل

يستبدع كليونباترا للمثول بين يديه في مدينة طرسوس ، عندئذ وجدت كليونباترا فرصة ثانية لمحاولة فرض نفوذها على روما عن طريق السيطرة العاطفية على أحرار زعمائها ، وسرعان ما سحرت انطونيوس كما سحرت قيصر من قبل ، فأصبح طوع بنائها ، وبدأت علاقة دافئة بينهما ، اذ قضى شتاء عام ٤٠ في صحبتها مهملًا شئون الشطر الشرقي للامبراطورية ، مما أدى الى تأزم علاقته مع اكتافيوس ، وبدأت الحرب النفسية بينهما ، لدرجة أن انطونيوس أعلن في تحد طلاقه من شقيقة اكتافيوس عام ٣٥ ق.م. ، وأعلن في نفس الوقت شرعية زواجه من كليونباترا ، بعد ذلك قسم الأجزاء الشرقية من الامبراطورية عليها وعلى قيصرين ، وعلى ولده وابنته اللذين أنجبهما من كليونباترا ، وحاول القاء الضوء على قيصرين ، بصفته الابن المباشر ، والوريث الشرعي ليووليوس قيصر ، وليس اكتافيوس الابن المتبنى ، بل أنه أهدي كليونباترا جزيرة قبرص حيث ولدت ربة الجمال ، وراح يخطط لجعل الإسكندرية عاصمة للجزء الشرقي للامبراطورية ، لأنه أقام فيها مهرجانات احتفالاته بدلا من روما ، بل قيل أنه حرر وصية طلب بمقتضاها أن يدفن في الإسكندرية . وبذلك وجدت كليونباترا نفسها ملكة على النصف الشرقي للامبراطورية بدون مجهود وهو أمر لم يستطع أحد من أسلافها أن يحققه .

وازاء ذلك ، بدأ أوكتافيوس في إثارة الرومان على انطونيوس ، وشهر به ، وهول من نوايا كليونباترا ، وحصل لنفسه على سلطة قوية من أجل انقاذ ممتلكات الشعب الروماني ، ثم أعلن الحرب على كليونباترا ، وكان الساحل الغربي لبلاد اليونان هو ميدان الصراع البحري بين الاسطول الروماني واسطول انطونيوس يساعده اسطول كليونباترا ، وذلك في خريف عام ٣١ ق.م. ، ولكن عند أول مناوشة انهار انطونيوس ، وانسحبت كليونباترا عائدة بأسطولها سليما الى الإسكندرية . ولم يستطع انطونيوس المقاومة ، فترك جيوشه وهرب ليلحق بكليونباترا ، ولكنها أشاعت أنها قد ماتت فانتحر انطونيوس ، وحاولت كليونباترا أن تبدأ التفاوض مع اكتافيوس الذي زحف بقواته من سوريا عام ٣١ ق.م. ، وأصر أوكتافيوس على القبض على الملكة المصرية حية ، ليسوقها في موكب نصره العظيم . لأنه وعد الرومان



- ٢٠٣ -

بذلك ، وكان يقوم بهذه المفاوضات أحد مساعديه من رجال الفرسان وهو كورنيليوس جالوس ، والذي أصبح فيما بعد أول وال روماني على مصر . ولم تفقد كليوباترا الأمل إذ جمعت قواتها البحرية عند خليج السويس ؛ ربما لتهرب الى مملكة الحميريين أو الى النوبة لكي تقود المقاومة ضد الرومان ، غير أن هذا الأمل تحطم عندما قام الانباط بحرق أسطولها وهو في الميناء انتقاما مما فعله بهم البطالمة . ولما أدركت أن اكتافيوس مصمم على القبض عليها ، انتحرت عن طريق حية الكوبرا (واجت) ؛ رز الخلود عند المصريين ، ودخل اوكتافيوس مصر بقواته في الأول من شهر أغسطس عام ٣٠ ق.م . حيث قتل قيصرين على الفور ؛ وأسر باقى أبنائها . ثم أعلن ضم مصر الى ممتلكات الشعب الروماني . وبذلك سقطت آخر مملكة هيلينستية وتمامت الامبراطورية الرومانية بعد أن استوعبت الشرق الأدنى وكل امبراطورية الاسكندر ، وبذلك ينتهى العصر الهلنستى ، ويبدأ عصر الامبراطورية الرومانية ، وهو عصر جديد ، تلاه تطورات جديدة ، رغم أن الحصار الهلنستية استمرت على ما هى عليه فى دول الشرق الأدنى المتأغرق ؛ وان كانت التيارات القومية الشرقية أخذت تبعث من جديد ، لتستوعب الحضارة الاغريقية ، وتغلب عليها ، ومن ثم ، فقد بدأت حضارات الشرق الأدنى ، تبعث من جديد ، ولكن فى ثوب جديد .





## مراجع الفصل الخامس

أولا : المراجع العربية والمعرية :

ابراهيم نصحي : —

- ١ — تاريخ مصر في عصر البطلمة ، ثلاثة أجزاء ، الطبعة السادسة ١٩٨٨ الناشر مكتبة الأيجلو المصرية .
- ٢ — تاريخ التربية والتعليم في مصر ، الجزء الثاني : العصر البطلمي ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥

بل . ه . ا . :

- ٣ — مصر من الاسكندر حتى الفتح العربي : دراسة أنشمار الحضارة الهلينية واضمحلالها ، ( نقله إلى العربية وأضاف إلى حواشيه د. محمد عواد حسين ، د. عبد اللطيف أحمد على ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٤ .

تارن . و . وجريفث :

- ٤ — الحضارة الهلينية ( نقله إلى العربية عبد العزيز توفيق جاويد ) القاهرة ١٩٦٦ .

دى . بورج :

- ٥ — تراث العالم القديم ، الجزء الأول ( ترجمة زكى سوس ومراجعة يحيى الحشاش ومحمد صقر خفاجه ) ، الناشر دار الكرنتك ، سلسلة الألف كتاب رقم ( ٥٥٧ ) القاهرة ١٩٦٥ .

زكى على :

- ٦ — « الاسكندرية تأسيسها وبعض مظاهر الحضارة فيها في عصر البطلمة » ، ( مقال ) مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الأول ( الاسكندرية ) العدد الثاني ١٩٤٤ .
- ٧ — « الاسكندرية في عهد البطلمة والرومان » ( مقال ) مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الأول ( الاسكندرية العدد الرابع ١٩٤٨ ) .

سارتون ( جورج ) :

- ٨ — تاريخ العلم : العلم والحضارة الهلينية في القرون الثلاثة قبل الميلاد . الجزء الرابع الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٩ .

### سليم حسن :

- ٩ - مصر القديمة : الجزء الرابع عشر : الاسكندر الأكبر وبداية عهد البطلمة في مصر ، دار الكتاب العربي بمصر ( بدون تاريخ ) .

### سيد أحمد الناصري :

- ١٠ - حضارة وتاريخ وآثار مصر تحت حكم الأغريق والرومان من الفتح المقدوني حتى الفتح الاسلامي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٩ .
- ١١ - « الصراع على البحر الأحمر في عصر البطلمة » ، ( مقال ) ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية - الكتاب الثاني ، الجزيرة العربية قبل الاسلام ، مطابع جامعة الملك سعود ( ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ) من ص ٤٠٦ - ٤٢٨ .
- ١٢ - « التأثير الروماني للحضارة المصرية على تفكير شعوب البحر المتوسط - من الغزو الفارسي وحتى العصر القبطي » ، ( مقال ) ، مصر وعالم البحر المتوسط ، اعداد وتقديم رهوف عباس ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١١ - ٣٨ .

### لجران ( فيليب إميل ) :

- ١٣ - شعر الاسكندرية ، ( ترجمة عن الفرنسية محمد صقر خفاجه ) القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٥٢ .

### عبد اللطيف أحمد علي :

- ١٤ - مصر والامير اطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية بيروت ١٩٧٢ .

### لطفى عبد الوهاب يحيى :

- ١٥ - دراسات في العصر الهلينيستي ، بيروت ١٩٧٨ -
- ١٦ - عصر البطلمة ، الاسكندرية ، ١٩٨١

### محمد أحمد حسين :

- ١٧ - مكتبة الاسكندرية في العالم القديم ، القاهرة ١٩٤٣ .

### محمد حمدي ابراهيم :

- ١٨ - الأدب السكندري ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٦٥ .

### محمد عواد حسين :

- ١٩ - « الاقطاعات العسكرية في مصر البطلمية » ، ( مقال ) ، المجلة التاريخية المصرية العدد الثاني ، المجلد الثاني ( أكتوبر ١٩٤٩ ) .
- ٢٩ - « الحرب السورية السادسة وبداية النزاع الأبري في مصر البطلمية » ، ( مقال ) حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس المجلد الأول ( ١٩٥١ ) من ص ٧١ - ١٣٥ .

## - ٢٠٧ -

- ٢١ - « النزاع الأسرى في مصر البطلمية من ١١٦ - ٨٠ ق. م » ، (مقال) ، حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس ، المجلد الثاني ، (١٩٥٣) ، ص ١١١ - ١٣٨ .
- ٢٢ - « الوطنيون والأغريق في مصر البطلمية » ، (مقال) ، حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس ، المجلد الثالث ٩٦ ١٩٥٤ .
- ٢٣ - « حركات المقاومة في مصر البطلمية » ، (مقال) ، حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس ١٩٦٠ .
- ٢٤ - الاسكندرية منذ أقدم العصور (بالاشتراك مع لطفى عبد الوهاب ، مصطفى العبادى) ، منشورات محافظة الاسكندرية ١٩٦٣ .
- ٢٥ - البحرية المصرية في عصر البطالمة (فصل من كتاب تاريخ البحرية المصرية) الاسكندرية ١٩٧٤

### مصطفى عبد الحميد العبادى :

- ٢٦ - مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢٧ - مكتبة الاسكندرية القديمة ، القاهرة ١٩٧٧ .

### مصطفى كمال عبد العليم :

- ٢٨ - « الأرض والفلاح في مصر في عصر البطالمة » ، (مقال) (مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) ، القاهرة ١٩٧٣ .
- ٢٩ - اليهود في مصر في عهد البطالمة والرومان مع مقدمة عن اليهود في العصر الفرعونى ، مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٨
- ٣٠ - « تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليونانى والرومانى » ، (مقال) ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثانى ، الجزيرة العربية قبل الإسلام ، مطبعة جامعة الملك سعود ، الرياض ١٩٨٤ ص ٢٠١ - ٢١٣



ثانياً : المراجع الأوروبية :

- 1.—Austin, (M.M.) : The Hellenistic World from Alexander to the Roman Conquest, Cambridge University Press, 1981.
- 2.—Bagnall (R.S.) : The Administration of the Ptolemaic Possessions outside Egypt, Leiden, 1976.
- Bell, tHarold Idris) :**
- 3.—“Alexandria”, *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. XIII, (1927), p. 127 ff.
- 4.—“Alexandria Ad Aegyptum”, *Journal of Roman Studies*, Vol. XXXVI.
- 5.—“Hellenic Culture in Egypt”, *Journal of Egyptian Archaeology*, Vol. IX, 1922, pp. 139—155.
- 6.—Cults and Creeds in Greco-Roman Egypt, Liverpool University Press, 1952.
- 7.—“Popular Religion in Grocco-Roman Egypt”, *J.E.A.*, XXIII, 1937, p. 00.
- 8.—Ibidem, *J.E.A.*, XXXIV, 1948, p. 82 ff.
- 9.—Bevan, E. : A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty, London, 1927.
- 10.—Bouche-Leclercq, ( A ) : Histoire des Lagides, 4 Vols., Paris, 1903—1906.
- 11.—Brady, T.A. : “The Reception of the Egyptian Cults by The Greeks, 330 – 30 B.C University of Missouri Studies,t X, Columbia, 1935.
- 12.—Butzer, K.W. : “Remarks on the Geography of Settlement in the Nile Valley, During Hellenistic Times”, *Bulletin de la Geographie d’Egypte*, Vol. XXXIII, (1960), pp. 5—36.
- 13.—Couat, (A.) : Alexandrian Poetry Under the First Three Ptolemies (Translated by J. Loeb), New York, 1931.
- Crawford, D.J. :**
- 14.—Kerkeosiris, An Egyptian Village in the Ptolemaic Period Cambridge, 1971.

- 15.—“Ptolemy, Ptah and Apis in Hellenistic Memphis”, (Studia Heeni, 24), Lovani, 1780, pp. 1—42.
- 16.—Desvernos, (J.) : Banques et banquiers dans l’Egypte Ancienne, Bulletin de la Societe Royale d’Archaeologie d’Alexandrie, No. 23, (1928), p. 303 ff.
- 17.—Dunand, (F.) : Le Culte d’Isis dans le Bassin Oriental de la Mediteranee, Leiden, 1973.
- 18.—Elgood, (P.G.): The Ptolemies of Egypt, Arrowsmith, Bristol, England, 1938.
- Frazer, .P.M.):
- 19 —“Alexandria Ad Aegyptum Again” ; *Journal of Roman Studies*, XXXIX, (1949), p. 56 ff.
- 20.—Ptolemaic Alexandria, Oxford, 1972.
- 21.—Galili, (E. ): Raphia 217 B.C. Revisited, Reprint from *Classica Israelica*, VIII, (1976—1977), 1978.
- 22.—Hogarth, D.H. : “Alexander in Egypt and Some Consequences”, *J E.A.*, Vol. 2, (1912), pp. 53—60.
- 23.—Hohlwein, (N.) : “Le Ble d’Egypte”, *Etudes des Papyrologie*, 4, (1938), pp. 33—120.
- 24.—Jouguet, (P.) : “Alexandre a l’oasis d’Amon et le Temoignage de Callisthene”, *Bulletin de l’Institut d’Egypte*, XXVI, (1944), pp. 91—107.
- 25 —Koremann : “Die Satrapenpolitik des ersten Lagiden”, *Raccolta in Onore di Giacomo Lumbroso*, pp. 235—245.
- 26.—Lesquier, (J.) : Les Institution Militaire de l’Egypte Sous Lagides, Paris, 1911.
- 27.— Mary ( R ). *The Nature of Alexander*, Penguin Books, 1975.
- 28.—Milne, (J.G.) : “Egyptian Nationalism Under Greek and Roman Rule, *J.E.A.*, (1928), pp. 226 —234.
- 29.—“Antony and Cleopatra”, *J.E.A.*, Vol. 1 (1914), pp. 99—106.
- 30.—Naphtali Lewis : *Greeks in Ptolemaic Egypt ; Case Studies in the Social History of the Hellenistic World*, New York, Clarendon Press of Oxford University Press, 1986.
- 31.Noshy (.I.) : “Alexander and the Oasis of Amon”, *Annales of the Faculty of Letters, Univ. of Ibrahim*, II, (.1953), pp. 75—98.

- 32.—**Ötto (W.) and Bengston (H.) :**  
Zur Geschichte des Niederganges des Ptolemaerreiches  
Munchen, 1938.
- 33.—**Peremans (W.) :** "Les Revolutions Egyptienne sous les Lagides",  
Das Ptolemaische Aegypten, Internationales Symposium,  
Mainz am Rhein (1978).
- 34.—**Plauman (G.) :** Ptolemais in Oberaegypten, Leipzig, 1910.
- 35.—**Parsons (E. Alexander) :** The Alexandrian Library, London, 1952.  
**Preaux (C.) :**
- 36.—"Un Probleme de la Politique des Lagides : la Faiblesse des edits  
[ Atti del IV Congresso Internazionale di Papirologia (1936)
- 37.—L'Economie Royale des Lagides, Brussels (1939).
- 38.—"Les Egyptiens dans la Civilization Hellenistique d'Egypte  
*Chronique d' Egypte*, XVII, 35 (1943), pp. 148—160.
- 39.—Les Grecs en Egypte d'apres les archives de Zenon, Bruxelles  
(1947).
- 40.—"La Signification de l'epoque d'Evergete II", [ 'Actes du V Con-  
gres International de Papyrologie ].
- Rostovtzeff (M.) :**
- 41.—"Ptolemaic Egypt, in Cambridge Ancient History, Vol. VII  
pp. — 109 154.
- 42.—A Large estate in Egypt in the Third Century B.C., A. Study in  
Economic History, Madison, 1922.
- 43.—**Siebert (J.) :** Nochmals kleomenes von Naukratis'i Chiron, II,  
(1972), pp.99—102.
- 44.—**Seidl (E.) :** Ptolemaische Rechtsgeschichte, Evlangen( 1947.)
- 45.—**Segre (A.) :** Note Sull' economia dell, Egitto ellen istico nell, eta  
tolemaica *Annual of the British School of Athens*, 29, (1934),  
pp. 257—305,



- 46.—Schnebel, (M.) : Die Landwirtschaft in Hellenistischen Aegypten, Münchener Beiträge, 7, (1925).
- 47.—Stambaugh, J.E. : Sarapis under the Early Ptolemies, Leiden 1972.
- 48.—Swarney, P.R. :  
The Ptolemaic and Roman Idios logos (American Studies in Papyrology, Vol. 8), Toronto, 1970.
- 49.—Tarn, (W.W) :  
"Ptolemy II and Arabia", *J.E.A.*, XV, pp. 9—25.
- 50.—"Alexander, the Great and the Unity of mankind". (Proceedings of the British Academy, XIX, 1933, pp. 123—166.
- 51.—Tauberschlag, (R.) :  
The Law of Graeco-Roman Egypt in the light of Papyri from 332 B.C. — 640 A.D., 2nd edition, Warsaw, 1955.
- 52 —Thomas, W(J.D) :  
The Epistrategos in Ptolemaic and Roman Egypt, I ; The Ptolemaic Epistrategos, Westdeutcher, Verlag, 1975.
- 53.—Visser (Elizabeth) :  
Götter und Kulte in Ptolemaischen Alexandrien, Amsterdam, 1938 (Allard Pierson Stichting Universit., Von Amsterdam Archaeologischen und Hist Byaragen), 1938.
- 54.—Vogt, (J.) :  
"Kleomenes von Naukratis Herr von Aegypten", *Chiron*, I, 1971.
- 55.—Vidal-Naquet, (P.) :  
"Le Bordereau d'Ensemencement dans l'Egypte Ptolemaïque", (Papyrologia Bruxellensia, V), Bruxelles, 1967.
- 56 —Van't Dack, (E.) :  
"Recherches sur les Institutions de Village en Egypte Ptolemaïque", (Studia Hellenistica, VII), 1951.

57.—Westermann (W.L.) :

“The Ptolemies and the Welfare of their Subjects”, [ Actes du  
Veme Congrès International de Papyrologie, pp.565—579[,  
.Reviewed in the American Historical Review, V ol. XLIII,  
(1938),pp, 270—287.).

58.—The Library of Ancient Alexandria, Alexandria, 1954.

59.—“Land Reclamation in the Fayoum under Ptolemy Philadelphus  
and Euergetes”, Classical Philology, 12, (1917) pp.i 426—430.

60.—Entertainment in the Villages of Graeco-Roman Egypt”, J.E.A.  
Vol. XV III, (1932), pp. 16— 27.



## الفصل السادس

### امبراطورية السلوقيين في آسيا الصغرى والشرق الأدنى في العصر الهلنستي

٣١٢ ق م - ٦٤ ق م

الصراع على الشام بعد موت الاسكندر :

كانت الشام طوال القرنين اللذين حكم فيها الفرس ( ٥٣٤-٣٣٢ ) قبل الميلاد ، وكذلك طوال الفترة التي حكم فيها الإسكندر المقدوني ، بل وخلال المرحلة القصيرة التي أعقبت موته - كانت سترابيه اى ولايه ذات كيان واحد ويحكمها ستراب ( اى والى ) Satrap .

وفي مؤتمر بابل الذي عقد بعد موت الإسكندر قسمت ولايات الإمبراطورية بين ورثته ، وكان إقليم جوف سوريا Koile Syria ( سهل البقاع وكذلك الساحل الممتد من لبنان حتى غزة ) من نصيب ضابط صغير اسمه لاءوميدون ، أما إقليم بابل فقد كان من نصيب قائد معروف اسمه سليوقوس Seleucus ؛ غير أن بطليموس الأول لم يكن راضياً عن فصل جنوب الشام ( على الأقل ) عن مصر ، فقد كانت أغلب أقاليم الشام تابعة لامبراطورية الفراعنة التي أصبح بطليموس الأول وريثاً لها ؛ كما أدرك بطليموس أهمية الشام الاستراتيجية لحماية مصر ؛ كما كان في حاجة ماسة إلى أخشاب الأرز التي تنمو في جبال سوريا ولبنان من أجل بناء الأساطيل ؛ كما كان أيضاً في حاجة ماسة إلى مناجم سيناء وفلسطين ؛ وفي حاجة ماسة لاستغلال الطريق التجاري الذي شيده الفرس والذي كان يربط بين الخليج وغزة ، حيث تأتي تجارة الشرق الأقصى ؛ كذلك أدرك بطليموس أن استيلاءه على الشام سوف يجعل مصر تتحكم في نهاية طريق البخور الشهير ، والذي كان يبدأ من موانئ اليمن ويسير شمالاً محاذياً لجبال السراة ، ماراً بمكة ويثرب حتى مدينة غزة . ولهذا حاول في

البداية لإغراء لومبيدون بالذهب لكي يترك له جوف سوريا ، غير أن هذا الأخير رفض . وبعد سقوط برديكاس المفوض العام على امبراطورية الإسكندر قتيلا في ربيع عام ٣٢١ ق . م خلال التمرد الذي حدث في معسكراته ، والذي قاده إثنان من كبار مساعديه وهما سليوقوس وبيثون (وقد حدث هذا التمرد في صحراء منف في مصر وذلك على اثر فشل برديكاس في غزو مصر وإقصاء بطليموس عنها ) ، عقد الحلفاء مؤتمرا آخر لإعادة توزيع ممتلكات الامبراطورية وتم هذا المؤتمر في مدينة الفردوس المثلث Triparadeisos على نهر العاصي في شمال سوريا عام ٣٢١ ق . م . وكان من بين قرارات المؤتمر منح أنتيجونوس الأعور ( وكان يشغل منصب القائد الأعلى للقوات المقدونية في آسيا الصغرى ) ولايتي سوريا وبلاد الرافدين ، على أن يساعده لومبيدون في حكم جوف سوريا ( أو سوريا الحالية ) ، وسليوقوس في حكم ولاية بابل — اغني ولايات الشرق الأدنى .

ولما مات أنتيباتر الوصي العام على الملكين القاصرين ( وهما الإسكندر بن الاسكندر ، وفيليب أرهيدايس شقيق الاسكندر ) في صيف عام ٣١٩ ق . م ، أسدل الستار على قرارات مؤتمر تريباراديسوس ؛ وأصبح كل واحد من الزعماء الورثة في حل من أمره ؛ عندئذ لاحت لبطلميوس الأول فرصة الاستيلاء على جوف سوريا ، خاصة وأنه كان قد أتم بناء جيش قوي في مصر من المرتزقة وبقايا الفيالق المقدونية ؛ كما كان قد أتم تكوين نواة لأسطول بحري ؛ وانتهر فرصة انشغال أنتيجونوس في دعم قواعد حكمه شرق نهر الفرات ، وبدأ يحبس نبض لومبيدون . - عامل أنتيجونوس على اقليم جوف سوريا — وعرض عليه ان يتنازل له عن هذا الإقليم مقابل مكافأة مالية كبيرة ؛ فلما رفض تقدم بقواته فاستولى على هذا الإقليم ، فهرب لومبيدون ؛ كما تقدم بقواته فاستولى على اقليم فينيقيا بسواحله وموانئه الهامة ، وهرب حاكمه ملياجروس ، وقد حدث ذلك في أواخر عام ٣١٩ ق . م وأوائل عام ٣١٨ ق . م . ومن المعتقد أنه خلال هذه الحملة دخل أورشليم القدس في أحد أيام السبت حيث يرفض اليهود القتال في ذلك اليوم المقدس

عندهم ، وبدأ بطليموس يتطلع لإكمال قبضته على الشام باحتلال جزيرة قبرص ، تلك الجزيرة ذات الحليجان الطبيعية ، التي تهيئ لها موانئ مثالية ، فقد كان بطليموس يدرك أن من يريد التحكم في الشرق الأدنى لا بد له من السيطرة على قبرص ؛ فقد فعل ذلك الفرعنه ، والأشوريون ، والفينيقيون والفرس . كما أن الاسكندر الأكبر في فتحه للشرق حرص على طرد الفرس من قبرص لأنها مفتاح الطريق إلى مصر والشام . كما أن الاستيلاء عليها ضروري للسيطرة على بحر إيجه ، فقد كانت قاعدة مثالية للأسطول المصري ، فضلاً عن غناها بمناجم الفضة والرصاص ، بالإضافة إلى ته فر أخشاب الأرز الضرورية لبناء الأسطول . وكانت قبرص منذ أن دخلها الاسكندر منقسمة إلى تسعة ممالك صغيرة ، ونظراً لتعاون ملوكها مع الحلفاء ضد برديكاس أعلن المجتمعون في تريباراديسوس احترامهم لاستقلال قبرص ، بل كرموها بدعوة ممثليها لحضور مؤتمر تريباراديسوس ؛ ولذلك اعتبر أنتيجونوس استيلاء بطليموس على جوف سوريا وفينيقيا عدواناً يخل بتوازن القوى بين المتصارعين ، وعقد العزم على محاربته وطرده من الشام مهما كلفه ذلك الأمر .

### قيام الإمبراطورية السلوقية في شمال الشام والرافدين عام ٣١٢ ق.م :

كان سليوقوس بن أنطيوخوس ( ٣٥٨ - ٢٨٠ ق.م ) الملقب بالذباح Nikator - أحد الفرسان المقلونيين المقربين من الاسكندر الأكبر ؛ وكان من بين القادة الذين اصطحبوه في حملته على الشرق الأدنى ؛ لكنه لم يكن من بين كبار القادة المتصارعين على وراثة الاسكندر ؛ ولذلك لم يمنح منطقة كبرى ، وإنما عينوه على سترابية بابل عام ٣٢١ ق.م طبقاً لقرارات مؤتمر تريباراديسوس ، على أن يكون تابعاً لأنتيجونوس ، وبالفعل حارب إلى جانب سيده ضد يومينيس . ، غير أن أنتيجونوس أدرك أن سليوقوس قائد طموح ، يحلم مثل سائر الرفاق ببناء إمبراطورية تحت قيادته ، ولذلك قام بطرده من بابل عام ٣١٦ ق.م ، فهرب إلى بلاط بطليموس الأول في مصر . ولما كان بطليموس يدرك يومئذ أنه سوف يخوض حرباً

مريرة مع منافسه أنتيجونوس ، فقد رحب بقدم سليوقوس إليه ، واحتفظ به لليوم الذى يحتاجه فيه ، عندما يعده ويجهزه بالمال والعتاد ثم يطلقه على أنتيجونوس ليقتضى عليه ؛ وبالفعل أمده بطليموس بالأموال اللازمة وبألف من الجنود ، أنطلق بهم سليوقوس الى بابل ، وخلال طريقه إليها ؛ انضم إليه كثيرون من المرتزقة ، واقتحم سليوقوس إقليم بابل فى عام ٣١٢ ق.م واستولى عليه ، ونصب نفسه عليه سترابا ، ولذلك عندما وضع السليوقيون لحكمهم تاريخا ، اتخذوا من عام ٣٣٢ ق.م ( اى العام الحادى عشر من موته الاسكندر الأكبر ) تاريخ قيام هذا الحكم . وخلال السنوات العشر التى

تلت عودة سليوقوس نيكاتور الى عرش بابل ، عمل بحماس شديد لتوسيع حدود مملكته شرقا فى بلاد فارس ، فاستولى على إقليم ميديا ، واقليم سوسيانا ، كما مد نفوذه على مساحات شاسعة من الشرق الأدنى . بلاد الرافدين وشمال الشام . وكان من الطبيعى أن يتحالف سليوقوس مع أعداء أنتيجونوس اللذين فتكوا به فتكاً فى معركة ليسوس عام ٣٠١ ق.م ، وعلى أثر هذه المعركة ، أعيد تقسيم الامبراطورية المقدونية بين من تبقى من الورثة فورث سليوقوس ممتلكات أنتيجونوس فى بلاد الرافدين وشمال الشام ، وتوسع غربا ليصل الى مياه البحر المتوسط بالأستيلاء على سواحل سوريا وآسيا الصغرى ، خلال عام ٢٩٦ ق.م ؛ وبذلك قامت الامبراطورية السليوقية . غير أن سياسة سليوقوس كانت تتركز فى الاهتمام الخاص بشمال الشام وآسيا الصغرى ؛ فقلد أسس فى عام ٣٠٠ ق.م عاصمته كبرى هى نطاكية ؛ كما اقام ميناء لها على البحر سرعان ماتحول الى مدينة هى مدينة « سليوقية بيرية » وكان هدف سليوقوس من بناء انطاكية هو بناء مدينة موازية للمدينة كبرى كان قد بناها على ضفاف دجلة عام ٣١٢ ق.م على اثر دخوله الى إقليم بابل ، حيث كان يخطط لجعلها العاصمة لأمبراطوريته ، ومركزا لاشعاع الحضارة الاغريقية فى بلاد الرافدين والشام ، وكبديل حضارى وتجارى لمدينة بابل القديمة ، وفى مواجهة طيسفون الفارسية . وقد وصفها الجغرافى استرابون بأنها مركز للشحن البحرى ؛ لكنه بعد ان اولى اهتمامه بالشطر الغربى

— بعد معركة أيسوس — أقام انطاكية وميناءها سلوقية بيريه للسيطرة على شرق البحر المتوسط .

ومن الجدير بالذكر أن مؤتمر الخلفاء المنتصرين الذين اجتمعوا بعد معركة أيسوس ، رفضوا الاستجابة لمطلب بطليموس وهي حقه في الاحتفاظ بالمنطقة الجنوبية من الشام — والتي تشمل فلسطين وساحل لبنان وموانيه حتى غزة — نظراً لتقاعسه عمداً في الاشتراك في المعركة الفاصلة ضد أنتيجونوس ومن ثم حرموه من مجنى بعض ثمار النصر ؛ وكانت حجة بطليموس أن هذا الجزء كان تابعاً لمصر منذ أيام الفراعنة ؛ وبما أنه يحكم بصفته وريثاً لامبراطوريتهم ، فانه يطالب بهذا الجزء من الشام ؛ ومن قبل وصل تحتبس الثالث حتى مياه الفرات ، حيث شاهد النهرين المقلوبين ( يقصد دجلة والفرات اللذين ينبعان من مرتفعات الشمال ويصبان في الجنوب على العكس من نهر النيل ) .

ولم ينتظر بطليموس استجاء منافسيه ليعملوا إليه حقه التاريخي ، فاجتاح بقواته سهل البقاع Koile Syria ولم يتحرك سليوقوس لطرد بطليموس من الشام التي اعتبرها كلها ملكاً له ، ورثها عن أنتيجونوس ، وكان سكوته تعبيراً عن امتنانه للمساعدة التي لقيها من جانب بطليموس عندما كان لاجئاً في قصره ، لكنه في نفس الوقت أعلن عدم شرعية الوجود البطلمي في الشام ؛ ولهذا فان خلفاء سليوقوس لم يألوا جهداً في العمل على طرد البطالمة من الشام ؛ بينما تشبث البطالمة بهذا الجزء الجنوبي ودافعوا عنه ؛ وقامت بسبب ذلك خمسة حروب شرسة عرفها المؤرخون باسم الحروب السورية ، والتي ظلت محور الصراع بين البطالمة والسليوقيين ، والتي اتسع نطاقها لتدخل فيها اطراف أخرى خاصة الأنباط والسبثيين .

#### التحالف بين الأنباط والسليوقيين :

ذكر ديودوروس الصقلي (١) ان أنتيجونوس الاعور ، الذي كان يسيطر سيادته على الشام ، أرسل حملة بعد عام ٣١٢ ق.م بقليل لتأديب الأنباط .

<sup>١</sup> Diodorus Sicus, XIX, 94 - 100 .

في قلعهم وعاصمتهم البتراء (سلب بالأراميه) ، وضرب الحصار حول هذه القلعه العاصمه حيث يحتوى الأنباط ، واستولى على كنوزهم من الفضة والتوابل ؛ ويبدو أن سبب هذه الحمله هو أن الأنباط كانوا يعملون بقطع الطرق التجاريه ، وسلب القوافل ؛ ولم تستطع الحمله الاستيلاء على قطعانهم وابلهم لأنها كانت ترعى في بطن الوادى ؛ ورد الأنباط على هذه الحمله بأن فاجأوا معسكر الحمله ، وفتكوا بعدد كبير من رجالها ؛ وبعد ذلك - كما يقول ديودوروس - بعث شيوخ الأنباط برسالة مكتوبه باللغة الآراميه - بلغتهم القوميه - طالبين اقامه السلام ، ورد أنتيغورنوس عليهم برساله أكد فيها حسن نيته تجاههم ، وبعد ذلك قام ديمتريوس ابن انتيغورنوس بغارة أخرى على الأنباط ، انتهت بعقد هدنه معهم مقابل هدايا تمينه ، وعدد من الرهائن ؛ وقد تحولت هذه الهدنه الى حلف دائم . وبعد استلام سليوقوس الأول حكم الشام ، أصبح الأنباط على رأس القوميات التابعه لحكم السليوقيين ، وتصعدوا نياحه عنهم للبطاله ، الذين كانوا يكتنون لهم كراهيه وعداء شديدين ، كما لانضم السليوقيين في حروبهم ضد البطاله - العرب السبائيون في اليمن ، وكانوا شركاء في تجارة القوافل مع الأنباط ، بينما وقف الى جانب البطاله السبائيون الشماليون والثواديون الذين كانت عاصمتهم ديلدان (مدينه العلا في الحجاز) وظلت الحروب بين السليوقيين والبطاله مستعرة الى أن تمكن الملك السليوقي القوي انطيوخوس الثالث من هزيمة بطليموس الخامس في معركه بانيون الشهيرة عام ٢٠٠ ق.م ، والتي وضعت نهايه للوجود المصرى في جنوب الشام بعدما يقرب من قرن من الحروب ؛ غير أن البطاله المتأخرين لم يفقدوا الأمل في استعادة الشام ، ولم يتوقف عداء الأنباط للبطاله ، فقد انقذ الأنباط يوليوس قيصر عندما حو صر في الاسكندريه عام ٤٧ ق.م ، وساعده في هزيمة الملك بطليموس الثالث عشر شقيق كليوباترا السابعه ، بل أن الأنباط هم الذين ساعدوا اكتافيرس أغسطس عندما «دخل مصر من الشام عام ٣٠ ق.م ، حيث قاموا بحرق أسطول كليوباترا الذى كان راسيا



في مياه خليج السويس ، وبذلك فقدت الملكة المصرية آخر أمل لها وهو الهروب بأسطولها سالما الى الجنوب لقيادة المقاومة من هناك ضد الرومان .

### سياسة سليوقوس نيكاتور المؤسس للإمبراطورية :

استخدم سليوقوس المؤسس كل السبل لبناء إمبراطورية كبرى في الشرق الأدنى ، فالى جانب الحروب والتحالفات ، لجأ الى سلاح المصاهرات ، فقد تزوج في عام ٢٩٨ ق.م من ستراتونيكى ابنة ديمتريوس بن أنتيجونوس ليقوى مركزه كوريث لحكم الشام . ولهذا فان اهتمامه بعد معركة ابسوس الشهيرة تركز على غرب الشام وشمالها وشرقها ، ومن أجل ذلك تنازل عن ممتلكاته في الهند للملك الهندي الشهير تشاندراجوبتا Chandragupta محالى عام ٣٠٤ ق.م . ولقد توج سليوقوس توسعاته بالاستيلاء على شبه جزيرة الأناضول ( آسيا الصغرى ) ، وذلك بعد معركة كوروبيديون الشهيرة عام ٢٨١ ق.م ، والى هزم فيها آخر أعدائه وهو لوسياخوس ، وانتزع ممتلكاته في آسيا الصغرى وكذلك عاصمته لوسياخيا ؛ ولم يكن لطموح سليوقوس حدود ، فقد اراد ان يستغل الفراغ الذى حدث بعد مصرع لوسياخوس ويفرض سلطانه على مقلونيا موطن الاسكندر المقدوني ، والى كان يتطلع لحكمها كل ورثه الاسكندر ؛ فقام بغزو شمال اليونان ، بيد أنه لقي مصرعه عام ٢٨٠ ق.م ابان هذه الحملة على يد بطليموس كيراونوس Ptolemy Keraunos أى بطليموس الصاعقه ، وهو ابن بطليموس الأول من زوجته الأولى يوريديكى والذى كان يسعى هو الآخر للجلوس على عرش مقلونيا .

ويرى المؤرخون ان اعمال سليوقوس وفتوحاته لايدانها سوى فتوحات الاسكندر الأكبر ، فقد اعاد جمع شتات فتوحات الاسكندر في آسيا والشرق الأدنى وحماها من الاندثار . ويرون ان امبراطوريته كانت مزدوجة فهي أسيوية واوروبية في نفس الوقت ، وهذا ينعكس في تصرفاته مثل زواجه من الأميرة الاسيوية البكتيرية ( الافغانية ) آباما Apama ، والى ظلت

زوجته منذ عام ٣٢٤ ق.م، ولم يتخلى عنها ابدا ، وفي نفس الوقت أتم زواجه من ستراتونيكى المقدونية ، وكذلك في عاصمته سليوقية على نهر دجلة عاصمة المشرق الآسيوى ، والعاصمة الكبرى أنطاكية المطلة على البحر المتوسط والتي نقل إليها مقر عرشه ، لكنه على النقيض من الاسكندر الاكبر كان يعتمد فى بناء جيوشه ، وتعمير مملكته التى أقامها ، على العنصر المقدونى والمهاجرين الاغريق ، كما ورث النظام البيروقراطى من حضارة الشرق . ويتفق المؤرخون على أنه كان أكثر خلفائه تسامحا وعظما ومقدرة وشهامة .

## ٢ - أنطيوخوس الأول الملقب باسم سوتير ٢٨٠ - ٢٦١ ق.م :

وبعد موت سليوقوس نيكاتور مؤسس الأسرة ، تولى من بعده ابنه أنطيوخوس الذى أنجبه من زوجته البكتريه اباما عام ٣٢٤ ق.م . وكان أبوه قد اختارة فى عام ٢٩٣/٢٩٢ ق.م نائبا عنه لحكم المقاطعات الشرقية ، ولهذا تأثر بالشرق واحبه خاصة وان امه يجرى فى عروقتها دماء . فارسىة شرقية . كما انه تزوج من أرمله أبيه ستراتونيكى المقدونية ولاندرى هل كان ذلك لأسباب عاطفية أم سياسية ، وذلك على أثر جلوسه على العرش عام ٢٨٠ ق.م ، ولهذا كانت سياسته على عكس سياسة أبيه وهى الاستدارة نحو الشرق على حساب ممتلكاته فى غرب الفرات وآسيا الصغرى ، كما يعتبر أنطيوخوس سوتير هو واضح أساس سياسة الصداقة والتحالف مع مقدونيا ، التى كانت من أهم معالم سياسته السليوقية ، وذلك عندما عقد معاهدة فى عام ٢٧٩ ق.م مع أنتيجونوس جوناتاس ابن ديمتريوس وحفيد أنتيجونوس الكبير ، وربما لعبت ستراته نيكى الجميلة - ابنة ديمتريوس وأرملة أبيه وزوجته - دورا فى بناء هذا التقارب السليوقى المقدونى . ولما تعرضت آسيا الصغرى لاجتياح قبائل الغال فى عام ٢٧٦ ق.م ، تصدى لهم بشجاعة وانتصر عليهم بأفياله الضخمه التى اتى بها من الهند ، ودربها حتى أصبحت السلاح القوى ، والقلاع المتحركة لقواته . ولقد عرف ذلك الانتصار باسم انتصار الفيلة . وهلل له العالم الاغريقى فى آسيا الصغرى ومنحوه لقب المنقذ Soter ، وفيما بين اعوام ٢٧٦ - ٢٧٢ ق.م ، دخل فى حروب ضد بطليموس

الثاني فيلاد لفوس من اجل طرد البطالمه من جنوب الشام ، والتي حقق فيها فيلاد لفوس انتصارات مذهلة ، حتى كاد انطيه خوس الأول أن يفقد شمال آسيا الصغرى وجنوبها وسواحلها الغربية ، خاصة في حروب أعوام ٢٦٦ — ٢٦١ ق.م . وبالرغم من ذلك فقد كسب انطيوخوس الأول شهرته كأعظم مؤسس المدن الحضارية في الشرق الأدنى والخليج منذ الاسكندر المقدوني ، فقد انتشرت عشرات المدن الأغريقية في اصقاع الامبراطورية الشرقية . في إقليم باكتريا ( أفغانستان ) ، وسرجديانا (شمال غرب ايران ) للدفاع عن أطراف الامبراطورية الشرقية ، كما انتشرت مدن أخرى في إقليم ميايا في قلب إيران لحراسه طرق التجارة الحيوية ، ولردع القبائل الجبلية من تعكير صفو السلام . وتلاذت مدن أخرى في آسيا الصغرى وحول الخليج العربى ، وقى الشام ، وربطت بينها شبكة من الطرق البرية لتسهيل التعبئة العسكرية عند الحاجة ، فقد كانت هذه المدن الاغريقية تمثل العمود الفقري للإمبراطورية السليوية ، ولم تكن هذه الحواضر ذات أهداف دفاعية وعسكرية فحسب ، بل قصد بها أن تكون منارات لاشعاع الحضارة الاغريقية بين الشعوب الشرقية ، فقد هجر إليها المتطوعين ، والمستوطنين الاغريق ليعيشوا جنباً الى جنب مع شعوب الشرق ، وحرص السليوقيون على جعل هذه الحواضر الاغريقية مدناً Polcis بكل ما تحمله الكلمة الاغريقية من معنى ، فقد منحوها المؤسسات الدستورية المعتادة لكي تحكم نفسها بنفسها دون أدنى تدخل من الملك ، وجعل اللغة الاغريقية اللغة الرسمية في تلك الحواضر حتى وان كان شطراً كبيراً من سكانها من الشعوب الشرقية ، وإذا كانت هذه الحواضر قد فشلت في الهند وماحولها ، الا أنها نجحت نجاحاً باهراً في الشرق الأدنى ، إذ بقيت تشع الحضارة الاغريقية طوال عصور السليوقيين والرومان والبارثيين ، بل تركت أثرها في تشكيل التراث العربى الاسلامى ، وسوف نعالج فيما بعد ظاهرة بناء الحواضر السليوية . وفي أواخر حياته اختار أكبر أبنائه سليوقوس لى يكون نائباً عنه لحكم الشرق الأدنى وأقاليمه النائية ، غير أن هذا الابن أثبت فشلاً ذريعاً في معالجة أمور الحكم ، مما أدى إلى محاكمته واعدامه بتهمة الخيانة العظمى واهمال

شئون الحكم ، ومن ثم فقد اختار ابنه الثانى ليتولى العرش من بعده باسم انطيوخوس الثانى .

### ٣ - أنطيوخوس الثانى الملقب باسم الرب ( Theos ) :

كان انطيوخوس الثانى هو الابن الثانى لأبيه انطيوخوس الأول من زوجته المقدونية ستراتونيكى ، وبدأ حكمه بعد وفاة إبيه فى عام ٢٦٢ او ٢٦١ ق.م وتعتبر فترة حكمه أكثر فترات الحكم السليوى غموضا ، ولا نعرف تفاصيلها الا من خلال حروبه مع مصر ، فقد كانت فترة حكمه قه الصراع فيما يعرف بالحرب السورية الثانية ٢٦٠ - ٢٥٥ ق.م ، حيث تحالف انطيوخوس الثانى مع انتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا لتوجيه ضربه للنفوذ البطلمى فى آسيا الصغرى وبحر ايجة ، وبالأصل نجح انطيوخوس فى تأليب مدن آسيا الصغرى الاغريقية ضد الوجود والنفوذ البطلمى فيها ، واندلعت الثورة ضد بطليموس الثانى على طول ساحل ايونيا ، وبذلك تمكن أنطيوخوس الثانى من استرجاع المناطق التى كان ملك مصر بطليموس الثانى قد استولى عليها فى آسيا الصغرى خلال الجولة الأولى من الحرب السورية الثانية ، ولم يكتف الملك السليوى بما حققه من النصر ، بل هاجم جنوب الشام واستولى على فينيقيا ، وأصبح ساحل الشام حتى صيدا جنوبا تحت سيطرته ، ثم نقل الخليفةان السورى والمقدونى حربهما ضد بطليموس الثانى إلى شمال افريقيا ، حيث شجعا على حركه التمرد ضد الحكم البطلمى فى قورنى التى نبذت السيادة المصرية وأعلنت استقلالها عن مصر ، وظلت كذلك حتى أعادها بطليموس الثالث عام ٢٤٦ ق.م مرة أخرى الى السيادة المصرية. وفى خلال انشغال بطليموس الثانى بقمع الثورة فى قورنى ، تمكن أنطيوخوس الثانى من تحرير جزيرة رودس لنبيه تحالفها مع مصر بهدف قطع الطريق البحرى على للأسطول المصرى وحرمانه من قواعدها ، وبذلك يفقد قدرته على الدفاع عن ممتلكات مصر الممتدة على ساحل آسيا الصغرى خاصة ايفيسوس وميليتوس . وعندما حاول الأسطول البطلمى التصدى لهذا الحصار البحرى ، كان الأسطول المقدونى له بالمرصاد ، حيث أوقع

أسطول انتيجونوس جوناتاس به هزيمة بحرية ساحقة عند جزيرة كوس في  
بحر إيجه عام ٢٥٨ ق.م وأجبر بطليموس فيلا دلفوس على قبول صلح مهيمن  
تنازل بمقتضاه عن ممتلكات مصر في آسيا الصغرى لأنطيوخوس ؛ كما  
تنازل عن حق السيادة البحرية على جزر بحر إيجه للملك المقدوني ، ولم يتبق  
لمصر من ممتلكات سوري جزيرة ثيرا ، ومقاطعة كاريا ، وليكيا في آسيا  
الصغرى ، وبعض الجيوب الصغيرة . جنوب الشام ، ولذا شجع نجاح  
سياسة التحالف بين أنطيوخوس الثاني وانتيجونوس جوناتاس ضد مصر  
على توثيق حري الصداقة بينهما بالتصاهر على طريقة ملوك العصر  
الهلينستي ، ففي عام ٢٥٣ ق.م زوج انتيجونوس جوناتاس ابنه الشهير  
ديمترىوس من الأميرة ستراتونيكي ابنة أنطيوخوس الثاني ، وكان الزواج  
محل رضا الوالدين ؛ فن ناحية ، كان الملك السوري ينفى أن تنجب ابنته  
ولدا يجلس يوما على عرش مقدونيا ؛ أما انتيجونوس جوناتاس فقد كان  
في حاجة ماسة الى حليف قوى مثل الدولة السلوقية حتى يوقف بطليموس  
هند حده ، ويدعم من حكم أسرته ، حتى يتفرغ لأمله الكبير وهو توحيد  
الأغريق ومقدونيا في جبهة قومية تتف ضد خطر الرومان المتنامي في الغرب .  
وابتهاجا بهذا الزواج أقام أنطيوخوس الثاني مهرجانا قوميا في دلفي على  
شرف ابنته ستراتونيكي ؛ ومن الجدير بالذكر أن دلفي التي كانت مركزاً  
لعمادة أبوللون ، كانت من بين الممتلكات التي انتزعت من بطليموس  
الثاني بعد هزيمة الأسطول المصري في كوس عام ٢٥٨ ق.م .

### مصاهرته للملك بطليموس الثاني :

كانت سياسة بطليموس الثاني هي افساد التحالف السوري المقدوني ،  
وحياكة المؤامرات السياسية ضد خصومه ، ففي عام ٢٥٢ ق.م قام بتحريض  
مدينة كورنثا على رفع لواء الثورة ضد مقدونيا ، والاستيلاء على أساطيلها ؛  
وتحريض باقي المدن الأغريقية على الثورة ، وفي نفس الوقت لجأ فيلادلفوس  
الى اغراء أنطيوخوس الثاني على هجر زوجته لآوديكى ، التي كان قد انجب  
مها ولدين وبنتين ، ( وكان أكبرهما مرشحاً لخلافه العرش من بعده ) ، لكي  
يزوجه من ابنته الجميلة بيرينيكى التي حملت معها الى اطاكية مهراً كبيراً

لزوجها الملك السورى ، كان من بينها بالطبع تنازل مصر عما فقدته من  
 ممتلكات فى آسيا الصغرى والشام ، وذلك حفظا لمساء وجه الملك البطلمي ؛  
 كما كان يأمل ان تنجب له ابنته ولدا يجلس على عرش المملكة السلوقية ،  
 وبالفعل نجحت الأميرة الصغيرة من الاستحواذ على قلب أنطيوخوس الثانى  
 وجعلته يقوم بأبعاد زوجته السورية لآعوديكي وأولادها من أنطاكية مقر العرش الى  
 افسوس ؛ وهناك باتت لآعوديكي تدبير المؤامرات ضد بيرنيكى ابنة  
 بطليموس ، التى كانت بالفصل قد أنجبت ولدا اعلن أنطيوخوس عن اختياره  
 للخلافة . فقد كانت لآعوديكي مصرة على ان يؤول العرش الى أكبر ابنتها  
 ولوادى ذلك الى تدبير مذبحة للمملكة المصرية وأولادها . وهكذا لانعرف  
 عن أنطيوخوس الثانى سوى حروبه مع بطليموس فيلا دلفرس ، وتحالفه  
 مع أنتيجونوس ، والحاقه الهزيمة بممتلكات البطالمة فى الشام وآسيا الصغرى ؛  
 ثم زواجه من ابنة بطليموس ؛ وأخيرا فى ربيع عام ٢٤٧ ق.م لقي الملك  
 أنطيوخوس الثانى مصرعه فى ظروف غامضة فى مدينة افسوس ؛ وربما  
 كان ذلك من تدبير زوجته لآعوديكي ، فقد كان النزاع على العرش بين  
 زوجته السورية والمصرية قائما ، كل تريد أن يتولى ابنها العرش . فقد قيل  
 أن لآعوديكي نجحت فى الشهور الأخيرة قبل مقتله من استالته إليها ؛ وعودته  
 الى الاقتناع بأن يورث العرش من بعده لأبنة ابنائه منها وهو سليوقوس  
 الثانى ؛ ولهذا دبرت مقتله حتى لا يرجع مرة أخرى عن قراره الأخير  
 تحت تأثير زوجته المصرية ؛ ولقد ساعد على ذلك أن الملك بطليموس  
 فيلا دلفوس كان قد مات قبل ذلك بشهور قليلة فى شتاء عام ٢٤٧ ق.م  
 وفقدت ابنته الكثير من نفوذها بعد موت أبيها .

#### ٤ - سليزقوس الثانى الملقب باسم كالينيكوس Callinicus

هو الابن الأكبر للملك أنطيوخوس الثانى من زوجته لآعوديكي الذى  
 تولى العرش بعد نجاح أمه فى تدبير مصرع بيرنيكى وابنها مما أدى الى اندلاع  
 الحرب السورية الثالثة ؛ فقد كانت بيرنيكى المصرية قد بعثت الى اخيها بطليموس

الثالث تطلب النجدة من الملكة لاعوديكى القاذلة ، والتي لقيت بدورها مصرعها على ايدي بعض الجنود الثائرين ، واستغل بطليموس الثالث الفرصة باستعيد ممتلكات مصر في الشام وآسيا الصغرى ، فاجتاح بقواته البريه الشام ، معلنا أنه جاء بدعوة لاستخلاص العرش من مغتصبه ، بينما طلب من شقيق له كان يحكم قبرص أن يتحرك بالأسطول صوب انطاكية ومينائها سليوقية ، واجتاح بطليموس سوريا حتى جبال طوروس شمالا ، حيث استولى على كيليكيا ، ثم اندفع شرقا صوب نهر الفرات وعبره ، حتى وصل الى العاصمة الشرقية سليوقية على نهر دجلة ، ولكنه فجأة استداز عائدا إلى مصر في نهاية عام ٢٤٥ ق.م ، وقيل أنه عاد ليقمع ثورة قامت في غيابه ؛ وأغلب الظن أنه عاد بسبب الحاجة التي حدثت في مصر ذلك العام بسبب نقص الفيضان ؛ ومهما كانت الأسباب ، فقد انتهر الملك السورى سليوقوس الثانى الفرصة واستعاد كل ماسلب منه . وتعاطف معه كثيرون من شعوب امبراطوريته الذين أيدوه . وفي ضوء ذلك بدأ سليوقوس يدعم مركزه في آسيا الصغرى ، وذلك بالرغم من انفصال افيوسوس عنه ، وانضمامها الى بطليموس نايحة لخيانة حاكمها . وعلى رأس المدن التي وقفت مع سليوقوس الثانى مدينة سمرة ( لازمت الحديثة ) وماحولها . وكان عليه ان يشتري تأييد متريداتيس ملك بنطوس بأن زوجه من اخته لاعوديكى الصغرى ، واعترف بقيام مملكة بنطوس (جنوب البحر الأسود) على حساب جزء من الامبراطورية السليوقية ، مضحيا بذلك من أجل تأمين ظهره حتى يتفرغ لاستعادة الشام . وبالفعل بدأ فى اعداد أسطول قوى تمكن به من استعادة شواطى سوريا عام ٢٤٤ ق.م ؛ وفى عام ٢٤٣ ق.م دخل سوريا منتصرا كوريث شرعى لعرش أنطاكية . وخلال شهور قليلة تمكن سليوقوس الثانى من تطهير الجيوب البطلمية المتبقية في الشام ، وتمكن من استعادتها كلها فيما عدا فيزيقيا والساحل السورى حتى حدود فلسطين جنوبا ، والذي كان قد تخلى عنه مرقنا لبطليموس الثالث . وربما ساعد سليوقوس الثانى في نجاح عملياته العسكرية ، نجاح حليفه المقدونى اتياجونوس جوناتاس في تدبير الأسطول المبحرى عند جزيرة أنلروس . وأخيرا عقد الصلح بين ( م ١٥ - مصر والشرق الادنى في العصر الهلينستى )

بطليموس الثالث وسليوقوس الثاني عام ٢٤١ ق.م على أساس الاعتراف بالحقوق البطلمية في جنوب الشام وجنوب الأناضول مثل : افيسوس ، وميليتوس ، وكاريا ، وجزء من ليكيا ، وغرب كليكية ( قلقيلية ) ؛ وكذلك بعض جزر بحر إيجه الهامة مثل جزيرة ساموس ؛ كما ترك لمصر حق السيطرة على شمال بحر إيجه ، وكذلك على منطقة الخرسو نيسوس في إقليم تراقيا ؛ وكذلك على جزيرة سامو ثراكى المواجهة لذلك الساحل ؛ بل سمح لمصر بمقتضى ذلك الصلح أن تتحكم في بعض المدن الواقعة داخل مقدونيا . وقد قبل سليوقوس الثاني صاغرا كل هذه التنازلات من اجل انقاذ الامبراطورية الشاسعة من التفكك ، ولذلك رأى انه من الأفضل ان يطلب من اخيه انطيوخوس هيراكس Anticchus Hierax أن يتولى حكم بعضها ، فتنازل له عن حكم الولايات الآسيوية الواقعة الى الشمال من جبال طوروس ؛ غير ان شقيقه سرعان ما اعلن نفسه ملكا مستقلا عليها ، مما ادى الى اشتعال الحرب الأهلية بينهما فيما يعرف بحرب الأخوين .

### حرب الأخوين وتوسع مملكة برجامون على حساب الممملكة السلوقية :

وهي أشهر حرب قامت بين اخوين في التاريخ ، فقد بدأت بتمرد انطيوخوس هيراكس على شقيقه الملك سليوقوس الثاني . واعلانه الاستقلال بالولايات الآسيوية التي اوكل أخوه الملك امرها اليه ليحكمها ككائب عنه ، وكانت هذه الولايات تقع في شبه جزيرة الأناضول الى الشمال من جبال طوروس التي تفصل الشام عن آسيا الصغرى ، وكان يمكن أن تنتهى هذه الحرب بالتوفيق بين الأخوين ، غير أن عناصر شتى تدخلت لتعمق الخلاف بينهما حتى اتسعت هوته ، فمثلا أعلن متراداتيس — ملك مملكة بنطوس — وقوفه الى جانب هيراكس ، وحزت آسيا الصغرى كلها نحزوه ، حتى قبائل الجلائيين التي كانت تغزو آسيا الصغرى ، أعلنت تأييدها لهيراكس ، وحاربت تحت قيادته ، ودارت معركة بين جيوش الأخوين ، تفهمر بعدها الملك سليوقوس من آسيا الصغرى عام ٢٣٥ ق.م بعد أن وقع معاهدة اعترف فيها بنفوذ أخيه عليها ؛ غير أن هذا النصر قوبل بسخط شديد من



شعوب العالم الهلينستي الأغريقية ، لكراهيتهم للجنود البرابرة الجلاتيين الذين ألحقوا بدويلاتهم الدمار في مطلع ذلك القرن ، بالاضافة الى ذلك ، بدأ الجلاتيون يشعرون بالغرور والاستعلاء بعد هذا النصر. وقد استغل أثالوس ملك برجامون سخط الأغريق ، فأعلن تحديه للبرابرة ، ورفض دفع الاتاوات التي كان يفرضونها عليه مقابل حمايته ، وأعد جيشا لطردهم ، وسرعان ما تحولت دعوته الى حملة قومية شاركت فيها كافة الممالك الهلينستية ، وتحولت القضية الى التعاطف مع سليوقوس الملك ضد أخيه الخائن هيراكس ، وبالفعل ألحق أثالوس الهزيمة مرتين بالجلاتيين ، وأعلن نفسه ملكا مستقلا يحكم مملكة برجامون دون وصاية عليه من أحد ، بل أضحى بطلا قوميا في عيون الأغريق ، ولم يتوقف أثالوس عند هذا الحد ، بل قرر أن يعاقب الأمير الخائن هيراكس ، فلاقاه وألحق به ثلاثة هزائم متتالية ، انتهت بانتزاع ساحل فريجيا وليديا ، وهما أغنى مناطق آسيا الصغرى ، وذلك خلال عامي ٢٣٠ — ٢٢٨ ق.م ، وبذلك وضعت مملكة برجامون الوليدة لنفسها حدودا ثابتة على حساب الإمبراطورية السلوقية ؛ كما أن هذا الانتصار حول هذه المملكة الصغيرة الى محط اعجاب واحترام الأغريق ، وبدأ أثالوس يعيد بناء مدينته ويحيطها بكل مظاهر الحضارة الأغريقية لكي ينافس بها مدينة الإسكندرية وأنطاكية ، ولكي يظهر بمظهر الزعيم الروحي المنقذ للحضارة الأغريقية من جحافل البرابرة ، والذي لاشك فيه أن البطالمة وقفوا الى جانب أثالوس ، وأمدوه بالمساعدات ، فقد كان هدفهم بفتح ملوك الأسرة السلوقية أمام عيون العالم الأغريقي ، وإظهارهم بمظهر الخونة المتعاونين مع البرابرة الجلاتيين ، ومع العنصر الآرامي والفارسي ضد أشقائهم الأغريق . كما قصد البطالمة أيضا إخراج الملك المقدوني أنتيجونوس جوناتاس الذي كان يدعى أنه حامى حما القومية الأغريقية ، وذلك لأنه لم يحرك ساكنا خلال هذا القتال ، فقد كان حليفا للأسرة السلوقية ، وانقسم العالم الهلينستي الى جبهتين ؛ : الجبهة السورية المقدونية : وهي التي أصيبت

بضربة معنوية كبيرة ؛ ومعسكر مصر وبرجامون الذى كسب وقار واحترام العالم الهلينيستى .

### نهاية سليوقوس الثانى ٢٢٥ ق. م :

غرقت الأمبراطورية السلوقية فى بحر من الفوضى بعد هزيمة انطيوخوس هيراكس ، وقيام وازدهار مملكة برجامون . فقد فر هيراكس الى أعلى الترات محاولا إقامة مملكة له هناك ؛ وفى نفس الوقت كان أخوه الملك سلبوقوس غارقا فى صراعه مع البارثيين ، والقضاء على المملكة التى أسسوها وإعادة أراضيها الى الأمبراطورية . وفى عام ٢٢٧ ق.م استغل ملك مقدونيا الجديد انتيجونوس دوسون Antigonus Doson هذه الفوضى ، وقام بحمله بحريه على اقليم كاريا على ساحل آسيا الصغرى من أجل ضمان قواعد بحريه لمقدونيا فى الشرق ؛ ومن ناحيه اخرى قامت ستراتونيكى عمه الملك سلبوقوس الثانى (والتي كانت متزوجه من ديمتريوس الثانى بن جوناتاس ملك مقدونيا) بتحريض الأمير هيراكس على أحداث ثورة مضادة فى سوريا العليا بهدف خلع أخيه . ولما علم سلبوقوس الثانى بخيانة أخيه ، ترك محاربة البارثيين وعاد مسرعا الى سوريا حيث ألقى القبض على العمدة المتآمرة وقتلها ؛ بينما فر هيراكس وظل يتجول هاربا حتى لقي مصرعه فى ظروف غامضة . ورغم هذا الزلزال السياسى الذى هز قواعد الأمبراطورية السلوقية وكاد أن يقضى عليها ، إلا أن سلبوقوس الثانى نجح فى أواخر أيامه فى إعادة تماسكها ، فيما عدا بعض الولايات فى الأضيق الشرقى النائية ، وكذلك أماره برجامون التى ثبتت أقدامها على حساب الأمبراطورية السلوقية وبمساعدة البطالمة الذين كانوا يستخدمونها كمخلب القط لضرب السلوقيين ، وبدأت هذه الأماره تقلد البطالمة فى توثيق علاقتها بالرومان ، لخطر الجديد الذى بزغ فى الغرب الايطالى، وفى نفس الوقت كانت مقدونيا والأمبراطورية السلوقيه تقيم علاقات مع قرطاجه ، التى كانت تخوض حربا ضد الرومان . كان هذا مسرح الأحداث فى العالم الهلينيستى عند وفاة سلبوقوس الثانى فى ابريل عام ٢٢٦ أو ٢٢٥ ق. م وتولى أكبر أبنائه سلبوقوس الثالث

الملقب باسم سوتير الثاني ، والذي لم يحكم سوى ثلاث سنوات فقط ؛ إذ احتل في ظروف غامضة أثناء قيامه بحمله عسكريه ضد الملك أتاالوس الأول ملك برجامون ، وانتقل العرش الى شقيقه الأصغر أنطيوخوس الثالث .

## ٥ - أنطيوخوس الثالث الملقب بالأكبر ٢٢٣ - ١٨٧ ق. م :

### القضاء على الثورات :

شاء القدر أن يتولى عرش الامبراطوريه السليوقيه في أحلك ساعاتها أعظم ملوكها وهو أنطيوخوس الثالث ، الذي غير موازين القوى لصالح العرش السليوقي ، فقد جلس على عرشها عام ٢٢٣ ق . م وهي في حالة تفسخ وضعف بسبب انتشار الحركات القومية الانفصالية في الأصقاع الشرقية البعيدة مثل : باريثا ( خراسان ) ، وباكتريا ( أفغانستان ) ؛ وأصبحت تهدد بالانتشار إلى كافة أقاليم فارس حتى ميديا ، بل وإلى شمال بلاد الرافدين ، واقليم بابل ، وإلى كافة شعوب آسيا الصغرى . وكان أخطر القضايا التي واجهها أنطيوخوس الثالث عقب توليه العرش هو القضاء على حركة التمرد التي قادها أخايوس ، أحد أحفاد أنطيوخوس الأول من الفرع الذي حرم من تولى العرش . وكان أخايوس يشغل منصب قائد قوات الملك أنطيوخوس الثالث ؛ وقد ركب الغرور رأس أخايوس بعد نجاحه في قمع حركات الانفصال القومية في آسيا الصغرى ، واستعادته لمعظم أجزاء الامبراطوريه السليوقيه خاصة تلك التي كانت مملكة برجامون قبل استولت عليها ، ووسعت رقعتها على حسابها . ففي عام ٢٢٠ ق . م ، شعر أخايوس أنه قد نجح في توحيد الامبراطوريه ، وشعر أنه الأجدر بالجلوس على عرشها ، فأعان استقلاله بالمناطق التي حررها من برجامون . ولا شك أن ذهب البطالمة لعب دوراً في مساعدته ؛ فقد كانت سياستهم توسيع هوة الخلاف بين أعضاء الأسرة المالكة السلوقيه لإضعافها ، غير أن جنود أخايوس رفضوا رفع السلاح في وجه مليكهم الشاب انطيوخوس الثالث ، فترك أخايوس أحلام إسقاط أخيه الملك ، واكتفى بتدعيم نفسه في آسيا الصغرى . ولما فرغ الملك أنطيوخوس الثالث

من حروبه في الأصقاع الشرقية للامبراطورية، استدار أناديب أخايوس؛ واشتعلت الحرب الأهلية، ونجح الملك في محاصرة الثائر الخائن في مدينه سارديس Sardis حيث تحصن بها لمدة عامين، وانتهى الحصار بخيانته وقعت داخل معسكر أخايوس، فقد غرر به إثنان من القادة الكرّيتيين، ثم قاما بأسره وقيده، ثم اقتاداه إلى خيمته أنطيوخوس الثالث حيث ألقياه أمامه، ولم يستجيب أنطيوخوس إلى توسلاته، ولم يشفع له ما ساهم به في حمايه الامبراطورية من السقوط، ولا لكونه أنه كان زوجاً لابنه الملك مثراداتيس؛ إذ أمر أنطيوخوس بتعذيب أخايوس ببطى حتى الموت، ثم صلبه لكي يكون عبرة لمن يعتبر (١).

### فشل سياسة أنطيوخوس الثالث التوسعية :

وبعد أن نجح في تدعيم الامبراطورية والقضاء على حركات الانفصال، شرع أنطيوخوس الثالث في إعادة بناء الامبراطورية، وكان همه الأول استعادة سوريا الخاليه من البطالمه، فقاد قواته لضرب بطليموس الرابع في عقر داره؛ غير أن أحلامه انهارت بحدوث انتصار معركة رفح عام ٢١٧ ق. م. والتي سبق الحديث عنها، وأضطر الملك انطيوخوس الثالث إلى الانسحاب من سيناء بعد أن عقد هدنة مع البطليموس فيلوباتور. ويقول يونيبيوس عن مفاوضات ذلك الصلح: «لقد كانت العقبة الكبرى (في المفاوضات) موضوع أخايوس (الذي لم يكن قد انتهى منه بعد)، فقد أصّر بطليموس على جعل مصيره أحد بنود الصلح بينهما، لكن أنطيوخوس رفض رفضاً باتاً مجرد أن ينصت لذلك الاقتراح، لأنه اعتقد أنه من باب الابتزاز أن يأوى بطليموس إليه المتمردين ويدخلهم تحت حمايته، بل رفض حتى مجرد التلميح باسم هذا الشخص» (٢).

ولذا كان انطيوخوس الثالث قد لقي هزأه ساحقه في الحرب السورية

(1) Cf. Polybios : Books V—VI.

(2) Ibid : V, 67, 12.

الرابعة ( ٢١٩-٢١٦ ق.م ) إلا أنه حقق نجاحاً عسكرياً باهراً خلال حملاته العسكرية في شرق الامبراطورية خلال أعوام ( ٢١٢-٢٠٦ ق.م ) فقد استطاع خلالها أن يعيد تثبيت سيادته على أرمينيا ، وبارثيا ( خراسان ) وباكثريا وما حولها من ممالك صغيرة ، كما أن مغامراته في سهل كابول غرب الهند ، وفي صحراء النفوذ بين الخليج والشام أكسبته شهرة عسكرية تقارب شهرة مغامرة الاسكندر الأكبر عندما عبر صحراء وادي النطرون إلى سيوة ، فاكسب مثله لقب الأكبر Megas .

غير أن سياسته التوسعية تحطمت فيما بعد ، بسبب عدم قدرته على فهم حركه التاريخ الدائمة بأن هناك قوة جديدة قد صعدت في سماء البحر المتوسط وهي روما . وكان تصرف أنطيوخوس الثالث بتحالفه مع ملك مقدونيا الجديد فيليب الخامس — عدو الرومان الأول قد أثار سخط روما عليه وغضبها منه ؛ فقد تحالف الملكان المقدوني والسوري مع هانيبال القرطاجي عدو روما اللدود . ولعل من أسباب تحالفه مع هانيبال محاولته لإرضاء العناصر الأرامية والفينيقية التي كانت تشكل شطراً كبيراً من سكان الامبراطورية السلوقية باعتبار أن هانيبال فينيقي الأصل ، ويرمز إلى كرامة العنصر الأرامي ، بالإضافة إلى ذلك كان البطالمة يقفون ضد توسع قرطاجة في شمال أفريقيا خوفاً على ممتلكاتهم في برقة ، ولذلك فضلوا التعاون مع الرومان. ولقد أدى تحالف البطالمة مع الرومان إلى تزايد التحالف بين أنطيوخوس الثالث وحليفه المقدوني فيليب الخامس لدرجة أنهما وقعا معاهدة سرية بينهما عام ٢٠٢ ق.م لإسقاط الامبراطورية البطلمية التي بدت عليها مظاهر الضعف بعد موت بطليموس الثالث ، ولاقتسام ممتلكاتها في الشام وآسيا الصغرى وبحر إيجه ، ولما كانت مصر قد أصبحت أحد المصادر الأساسية لإمداد الشعب الروماني بالقمح بعد حرق هانيبال لحقول القمح في إيطاليا ، فقد كان السناتو الروماني يتابع أنباء هذا التحالف غير المقدس بقلق ، فقد كان لا يثق في مسلك فيليب الخامس ويتوجس خيفه من تصرفاته .

لقد بلغت الامبراطورية السلوقية في عهد أنطيوخوس الثالث أقصى

اتساع لها سواء من ناحيه حجمها أو أهميتها ، فقد كانت تسيطر على مدخل البسنور والدرديل ، وتتحكم في طرق ومنافذ التجارة البريه والبحرية بين الشرقيين الاقصى والادنى من ناحية ، بين آسيا وأوربا من ناحية أخرى . فلقد حرص أنطيوخوس الثالث على تأمين الطرق التجاريه وحمايتها من قطاع الطرق ، وتطهير البحار من سفن القراصنه ، فلب الذشاط في التجارة العالميه بعد فترة طويله من الركود . ولقد قام أنطيوخوس الثالث بغزوات وحروب امتدت من مرتفعات إيران شرقاً ( حيث موطن تجنيد الفرسان ) إلى إقليم هرkania في قلب ولايه بارتيا ، واستمرت معاركه عند أطراف الشرق الأقصى قرابه ست سنوات ، عاد في نهايتها إلى مدينه بابل العريقه ليستقبل استقبال الفاتحين ، وليتخذ مقره الدائم قرب الخليج العربى - شريان الحياه الاقتصاديه في العالم القديم ) إذ أولاه إهتماما خاصا ، فقد أنشأ فيه عدداً من الموانئ العامرة بسفن البضائع ، والتي تبدأ منها شيكه الطرق البريه التجاريه الهامه إلى سائر موانئ البحر المتوسط ، وإلى جنوب الجزيرة العربيه .

لقد جلس أنطيوخوس الثالث على العرش وهو في العشرين من عمره ، يتوقد حماساً ونشاطاً ، ويسعى جاهداً لتوحيد امبراطوريته التي كانت أكثر الممالك الهلينستيه تمزقاً ، وأقلها تماسكاً ، فهي موزعة بين حدود الشرق الأقصى ، وآسيا الصغرى ، والشام الكبرى ، وتركيا في أوروبا ، وتسيطر على مياه الخليج العربى ، وسواحل البحر المتوسط ، وجزر شمال بحر إيجه . وكان حريصاً على إعادتها إلى حجمها الذى كانت عليه أيام جده المؤسس سليوقوس نيكاتور ، ومن أجل ذلك كما رأينا خاض الحرب السوريه الرابعه مع البطالمة لاستعادة جنوب الشام وسواحله حتى ميناء غزة ، ولكنه هزم في ربح عام ٢١٧ ق . م واضطر إلى عقد الصلح المعقول مع بطليموس الرابع . وبعدها قام بقمع ثورة عارمة في إقليم بابل ، وقضى على آخابوس ، وأنزعه من معقله في آسيا الصغرى وصلبه كعقاب وإنذار لكل من تسول له نفسه الاستقلال بشطر من هذه الامبراطورية المترامية الاطراف ، والمتعددة القوميات والأجناس واللغات والديانات . وفي السنة العاشرة من حكمه قاد

حملة عسكرية لقمع حركات الاستقلال في الأصقاع الشرقية للامبراطورية وتنظيم اقليمها وولاياتها ، عاد منها منتصراً ليعاود الحرب مرة أخرى. ضد البطالمة من أجل طردهم من جنوب الشام وفلسطين ؛ وفي هذه المرة تمكن من هزيمتهم وطردهم من فلسطين بعد انتصاره في معركة بانيون Paneion الشهيرة عند نهر الأردن عام ٢٠٠ ق . م ، وخسر البطالمة أهم جزء من امبراطوريتهم وهو إقليم الشام .

وفي عام ١٩٧ ق . م قام بحملته الأخيرة على إقليم تراقيا في أوروبا (شمال بحر إيجة) لإعادته إلى الامبراطورية السلوقية ، فقد كان جده الأكبر سليوقوس الأول قد ضمه إلى أملاكه لتصبح الامبراطورية السلوقية دولة آسيوية أوروبية . وبعد استيلائه على تراقيا قام بتحصين مدينه لوسياخيا Lysimachia التي كانت تتحكم في بحيرة مرمرية الذي هو نقطة المرور بين آسيا وأوروبا ، لكنه لم يكن يدرك أنه بهذا التصرف قد أثار ضده عدواً جديداً وهو جزيرة رودس سيده بحر إيجة ومركزه البحري والتجاري ، والتي اشتهرت بتجارها في الغلال مع موانئ البحر الأسود ، كذلك أثارت هذه الحملة عليه حنق مملكة بروجامون ، التي كان لها مصالح تجارية في شمال الأناضول . وبالرغم من أن أنطيوخوس الثالث لم يكن له أدنى اهتمام قبل ذلك بالغرب الأوروبي حتى أن المؤرخ يوليبيوس كان قد وجه إليه اللوم لعزوفه عن التدخل في بلاد اليونان لنصرة أهلها مقارنة باهتمامات البطالمة المتزايدة بشئون القارة الأوروبية (١) ، فقد كان اهتمامه مركزاً على محورين أساسيين : أولهما مدينه انطاكية في جنوب الأناضول ، والتي كانت العاصمة الأولى للامبراطورية ومقر القصر الملكي ، والتي بها القناطر الشهيرة التي اقامها لضمان إمداد العاصمة بالمياه ، فأول مرة نسمع في عهد من دار الكتب العامة في انطاكية ، والتي أكمل أيضاً بناءها ، وعين لها اميناً وهو الشاعر يوفوريون الخالكسي الشهير ، فقد كان عهده عهد ازدياد الموارد الملكية ، ورخاء شمل كل مظاهر الحياة في انطاكية ومينائها سلوقية بيرية (عند مصب نهر العاصي) ،

(١) Polybios : XXIX, 24, 16.

ولقد تجلى أثر ذلك الرخاء في ازدياد نشاط دار سلك النقود، فكمية العملات التي عثر عليها وترجع إلى عهده يفوق بكثير تلك الكميات التي سكنت في عهود ملوك الامبراطورية الآخرين ؛ أما المحور الثاني فكان الاهتمام بالعاصمة الشرقية للامبراطورية وهي سليوقية على نهر دجلة ، فقد كانت تتوسط سهلاً زراعياً غنياً ، عرف برخائه منذ القدم ، حتى أن هيرودوت تحدث في القرن الخامس ق . م عن وفرة محاصيله الزراعية (١) ، فمن هذه المدينة كانت تنساب شبكه من الطرق التجارية البرية التي تخترق شمال بلاد الرافدين لتتصل بشبكة الطرق الكبرى المتجهه إلى أواسط آسيا والصين .

#### بداية تأزم علاقاته مع الرومان :

ولقد أثارت حملته أنطيوخوس الثالث على تراقيا عام ١٩٧ ق . م جنق بعض المدن الأغريقية في الأناضول مثل سمرنه Smyrna ( أزميت الحالية ) ولامباسكوس Lampascos ( الواقعه على بحر مرمرة ) ، فتوجهتا إلى السناتو الروماني بطلب التدخل لإجبار انطيوخوس الثالث بالالتزام بمبدأ حرية المدن الأغريقية الذي أعلنه روما بعد هزيمتها لفيليب الخامس في عام ١٩٧ ق . م في معركة كونوس كيفالاي Cynoscephalae ، وإجباره على قبول صلح مهين تنازل فيه عن كل ممتلكات مقدونيا الخارجية ، وتسليم أسطوله بالكامل لها ، ودفع غرامه حرب باهظه ، وإرسال عدد من الرهائن إلى روما كان من بينهم أخوه ديمتريوس . ومن الجدير بالذكر أن أنطيوخوس الثالث تخلى عن حليفه فيليب الخامس ملك مقدونيا في هذه الحرب لإدراكه أنه لا قبل له بمجنود القائد الروماني فلامينيوس Flaminius بطل هذه الحرب ، وتحول فيليب الخامس بعد هزيمته من عدو لروما إلى عميل لها .

ولكن تكسب تأييد الأغريق في أوروبا وآسيا، انتهزت روما مناسبة انعقاد دورة الألعاب الكورنثية عام ١٩٦ ق . م وأعانت مبدأ السيادة والحرية لكافة المدن الأغريقية ، وصدق الأغريق هذا لاعلان ، وباتوا يحلمون بعصر وردي وذهبي ؛ تتحقق أخيراً فيه الحرية والرخاء تحت أجنحة

(1) Herodotus, I, 192.



النسر الرومانى . وسرعان ما أعلنت مدن تراقيا التى كان فيليب يحتلها انحيازها للرومان ضد استبداد ملوك مقدونيا وسوريا . وبالرغم من أن تحالف أنطيوخوس الثالث مع فيليب الخامس كان مدعاة لقلق روما من قبل ، لكن غزوها لمقدونيا أثبت أنه كان تحالف الغرماء من أجل مصلحة مشتركة ، وهو اقتسام ممتلكات البطالمة فى آسيا الصغرى وبحر إيجه وبلاد اليونان ، لكن كليهما كان يخشى تزايد نفوذ الآخر ، ولذلك فقد كان أنطيوخوس الثالث فى قرارة نفسه سعيدًا بالكارثة التى حلت بفيليب الخامس ، بل أن أنطيوخوس الثالث بعث بمندوبين عنه لحضور دورة الألعاب الكورنثية التى أعلن فلا مينيسوس فيها قرار روما بإعلان الحرية لكافة المدن الأغريقية ، كما استقبل أنطيوخوس الثالث وفدا رسميا رومانيا نقلوا إليه تحذير بالانسحاب من المدن الأغريقية فى آسيا الصغرى تنفيذًا لذلك القرار ، كما طالبوه بعدم التعرض للمدن الأغريقية التى لم تدخل فى حوزة امبراطورية ، وان ينسحب على الفور من المدن الأخرى التى كانت تابعة للبطالمة وفيليب المقدونى ، وخطرهم بشدة من مغبة الأقدام على البحار بأسطوله الى المياه الأوروبية . « لأنه لم تعد اى من مدن بلاد اليونان تتعرض لأى خطر » ، وبذلك اثارت توسعات أنطيوخوس فى شبه جزيرة الأناضول وتراقيا عليه غضب الرومان ، ولقد رد أنطيوخوس على تحذير وفد السناتو بأن عبوره المياه الأوروبية الى تراقيا حق من حقوق السيادة الخاصة بامبراطوريته ، وبأنه ليس من حق احد أن يتدخل فى شئون رعاياه فى آسيا الصغرى تماما كحق روما فى علم تدخل احد فى شئون رعاياها فى صقلية وجنوب إيطاليا ، لأن مدن تراقيا هى ميراث اجداده ، كما أن الهدف من حملته على تراقيا هو تعمير مدينة لوسياخيا التى كان أهل تراقيا قد خربوها وطردها أهلها ، وبأن ذلك لا يضير روما فى شيء ، لأن كل ما يسمى إليه هو بناء عاصمة ثالثة فى تراقيا تكون مقرا لولى عهده وهو ابنه سليوقوس الثالث . اما فى رده على النداء الذى وجهته كل من سمرة ولامباسكوس الى السناتو لارغامه على احترام

مبدأ منح الحرية للمدن الأغريقية ، فقد ذكر أنه كان من الأجدى لسلطات هاتين المدينتين أن توجهها النداء اليه في المقام الأول لأنه اغريقي ، وأنه ليس لهم الحق في استجداء الرومان لهذا الغرض . ولما التقى بمندوبي سمرونه ولا مباسكوس فيما يعد مخاطبهم غاضبا ومعاتبا بأن « خلاقات الاغريق يجب أن تعرض على الاغريق وليس على الرومان » (١) الذين كانوا في نظر الاغريق دخلاء وفضوليين واقل مرتبة ، فقد كان ملوك الممالك الهلنستيه بسلطاتهم الاستبدادية التي تجعلهم فوق القانون والمساءلة ، يشيرون بحيرة الرومان — كحيرة الأوروبيين اليوم في فهم العقلية الشرقية ، كما أن ثراء هؤلاء الملوك الخرافي جعلهم يعتقدون أنهم قادرون على شراء أى شئ مهمما دفعوا فيه ، حتى أن المؤرخ الرومانى تيثوس ليقفيوس كتب ساخرا يقول « أنهم قادرون حتى على شراء الرومان أنفسهم » (٢) .

لقد كان السبب الحقيقي الذى دفع أنطيوخوس الأكبر إلى ضرب عرضي الحائط بالإنذارات الرومانية ، والإبحار بأسطوله شمالا على طول ساحل آسيا الصغرى هو رغبته في بسط نفوذه على موانيه ومدنه من أفيسوس حتى سارديس . ولقد قام بالفعل بتعمير مدينة لوسيامخيا في تساليا ، وأعاد مواطنيها الفارين إليها ، واشترى من بيع من مواطنيها كرفيق وأعتقهم ، بل قام بتهجير مواطنين جدد إليها ، وأمدهم بالماشية وأدوات الزراعة ، كما قام بتخصيمها لتصبح قلعة محصنة حتى لا تسقط في أيدي أعدائه مرة أخرى (٣) . وفي لوسيامخيا استقبل مبعوثي السناتو الذين عبروا له عن قلقهم لتدخله في شئون الغرب الأوروبي ، مهدين دهشتهم للأسباب التي برر بها عبوره البحر إلى تساليا يمثل هذا الجيش ، وكذا الأسطول الذى قد يظن البعض أنه موجه للإبحار إلى جنوب إيطاليا وصقلية لتحريض المدن الإغريقية على الثورة ضد روما ، كما أنه كشف عن موقفه المعادى للرومان عندما قدم

(1) Polybios, XVIII, 49, I.

(2) "Ut Ipsos Romanos emere Possent,, Livy, XXXV, 16

(3) Appian : Syrian Wars, XI, II.

حمايته لعدو روما الأكبر هانيبال القرطاجي الذي زار أنطاكية عام ١٩٥ ق . م ليحاول إثارة أنطيوخوس لكي يعلن الحرب على الرومان ؛ وعلى أثر ذلك بدأت أبواق الدعاية الرومانية التي تسبق عادة الحرب توجه نشاطها نحوه ، ومن جانبه راح أنطيوخوس يحذر المدن الأغريقية من مغبة الوقوع في شرك الدعاية الرومانية باسم « تحرير المدن الأغريقية » ، فقد قال مثله لوفد من الرومان عام ١٩٥ ق . م « كيف يكون شعب سميرنا ولا مباسكوس أكبر « هلاينية » من شعوب نابلي ، وريجيوم ، وتارانثوم التي ترغونها على دفع الضرائب ، وتجمعون منها السفن ؟ ولماذا يفرض على مدن جزيرة صقلية الأغريقية أن تستقبل برايتورا رومانيا مزوداً بالأمبريوم وتحمل شحازة : البلطة وحزمة العصي ؟ ، بالطبع لن يزيد ردكم عن قولكم أنكم فرضتم ذلك بالقوة على هذه المدن بعد أن هزمتوها في الحرب » وذكر أن نفس الشيء يمكن أن يقال عن سميرنا ولا مباسكوس وغيرها من مدن أيونيا وأيوليس التي أخضعها أجداده . وأن كل ما يقوم به هو أنه يعيد هذه المدن إلى الوضع السابق الذي كانت عليه (١) .

ولقد جرت محاولات لوضع صيغة تعايش Modus Vivendi بين الملك أنطيوخوس الكبير والرومان ، غير أنها لم تنجح ، فقد كانت الأمور قد وصلت إلى نقطة اللاعودة . وبدأ أعداء أنطيوخوس من الأغريق يطلقون الشائعات بهدف إثارة الرومان وتخويفهم من الحلف الأيتولي المعادي للرومان ، ومن أجل ذلك حث أنطيوخوس حليفه القديم فيليب لكي يمد يد المساعدة له للوقوف في وجه الرومان متخيلاً أنه يستطيع أن يزكي نار القومية والعصبية لكي يهب الأغريق عن بكرة أبيهم في ثورة كبرى تتصدى للرومان . ووصل يومينيس Eumenes ملك برجامون إلى روما يحمل للسنااتو شائعات مزعجة ، بأنه أنطيوخوس الكبير يعد العدة للقيام بحملة بحرية كبرى لإنزال جنوده عند سواحل صقلية ؛ وأنه أعد لذلك الغرض أسطولاً يتكون من عشرين سفينة

---

(1) Titus Livius, XXXIV, 16, 1—6.

مقاتلة ، وأنه أخذ الحيطه بإقامه القلاع والحصون على طول امبراطوريته  
خاصه تلك التي تواجه ساحل بلاد اليونان ؛ وأن أسطوله سيعبر بحر الأدرياتيك  
في الربيع لمهاجمة سواحل صقلية جنوب إيطاليا ؛ وأنه جهز جيشاً قوامه  
ستون ألف مقاتل لتنفيذ ذلك الهدف .

### نقاط القوة والضعف في شخصية أنطيوخوس الكبير :

وبالرغم من أن أنطيوخوس الكبير كان رجلاً متزناً وحكماً ، إلا أنه  
كان متغافلاً وحسن النية لدرجة عدم الاكتراث ؛ وعدم أخذ الأمور مأخذ  
الجِد . كما كان رجلاً عاطفياً ، شديد الوفاء لأسرة آل سلبوقوس ، فقد  
أمضى حياته يعمل على رَأب الصلح بين أمراءها ، حتى تبدو قويه ومتأسكة ،  
فقد كان يعتبر نفسه كبيرها ، يقضى حاجاتها ، ويفض خلافاتها ؛ إلا أنه  
كلان لا يتسامح أبداً مع من يخونه ويخرج عن طوعه أو يتسبب في زرع  
الشقاق والفئنة بين الأسرة . فكما قضى عمره في جمع شتات الامبراطورية ،  
قضى عمره أيضاً في تدعيم أواصر الروابط بين أعضاء الأسرة الملكية الحاكمة ،  
حتى لا تتأكل وتتهار . فقد توقفت المفاوضات بينه وبين بطليموس الرابع  
بعد معركة رفع الشهيرة . من أجل وضع شروط صلح ميسر يحفظ كرامة  
الطرفين المتحاربين ، وذلك بسبب إصرار بطليموس على أن تنض إحدى  
بنود الصلح على العفو على أخايوس الناصر ، معلناً رفضه الحاسم أن يتسامح  
مع هذا الخائن الذي تسبب في إحداث فتنة كبرى في بيت آل سلبوقوس  
كادت أن تودي به ، معلناً أنه من باب الابتزاز أن يتدخل بطليموس فيلوباتوز  
لمساعدة أخايوس (١) .

لقد نشأ أنطيوخوس وتربى في مدرسة صارمة وقاسية . فقد كان متواضعاً  
وبسيطاً في حياته بالرغم من ثرائه وسطوته ، إذ كان يشارك جنوده احتفالاتهم  
فيفرط في الشراب معهم ، ويرقص معهم رقصة الحرب المقدونية الشهيرة ،

كما كان عاطفياً رومانسياً ، فقد دخل في علاقه غراميه في أواخر أيامه مع فتاة إغريقية هام بها حباً ، ولم يكن يفارقها لحظه واحده ، بل نه لم ينس أن يبحث عنها وسط الفوضى التي أعقبت سحق الرومان لقواته في معركة ماجنيسيا ، وراح يفتش عنها حتى عثر عليها ، وحملها على جواده وخرج بها من سارديس وسار بصحبته جنوباً حتى إطمأن عليها ، ثم تركها وعاد ليرسل مندوبيه إلى الرومان معلناً قبوله لشروطهم . وقد تناقل الكتاب الرومان هذه الحادثة بإعجاب شديد لشهامته . ولقد عرف عن أنطيوخوس الأكبر وفاءه لأصحابه ، يحميهم ويدافع عنهم ولا يغدر بهم . فقد رفض في تحد سافر أن يسلم هانيبال للرومان بعد أن التجأ إليه ، معلناً أنه لن يتخلى عنه مهما كان الثمن ؛ كما كان معتدلاً في سياسته ، رافضاً في مواقف كثيرة نصائح بعض مستشاريه المتطرفين (١) ، حتى أن أشد المؤرخين الرومان عداء له - وهو نيتوس ليفيوس - شهد له بالشهامه والرجولة والسلوك الإنساني (٢) . وضرب مثلاً على ذلك بتصرفه مع ابن القائد الروماني سكيبيو عندما أسره جنوده فقد أحسن معاملته ، وأمر بإعادته إلى أبيه المريض محملاً بالهدايا ودون أن يطلب منه فدية ، ولذلك نشأ شعور بالتعاطف بين أنطيوخوس وأسرته سكيبيو (٣) .

وفي مجال الدبلوماسية كان ماهراً وحاذقاً وحكيماً ، فقد تجلت هذه المهارة والحكمه في موقفه من بطليموس الخامس أبيفانيس عقب الهزيمة التي منى بها هذا الأخير في الحرب السوريه الخامسه ، فقد رأى أنه من الحكمة ألا يكون قاسياً في شروطه حتى لا يدفع بالبطليموس المهزوم إلى أحضان الرومان ، بل زوجه من ابنته كليوباترا الأولى على أن تكون الدوطه التي تقدمها العروس لغربها ، هو حكم جنوب الشام من الناحيتين الإداريه والماليه فقط . بينما يظل هذا الإقليم تابعاً من ناحيه السيادة للإمبراطوريه

(1) Polybios, V, 54, 8—12.

(2) Titus Livius, XXXVI, 12, 6.

(3) Titus Livius, XXXVII, 34—7.

السليوقيه، فكان حلاً معقولاً أنهى به صراعاً مزمناً وعقياً بين هاتين الأسرتين المقتدونيتين. وفي نفس الوقت أوصى العروس أن تؤثر بشخصيتها وجمالها على زوجها بطليموس الخامس لكي يلتزم جانب الحياد في الحرب القادمة بينه وبين الرومان، وبالفعل أدى ذلك إلى تأزم العلاقة بين هذا بطليموس الخامس والرومان فيما بعد.

لقد كانت نقطة الضعف الكبرى في سياسة أنطيوخوس الأكبر علاقته المشعومة بالملك المقدوني فيليب الخامس. فقد كانت تصرفات هذا الأخير تصرفات حمقاء، جلبت النكبة على الإغريق الذين بادلوه الدماء والكراهية، وبمهارة شديدة استغلت روما هذه الكراهية لتحقيق مآربها وأطماعها في العالم الهلينيستي تحت ستار إعلان الحرية والسيادة للمدن اليونانية، وهي أكلوبة ثبت زيفها فيما بعد (١). فتصرفات فيليب الحمقاء هي التي جاءت بالرومان إلى مياه الأدرياتيك، ثم إلى مياه بحر إيجه عام ٢١٢ ق.م؛ وهو نفسه الذي ورط أنطيوخوس في الدعوة لاقتسام ممتلكات البطالمة الخارجية. بالإضافة إلى ذلك كان مسلك هذا الملك المقدوني مع المدن الإغريقية الحرة وغير الحرة قاسياً ومشيناً لا يتفق والتقاليد الإغريقية. فقد سلك فيليب المقدوني سلوكاً بربرياً إزاء كل من نوسياخياوخالقيدون وأبيدوس وباسوس، وسلك سلوكاً أبشع مع جزيرتي ثاسوس وكيوس؛ فقد باع سكان الأولى في أسواق الرقيق، وسوى ببيوت الثانية الأرض؛ ثم باع سكانها أيضاً في أسواق الرقيق. وفي كل مكان في شرق البحر المتوسط أشعل فيليب الخامس المقدوني النيران، ونشر الخراب، وسبى النساء والأطفال، وبسبب تهور وطيشه أصبح محط كراهية عند الإغريق بالإجماع. إما أنطيوخوس فقد كان رزيناً، بعيد النظر يعرف كيف يكسب إلى جانبه حتى أعداءه تماماً مثلما فعل مع بطليموس الخامس؛ ولذلك لم يكن راضياً في أعماق نفسه عن تصرفات حليفه المقدوني؛ ومن ثم لم يفكر في مساعدته عندما كان كالنور

(1) Cambridge Ancient History, VII, 26, 10, p. 857.

الهائج يدمر المدن الإغريقية . ولقد كان الدافع الذى جعل أنطيوخوس يصبر على تهوور فيليب حرصه على التواجد بالقرب من السواحل الشرفية لبحر الأدرياتيك حتى يهدد الرومان بأنهم لو تدخلوا فى شئون المدن الإغريقية سواء فى بلاد اليونان الأم ، أو فى جزر بحر إيجه أو فى شبه جزيرة الأناضول فإنه بدوره سوف يتدخل لنصرة المدن الإغريقية فى صقلية وجنوب إيطاليا ، والتي أجبرها الرومان على المدخول فى دولتهم . غير أن عيون الرومان كانت مفتوحة الخدقات ، ومركزة على مضايق البسفور والسردينيل ، وكان يعاها يسيل لرؤية الثراء الباهظ الذى تجلبه تجارة القمح التى كانت تقوم بها جزيرة رودس مع موانئ وبلدان البحر الأسود ، بل كانت روما نفسها فى حاجة ماسة لذلك القمح الجيد لإطعام شعبها بعد أن خرب هانيبال حقول القمح ودمر القرى ، وبحول الريف الإيطالى العامر إلى خرائب ينشق فيها البوم والغربان .

ولما شاهد سكان جزيرة رودس فيليب المقدونى وهو يستعرض عضلاته فى مضايق بحر إيجه ، ويهدد التجارة ؛ ويقطع الطريق على السفن القادمة من موانئ البحر الأسود ، قرروا التصدى له رغم ما عرف عنهم من إيثار للسلم على الحرب (١) . فطرحوا خلافاتهم مع مملكة برجامون جانبا ، بل تحالفوا معها لتكوين جبهة تقف فى وجه عدوهم المشترك فيليب الخامس المقدونى ؛ وأرسلوا فى أواخر عام ٢٠١ ق. م وفوداً إلى روما شرحت للسناو خطر التحالف بين فيليب وأنطيوخوس ، وحثوه على القيام بحرب مانعة ؛ وفى نفس الوقت كان السناو يستقبل أيضاً وفوداً من مدينتى سمرنة ولامباسكوس جاءوا يطالبون روما بضرورة تحرير المدن الإغريقية من نير هذين الملكين ؛ وانطلقت سياسة روما المتظاهرة بحب الإغريق ، والحرص على استقلالهم على مدن آسيا الصغرى المختلفة ، فهللوا لتلك القوة الجديدة التى سوف تلقى طوق النجاة لهم .

---

(1) C. A. H., Ibid, VIII, 6, 3, p. 152.

كذلك أثار فيليب المقدوني ثائرة الرومان عندما تحالف مع أعدائهم ، وهو هانيبال القرطاجي وذلك عام ٢١٥ ق. م. بهدف توجيحه ضربة معنوية لروما ، وتشكيل حلف ثلاثي يتكون من مقدونيا وقرطاجة والامبراطورية السلوقية للوقوف في وجه الخطر الروماني (١) . حتى بعد هزيمة هانيبال في معركة زاما الكبرى عام ٢٠٢ ق. م ، وفراره إلى مقدونيا حيث نزل ضيفاً في بلاط فيليب . ولما استدارت روما لتأديب فيليب ، وغزت مقدونيا ، وألحقت به هزيمة ساحقة في معركة كونوس كيه لاي عام ١٩٧ ق. م ، فر هانيبال ليلجأ إلى بلاط أنطيوخوس الأكبر في أفسس . فقد كان حقه هانيبال على روما شديداً وبلا حدود؛ بل قيل أنه هو الذي اقترح على أنطيوخوس أن يكون البادئ بالضربة الأولى، وأن ينقل المعركة مع الرومان إلى صقلية وجنوب إيطاليا على نحو ما فعل الملك بيرهوس ملك أبروس من قبل ، بيد أن أنطيوخوس العاقل بعيد النظر لم يأخذ برأيه ، لأنه لم يكن متعجلاً للدخول في مواجهة شاملة مع الرومان في عقر دارهم ، إنما كان يفضل أن يلحق بهم الهزيمة على أرض بلاده، حتى يعطى القتال روح الدفاع عن الأرض والعرض ؛ ثم يعقد معهم صلحاً معقولا للطرفين على نحو ما فعل في باكتريا وأرمينيا ، ومع بطليموس الخامس في مصر . فقد كانت دبلوماسيته ثابتة؛ ومن ثم كان الرومان يخشونه لأنه كان من نوعية ذكية وصلبة . ولذلك ارتبط اسمه في الدعاية الرومانية باسم كل من بيرهوس وهانيبال ، إذ يقول الشاعر الروماني هوراتيوس في كتابه الأغاني « وسقط بيرهوس، وأنطيوخوس العملاق، وهانيبال الريب » (٢) ، وفي نظر المؤرخ تيتوس ليفيوس كان أنطيوخوس أيضاً رهيباً لأنه ترك هانيبال الريب يدير له بعض المعارك ضد الرومان (٣) . كل ذلك كان يحدث

---

(1) Polybios, IX, 22, 1—5.

(2) Pyrrhumque et ingentem cecidit

Antiochum Hannibalemque dirum. (Horace, Odes, III, 6).

(3) Titus Livius, X XXVII, 1., 59.



وأنطيوخوس خير مكترث بما يحدث وغير مدرك للخطر الذى يحيق به .  
والذى كان لا يريد له أصلاً أن يحدث ، فقد كان هذا التبلد الذى يعتره  
من آن لآخر جزءاً من طبيعته وإحدى ملامح شخصيته مما جعله يدفع  
التمن غالباً ، فثلاً دفعه عدم الاكتراث إلى ترك مضيق بحر مرمره الحيوى  
دون حماية (١) ، تاركاً مخازنه العديدة والمليئة بالعتاد الحربى فى لو سيمانيا  
تسقط بسهولة فى أيدي الرومان .

#### مقدمات معركة ماجنيزيا الفاصلة :

كانت هذه هى مقدمات معركة ماجنيسيا الكبرى ، والتى أبلت فيها  
قوات أنطيوخوس بلاء حسناً ، ولم يكن هناك أخطاء تؤخذ على جيوشه  
سوى غياب فن التكتيك المتطور والمؤثر فى الميدان ، كما أن الحظ (والمعارك  
يلعب فيها الحظ دوراً كبيراً) لم يكن فى جانبه ، فثلاً عندما علم بعبور  
الأسطول الرومانى شرقاً إلى مياه آسيا الصغرى ، تصدى له مدعماً  
بأسطولين ، أولهما أسطول حلفائه الذينيقين ( ويقوده هانيبال بنفسه ) ،  
وثانيهما الأسطول السليوى . أما الأسطول الأول فقد أوقع به الرومان هزيمة  
بحرية عند ساحل أنطاليا Antalya ( جنوب الأناضول إلى الشرق من  
جزيرة رودس ) تحت سفح جبال طوروس . أما الأسطول الثانى ، فقد  
نجح قائده فى نصب كمين بحرى محكم للأسطول الرومانى عند رأس تيوس  
على ساحل الأناضول ، حيث يشرف هذا الموقع على خليج صغير ، فقد  
دخل الأسطول الرومانى إلى هذا الكمين وهو يطارد بعضاً من سفن القرصنة ،  
وكادت الدائرة تغلق عليه لولا أن قائده تذكر فجأة أن جرار النبيذ قد  
فرغت ، فأبحر يبحث عن مصدر بملأ منه هذه الجرار ، وبذلك أفلت  
من كمين ليلى قاتل ، ولما حاول أسطول أنطيوخوس ملاحقته ، تدخلت  
سفن رودس وبحارتها لحماية الأسطول الرومانى ؛ وتحول النصر إلى جانب  
الرومان ودمر الأسطول السليوى ؛ ثم انتهز الأسطول الرومانى خلوا منطقة

(1) Ibid., XXXVII, ff, 27—31.

بحر مرمرة من وجود قوات سليوقية تحميها ، فاندفع نحوها واستولى على أهم مدنها لوسياخيا ، التي كانت مليئة بمخازن السلاح والعتاد ، حيث قام فيليب الخامس بدور الدليل للجيش الرومانية عبر مدقات وطرق تراقيا حتى أوصلهم إلى الساحل ؛ وهناك قام أسطول رودس بنقلهم إلى الجانب الآخر من بحر إيجه ، وعند برجامون خرج ملكها لاستقبالهم بالترحاب ، وأقيمت لهم الولائم ، والحفلات وكان الجيش الروماني لم يكن في مركبة حربية بل في نزهة ترفيهية (١) . وهذه السهولة فقد أنطيوخوس السيطرة على بحر إيجه ، وبقيت له قواته البرية التي وضع فيها آخر أمل لديه ليقاوم حتى يحصل على شروط صلح معقول ، وبالفعل حاول الاتصال سرّاً بالرومان لحقن الدماء والتصالح ، لكن يومينيس ملك برجامون كان بالمرصاد لإبطال أى محاولة للسلام بين الطرفين . ولم يكن غريباً أن يقف فيليب الخامس مع الرومان ضد حليفه القديم ، فقد كان يطمح أن يخفض الرومان من غرامة الحرب التي فرضوها عليه ، وأن يطلقوا سراح ابنه الذي كان لديهم رهينة ، كما أن تحالفه مع أنطيوخوس كان تحالف الفرقاء من أجل تحقيق مصالح مؤقتة تنقضي بانقضاء المصلحة أو فشلها ، كانت هذه هي المقدمات للمعركة البرية الفاصلة عند ماجنيزيا .

#### معركة ماجنيسيا وبداية النهاية للإمبراطورية السلوقية (١٨٩ ق. م) :

كانت ماجنيسيا ( واسمها الحالي مانيسا ) تقع في سهل هيرموس القديم ( سهل جندك سو الحالي في تركيا ) ، حيث كان يتدفق نهر فريجيوس الشهير ( نهر كوم حالياً ) ليصب في خليج سمرنة ، وهي إحدى مدن إقليم ليديا (جنوب الأناضول) الغني بمصادرة ، وكانت تعرف باسم ماجنيسيا المتاخمة لسبييلوس Magnesia ad Sipylum ( تميزاً لها عن مدينة أخرى إسمها أيضاً ماجنيسيا المتاخمة لنهر المياندر ) ؛ وكانت أهميتها تقبع في كونها ملتقى شبكة الطرق القادمة من أعماق آسيا الصغرى وبحر مرمرة ، لتصب في طريق رئيسى واحد يتجه نحو سمرنة وساحل البحر المتوسط .

(1) Titus Livius, XXXVII, 51, 9.

ولقد كانت موقعة ماجنيسيا إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ الشرق الهلينيستي ؛ فقد كانت بداية النهاية للأمبراطورية السلوقية ، حيث قوضتها وأنهت سيطرتها على آسيا الصغرى وبحر إيجه ، وحولتها الى دولة من دول الشرق الأدنى ينحصر نفوذها في الشام ( جنوب جبال طوروس ) وفي بلاد الرافدين ؛ بل كانت بداية وصول الرومان الى الشرق الأدنى حيث ادركوا أهمية ثرائه ، وتوابعه ، وسحره ، وعطوره ، ومزاياه التجارية والاستراتيجية ، بل وتأثروا بحضارته ونظمه وطريقة الحياة فيه . في هذه المعركة لقي الملك أنطيوخوس الثالث ، والذي امتدت الأمبراطورية السلوقية في عهده من سواحل الأناضول غربا الى سواحل الهند شرقا ، ومن البسفور والدردييل شمالا الى غزة جنوبا — لقي هزيمة ساحقة قصمت ظهر إمبراطوريته . وبدأ عصر الابتزاز والاستغلال الروماني لشعوب الشرق الهلينيستي فتحوّلت من الثراء الى الفقر ؛ ومن القوة الى الضعف ؛ ومن الكبرياء الى المدلة ؛ ومن النظام الى الفوضى .

التقى الجيشان المتحاربان عند ماجنيسيا في فجر أحد أيام شتاء عام ١٨٩ ق.م ، وكان ضباب الصباح يحجب الرؤيا ، والبرد قارسا ، والرطوبة عالية ، مما أثر على سيور الأقواس ، إذ لم تعد تصيب هدفها بدقة ؛ ولم تكن المعركة مبارزة بين الامبراطورية السلوقية والأمبراطورية الرومانية فحسب ، بل كانت مباراة بين الفيلق المقدوني العتيق Phalanx وبين الفرقة الرومانية Legio وليدة التطوير المستمر في ضوء المعارك المختلفة . فقد كان كل منهما يريد اظهار تفوقه على خصمه في الشجاعة ، وفي القدرة القتالية ، وفي فن الحركة التكتيكية . فلقد أقامت فيالق أنطيوخوس سدا بشريا بلغ عمقه اثنتان وثلاثون وحدة مقاتلة ، يفصل بين كل منها رتل من سلاح الأفيال الهندية المدرجة . وقد تشابكت خراطيمهما ، وتلاحمت رؤسها ، ويمتطيها رماة سهام مهرة ؛ ويحمي هذه القوات وحدات من الفرسان من أهل سكيثيا المعروفين بانفروسية والجرأة والأقدام ، إلا أن مفعول هذه الفرسان أبطل

ندما بسبب اشتراك ملك برجامون (١) إلى جانب الرومان بفرقة من الفرسان صويت سهامها الى رعوس الخيول . وإلى جانب وحدات الفرسان السكيثيين ، اشترك العرب بفرقة من المقاتلين البدو الذين يركبون الجمل السريعة ، ويمسكون بحراب طويلة ، وسيوف عريضة باترة . أما قلب دفاع الجيش فقد كان وحدات الفيالق المقدونية المتلاصقة ، والتي تراوح عددها ما بين ست عشرة واثنين وثلاثين وحدة ؛ كانت الفيلة الضخمة تتوسط كل وحدة منها ؛ وتقوم مقام القلاع أو الأبراج الدفاعية ؛ كما أن امتداد هذه الوحدات بهذا الطول والعمق جعلها تبدو كما ولو كانت شبيهة بنظام القنافة الحربية المحصنة ، وهو التكتيك الذي استخدمه هانيبال إبان حروبه في إيطاليا ضد الرومان ، وأثبت فاعليته . ولقد كانت وحدات هذه الفيالق تتكون من الجنود المقلونيين ، والأغريق المستوطنين ، والشرقيين المتأخرين . وكانوا مدربين تدريباً عالياً ولا تنقصهم الشجاعة والاقدام ؛ ولأن هذه المعركة لم تقرر مصير الشرق الهلنستي فحسب ، بل أنها انتهت الى الأبد دور الفيالق المقدونية ؛ وانتهى معها استخدام الفيلة كمدركات ثقيلة في الجيوش ؛ ولذلك أهتم المؤرخ بوليبيوس اهتماماً خاصاً بها ؛ وأفرد لها تحليلاً علمياً مطولاً ودقيقاً ؛ حيث سرد تفاصيل المعركة دقيقة بدقيقة لدرجة تدعو للملل ؛ ولم يذكر أبداً أن قوات أنطيوخوس كانت تعوزها الشجاعة والجرأة ، إنما انتقد تكلسها في حين ضيق ، مما شل حركتها ، وأضعف قدرتها على المناورة ؛ في نفس الوقت الذي كانت فيه الفرق الرومانية Legiones تناور بحرية بسبب وجود مسافات فاصلة بين كل فرقة (٢) ، وبحيث لا تسمح بوجود ثغرة يتغل منها العدو ، ولقد كان حشد القوات لبناء سد دفاعي احدى سمات البناء العسكري للقوات المقدونية الموروثة عن التراث الحربي الأغريقي ؛ وربما كانت فكرة الحائط الدفاعي مفيدة عند الاجتياح ، غير أنها في مواجهتها

(1) Plutarchus, Eumenes (Everyman's Library), Vol. II, 344.

(2) Polybios, XV, 15, 8 ; XVIII, 29, I ff ; H.D.M. Parker : Roman Legions, London (1928), reprint 1958, p. 12—16 ; G.R. Watson : The Roman Soldier, Thames & Hudson, 1969, p. 22.

للفرق الرومانية جعلها تتكبد نسبة عالية من الإصابات ، فأى سهم كان يطلق تجاه هذه الكتل البشرية المتلاحمة كان ولا بد وأن يصيب أحداً أفرادها ، فتقييد المساحة شل حركتها . وبالرغم من هذه العيوب ، فقد واجهت الفرق الرومانية من جانب الفيالق المقدونية قتالاً صعباً حتى أن المؤرخ بوليبيوس نقل على لسان القائد الروماني إيميليوس باولوس Aemilius Paulus قوله أنه لم يشهد في حياته العسكرية وعلى طول المعارك الطويلة التي خاضها كجندي ، أو قادها كجنرال ، قتالاً شرساً ومرعباً مثل قتال الفيالق السلوقية المقدونية (١) ، كذلك وجه بوليبيوس النقد إلى هذه الفيالق بأنها كانت تقاتل بدون غطاء دفاعي من الفرسان ، سواء من ناحية الميمنة أو الميسرة . وبذلك حلل بوليبيوس بخبرته العسكرية العوامل التي أدت إلى إضعاف الفيالق المقدونية ، وتقييد قدراتها في مواجهة الفرق الرومانية المتطورة ، والتي تعتمد على المشاة ذات الحركة ، والتي تسمح بالكر والفر ، والتي شهد لها بالكفاءة أعظم قادة العصر وهو هانيبال القرطاجي ؛ كذلك لم يفت بوليبيوس أن يوضح أن من بين أسباب هزيمة أنطيوخوس الثالث ، اشتراك قوات إغريقية ومقدونية إلى جانب الرومان : مثل قوات يومينيس ملك برجامون ، وقوات جزيرة رودس ؛ تلك الجزيرة التي كانت مصالحها التجارية تقتضي القضاء على قوة أنطيوخوس البرية والبحرية ، التي كانت تسيطر على طرق التجارة في آسيا ، حتى ولو أدى ذلك إلى التعاون مع البرابرة الرومان ضد بني جلدتهم .

بدأت المعركة بمناوشات بين طلائع الفرسان من الجانبين ؛ وبالرغم من أن أنطيوخوس الثالث أبلى شجاعة مذهلة ، إلا أنه وقع في الفخ الذي نصبه له الرومان ؛ فقد أغروه بمقاتلة فرسان غريمه يومينيس الذي خان قضية الأغريق ، واشترك مع الرومان مساهماً في قوتهم الضاربة بثلاثة آلاف فارس ، انقض بهم على ميسرة فرسان أنطيوخوس ؛ وظل الدم في غروق أنطيوخوس عند رؤيته لهذه القوات الخائنة ؛ فاندفع على رأس مجموعة من فرسانه يطاردها ،

(1) Polybios, Ibid, XXIX, 17, 1.

حتى سمعته بعيداً عن قواته التي أضحت بلا غطاء دفاعي يحمي ميسرتها ،  
عندئذ لاحت الفرصة للقائد الروماني إميلئوس باودوس لكي يطوقها ، ثم  
إنهات جنوده عليها بالحراب والسهم من كل جانب ، مما أوقع بها خسائر  
فادحة بسبب تكديسها ، واضطرتها إلى التقهقر في فوضى . فهاجت الفيلة  
محدثة حالة هرج ومرج وخسائر خلال عملية الانسحاب ، وعندما عاد  
أنطيوخوس من مطاردته للفرسان يومينيس البرجاني ، معتقداً أنه قد شفى  
غليله بثبات شملها ، كاد يجن بهندما وجد أن قواته قد ذبحت عن آخرها ،  
وقيل أنه وجد خمسين ألف رجل من رجاله جثثاً مبعثرة حول الأفيال القتيلة ،  
والعربات الحربية المخطمة . وكتب بوليبيدوس في حيرة يقول « من كان يظن  
أنها نهاية عصر الفياق المقدونية الشهيرة ؟ » ، « كثير من الأغريق ظنوا أن  
هذا الحادث أمر لا يصدق ، وسيظل كثيرون آخرون يتعجبون ويتساءلون  
لماذا وكيف انتهت الفياق المقدونية إلى هذه الهزيمة البشعة على يد الفرق  
الرومانية ، خاصة وأنه سبق لها أن لقيت هزيمة مماثلة قبل ثمان سنوات في  
كونوس كيفالاي (١) في تساليا » ، عندما تمكن القائد الروماني فلاديميوس  
من إلحاق الهزيمة بقوات فيليب الخامس المقدوني عام ١٩٧ ق . م ؛ وإرغامه  
على التخلي عن فكرة التوسع ، وقبول البقاء داخل حدود مقدونيا فقط .  
وبعد تخريله من قواته وأساطيله ؛ وأخذ ابنه رهينة ، وفرض ضريبة باهظة  
عليه .

غير أن معركة ماجنيسيا كانت بمثابة سقوط الحصن الأخير للعصر  
الهلينستي ؛ فقد كانت قوات أنطيوخوس الثالث تتكون من بقايا المارين  
المقدونيين القدماء من سلالة جنود الاسكندر المقدوني ، الذين استوطنوا  
آسيا الصغرى والمشرق العربي بعد فتحة لها عام ٣٣٢ ق . م ، وخلال حكم  
سليوقس الأول نيكاتور لها . ويعتبر عصر أنطيوخوس الثالث هو قمة عصر  
الفياق المقدونية ؛ فعن طريقها تمكن هذا الملك من فرض سيطرته على مساحة

---

(1) Polybios, Ibid, XVIII, 32, 13.

شاسعة امتدت من أنطاكية غرباً حتى باكتريا ( أفغانستان ) شرقاً ، ومن البستور والدرديبل شمالاً حتى حدود مصر مع الشام جنوباً .

ولقد كانت الفيالق المقدونية تنباهي بتأريخها الحيد ، وتقاليدها العسكرية الموروثة ، فكانت تحرص على إناقة مظهرها وزينها العسكرية ، الذي كان يتكون من القبة الواسعة ذات اللون القرمزي ، ومن العباغات المزركشة بالزخارف القرمزية والذهبية ؛ والدروع التي تكتسوها طبقة من الفضة أو الذهب ؛ فإذا سقطت عليها أشعة الشمس تلالأت وتوهجت ؛ حتى الفيلة التي غدت جزءاً لا يتجزأ من الفيالق ، تقوم مقام البروج والقلاع المتحركة ، اعتنوا بتزيينها على نحو ما يفعل بعض الهنود اليوم . ولقد كانت الفيالق المقدونية تعشق الاستعراضات في المناسبات والأعياد ، حيث يسير جنودها شاذي الأنوف في كبرياء وغرور ، وكأنهم يسرون نحو الوغى عازمين على سحق أعدائهم .

### نتائج معركة ماجينسيا :

وبعد أن تمالك أنطيوخوس نفسه من هول الهزيمة ، انسحب إلى المدينة العتيقة سارديس ، حيث كانت تقيم عروسه الشابة ، فاصطحبها خارج المدينة ، وسار بها جنوباً حتى أطمأن على سلامتها ، ثم عاد إلى العاصمة السلوقية أباميا Apamea ، ومن هناك بعث بوفد إلى الرومان يعلن قبوله لشروط السلام التي يقرونها .

وبعد مفاوضات استغرقت ما يقرب من حولين كاملين ، وقع أنطيوخوس عام ١٨٨ ق . م في أباميا على شروط الرومان ، التي وضعت نهاية لأحلامه التوسعية ؛ ووطئت أقدامهم لأول مرة أرض آسيا الصغرى ؛ وبذلك استنشقون نسيم الشرق الأدنى ؛ وطبقاً لشروط السلام مع الرومان قبل الملك أنطيوخوس الأكبر أن تنسلخ عن الإمبراطورية السلوقية كل الأراضي الواقعة إلى الشمال من جبال طوروس ، وبذلك فقام السلوقيين مناطق التجهيز الشهيرة

مثل جلاثيا ومقدونيا وبلاد اليونان ؛ وأصبحت الامبراطورية السليوقية بمقتضى شروط الصلح دولة تحكم الشرق الأدنى فقط ، وخاصة الشام وجنوب بلاد الرافدين . وبدأت تتعامل مع هذا الواقع الحضارى الجديد، وغيرت نشاطها ليتناسب مع ظروفها الجديدة ؛ فمثلا بدأت تعتمد على العنصر العربى الأرامى بدلا من الأغريقى الآسيوى ؛ ولهذا بدأت أسماء مشايخ العرب تظهر لأول مرة فى تاريخ الدولة السليوقية ، وتلعب دوراً هاماً فيها .

لقد أجبرت روما - بمقتضى صلح أباميا أنطيوخوس الأكبر على تسليم أفياله المدرية ، والتي كانت بمثابة قواته المدرعة لكى تسلمها إلى غريمه يومينيس ملك برجامون ؛ كما أمرت بحرق خمسين سفينة حربية من أسطولها على رمال سواحل ميناء باتارا Patara - الميناء الرئيسى لأقليم ليكيا Lycia ، ولم تترك له سوى عشرة سفن . بعد أن أخذت عليه تعهداً بتحديد المجال والمدى البحرى لإبحار سفنه . ونتيجة لذلك ، فقدت الامبراطورية السليوقية هيمنتها على بحر إيجه ، مما نتج عنه عودة القراصنة لتهديد السفن التجارية ؛ مما أحيات خلالها فى تجارتها (١) .

وإلى جانب سلاح الأفيال ، ورث يومينيس أغلب ممتلكات الامبراطورية السليوقية شمال جبال طوروس كمكافأة له لتعاونه مع الرومان ، لكن يومينيس العاقل - بعيد النظر - رأى بعينه الثمن الباهظ الذى تكلفه فرض الهيمنة على المدن الأغريقية ، ففضل أن يطبق مبدأ الحرية لكافة المدن الأغريقية ، حتى على تلك التى كانت تحت سيطرته من قبل . فعندما زاره وفد من سفراء أنطيوخوس بعد هزيمة ماجنيسيا بسنوات ، وجدوه ودوداً ومفياًفاً على غير العادة . أما شعب رودس فلم يتبدل للرومان مثلاً فعل يومينيس ، بل احتفظ بكبريائه ، فقد تحدث مندوبوه إلى الرومان بجرأة ووضوح محذرين إياهم

(1) Titus Livius, XXXVIII, 39.

عن شروط صلح أباميا أنظر :



من مغبة التراجع عن سياسة منح الحرية لكافة المدن الأغريقية (١) وإلا دفعت روما الثمن غالياً .

لقد قلبت روما للأغريق ظهر الحن بعد انتصارها في ماجنيسيا ، بل — إن شئت فقل — منذ هزيمتها لفيليب الخامس في كونوس كيفالاي ، إذ تضمنت قصيدة « الكساندرا » الشهيرة تسبيحا بحمد روما وقوتها ، إذ يقول أحد أبياتها « وعقد لها لواء القيادة والهيمنة في البر والبحر » (٢) . لقد أصبح شعب برجامون بغضاً في عيون الرومان ؛ أما شعب رودوس فقد خرج خاسراً بعد أن فقد سيطرته على بحر إيجه ؛ إذ حول الرومان جزيرة ديلوس الى سوق دولية لتجارة الرقيق ؛ والى أكبر محطة للتجار الايطاليين ؛ وبالتالي سرقت الأضواء من رودس ؛ التي كسدت تجارتها ، وقد نتج عن الفراغ الذي خلفه غياب قوة رودس الاقتصادية ، واختفاء هيمنة السليوقيين البحرية أن اختل الأمن في بحر إيجه وشرق البحر المتوسط ، فغدا وكرا وملاذا للقراصنة ، الذين الحقوا أكبر الأذى بالتجارة العالمية ، فقد كانت كل من رودوس والأمبراطورية السليوقية تحافظان بشدة على تطبيق السلام البحري ، وتشرفان على وضع اللوائح والقوانين البحرية ، وخلاصة القول لم يعد شرق البحر المتوسط آمناً للتجارة بعد انقلاب موازين القوى . وفي نفس الوقت بدأت روما تسعى معاملة حلفائها السابقين ؛ ويروى لنا بوليبيوس في أسى كيف أنه عندما رست سفينة يومينيس ملك برجامون وحليفهم الأول ضد أنطيوخوس — بعد عشرين عاماً من انتصار ماجنيسيا في ميناء برنديزي الايطالي ، لم يجد أحداً في استقباله سوى مسئول بدرجة كوايستور Qaestor استقبله وهو عابس الوجه ، مقطب الحاجبين ، وسأله ببرود عن الغرض من الزيارة ؛ ثم أخطره بكل صلافة وجفاء :

(1) Titus Livius, Ib d, XXXVII, 52 ; Polybios, XXI, 18 ff.

(2) ὕψις, καὶ θαλάσσης, ὁκῆτρα καὶ μοναρχίαν (I. 1229) ;

of. J. G. Bury (et Alia, )Hellenistic Age, Cambridge Universtiy Press, 1925, P. 12.

« أن كان لديه شيء يريد إبلاغه للسناو فليقله ، أما إذا لم يكن لديه شيء فعليه أن يغادر إيطاليا في أسرع وقت ممكن » ، ووقف الملك البرجاني مندهشا فارغا فاه لا يدري ماذا يفعل بعد أن رد بأنه ليس لديه شيء يقوله أو يطلبه (١) ولقد كان انطيوخوس الأكبر يدرك أن ذلك سوف يحدث ، والمملك لم يطل به العمر ، فقد وافته المنية بعد عام واحد من توقيع صلح أباميا . لقد مات مقهورا ، وفي صمت في منطقة نائية تقع الى الشرق من نهر دجلة ، شهدت طفولته ، وصباه ؛ أما هانيبال فقد ظل مطاردا سبع سنوات بعد هزيمة ماجنيسيا ، حتى أدرك أنه لانهاة له من الرومان الا بالموت ، فمجرع السم في قصر ملك بيشينا ( جنوب غرب البحر الأسود ) ليتفادى أمر الترحيل الذي أصبره فلا مينوس القائد الروماني ذو الوجه الثعلبي ، والذي سبق أن أعلن على الملأ ضمان الحرية ، وحقوق السيادة لكافة المدن الأغريقية .

لقد أصاب غبار الحرب المهزم والمتنصر على السواء ؛ فقد توقع بعض سياسى وحكام الأغريق حملوث الكارثة القادمة من الغرب الايطالى ، ولقد كان هانيبال القرطاجى أول من قرأ الغيب ، كما نقل لنا بوليبيوس نص الخطبة المطولة التى كان الزعيم الأيتولى الشهير أجسلاوس قد ألقاها فى اجتماع عام للحلف الأيتولى ، وفيها وجه كلامه الى فيليب الخامس الذى كان يترأس ذلك الاجتماع ، وفيها تمى لو أن الأغريق توقفوا عن اشعال الحروب العقيمة بينهم ، لكى يوحداوا كلمتهم فى جبهة واحدة ويقفوا صفا واحدا لمواجهة الغزاة الرومان ، وأن يتركوا العزوف عن الاتهام بمستقبلهم بدلا من اهتمامهم بالحديث عن سيكسب الحرب التى كانت دائرة وقتذاك بين هانيبال والرومان . « فسواء هزم القرطاجيون الرومان ، أو هزم الرومان القرطاجيين فان المتبصر لن يكتفى بايطاليا وصقلية ، بل سيمد طموحاته الى خارج حدود الحق والعدل ليضم اليه بلاد اليونان » ؛ ثم يقول لفيليب فى نبرة حادة كلها عتاب « ان كنت تبحث عن ميدان حرب فول وجهك شطر الغرب »

لأنه إذا تباطأ « فسوف تتحرك السحب التي تتجمع الآن هناك لتأتى الى بلاد اليونان » ، وعندئذ سوف يناب الأغرقي اليوم الذى أضاعوا فيه قوتهم فى حروب محلية ؛ لا طائل منها ، وسوف يتحسرون على ضياع الفرصة والقدرة التي كانت تمكنهم من حل خلافاتهم بأنفسهم (١) ، ولم يذس بوليبيوس أيضاً أن يسجل لنا قول مبعوث أغريقى مجهول ، قبل اندلاع «حركة ماجنيسيا» بحوالى ثمان عشرة سنة ، وفيه عبر عن قلقه « بأن الكارثة سوف تحل بالأغريق عندما يفرغ الرومان من حروبهم مع هانيبال فى إيطاليا » (٢) . .

لقد كان بوليبيوس شديد الإعجاب بأخلاق الرومان ، ويشيد دائماً بانضباطهم ؛ ويقارن بين نزاهتهم وقوانينهم التي لاتفرق بين الحاكم والمحكوم ، وكشف عن الفساد ، وخراب الذمم ، وغياب النزاهة ، والانحطاط الخلقي الذى ساد الممالك الهلينية . وكان يتعنى أن يصلح الرومان بمبادئهم ومثلهم العليا . هذه الممالك . التي كان سوس الفساد والرشوة ينخر فى عظامها حتى النخاع ؛ بيد أن أمله قد خاب ، فسرعان ما انتقلت هذه الأعراض الى جهاز الحكم الرومانى ذاته ، وتحول الرومان من البساطة والتقى والنزاهة ، الى الجشع والترف وحب المظاهر ، وانتابهم حى الجرى وراء المال ، ونهب شعوب الولايات الشرقية ؛ وانتشر سجامعو الضرائب والمرابون ، والصيارفة الرومان ، يثقلون كواهل الناس بالضرائب التي لاترحم ، حتى باع الناس فى آسيا الصغرى أطفالهم لتسديد ما عليهم من ضرائب ؛ مما أدى الى خراب الشرق الهلينسى وافقار شعوبه . ويحلل بوليبيوس أيضا العوامل التي أدت الى وقوع الأغرقي ضحية للخدعة الرومانية المتمثلة فى الشعار الكاذب الذى رفعوه وهو ضمان الحرية والاستقلال لكافة المدن الاغريقية شمال جبال طوروس ، وحمايتها من خطر الغال الجلائين ، لدرجة تهليلهم لمقدم الغزاة الرومان الى بلادهم ، غير أن بوليبيوس اكتشف أن السادة الرومان قد نسوا ما وعدوه ، أو ضربوا به عرض الحائط ، فقد أصبح لايعنيهم الا أنفسهم ، وبناء قوتهم ومجدهم ، لايساندون الا من

(1) Polybios, V, I—II.

(2) ibid, Xi. 5. .

باعتدال لهم ، ويسير في ركبهم (١) في الحق والباطل ؛ وأصبح واضحا وجليا أن الأمور إذا لم تخضع لمشيئتهم ورغباتهم ؛ أو أن لم تنفذ طبقا لآرائهم ، فإنهم يغضبون وينتقمون (٢) ، فالذين يدفنون كرامتهم في الوحل نفاقهم هم الذين ينالون رضاهم ، أما الذين يحافظون على كرامتهم فإنهم يتعرضون لجبروتهم الذي لا يرحم . ويسوق بوليبيوس مثالا لذلك بملك مملكة بيثينيا ويروى كيف وقف متدلا بطريقة مقززة أمام السناتور الروماني وهو يرسف في ثوب المهانة والخنوع والذل (٣) فقد بدأت روما تصعد بتوذه طريق الفرور والقوة والوقاحة .

#### ٦ - سليوقوس الرابع الملقب بفيلوباتور (١٨٧ - ١٧٥ ق. م) :

وبعد موت أنطيوخوس الثالث ع'م ١٨٧ ق.م ، تولى ثاني أبنائه سليوقوس الرابع ، الذي اتخذ لقب فيلوباتور تيمنا بحبه لأبيه ؛ فقد كان محل ثقته أثناء حياته ، بل كان ساعده الأيمن ؛ فقد أوكل إليه عدة مهام وعهد إليه بأخطر المناصب ، وكأنه كان بعده لخلافته . ولقد كان سليوقوس الرابع رجل اقتصاد واصلاح ، ولم يكن رجل حروب ومعارك ، فقد حرص على الالتزام بشروط نصوص صلح أباميا مع الرومان حتى لا يثيرهم عليه ؛ ويعظم العذر لاجتياح ما تبقى من الامبراطورية ، خاصة أن بنود هذا الصلح كانت تحظر على المملكة السلوقية القيام بأى مغامرات حربية خارج أراضيها ؛ كما أنها حددت حجم قواتها ، ودمرت اسطولها ؛ بالإضافة إلى ذلك لم تكن المملكة السلوقية قادرة على تحمل نفقات المغامرات الحربية ؛ ودفع مرتبات الجنود المرتزقة الباهظة ، خاصة وأنها كانت تدفع غرامة الحرب الباهظة التي فرضتها عليها روما .

ولذلك كان على سليوقوس الرابع أن يعيد تنظيم المملكة في ضوء ما حل

(1) Polybios, XXIV, 10—14.

(2) Ibid, XXIII, 17, 4.

(3) Ibid, XXX, 18, 7.

بها من خسائر اقتصادية بعد فقدان مناطقها الغنية إلى الشمال من جبال طوروس ؛  
 وضباب سيطرتها على طرق التجارة البرية والبحرية والتي كانت سر غناها  
 وقوتها ؛ ولهذا بدأ الاعتناء بتطوير موانئ الخليج والشام ، وتعمير طرق  
 القوافل في بابل وأعلى الرافدين ، لتنشيط للتجارة مع الشرق الأقصى تعويضا  
 عن فقدان تجارة البحر الأسود . كما وثق من علاقته مع العرب الانباط ، الذين  
 كانوا يتحكمون في نهاية طريق البخور القادم من جنوب الجزيرة العربية ؛  
 ولأنه كان يدرك أن التجارة الخارجية تقوم على قوة العملة ، فقد أعاد  
 سك النقود بوفرة ، وحرص على نقاء معدنها ، وثبات وزنها ، لكسب ثقة  
 التجار الأجانب فيها ؛ ولذلك أعاد النظر في ميزان النفقات ، ليدبر الذهب  
 والفضة الكافيين لسك هذه العملة القوية ، ويمكن استنباط ذلك من كميات  
 النقود التي سكها ، والتي أخرجت من الحفائر في أطلال المدن السليوية  
 القديمة ؛ وخاصة أنطاكية وسليوقية على نهر دجلة ؛ كما اتخذ تدابير صارمة  
 لترشيد النفقات ، والتوسع في مصادر الدخل بهدف التغلب على الكارثة  
 الاقتصادية ؛ ولذلك نلاحظ لأول مرة العناية بتعمير المدن الشرقية ، سواء  
 في بلاد الأنباط ، أو الشام الآرامى ، وحول الخليج . كما حرص على تقوية  
 علاقاته مع كل من مملكة البطالمة ومقدونيا اللتين كانتا حتى هذه اللحظة  
 بممالك مستقلة ذات سيادة . وبالفعل آتت سياسته الاقتصادية أكلها ؛ وبدأ  
 الرخاء يعود تدريجيا إلى المملكة ، ووضح ذلك جليا في عهد أخيه وخليفته  
 أنطيوخوس الرابع .

#### ٧ - أنطيوخوس الرابع الملقب باسم أبيفانيس ١٧٥ - ١٦٣ ق. م :

كان أنطيوخوس الرابع واحدا من أبرز ملوك البيت السليوقي وأشدها  
 عشقا للحضارة الأغريقية ، وبناء الحواضر العامرة الجديدة ، وإعادة بناء  
 الحواضر الشرقية العتيقة على طراز هيلينستي جديد ؛ وجاء بالمستوطنين  
 الجدد من مقدونيا وبلاد اليونان ليعيد دعم العنصر الأغريقي في الشرق الأدنى  
 كما كان مغرما بطريقة الحياة الرومانية ، وهذا ما اكتسبه في باكورة حياته

عندما كان رهينة في روما لمدة أربع عشرة سنة ، ولهذا حرص على صداقتها وتقليدها . ولقد كان محبا للترف ، فقد تحدث يوليبيوس عن حبه التجول في محلات البوهرات ، وهيامه بمظاهر الأبهة والعظمة ، كما كان كريما جوادا ، متواضعا ، مولعا بالمرح والحياة ، لكنه كان محبوبا من شعبه فقد نجح في الوصول بمملكته الى أعلى درجة من الكفاءة والمقدرة .

ولقد كانت المباني والمنشآت التي شيدها ، ومظاهر الترف التي أسبغها على أنطاكية جزءا من برنامج النهوض بالإمبراطورية وتقويتها ، فلكي يستعاض عن انكماش رقعة الإمبراطورية وضياع قوتها ، وتبعيتها الاقتصادية لروما ، شرع في بذل جهود كبيرة لتوحيد صفوف رعاياه ، عن طريق روابط سياسية ودينية وثقافية ، فقد سعى الى تقوية مركز الديانة الوثنية الأغريقية ، وعبادة الحاكم وذلك للقضاء على النزعات الانفصالية ، والنزعات الدينية والقومية بين شعوب إمبراطوريته ، خاصة الديانة اليهودية التي كانت تخرض دائما على التمرد والثورة . لقد كان أنطيوخوس الرابع أكثر تقديرا وإهتماما بعبادة الحاكم من أي فرد من أسلافه ، ولذلك ظهر على النقود في صورة الآلهة الأغريقية خاصة زيوس الأولمبي ، الذي عمل على نشر عبادته في أرجاء مملكته ، لأنه كان يتشبه به ، كما خملت العملة البليوقية لأول مرة اسم الملك مصحوبا باسم العاصمة .

ولقد كان تحسين الحياة الحضرية في جميع أنحاء الإمبراطورية إحدى وسائله التي قصد بها توثيق العرى بين العناصر المتباينة من رعاياه ، ولذلك فقد أقام العديد من المدن والخواضر ؛ فقد شرع في أغرقة منطقة شرق الأردن عن طريق الاكثار من نشر بناء الخواضر فيها ، ولقد كانت منطقة شرق الأردن واديا خصبا معروفابوفرة محاصيله ، ومشهورا بربية الجياد العربية ، وكثرة قطعان الأغنام فيه ، وبها مناخ للحديد بالقرب من جرش . ولهذا الأسباب شرع في بناء سلسلة من المدن المحصنة تربط وادي شرق الأردن ، بوادي آخر يقع على طول طريق القوافل الذي كان يربط بين

ودمشق وفينيقيا والشام من ناحية ؛ وبيت المقدس وموانئ فلسطين من ناحية أخرى . فثلا في عهده أصبحت عمان التي كانت تدعى رباط عمون Rabbath Ammon مدينة أغريقية بحتة ، وأعيد تسميتها لتصبح فيلادلفيا . وفي عهده أيضاً تحولت جرش في شرق الأردن من قرية نبطية آرامية الى مدينة أغريقية عاهرة ، وكانت هذه القرية بمثابة المركز الحيوى لقبائل البدو نصف الحضرية ، فأعيد بناؤها وتسميتها ، فأصبحت تسمى أنطاكية أهل جرش أو أنطاكية على رافد خريسورواس Chrysorroas الذى كان يجرى وسط المدينة . ولا تزال أطلال جرش قائمة حتى الآن في الأردن .

أما بالنسبة لأنطاكية فقد كان عهده أزهى عصورها ؛ فقد أضاف لها حياً جديداً سمي على اسمه « حى الأييفانيا Epiphaneia لمواجهة ازدياد أعداد سكان العاصمة ؛ وزوده بساحة اضافية أى أجورا Agora وبذلك أصبحت أنطاكية تمتلك اثنين منها في موقعين مختلفين مثل مدن ميليتوس ، وبرجامون وبيرية ، وذلك عملاً بما أوصى به أرسطو بأنه يجب أن يكون لكل مدينة يونانية اثنان من الأجورات في موقعين مختلفين ؛ واحدة للنشاط السياسى والثقافى ، والأخرى للنشاط التجارى والترفيهى . وفي هذا الحى الجديد أقام أيضاً داراً للشورى ( بوليوتيريون ) ، ومعبداً للرب جوبتر الكابيتولنى ، وهذا دليل على اهتمامه وتأثره بالحياة الرومانية منذ أن كان رهينة في روما . كما أقام قناطر جديدة لحجز مياه السيول ورفعها الى خزانات بأعلى التلال لمدينة بالمياه .

ولقد ذاعت شهرة أنطاكية في عهده عندما أقام مهرجاناً للألعاب في مدينة دفنه عام ١٦٧ ق. م ليغطى على المهرجان الذى أقامه القائد الرومانى باولوس إيميلىوس على أثر انتصاره على مقلونيا في معركة بودنا Pydna الشهيرة عام ١٦٨ ق. م ، وقد ترك لنا بوليبيوس وصفاً دقيقاً لذلك المهرجان الذى لم يلدانيه سوى المهرجان الكبير الذى أقامه بطليموس فيلادلفوس في الاسكندرية عام ٢٧٨ ق. م ، فقد عرضت خلاله بضائع الشرق الثمينة

( م ١٧ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينستى )

مثل الذهب والفضة والجواهر والعاج والعطور والبخور والحرير ، التي جلبها من الهند وبلاد العرب وأفريقيا ، كما ازدهرت القنون في أنطاكية ، فقد كان يشرف بنفسه على أعمال الفنانين ، ويعهد إليهم بالمشروعات الكبرى .

### العناية بالطرق التجارية :

ولقد ربطت سياسته بين بناء الخواضر العامرة والمحصنة ، وبين تأمين طرق التجارة ؛ بل وتغيير مسارها في بعض الأحيان كجزء من الحرب الاقتصادية ضد أعدائه ، فمثلاً حاول تغيير مسار طرق القوافل الشرقية حتى لا تمر بأراضي الامبراطورية البارثية ، التي كانت تفرض مكوساً وجمارك باهظة على التجارة التي كانت تمر بأراضيها ؛ ولكي يشق طريقاً مباشراً دون وسيط للتجارة مع الهند وبلاد العرب ، اعتنى بطريق البخور ، الذي كان يقطع الجزيرة العربية من الجنوب إلى الشمال بمحاذاة جبال السراة الحجازية ، حيث كانت الإبل تنقل البضائع التي تجلبها للسفن العربية من الهند وسيلان إلى موانئ اليمن على البحر الأحمر ؛ بل كان هذا الطريق من أقدم طرق التجارة في العالم القديم التي حملت سلع الشرق الأقصى وبلاد العرب وأفريقيا إلى بلدان البحر المتوسط ، وكان هذا الطريق السبب في ظهور المدن القديمة على جانبيه مثل مكة ( ماكروبا ) ويثربيا ( يثرب ) وتيما ، والعلا ( دادان ) ؛ وكانت تصل إلى البتراء التي كانت بمثابة المركز الشمالي لتجارة بلاد العرب . ولذلك حاول تغيير مسار هذا الطريق لكي يتجه شمالاً مباشرة إلى فينيقيا ، والشام وفلسطين بعيداً عن التفرعة المتجهة إلى مصر حتى يحرم مصر من نصيبها في تجارة الهند وبلاد العرب ، ويمنع السلع المصرية من العودة مع القوافل الآبية ؛ ولقد نجحت هذه التجارة لوقت قصير في إغراق أنطاكية بالثراء وبالسلع الشرقية . وكانت التجارة المصرية قد تلقت ضربة قاصمة بعد إستيلاء أنطيوخوس الثالث على جنوب الشام عام ٢٠٠ ق . م ، كما أن البتراء حاولت الإفلات من سيطرة السليوقيين على تجارتها ، فبدأت



تبحث عن منفذ لها على خليج العقبة ، وساحل الحجاز الشمالى ، وبدأت تقيم علاقات تجارية مع البارثيين عن طريق مدينة الجرعاء ( جرها ) ومملكة خاراكس عند مصب نهر دجلة وكانت خاضعة لنفوذ البارثيين .

### صراعه مع اليهود :

كانت إمارة يهودية تتركز حول بيت المقدس جنوب فلسطين ، وكانت تابعة للبطلمية حتى عام ٢٠٠ ق . م ، ولقد حرص البطلمية على عدم التدخل فى الشؤون الدينية لشعوبهم من غير الأغريق باستثناء بطليموس الرابع ، الذى حاول أن يجمع بين يهوه وسراييس فى شكل الرب الأغريقى ديونيسوس ، فقد أراد أن يوحد به الديانات ويجعله ربا واحداً لكل شعوب الامبراطورية على طريقة إخناتون ؛ ولم يمانع اليهود المتحررين من أنصار الحزب الأرستقراطى الذى كان صديقاً للبطلمية ، ولم نسمع عن أى قلاقل بين اليهود سوى الصراع على تولى منصب الحبر الأعظم فى أورشليم ، والذى كان يتنافس عليه أسرتان : أسرة هونيا بن شمعون ( والذى كتبه الأغريق فى شكل أونياس Onias ) ومقرها أورشليم ، وأسرة طوبيا التى كان معقلها مدينة حشبون Heshbon فى عمون ، والتى كانت تنتمى إلى أصول عمونية ( فى شرق الأردن ) ، وكان الحزب الأرستقراطى متحرراً من التزمت الدينى ، ويلقى رعاية من البطلمية ، غير أنه قبل فقدان فلسطين بدأ هذا الحزب يتمرد على حكم البطلمية بسبب كثرة الضرائب التى كانوا يفرضونها عليهم ، فتعاونوا مع أنطيوخوس الثالث لطرد البطلمية من الشام ؛ وتم ذلك فى معركة بانيون عام ٢٠٠ ق.م ؛ ورداً على تعاون اليهود الأرستقراطيين مع السليوقيين ، بدأ اليهود المتطرفون من الطبقتين الدنيا والوسطى يتعاونون مع البطلمية ويتجهون إلى مصر ، وهكذا تبادل الحزبان اليهوديان الأدوار .

وعندما ارتقى أنطيوخوس الرابع العرش عام ١٧٥ ق.م ، فوجئ باندلاع الاضطرابات حول منصب الحبر الأعظم ؛ ويقال أن الرومان كانوا وراء هذه القلاقل فى فلسطين لإحداث متاعب للدولة السليوقية بهدف

لإرهاقها . فقد كان الحزب الأرستقراطي المناصر للحضارة الإغريقية بقيادة يشوع ياسون بن شمعون ، قد قام بعزل الحبر الأعظم هونيا بن شمعون ، وإجلاس أخاه الأصغر يشوع ياسون على كرسي الحبر الأعظم ، وانقسم اليهود بين مؤيد ومعارض ، ولما زار أنطيوخوس الثالث بيت المقدس عام ١٧٧ ق.م استقبله اليهود الأرستقراطيون بالترحاب ، ولكي يحصل يشوع ياسون على تأييده ، فقد تقدم إليه بالتماس يطلب فيه السماح ببناء جمنازيوم إغريقى لليهود ، وداراً للشبيبة في أورشليم ، وأن يدمج بعض الضواحي في أورشليم لتصبح بمثابة أنطاكية جديدة لما حولها . ولما كان أنطيوخوس لا يعرف شيئاً عن مشاكل اليهود ، ولأن ذلك المطلب يتفق وسياسته في وجوب أغرقة القوميات الشرقية في بوتقة واحدة للقضاء على النعرات القومية والدينية ، وجعل اللغة والحضارة الإغريقية هي القاسم المشترك الأعظم الذى يجمع شمل هذه العصبيات والديانات ، فقد سارع بالموافقة على طلب يشوع بن شمعون ؛ مما أثار عليه غضب اليهود المتطرفين من أبناء الطبقة الوسطى ؛ وفي نفس الوقت أستمع الصراع بين الأخوين الشقيقين على منصب الحبر الأعظم في بيت المقدس . ولوضع نهاية لهذا الصراع ، قام أنطيوخوس الرابع بعزل كلا الأخوين المتصارعين من منصب الحبر الأعظم ، واختار شخصية جديدة من أنصاره وهو مينالاعوس الذى لم يكن ينتمى إلى أسرة كهنوتية .

غير أن مينالاعوس أمر بالتخلص من الحبر الأصلي هونيا ، فهرب إلى مصر بعد أن نهب خزائن المعبد في أورشليم ، فهبت الثورة ضده واضطر أنطيوخوس أن يتدخل لقمع هذه الثورة عام ١٦٩ ق.م ، وبعد أن فرغ منها ، سار نحو الحدود المصرية ليقوم بضربة وقائية ضد بطليموس السادس الذى كان يزكى نار ذلك الصراع لإضعاف مركز السليوقيين في فلسطين أملاً في استعادتها . وكان بطليموس السادس فيلو ميتور وزوجته كليوباترا الثانية على علاقة طيبة باليهود ، ولذلك استقبل الحبر الأكبر المعزول هونيا (أونياس) ومنحه أرضاً في صحراء مصر الشرقية تقع إلى الشرق من فرع النيل

البيروزى ، وسمح له أن يقيم فوق إحدى التلال معبداً يهودياً على نمط هيكل سليمان فى أورشليم مكان معبد وثنى متهدم ومهجور كان مقاماً للربة المصرية باستات ( القطعة ) ، وعرف الموقع الجديد باسم مدينة ليونتوبوليس Leontopoliis ( تل المقدام ) ، وأقام فى هذا الموقع مقرأً لدار الخبر الأعظم ، ومنازل لجماعات الكهنة من سلالة الأسرة المستحقة للكهانة وأنصارها . وكان ذلك فى عام ١٧٧ ق. م ، أى قبل تولي أنطيوخوس الرابع بعامين . وفى الالتماس الذى تقدم به هونيا إلى فيلوميتر ، عرض الأول المزاياء التى سوف تعود على اليهود من بناء المعبد الجديد فى مصر ، منها أن ذلك سوف يوحد بين جميع طوائف اليهود المقيمة فى مصر تحت عبادة يهوه الذى لا رب سواه ؛ وبذلك يقي اليهود من ضرور الفرقة والتناحر ، بعد أن مزقهم البدع والخلافات على الشعائر ، مستشهداً بكلمات من سفر أشعيا تقول « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب وسط مصر ، وعمود للرب عند تخمها » (١) .

وفى أثناء تواجد أنطيوخوس الرابع فى مصر عام ١٦٩ ق.م انتشرت شائعة بين اليهود بأنه قد نقي حثته وهو يحارب بطليموس السادس ، وانتهز يشوع ياسون الفرصة وحرّض أنصاره على الثورة ضد الخبر الأعظم مينالاوس ، وقاموا بمهاجمة مقر الخبر الأكبر فى أورشليم وفتكوا بكهنتها ، وفر مينالاوس مذعوراً ليحتمى بقلعة المدينة ؛ وبعث يطلب النجدة من أنطيوخوس الرابع . وعندما علم أنطيوخوس بذلك اضطّر إلى عقد صلح مؤقت مع بطليموس السادس بوضعه تحت حمايته ، وعاد إلى فلسطين مغتاضاً ، فقد أضاعت ثورة اليهود عليه حلمًا عزيزاً وهو احتلال مصر ، وقرر أن يكيل ضربة عاجلة وموجة لليهود ، ففتك بالشرار أنصار يشوع ياسون ، ودخل المعبد ونهب خزائنه ، وحمل معه ما فيه من كنوز ونفائس ومقدسات كما ألقى القبض على يشوع ياسون ، وبعد أن أصدر قراراً بتغيير

---

(١) سفر أشعيا ١٩ ، فقرة ١٩ .

اسم هيكل سليمان من معبد يهوه إلى معبد زيوس الأولمبي الرب الذي كان يتقمصه ،  
انسحب عائلاً إلى أنطاكية بعد أن ترك نواباً عنه لحكم بيت المقدس عاصمة  
اليهودية وجرزيم عاصمة السامرة .

غير أن القلاقل استمرت ، وعاود اليهود الثورة عام ١٦٨ ق . م فيبحث  
إليهم أنطيوخوس بأحد قواده الشرسين الذي مجاس خلال ديارهم ، واقتحم  
المعبد ، وقتل بالثوار ، وهادم حصونهم ، وكذلك أسوار أورشليم ، وقام  
بتمحصين القلعة التي كان يحتسى فيها الخبر الأعظم مينلايوس وأنصاره ؛ ولكي  
يسحق اليهود ، ويقضى على ديانتهم ويمزجهم في عبادة زيوس الأولمبي ،  
أصدر أنطيوخوس الرابع قراراً عام ١٦٧ ق . م بإلغاء اسم أورشليم وتغييره  
إلى اسم مدينة زيوس الأولمبي ، وأن يكرس معبد يهوه (هيكل سليمان) رسمياً  
ليصبح معبداً لهما الرب الوثني ، كما شمل القرار تغيير اسم معبد يهوه في  
جرزيم الذي كان يعرف باسم كينشت ، ليصبح معبداً لزيوس كسينيوس  
(أي زيوس المضيايف) . كما قام ببناء قلعة حصينة فوق إحمادي  
التلال التي تشرف على بيت المقدس ووضع فيها حامية متأهبة  
للقاتل لتنفذ قراراته التي اعتبرها نهائية ولا رجعة فيها .  
وكان أخطر قراراته قراره بحظر ممارسة اليهود عادة ختان للذكور ،  
لأنه اعتبرها عادة همجية ؛ وشمل القرار أيضاً حظراً على تقديس اليهود ليوم  
السبت وإجبارهم على العمل فيه . وكانت النتيجة رد ديني عنيف من جانب  
المتطرفين اليهود بالرغم من أن جماعة أنصار الأغرة استقبلت هذه القرارات  
بالتبرجاف والخماس ، وبرروا ذلك بأن زيوس ما هو إلا الإسم الأغريقى  
ليهوه ، وكلها أسماء لرب واحد . وكان هؤلاء يدافعون عن مبدأ التعايش  
الدينى بين الأغريق واليهود ، وأقبل هؤلاء على إقامة المعابد والمحاريب  
والمذابح لزيوس الأولمبي في كافة المناطق والأنحاء التي تواجد فيها اليهود  
في فلسطين ، ونحروا الذبائح والأضاحى لزيوس الأولمبي ؛ وامتنعوا عن  
تقديس يوم السبت (١) ، حتى في المناطق الريفية ، والدليل على ذلك أن حملة

(١) سفر الكابين ٧ ، من ٤٣ - ٥٨ .

الإرهاب الديني المتطرف التي قام بها المكابيون بقيادة يهوذا المكابي ضد اليهود المتأخرين كانت عنيفة في المناطق الريفية المبرجة. أنها استمرت هناك عشر سنوات كاملة . وبمرور الوقت لزدادت قوة الحزب المتطرف بعد أن ضعف مركز الحزب الأرستقراطي المتحرر ؛ وتكونت جماعة الفريسيين بزعامة يهوذا المكابي ( المطرقة ) ، وكان في الأصل كاهناً من بيت هاشمون . ولتخفيف حدة ثورة اليهود المكابيين ، اضططر حاكم فلسطين السليوقي واسمه لوسياس عام ١٦٤ ق . م إلى إعادة تسمية هيكل سليمان باسم معبد يهوه مع إبقاء الحزب الأرستقراطي المتأخر في الحكم ، غير أن ذلك لم يوقف ثورة المكابيين حتى مقتل يهوذا المكابي عام ١٦٠ ق . م وهكذا فشلت سياسة أنطيوخوس الرابع في أغرقة اليهود .

#### أنطيوخوس الرابع وحملته على مصر ١٦٩ - ١٦٨ ق.م :

وفي عام ١٧٣ ق.م بدأ الوزيران يولايوس ولينايوس وزيراً بطليموس السادس فيلوماتور يعدان التجهيزات لاستعادة جنوب الشام مستغلين انشغال أنطيوخوس الرابع في القضاء على القلاقل التي حدثت بين اليهود في فلسطين ضد حركة أغرقتهم وأذابتهم في بوتقة الحضارة الأغريقية؛ ولكي يفوت الفرصة عليهم ، قرر أنطيوخوس الرابع أن يقوم بحرب وقائية ضد مصر ، فسارع إلى غزوها عام ١٦٩ ق . م مستغلاً هو الآخر سوء الأحوال الداخلية وانتشار الاضطرابات في مصر؛ وتقدم نحوها دون مقاومة تذكر، واستولى على القرما ( بيلوسيوم ) ، ثم تقدم نحو منف ، وهناك توج نفسه فرعوناً ؛ ولم يجد بطليموس السادس أمامه غير قبول الصلح معه وقبل أن يكون تحت حمايته؛ ولما ثار شعب الإسكندرية على استسلام بطليموس معلناً عزله وتعيين شقيقه الأصغر ملكاً على مصر ، تقدم أنطيوخوس نحو الإسكندرية بحجة إعادة بطليموس السادس إلى عرشه بالقوة ، وقبل أن يدخل الإسكندرية ، سمع عن تمرد يشوع ياسون على مينالاعوس الحبر الأعظم ، وفرار الأخير إلى قاعة أورشليم وطلبه النجدة ، فقرر أن يوقف القتال ويعود على عجل إلى فلسطين لقمع هذه الحركة .

وما أن فرغ أنطيوخوس الرابع من قمع الثورة في فلسطين حتى عاد إلى مصر في ربيع عام ١٦٨ ق . م بعد أن استولى على قبرص ، غير أنه اضطر للجلاء عنها على أثر تلقيه إنذاراً أخيراً من السناتو *Senatus Consultum Ultimum* بالجلاء عن مصر حملته إليه السفير الروماني الشهير بوبليوس لينايس ، كما أعلن انسحابه من قبرص (١) ولإعادتها لمصر .

### حملته ضد البارثيين :

كانت القبائل التي أطلق عليها الأغريق والرومان اسم البارثيين هي قبائل البارثي *Parthi* وهم شعب شبه بلوى تواجد إلى الشمال من بحر قزوين وإلى الشمال من مقاطعة هرkania ، ومن ثم أصبحت هذه المنطقة تعرف باسم بارثيا *Parthia* (خراسان وهو تحريف للاسم البهلوي بارتهاوه *Parthavo* ) ، وذلك منذ ٢٤٧-٢٤٨ ق . م ومنذ ذلك التاريخ بدأ البارثيون يتوسعون على حساب الامبراطورية السلوقية حتى أصبحوا يمتلكون المنطقة الممتدة من نهر الفرات إلى نهر السند ، واتخذوا لهم عاصمة هي اكباتانا *Ecbatana* ، وكانوا يتكلمون اللغة البهلوية لإحدى اللهجات الشمالية للغة الفارسية . ومنذ هزيمة أنطيوخوس الثالث على أيدي الرومان في ماجنيسيا استغل البارثيون ضعف الامبراطورية السلوقية ، وراحوا يتوسعون شرقاً على حسابها ، فأستولوا على طرق التجارة الرئيسية التي كانت ترتبط تجارة الامبراطورية السلوقية مع الصين ، ولذلك حاول أنطيوخوس الرابع تحريك طرق التجارة مع الشرق الأقصى حتى لا تمر بالمناطق التي يسيطر عليها البارثيون . وفي أواسط أيامه ، سيطرت على أنطيوخوس فكرة غزو باكتريا وطرد أسرة يوثيديمرس *Euthydemus* المعادية له ، وبمضى الدولة البارثية قبل أن يستفحل خطرهما ، فسار إليها بجيوشه ، وكان بذلك آخر ملوك السلوقيين الذين تصدوا للبارثيين . وكما يقول روستوفتسف أنه كان من الممكن أن يحقق أنطيوخوس الرابع انتصاراً عليهم ، لولا تدخل الرومان لإضعاف الدولة السلوقية بإثارة

(١) أنظر ص ٢١٤-٢١٦ .

الفوضى والفتن في ولاياتها الشرقية ، ووضع العقبات في طريق أنطيوخوس الرابع وخلفائه ، حتى لا يخضعوا الولايات الشرقية البعيدة ، ولكنه في عام ١٦٣ ق. م. وافته المنية والنصر على مرمى البصر ، وبموته إنتهت آخر فرصة لعودة الامبراطورية السلوقية كقوة كبرى لها نفوذ خارج أراضيها .

#### ٨ - أنطيوخوس الخامس يوباتور ( الأب الطيب ) ١٦٣ - ١٦٢ ق. م :

وبعد موته آل النرش إلى ابنه أنطيوخوس الخامس ، وكان صبياً قاصراً ، فوضع تحت وصاية وزير اسمه لوسياس ، وانتزعت روما الفرصة لترغمه على تدمير الأسطول وقتل الفيلة ؛ ولقد أثار منظر جثث الفيلة الناس حتى أن أحدهم قتل المندوب الروماني الذي جاء ليشرف على تنفيذ الأمر وكان اسمه أوكتافيوس ؛ واحتفظت روما بحقها في الانتقام عندما يحين الوقت ؛ غير أن الملك الصبي لم يحكم إلا أقل من عامين ، إذ قتله ابن عمه ديمتريوس الأول لينتزع منه العرش . والحقيقة أن المصادر لا تمدنا إلا بالنذر اليسير عن الفترة ما بين موت أنطيوخوس الرابع عام ١٦٣ ق. م. وقدم القائد الروماني بومبي إلى سوريا عام ٦٤ ق. م. وتحويلها إلى ولاية رومانية وإنهاء العرش السلوقي ، ولا يزيد تاريخ هذه الفترة عن صراع متواصل على العرش بين المطالبين متنافسين ذوي قدرات محدودة ، حيث أضحت أنطاكية مراراً وتكراراً مسرحاً للمؤامرات والثورات والفتن ، وحروب الشوارع والمنازل .

#### ٩ - ديمتريوس الأول سوتر Soter ١٦٢ - ١٥٠ ق. م :

كان ديمتريوس الابن الثاني للملك سلوقوس الرابع فيلباتور ، وكان رهينة في روما ، وفيها قضى وقتاً طويلاً شاهد فيها العرش ينتقل إلى عمه أنطيوخوس الرابع ، ومن بعده إلى ابن عمه القاصر أنطيوخوس الخامس ، فأعلن أحقيته في تولى العرش ، وبمساعدة بوليبيوس ، هرب عن روما . وطرده الرضى لوسياس بعد قتل الملك القاصر ، وتمكن من الجلوس على العرش مكانه عام ١٦٢ ق. م ؛ ولكن روما لم تعترف به ملكاً إلا بعد عامين من جلوسه

على العرش وبعد إعلان نفسه ملكاً على عرش الدولة السلوقية باسم ديمتريوس سوتر Soter ، شرع على الفور في العمل ، مبادياً نشاطاً ملحوظاً لإعادة بناء الدولة ؛ فقد نجح في استعادة إقليم بابل من أحد الثوار العسكريين واسمه تيمارخوس ، والذي كان يحظى باعتراف روما ؛ واستبدل ملك إقليم كاباده كيا المعادى له واسمه أرياراثيس Ariarthes بملك جديد غير أن هذا الملك لم يحظ بتأييد ورضاء شعبه ، ومن ثم فقام أثالوس الثاني ملك برجامون بخلع وإعادة الملك الأول إلى العرش ، وتحالف أثالوس الثاني مع بطليموس السادس فيلوميتور للوقوف في وجه أطماع ديمتريوس الأول ؛ وفيجأة ظهر مطالب جديد للعرش السلوقي اسمه الاسكندر باللاس Ballas أعلن أنه ابن شرعى لأنطيوخوس الرابع إبيفانيس ، وأسرت روما و بطليموس فيلوميتور بالاعتراف به ملكاً ، وبمساعدة برجامون ومصر ، هاجم سوريا ، ولاقاه ديمتريوس بقواته ، وانتهت المعركة بهزيمة ديمتريوس ومقتله عام ١٥٠ ق.م وتولى الاسكندر باللاس العرش .

#### ١٠ - الاسكندر باللاس ١٥٠ - ١٤٥ ق.م :

وبعد أن نجح فيلوميتور في إجلاس الاسكندر باللاس على عرش أنطاكية ، وزوجه من ابنته كليوباترا الربة Thea على أمل أن يعيد إليه جوف سروريا مكافأة له ، غير أن باللاس كان غير جدير بالعرش ، فقد كان ألعبوبة في يد بطليموس فيلوميتور ، وفي يد أثالوس الثاني ملك برجامون ، ويحظى بتأييد السناتو الروماني ؛ ولم يلبث أن عاد ابن ديمتريوس الأول مطالباً بعرش أبيه ، وكان يقود جيشاً من المرتزقة الكريتيين . ووجد فيلوميتور الفرصة أمامه لاستعادة جنوب الشام ، فسارع باحتلال الساحل السوري ؛ واعترض باللاس على ذلك ؛ و تمزاع بينه وبين صهره ، ومن ثم حول بطليموس تأييده إلى المطالب الجديد ديمتريوس الثاني ، بل وزجه من ابنته التي كانت زوجة من قبل لالاسكندر باللاس . وفي عام ١٤٥ ق.م قام باللاس بمهاجمة بطليموس فيلوميتور في معركة بالشام وتمكن فيلوميتور من هزيمته وقتله ، غير أن بطليموس تلقى جرحاً أدى إلى وفاته بعد ذلك بقليل .



## ١١ - ديمتريوس الثاني نيكاتور الثاني (١٤٥ - ١٤١ ق. م) :

وعقيل الاسكندر بالاس عام ١٤٥ ق. م أصبح ديمتريوس ملكاً باسم نيكاتور الثاني ؛ غير أن اعتاده على قوات مرتزقة كرية أثار الناس عليه في أنطاكية ، فاستغل ديودوتوس قائد قوات الاسكندر بالاس ( والذي عرف فيما بعد باسم تريفون ) هذا المسخط ؛ فقام بإعلان طمأنيل كان الاسكندر بالاس قد أنجبه من زوجته كليوباترا ثيا ابنة بطليموس فيلوميتور - ملكاً على البلاد باسم أنطيوخوس السادس ، وبلقب ابيفانيس ، ديودوتوس ( أى ديونيسيوس المتجلى ) . ولما استقر الحال ، قام ديودوتوس بعزل الملك الطمأنيل وقتله عام ١٤٢ ق. م ، وإعلان نفسه ملكاً باسم تريفون . ولم يستطع ديمتريوس الثاني القضاء عليه ، فترك زوجته كليوباترا ثيا ( أرملة الاسكندر بالاس وأم الطمأنيل أنطيوخوس السادس ) لتحكم نيابة عنه ، واتجه بقواته شرقاً لتلبية لطلب نجده تلقاه من المملنة الإغريقية في بابل ، وذلك لإنقاذها من متراداتيس الأول ملك بارثيا الذي مد نفوذه من نهر دجلة حتى الهند ، وضم إليه إقليم بابل عام ١٤٢ ق. م . كما كان ديمتريوس الثاني يحلم بأن يعرد محملاً بالغنائم والأسلاب التي تمكنه من تجنيد قوات كبيرة للقضاء على مغتصب العرش تريفون ؛ غير أن غريمه متراداتيس هزمه وأسر ، لكنه عامله معاملة طيبة وكرامة ، فوجه من ابنته مقابل الحصول على اعتراف منه بحق بارثيا في احتلال إقليم بابل ، ولم يطلق متراداتيس سراح ديمتريوس الثاني إلا في عام ١٢٩ ق. م .

## ١٢ - أنطيوخوس السابع سيديتيس Sidetes (١٣٨ - ١٢٩ ق. م) :

طال انتظار كليوباترا ثيا لنزوحها الثاني ديمتريوس نيكاتور ، وأشيع أنه قد قتل على يد متراداتيس ملك البارثيين ؛ وكادت الفوضى تعصف بالعرش ، وفجأة وصل أنطيوخوس سيديتيس الشقيق الثاني لديمتريوس إلى أنطاكية عام ١٣٨ ق. م قادماً من جزيرة رودس - حيث كان يقيم فيها - لينقذ المملكة من الفوضى ، واستقبله الناس بالترحاب حيث تزوج من كليوباترا ثيا ، ونجح في عزل مغتصب العرش تريفون . وتولى مكانه باسم أنطيوخوس السابع الذي يعتبر آخر

ملوك السليوقيين الأكفاء. وشرع على الفور في العمل على عودة الاستقرار للمملكة ؛ وحقق في ذلك تقدماً كبيراً ، ولعل ما يروى عن حياة الترف التي كان يجاها وإغراقه في الشراب - وإن كان ذلك قد بولغ فيه - يدل على تحقيقه قدراً من الرخاء بعد ثمان سنوات من العمل الجاد بعد عودة الاستقرار للمملكة وتوحيدها ؛ فقد أعاد السيطرة على فلسطين ، وأخضع اليهود بعد فترة طويلة من التمرد ؛ كما شعر أنه في وضع يمكنه من القيام باسترداد المناطق التي استولى عليها البارثيون في الشرق ، وعلى أثر تلقيه دعوة من المدن الإغريقية في بابل لإنقاذها من البارثيين ، عبر بقواته نهر الفرات عام ١٣٠ ق. م حيث استقبلته المدن الإغريقية بالترحاب ، وبعاونها استطاع استعادة شمال الرافدين Mesopotamia . وإقليم بابل ، وطرده الملك البارثي فارناكيس Pharnaces من إقليم ميديا في ( فارس ) ، وبدأ الموقف كما لو كان أنطيوخوس السابع قد نجح في استعادة الامبراطورية بالقدر الذي كانت عليه في عهد أنطيوخوس الأكبر ( الثالث ) ، غير أن مجهوداته ضاعت سدى عندما فاجأه الملك البارثي في مطلع عام ١٢٩ ق. م بهجوم كاسح في معسكره الشتوي ؛ وألحق به هزيمة مريرة وقتل أغلب قواته ، وأسر من بقي منهم حياً . وكان من بين القتلى أنطيوخوس السابع نفسه ؛ واستعاد البارثيون كل الأراضي التي كان قد انتزعها منهم ؛ وهكذا فقدت المملكة السليوقية بابل ، وبلاد ما بين النهرين إلى الأبد ، إذ أن آخر وثيقة من حكم السليوقيين لبابل ترجع إلى شهر يونيو ( حزيران ) عام ١٣٠ ق. م . وعندما أرسل الملك فارناكيس ملك البارثيين جثمان أنطيوخوس السابع إلى أنطاكية ليدفن فيها ، حزن الشام كلها عليه ، وأقيمت المآتم في كل بيت فيها ، كما لو كان أهلها يعرفون أنهم يقيمون الحداد على انتهاء تاريخ الأسرة السليوقية ، وورى جثمانه التراب في جنازة مهيبة ، بصورة أشبه بالحداد الذي انتهت به الياذة هوميروس عندما وورى جثمان هكتور بطل الطراوديين مشواه الأخير .

### نهاية الامبراطورية السلوقية :

حقاً ، لقد قاومت الامبراطورية السلوقية لمدة ستة وأربعين عاماً بعد موت أنطيوخوس السابع ، ومنذ موته في عام ١٢٩ ق . م وحتى احتلال الرومان الشام عام ٦٤ ق.م لم يعد تاريخها سوى سجلاً محزناً لمظاهر التفسخ والضعف والفوضى ، إذ لم تتوقف المنازعات حول العرش بين المطالبين به سواء من بين افراد شرعيين أو دخلاء مغتصبين ، وكان أكثرهم شروراً زابيناس الذي لم يتورع عن صهر تيمثال زيوس جالب النصر الشهير الذي كان مصنوعاً من الذهب الخالص ، والذي كان أنطيوخوس الرابع قد أقامه في أنطاكية ، وذلك لكي يسك النقود الذهبية التي كان في حاجة إليها لدعم نفسه في الحكم ، وعندما سئل عن هذه الفعلة رد ساخراً أنه لم يعد هناك حاجة لهذا التمثال لأن زيوس قد جلب له النصر فعلاً ، وهذا مثل نسوقه عن العبث بالكنوز الغنية من أجل مصالح شخصية .

وخلال تلك للفوضى كانت المقاطعات السلوقية تنسلخ عن المملكة واحدة تلو الأخرى ، فقد استقلت إمارة كوماجيني الآرامية (بيت عديني في شمال سوريا على الشاطئ الغربي للفرات) منذ عام ١٦٢ ق.م ، وكذلك استقلت مدينة أديسا (عرفة) عاصمة إمارة أوسرويني الآرامية (على الشاطئ الشرقي للفرات في شمال غرب سوريا) منذ عام ١٣٢ ق.م ، وراح البارثيون يضغطون من الشرق ، ويدفعون السلوقيين نحو غرب الفرات ، وبدأت الامبراطورية - التي كانت يوماً ما تمتد من جبال الهيمالايا شرقاً إلى سواحل البحر المتوسط غرباً ، ومن مضيق البسفور والدرديل شمالاً حتى حدود مصر مع فلسطين جنوباً ، تتحوصل في أنطاكية وما حولها بعد أن ضاع منها ممتلكاتها .

كان الملك البارثي فارناكيس قد أطلق سراح ديمتريوس الثاني قبل أن يقضى على أنطيوخوس السابع بضربة قاضية ، حتى يعطيه الفرصة لتولي عرش الامبراطورية السلوقية ، خاصة وأنه كان قد زوجه من ابنته على أمل

أن تنجب له ولداً يرث عرش المملكة . واستطاع ديمتريوس الثانى أن يسترد سرربا ، ويعود إلى زوجته الأولى كليوباترا ثيا التى كانت قد أصبحت بموت أخيه أنطيوخوس السابع أرملة تاركاً لها خمسة أبناء ، وشعرت الملكة التى كانت قد خبرت الزواج ثلاث مرات : من بالاس ثم ديمتريوس الثانى ثم أخيه أنطيوخوس السابع . وأنجبت أبناء عديدين منهم ، أن الكيل قد فاض بها ، ولم تعد تطيق عودة ديمتريوس الثانى ، الذى كان لا يقارن برجولة أخيه الراحل ، فعندما ظهر مطالب جديد . بالعرش اسمه اسكندر زايناس Alexander Zabinas لم تقف مع زوجها ، ولما ألحق زايناس به هزيمة ساحقة ، وحاول زوجها الهرب لينجو بحياته منته من ذلك ، وعندما أعلن أكبر أبنائها منه نفسه وريثاً للعرش ، تخلصت منه بوضع السم له ، وأحلت محله أخاه الأصغر باسم أنطيوخوس الثامن الشهير باسم جريوس Grypos على أن تكون شريكة له فى الحكم ؛ ولما أدرك الملك الجديد خطورة نوايا أمة قتلها قبل أن تتخلص منه هو أيضا .

أما ما حدث للاسكندر زايناس ، فقد رأينا كيف أنه أغضب الناس منه بصهره تمثال زيوس جالب النصر ، وسلكت النقود منه ، ثم اكتشفوا بعد عدة أيام أنه كان يحاول سرّاً أن ينقل من نفس المعبد تمثالا آخر من الذهب لزيوس أيضاً ، فبادر أهل أنطاكية إلى التجهيز للحيولة دون ذلك . عندئذ قام الاسكندر زايناس بجمع الذخائر الملكية وفر تحت جناح الظلام قاصداً ميناء سلوقية — بيرييه ، لكن الخبر كان قد ذاع ، فأغلقت المدينة أبوابها ، وجهته ، فسار على الساحل ومعه أتباعه ، وهناك أدركته عاصفة شديدة ، فتخلى عنه أتباعه ، فوقع فى أيدي جماعة من قطاع الطرق فأخذوه إلى معسكر الملك الشرعى أنطيوخوس الثامن حيث أعدم ، وقيل فى رواية أخرى أنه سمح له أن يأخذ حياته بيده .

ولم يكف الأمر يستقر لأنطيوخوس الثامن جريوس ابن ديمتريوس الثانى حتى برز مطالب جديد ، للعرش من الأسرة وهى أنطيوخوس التاسع الشهير

باسم قوزيقينوس (القوزيقي) Cyzcnos وكان ابناً لأنطيوخوس السابع ، ودارت الحرب بينهما سجلاً . وفي خلال الاثنى عشرة سنة الواقعة بين عام ٩٦ ق. م وعام ٨٤ ق. م تعاقب على عرش أنطاكية ستة ملوك ، بل حدث في مرتين متتاليتين أن كان هناك ملكان يحكمان (أو يزعمان أنهما يحكمان) في وقت واحد ، وخلال هذه الحروب العتيمة استنزفت الموارد ، وبدأت مدن الامبراطورية تستقل وتدير أمورها بنفسها في استقلال كامل عنها ، وقامت دشيخيات عربية متعددة في مناطق مختلفة من البلاد ، وأطلق البدو في الصحارى العنان لأنفسهم لينهبوا أينما وكينسا أرادوا ، بل وتوسعت مملكة العرب الأنباط حتى أنها في وقت من الأوقات استولت على دمشق ذاتها .

ووسط هذه الفوضى بدأ أهالي سوريا يفكرون في الالتجاء إلى طلب العون من الخارج ، أملاً أن يقلد ملك اجنبي على إعادة النظام والأمن وحماية البلاد من التعرض للغزو ، ومن بين الشخصيات التي عقد السوريون عليها الآمال كان تيجران Tigranes ملك أرمينيا .

### قيدوم تيجران الأرميني إلى سوريا (٨٣ ق. م - ٦٩ ق. م) :

كانت أرمينيا - ذلك البلد الجبلي الوعر - الذي يقع إلى الشمال والشرق من الفرات - في الأصل سترابية فارسية ؛ وقد وصفها أكسينوفون في كتابه «الصبود» وصفاً دقيقاً من واقع معاينته لها خلال رحلة العشرة آلاف مرتزق الشهيرة . وبعد فتح الاسكندر المقدوني للشرق دخلت في حوزة الامبراطورية المتعدونية ؛ وبعد تقسيم الامبراطورية بين ورثة الاسكندر آلت أرمينيا إلى الامبراطورية السلوقية ، ولقد قام السلوقيون بتقسيمها إلى أقسام صغيرة ؛ يحكم كل قسم منها حاكم محلي . وبعد هزيمة ماجنيسيا عام ١٨٩ ق. م استقل حكام الأقاليم الأرمينية بحكم أقاليمهم إلى أن تمكن أحد حكام الأقاليم الأقوياء واسمه ارتاكسياس من توحيد كل هذه الأقاليم في مملكة أرمينية واحدة ، ولكنه كان تابعاً للرومان . وفي عام ٩٤ ق. م تمكن تيجران

الكبير بمساعدة البارثيين من اعتلاء عرش أرمينيا مقابل تنازلات في الحدود (١) ثم دعم تيجران نفوذه بالتحالف مع ميثراداتيس ملك بنطوس ، وراح يتوالمع للتوسع في آسيا الصغرى ، واحتل مقاطعة كيليكيا مما أزعج الرومان ، فبدأوا في تضيق الحناق عليه .

هناك روايتان متضاريتان حول احتلال تيجران لسوريا ، أولها تقول أن قدمه جاء بناء على دعوة وجهت إليه من أهل البلاد ؛ ومن المحتمل أن يكون العنصر الشرقي قد لاتحمد مع العنصر الأغريقي بعد أن ضاقوا ذرعا بالفوضى والصراعات الأسرية ، فاستدعوا الملك الأرميني ، ولذلك دخلها في هدوء وسلام ؛ أما رأى الآخر فيقول أنه دخلها بالقوة رغم رضاء أهلها . والحقيقة أنه ما كان يتسنى لتيجران أن ييسط نفوذه على سوريا على الوجه الذى قام به دون رضاء غالبية السكان ؛ ومن الطبيعى أن يكون هناك من عارض دخوله سوريا لأنه كان أجنبيا مغتصبا . غير أن الحروب الأهلية والخارجية وفوضى الإدارة كانت قد ألحقت بالاقتصاد خسائر بالغة السوء . فقد وجد تيجران ان العملة النقدية شحيحة الى حد ان بعض القطع البرونزية كان قد مضى أربعون عاما على تداولها بين الناس ؛ ومن ثم بدأ فى اصلاح الأمور ، وقضى على الفتن ؛ وعلى الصراعات على العرش ؛ وأمن طرق التجارة مع الشرق ؛ مما أدى الى استقرار البلاد سياسيا واقتصاديا حتى ان عهده وصف بأنه عهد رخاء وسلام . ولم يمكث تيجران فى سوريا بعد تهديتها طويلا ، فقد عاد الى أرمينيا بعد أن ترك نائبه ماجاداتس لحكمها كنائب عنه فى انطاكية . وصدرت النقود الجديدة تحمل اسم تيجران متبوعا بكلمة « ملكا » ، وهو مايوحى لأول وهلة أن تيجران حرص على الظهور بمظهر حاكم اغريقى ، لكسب رضاء السليوقيين من العنصر الأغريقى ؛ وعلى الوجه الآخر للعملة ظهرت صورة ربه الحظ السعيد توخى Tyche التى كانت رمزا لأنطاكية ؛ وفيما بعد ظهرت العملات تحمل لقبه الشرقى المأخوذ عن النرس ، وهو ملك الملوك ( الشاهنشاه ) ، فقد ركب شعور

(1) Strabo, Geographia, II, 532.

العظيمة والكبرياء والغرور ؛ وشرع يحرص على مراعاة مايتبع من مراسيم في القصور الملكية ، وسط مظاهر الأبهة الرفاهية الشرقية . ويلاحظ أنه منذ سنة ٧٢ ق.م بدأت العملة التي كانت تصدر عن دار السلط في أنطاكية تختفي ، وربما كان تفسير ذلك أن تجران قد حنث بوعده الذي كان قد قطعه على نفسه بعد دخوله سوريا بأنه سوف يرعى استقلالها وشخصيتها الهلينية ، لأنه في آخر أيامه تحول الى حاكم شرق مستبد ، حتى غدا نظام حكمه منفرا للسكان ، فلم يعد في نظرهم منقدا ( سوتير ) بل واحدا من طغاة الشرق البرابرة .

الرومان يوغمون تجران على الانسحاب من سوريا ( ٦٩ ق.م ) :

لم يكن الرومان مستريحين لتصرفات تجران وعلاقاته المشبوهة بالبارثيين ، وبملك بونطوس متراداتيس ، فعندما وقعت الحرب بين روما وهذا الملك الأخير ، نجح القائد الروماني لوكولوس في ارغامه على الهروب الى أرمينيا ، حيث طلب الحماية من تجران ، وبينما كان تجران في الشام يحارب جيش كليوباتره المطالبة بعرش أنطاكية ، والتي كانت تحاول تنصيب ابنها انطيوخوس ( ابن انطيوخوس العاشر ) على عرش المملكة ، وصل آبيوس كلوديوس بولكر الى أنطاكية مبعوثا عن صهره القائد الروماني لوكولوس ليطلب تسليم متراداتيس للرومان ، وبينما هو ينتظر عودة تجران من ميدان الحرب في فينيقيا ، اتصلت به العناصر الساخطة على حكم تجران ، راجين منه تحرير سوريا من حكم الأرمنيين ، ووعدهم كلوديوس بنقل طلبهم الى القائد لوكولوس ؛ وعندما عاد تجران رفض طلب الرومان بتسليم متراداتيس ، وكان ذلك بمثابة إعلان روما الحرب عليه فأضطر الى الانسحاب من سوريا للدفاع عن بلاده أرمينيا ، ولم يمض وقت طويل حتى غزا لوكولوس أرمينيا ، وهزم تجران وذلك عام ٦٩ ق.م .

( م ١٨ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهليني )

### الدولة السليوقية في النزع الأخير :

عادت الفوضى وحروب العرش إلى سوريا ، فبعد انسحاب تيجران ، نصب أنطيوخوس بن أنطيوخوس العاشر نفسه على العرش باسم أنطيوخوس الثالث عشر متخذاً لقب الآسيوي (آسياتيكوس) Asiatikos وذلك بمساعدة لوكولوس ، وتأييد أهل أنطاكية ، وذلك في أواخر عام ٦٩ ق . م وأوائل عام ٦٨ ق . م ، لكنه لقي هزيمة في إحدى المعارك التي لا تزال غامضة ، وإن كان من المحتمل أنها كانت بينه وبين أحد المشايخ العرب الذين كانوا يعملون جاهدين لكي يقيموا لأنفسهم إمارات أو مشيخيات خلال هذه المرحلة المضطربة ؛ وفقد الناس ثقتهم في أنطيوخوس الثالث عشر ، وحولوا ولائهم إلى مطالب جديدة بالعرش هو فيليب الثاني ، الذي كان يؤيده أحد شيوخ العرب الأقوياء واسمه عزيز ؛ كما انحاز شيخ آخر من شيوخ العرب لإسمه سمبسيجيراموس إلى جانب أنطيوخوس الثالث عشر ؛ ثم سرعان ما اتفق هذان الشيخان على التخلص من أنطيوخوس الثالث عشر وفيليب معاً واقتسام سوريا بينهما ، وبالفعل قام سمبسيجيراموس بالقبض على أنطيوخوس واحتفظ به أسيراً لديه ، بينما هرب فيليب إلى أنطاكية ليحتمي فيها خوفاً من سطوة شيوخ العرب .

وفي الوقت الذي كان فيه أنطيوخوس الثالث عشر أسيراً لدى شيخ العرب سمبسيجيراموس ، تولى فيليب الثاني حكم أنطاكية ، وظل يحكم من ٦٧ ق . م إلى ٦٥ ق . م ، وقد قامت روما بتأييده لكي يكون ملكاً عميلاً لها ، ولذلك أرسلت إليه في عام ٦٧ ق . م ماركوس ركس Marcus Rex حاكم مقاطعة كيليكيا ، والذي كان يتولى محاربة أوكار القرصنة الذين كانوا يتخذون من ساحل تلك الولاية مأوى لهم ، وبأمر من الحكومة الرومانية قام ركس بالإشراف على بناء قصر وسيرك Circus على الطراز الروماني على الجزيرة التي تتوسط نهر العاصي ، رمزاً لوصول الحضارة الرومانية إلى المشرق العربي، وإعلاناً عن تأييدها لذلك الملك الضعيف والوقوف معه في وجه رعاياه ، بل وربما من أجل خدمة التجار الإيطاليين الذين كان لهم جالية كبيرة



في أنطاكية ؛ فقد كان للرومان مصالح تجارية متمامية في سوريا . ولقد طلب هذا المبعوث من فيليب أن يساهم في نفقات عملية مطاردة القراصنة في ولايته كتعبير عن تعاون الدولة السليوقية مع روما ، التي كان يقلقها أن تكون هذه الدولة العنيفة في أيدي مشايخ العرب .

وبعد زيارة ركس والى كيليكيا الرومانية ، عاد كلوديوس بولكر فجأة إلى عاصمة هذه الولاية ، وكان قد وقع في الأسر من قبل القراصنة الكيليكين وشرع يدعو لإنقاذ الدولة السليوقية من مشايخ العرب الذين كانوا يتلاعبون بها . وقد أحدثت دعوته حركة من الاضطرابات في أنطاكية أدت إلى سقوط فيليب الثاني من على العرش واختفائه من على مسرح الأحداث ، غير أن دعوة كلوديوس بولكر لم تجد الاستجابة الكافية ، فعاد ادراجه إلى روما .

ولما رأى سمسيجيراموس العربي أن عرش انطاكية أصبح شاغراً اطلق سراح أسيره أنطيوخوس الثالث عشر ليعود إلى إعتلاء عرش أنطاكية ، وحكم عاماً واحداً هو عام ٦٥-٦٤ ق . م وفي خلال ذلك العام كان القائد الروماني بومبي قد انتصر على متراداتيس ملك بونطوس الذي دوخ الرومان سنين طويلة ، وقرر وهو في طريق عودته أن يزور أنطاكية ليقرر عما إذا كانت المملكة السليوقية جديرة بالبقاء أم لا ، ولما رأى استحالة ذلك قرر ضمها كولاية رومانية عام ٦٤ ق . م وبذلك أسدل الستار على تاريخ الامبراطورية السليوقية وأصبحت سوريا منذ ذلك التاريخ ولاية رومانية

### تعليق تاريخي على قيام وسقوط الامبراطورية السليوقية :

كانت الملامح العامة للأمبراطورية السليوقية - أكبر الامبراطوريات الهلنستية وأكثرها تعقيداً - تقوم على سلسلة من المستوطنات العسكرية الحضرية التي وضع أساسها الاسكندر ، وسار عليها خلفاؤه في القرن الثالث ق.م . فلقد كان العصر الهلنستي في الحقيقة هو عصر الهجرة الى الشرق الأدنى بعد تقويض الجدار العازل الذي كانت الامبراطورية الناصرية قد أقامته حوله ، كما أن الضائقة الاقتصادية التي كانت تعانيها بلاد اليونان نتيجة للحروب الطاحنة بين مدنها هو الذي جعل تفكير الفلاسفة والسياسيين

الأغريق يتجه الى مقدونيا - القوة الجديدة التي قادت العالم في القرن الرابع ق.م - كسفينة الخلاص من الضائقة الاقتصادية ، بدفعها لفتح الشرق الأدنى ، وهلم الجدار الفارسي المحبط به ، حتى وان كان ثمن ذلك أن تضحي المدن الأغريقية الكلاسيكية بأعز ماتمك وهي مبادئ الثلاث : الحرية والحكم المستقل والاعتماد على نفسها اقتصاديا ، ويقال أن أرسطو معلم الاسكندر - كتب بحثا خصيصاً حول ضرورة القيام بحركة استيطانية كبرى للشرق ؛ ولذلك تدفق على اثر فتح الاسكندر سيول من المهاجرين والمستوطنين اتجهت الى بلدان الشرق الأدنى الغنية بسهولها وأنهارها موانئها وتجارها ، حضارتها وتراثها ، للعمل في جيوش ملوك الممالك الهلنستية ، ولأستيطان مدنها الجديدة ، وكان هؤلاء المستوطنون يأتون من مناطق التكديس السكاني في مقدونيا ، وبلاد اليونان الأم ، وشبه جزيرة الأناضول ، وهي مناطق التجنيد العريقة في ذلك العصر . ولما كانت الأمبراطورية السلوقية أكبر الممالك الهلنستية وأغناها ، فقد ذهب الشطر الأكبر من هؤلاء المهاجرين إليها ، وكانت قوتها وراء استمرار تدفقهم عليها ، ولذلك عرف ملوكها بنشاطهم الذي لا يبارى في بناء المدن والحوضر العامرة ، التي انتشرت في الشام وحول الخليج العربي ، وفي جنوب الرافدين بعكس الحال في مصر المكسدة بسكانها الوطنيين ذوي الحضارة القوية والتماسك السكاني المنسجم لغة وديانة ، ولذلك كان البطالة أقل نشاطا في بناء الحواضر والمدن من السلوقيين ، غير أن هزيمة انطيوخوس الثالث في موقعة ماجنيسيا وحرمانه من الولايات في آسيا الصغرى الواقعة الى الشمال من جبال طوروس طبقاً لصلح أباميا مع الرومان عام ١٨٨ ق.م أخلق صنبور الهجرة ، ومن ثم بدأت حركة الدفع الحضارى الأغريقى تقل بعد ذلك التاريخ ، وبدأت العناصر الشرقية تخرج من جحورها ومعها لغاتها الآرامية وحضارتها العريقة ، ونتيجة لذلك بدأت الأمبراطورية السلوقية تتحول تدريجياً لتصبح شرقية عنصراً وحضارة ، وتبتعد تدريجياً عن الحال الحضارى الأغريقى ، لكنها ظلت محافظة على تراثها . ولقد رأينا

فى النهاية كيف أصبح شيوخ القبائل العربية يتلاعبون بملوكها ؛ الى جانب ذلك ، تميزت الدولة السليوقية منذ تأسيسها على يد سليوقوس الأول نيكاتور بعلاقاتها الوثيقة مع العناصر الشرقية ، منذ أن كان سليوقوس يتولى قيادة فرقة الفرس من النبلاء الفرس فى جيش الاسكندر ، بل أنه تزوج بأميرة فارسية وهى أباما التى - بعكس الملوك الآخرين - لم يتخلى عنها بعد موت الاسكندر عندما حدثت ردة لأفكاره ومبادئه فى مزج العنصر الأغريقى بالشرقى ، بل ظل وفيها لها وبذلك أصبحت أباما الجدة الأم لكل ملوك السليوقيين . وهى التى كرمت بتأسيس مدينة أباميا تخليدا لها ، ولهذا جرت الدماء الشرقية منذ البداية فى عروق كل من جلس على عرش أنطاكية .

وعلى العكس من البطالمة الذين ورثوا عرش الفراعنة المستقر ، كان على الملك السليوقى أن يكون من طراز خاص ، أن يكون قويا وذكيا وعنيفا لكى يحافظ على بقاء الامبراطورية الشاسعة ، والتى كان قوامها شعوب وقبائل عديدة ومتفرقة ، ذات ديانات ولغات وأجناس مختلفة ومتناثرة ، وتنتشر من سفوح جبال الهيمالايا وأفغانستان شرقا الى سواحل الشام غربا ، ومن الأناضول شمالا الى حدود فلسطين مع مصر جنوبا ، ولا يجمع بينها رابط قومى واحد الا الولاء الكامل للملك السليوقى . ولذلك لم يكن شرطا فى قوانين وراثة العرش السليوقى أن يرث الابن الأكبر العرش بعد موت أبيه ، إنما اشترط أن يكون الملك الجديد قويا الى جانب كونه من البيت الملكى ، وهذا الأمر لم يفهمه الرومان . وما أن يبائع الملك بالعرش ويضع الاكليل والعمامة الكتانية البيضاء فوق رأسه ، ويتلفح بالعبادة الأرجوانية ، ويضع فى أصبعه خاتم الملك ، الذى يحمل شعار الدولة وهو مرسى السفينة ( الملب ) ، حتى يصبح هو التجسيد الحى للدولة والقانون ، غير أن هذه السلطة المطلقة كانت تكتمل باسلوك الحسن والأخلاق الحميدة واتباع العدل بين رعاياه . وفى عهد أنطيوخوس الرابع ؛ تبلورت فكرة ألوهية الحاكم كعامل مكمل لتوحيد شعوب الامبراطورية فى شخص الملك الرب ، وهى فكرة ضارية الجذور فى تاريخ الشرق القديم خاصة فى بلاد الرافدين ومصر .

فقد كان الملك السليوقي في نظر رعاياه قادرا على كل شئ ، بدءا من سحق الأعداء حتى تبديل الأسماء الشرقية بأخرى أغريقية ، وينقل لنا شيشيرون قول أنطيوخوس الثالث بعد نزع أكبر ممتلكاته منه طبقاً لصلح أباميا أنه يشكر الرومان لأنهم خففوا عنه من أثقال الحكم (١) . بل زوى عن سليوقوس نيكاتور مؤسس الأسرة قوله أنه لا أحد قد يرضى أن يلتقط التاج من الطريق لو أدرك حجم الرسائل المكتوبة التي يقتضها هذا العمل ، خاصة لم يكن للملك جهاز إدارى يساعده ويعتمد عليه ، فقد كان معاونوه وأصدقاؤه هم ندماءه الذين يختارهم بنفسه . فعندها يكون في ميدان القتال ، يتجمعون بالقرب منه في الخيمة الملكية وقد ارتلوا عبااتهم الأرجوانية وقبعاتهم الواسعة ، ويكونون في منأهاته واضعين أنفسهم تحت امرته في أى عمل يكلفهم به ؛ وكانوا يكونون بلاطاً ملكياً على استعداد لتقديم المشورة ؛ غير أن الملك كثيراً ما كان ينسحب من الخيمة ليختل بنفسه قبل اتخاذ القرار ، إذ لم تعرف الدولة السليوقية نظام الجهاز المدنى في الوظائف والدواوين مثلما كان الحال عند الرومان والروم ، فقد كان الملك هو الدولة والدولة هى الملك :

كانت سلطة الملك مطلقة مع المدن غير الحرة التي أخذها فتحاً بحق الحرب ، فكان له حق التصرف فيها وفي شعبيها وممتلكاتها ، يفعل بهم ما يشاء أما النسبة للمدن الحرة فهو وحده الذى بيده تطبيق مبدأ الاستقلال الذاتى بالقدس الذى يراه حسب المصالح العام ؛ فمثلاً اصدر كهنة دلفى قراراً أكالوا فيه المديح للملك سليوقوس الأول لأنه عهد الى سلطات مدينة سمرنه ( ازمير ) بالاشراف على شئون مدينة دلفى . ولقد جاءت هذه السلطة المركزة في شخص الملك بنتائج طيبة ، منها أن هذه المدن لم تعد تتورط في حروب بينها كما كان الحال قديماً ، كما ان الإدارة الحازمة الحكيمة الرشيدة ادت الى تراكم الثروات ، وادخال تطويرات جديدة في مجالى التجارة والصناعة ،

---

(1) Cicero : Pro Deiotaro, XIII, 36.

وضع الولايات الهلنستية على إعتاب عصر أقرب لعصر الرىمالية الصناعية فى أوروبا الغربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين (١) .

وفى عصر أنطيوخوس الرابع ، عادت للأمبراطورية قوة الدفع وعادت حدودها الشرقية لتلامس جبال الهىالايا ، وكان خلفاؤه يتمنون لو أنهم تركوا الذئبة الرومانية فى حالها فى الغرب الايطالى تجنباً لشرورها وحتى يتفرغوا لتدعيم نفوذهم فى الممتلكات الشرقية وتطبيق مشروعاتهم الحضارية فيها ، ودعم سيطرتهم على طرق التجارة مع أعماق آسيا التى كانت شريان الحياة لاقتصاد أمبراطوريتهم . ولقد كان الاتجاه العام لسياسة السليوقيين هو المصالحة وليس المواجهة مع ملوك الشرق خاصة كلما تتبعوا خطوات الاسكندر فى فتوحاته الشرقية ، ولقد آتت هذه السياسة أكلها طوال قرنين كاملين تقريباً ، فنجحت مع ملوك الهند وباكترىا وكذلك مع حكام الأصقاع الشمالية فى آسيا ، فلقد كان الباعث لتواجدها فى هذه المناطق هو المحافظة على طرق التجارة الدولية وتأمينها . ولقد تنازل سليوقوس الأول مثلاً عن حقوقه الموروثة عن الاسكندر فى الهند لتجنب التصادم معها (٢) مما ساعد على وصول طلائع الحضارة الأغريقية وتفاعلها مع حضارتها ؛ فلقد كانت كل حروب أنطيوخوس الثالث من أجل حماية طرق التجارة وإعادة تأمينها بالتعاون مع باكترىا ( أفغانستان ) وكذلك فى الخليج بالتعاون مع مدينة جرها ( الجرعاء بالقرب من الهفوف حالياً ) ، ومع طرق الجزيرة العربية بالتعاون مع الأنباط ، فقد لوحظ تأثر حضارات هذه المناطق بالحضارة الهلنستية . ولم يستطع البارثيون — تلك القبائل شبه البدوية — فى زحفها نحو الغرب أن تصل الى منطقة بحر قزوين الحيوية إلا فى أواخر القرن الثالث ق.م ، ومنها راحت تهدد مرتفعاب ميديا . ولم يتحرك الملوك

---

(1) M. Rostovtzeff : Social and Economic History of The Roman Empire, Oxford 1958, Oxford University Press, I, 3.

(2) M. Rostovtzeff : Social and Economic History of The Hellenistic World, Oxford 1953, I, 459.

السليوقيون للدفاع عن مدن بابل الا عندما بات خطر البارثيين يهدد مراحمى الجياد العربية التى كانوا يعتمدون على خيولها . وسقط فى إقليم بابل ، أثنان من أعظم ملوكهم اللذين خلفوا أنطيوخوس الثالث . ولقد كان البارثيون خليطاً من القبائل السكيثية والفارسية التى تأثرت بالحضارة الهلينية رغم تمسكهم بلغتهم القومية وهى الهلوية وبكثايتها بالخط المسمارى ، وكانوا دائماً يضغطون للوصول الى مياه البحر المتوسط ، ولقد استمر ضغطهم لأكثر من قرن ، بل نجح أعظم ملوكهم وهو متراداتيس الأول ( عطية مئرا ) أن يحكم من صوصة ، ثم من بابل بعد غزوها عام ١٤١ ق.م حيث تتحدث احدى الوثائق المسمارية عن دخوله أنطاكية منتصرا . صحيح أنه انسحب بعد ذلك منها ، غير ان الملك السليوقي ديمتريوس الثانى وقع فيما بعد أسيراً لديه حيث عامله معاملة كريمة بدافع النخوة والشهامة التى عرفت عن ملوك البارثيين ، بل وزوجه من ابنته . وكان أنطيوخوس السابع — شقيق ديمتريوس الثانى — آخر ملوك الأسرة السليوقية الشجعان ، ولقد روينا كيف أنه قاد جيشه وسط تهليل مدن بابل الأغريقية وترحيبها حتى سقط قتيلاً على يد الملك فارناكيس الذى خلف أباه متراداتيس على العرش . ولقد كانت آخر الوثائق الآرامية المسمارية المؤرخة باسم أنطيوخوس السابع فى عام ١٣٠ ق.م هى آخر وثيقة مسمارية حملت اسم ملك سليوقى ، وبدافع المروعة والشهامة الى عرف بها ملوك البارثيين ، بعث فارناكيس بجثمان الملك السليوقى القليل لكى يوارى التراب فى المقبرة الملكية فى أنطاكية وسط حداد شعبها على موت الأمبراطورية السليوقية مع موت الملك (١) .

وفى جو من المأسى ، ووسط فوضى الحكم ، وخلافات ملوك الأسرة وشباك الرومان وفخوخهم التى لا ترحم ، بدأت شمس الأمبراطورية السليوقية فى المغيب ، ولقد مارس الرومان القسوة منذ أواخر عصر الجمهورية

---

(1) Appian, Syr an Wars, VIII, 46.

بلدرجة فاقت قسوة الملوك المقدونيين (١) . فقد دست روما أنفها في صراعات العرش السليوقي ، كما فعلت مع البطالمة المتأخرين . ففي عام ١٦٤ ق.م عندما كان ديمتريوس الأول رهينة في روما ، طلب من السناتو أن يسمح له بالعودة لاسترداد عرش أنطاكية من ابن عمه غير الكفء ، لكن السناتو رفض أجابته الى طلبه لأنهم كانوا يرون أنه من الأجلى لمصلحتهم أن يحكم الدولة السليوقية صبي قاصر عاجز عن أن يحاربها رجل قوى وقادر (٢) .

وأخيرا اندفع الملك الأرمني تيجران Tigranes وسواء كان ذلك بدعوة من أهل أنطاكية أم بمبادرة من جانبه، واجتاح القرط الى سوريا . ولقد عملت روما على إجباره على الانسحاب منها ، وعادت الفوضى وصراعات الملوك العاجزين ، وأخيرا جاءت طلقه الرحمة في عام ٦٤ ق.م عندما دخل القائد الروماني بومبي سوريا ، وعزل الملك السليوقي معلنا ضمها بحق الفتح وتحت اسم ولاية سوريا الرومانية (٣) .

---

(1) W. W. Tarn & G. T. Griffith : Hellenistic Civilization, London 1952, E. Arno d, p. 37.

(2) Ibid., p. 33.

(3) Appian, Mithradates, XVI, 106.





## أهم مراجع الفصل السادس

أولا : المراجع العربية والمصرية :

- ١ - جلال نفيل داؤدى : أنطاكية القديمة (ترجمة وتقديم ابراهيم نصحي) دار نهضة مصر القاهرة ١٩٦٧
- ٣ - لطفى عبد الوهاب يحيى : دراسات في العصر الهلنستى : بيروت ١٩٧٨ .
- ٢ - فيليب حتى : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥١ .

1. —H. Bengston, "Syria in the Hellenistic Period", Hellenism & the Rise of Rome, Pierre Grimal et alia, Universal History Series, London 1968, Weidenfeld & Nicolson.
2. —E. R. Bevan : The House of Seleucus, London 1902.
3. —E. Bickerman : Institutions des Seleucids, Paris 1937.
4. —H. A. Bouche-Leclerc : Histoire de Seleucides, Paris 1913.
5. —M. Cary & E. H. Warmington, The Ancient Explorers (Revised edition published in Pelican Series), 1964.
6. —G. Dawney : Ancient Antioch, Princeton University Jersey, 1963.
7. —A. J. Sachs & D. J. Wiseman, "A Babylonian King-List of the Hellenistic Period, Iraq, Vol. XVI (1954), pp. 202—212.
8. —W. W. Tarn, "Seleucid-Princeton Studies", Oxford Proceedng of the British Academy, Vol. XVI, Oxford University Press, 1930.



## الفصل السابع

### الوضع الاقتصادي والحضارية في بلاد الشام تحت حكم البطالمة والسليوقيين

لقد كانت الشام في عيون بطالمة مصر — مثلما كانت في عيون فراغتها من قبل — هي تلك السهول الخصبة والسواحل المتعرجة ذات الموانئ الهامة ، والقلل التي تكسوها غابات الأرز التي تصنع منها السفن الكبيرة القادرة على عبور البحار . ولما كانت الطبيعة قد حرمت مصر من غابات الأشجار ذات الأنخشاب الصالحة لبناء السفن ، فقد تمسك البطالمة — كما تمسك من قبلهم الفراعنة — بجنوب الشام ، فقد اعتمد البطالمة كثيرا على غابات الشام لبناء أسطول قوى ، تولى قيادته في عصر بطليموس الأول والثاني أجد الفينيقيين المتأخرين واسمه فيلوكليس Philocles والذي عينوه حاكما على مدينة صيدا : وبفضل سيطرتهم على موانئ الشام ، تمكنوا من مد نفوذهم على الحوض الشرقي للبحر المتوسط فيما بين سواحل آسيا الصغرى وسواحل القارة الأوروبية الجنوبية طوال القرن الثالث ق. م .

وطوال المائة عام التي حكم فيها البطالمة جنوب الشام والتي كانت تفصل بين معركة ابسوس عام ٣٠١ ق.م ومعركة بانتيون Paneion عام ٢٠٠ ق.م ، كان نهر الليطاني ( والذي كان يعرف وقتذاك بأسم نهر اليوثيروس ) هو الحد الفاصل بين حدود البطالمة جنوبا وحدود السليوقيين شمالا . وبينما حرص السليوقيون على التمسك بمزيد من مناطق بلاد الشام الجبلية والداخلية تأمينا لطرق القوافل البرية القادمة من موانئ الخليج وجنوب الجزيرة العربية حيث كانت دمشق هي أول مدينة استولوا عليها عند اندلاع الحرب السورية عام ٢٧٤ ق.م ، نجد البطالمة يحرصون على

ويفضلون التمسك بالسواحل فقط دون الاهتمام بالمناطق الداخلية مما جعل الوجود البطلمي في بلاد الشام ضعيفاً .

ولقد كان جوف سوريا Koile Syria ( سهل البقاع ) أو ولاية سوريا وفينيقيا — كما كان يطلق عليها رسمياً أيام البطالمة — مقاطعة مصرية مثل سائر مقاطعات مصر ، يتولى حكمها حاكم لإقليم بدرجة استراتيجوس Strategos يقوم الملك بتعيينه ، كما كان يملك حق عزله . ولقد كان إقليم سوريا وفينيقيا ينقسم لإداريا إلى عدد من المراكز الادارية والإمارات والمشيخات ، وربما كان هذا التقسيم متوارثاً منذ حكم الفرس للشام وقبل فتح الاسكندر للشرق ، بيد أنه خلال حكم البطالمة تمتعت بالاستقلال بعض المدن والأقاليم والمشيخات والإمارات خاصة مدن ساحل فينيقيا ، وكذلك بعض الإمارات خاصة امارة عمون Ammonitis ( عمان الحامية شرق الأردن ) والتي كان يحكمها شيخ صديق للأسرة البطلمية اسمه طوبيا Tubias يغدق عليهم بالهدايا بسخاء ، فعندما أقام بطليموس الثامن حديقة للحيوانات في الاسكندرية ، أهدى الشيخ طوبيا الحديقة بعض غرائب الطيور والحيوانات التي أدهشت بطليموس وزادت من مكانة الشيخ طوبيا عنده .

ان غزو الملك السليوقي أنطيوخوس الثالث لجنوب الشام وطرد البطالمة منها لم يغير من الأمر شيئاً ، إذ لم يعط أهل الشام لذلك التغيير أى اهتمام باستثناء الأنباط الأعداء التقليديين للبطالمة ، وكذلك يهود فلسطين الذين انقلبوا على الحكم المصري بسبب تشده في جمع الضرائب ؛ فقد استقبل اليهود أنطيوخوس الثالث استقبال الفاتحين ، وأنام هذا الملك على اليهود ببعض الامتيازات الخاصة بممارستهم لشعائهم الدينية دون التعرض لهم ، غير أن هذه الصداقة الزائفة بين يهود فلسطين والملك السليوقي لم تستمر طويلاً ، إذ سرعان ما دب الخلاف بينهم بسبب تدخل الملوك السليوقيين في اختيار المرشح لمنصب الحبر الأعظم عند اليهود . ولفضهم حركة الأغرة عليهم بالقوة .

أما الأنباط فقد كانوا ينعمون بالتجارة مع العرب السبئيين ؛ فقد كانت عاصمتهم البتراء محطة الوصول النهائية للقوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربية عبر طريق البخور الشهير ، محملة ببضائع العرب والهند وأفريقيا ؛ ولما تدخل بطليموس الثانى بأسطوله فى البحر الأحمر وتمكن من تحويل التجارة الشرقية بحرا الى الموانئ المصرية على البحر الأحمر ، اصاب الكساد تجارة السبئيين والأنباط ، ومنذ ذلك الحين وقف السبئيون الجنوبيون والأنباط موقف العداء من الحكم البطلمى ، بينما وثقوا علاقاتهم بالسليوقيين أعداء البطالمة ، وقد بينا من قبل كيف أن حملة بطليموس الثانى على بلاد العرب كان هدفها السيطرة على طريق البخور وقطع الطريق على القوافل حتى لاتصل الى بلاد الأنباط ؛ كما بينا العلاقة الوثيقة والحميمية التى أقامها هذا البطليموس مع عرب ديدان ، واقامته لخطم لاسى دأثم بن مينأها الحاجر وبين موانئ مصر على البحر الأحمر . ومن ثم يتضح أن اليهود والأنباط كانوا الأعداء التقليديين لوجود المصرى فى الشام .

كانت منطقة جنوب الشام بحكم الجوار والموقع والتاريخ أقرب ارتباطا بمصر ثقافيا وحضاريا واقتصاديا ، بل وسكانيا ، وحتى بعد وقوع هذا الجزء من الشام فى حوزة السليوقيين إلا أن مشاعر سكانه ومصالحهم الاقتصادية ظلت مع المصريين . ولم يكن التغيير سوى مجرد انتقال السلطة من الحكم البطلمى إلى الحكم السليوقى .

أما المنطقة من الشام التى كانت معقل الحكم السليوقى منذ البداية فقد كانت تتمثل فى الحوض الأوسط والشمالى للشام ، وهو الذى أطلق عليه السليوقيون اسم « سليوقية » Seleucia نسبة إلى سليوقوس نيكاتور مؤسس هذه الأسرة ؛ وكان إقليم سليوقيا يجاور من ناحية الشرق بلاد الرافدين ؛ ولما توسع السليوقيون نحوها حتى وصلوا الى مياه الخليج العربى ، ومنطقة شط العرب شريان الحياة الاقتصادية ، وذلك بعد أن أحكم البطالمة قبضتهم على البحر الأحمر ببناء المنغور على ساحليه الشرق والغربى ، بل وصلت

الامبراطورية السلوقية في مدها إلى حده د الهند شرقا . وذلك لتأمين جلب الأفيال الهندية وتدريبها على القتال . فقد لعبت الفيلة دورا هاما في حروب ذلك العصر ، وكانت بمثابة سلاح المدرعات في الجيوش الحديثة . وقد رد البطالمة على ذلك بزيادة نفوذهم على الساحل الأفريقي للبحر الأحمر لجلب الأفيال الأفريقية رغم أنها كانت أقل مهارة من الأفيال الهندية ، وأصعب عند تدريبها ، وكانوا يقومون بنقلها في سفن خاصة تمخر بها مياه البحر الأحمر ، ثم تساق إلى موانئ النيل حيث تنقل إلى معسكرات التدريب في صحراء منف ودهشور .

أماغبا وشمالا فقد توسعت الامبراطورية السلوقية حتى شملت آسيا الصغرى ، وكان أنتيجونوس الأعور خلال حياته للشام قد شيد لنفسه عاصمة على نهر العاصى في شمال سوريا ، سماها على اسمه : « أنتيجونيا » Antigoneia . ولقد كان نهر العاصى Orontes محط أنظار المستوطنين الأغريق منذ القرن التاسع ق.م . فقد كانوا قد أسسوا فيه مستوطنة أطلقوا عليها اسم بوسيدونيا ( أى مدينة بوسيدون رب البحار Poseidonia وهى مدينة المينا حالياً ) ، وفى هذه المدينة التقى التجار الأغريق مع الآراميين حيث حدث احتكاك حضارى كانت نتيجة تعلم الأغريق من الكتابة عن طريق الحروف الهجائية ؛ ولذلك ظل الأغريق يطلقون على أبجديتهم اسم الأبجدية النينقية . أما ساليوقوس نيكاتور ، مؤسس الأسرة فقد اختار مكانا لعاصمته في الشام بالقرب من مصب نهر العاصى وعلى بعد بضعة كيلومترات إلى الغرب من أنتيجونيا ، وأطلق عليها اسم أنطيوخيا Antiochia . تيمنا باسم ابنه أنطيوخوس ؛ ولا تزال هذه المدينة تحتفظ بذلك الاسم حتى الآن حيث تعرف باسم أنطاكية . وسرعان ما أصبحت أنطاكية عاصمة الامبراطورية السلوقية ومقر القصر الملكى وظلت كذلك حتى سقوط هذه الأسرة .

ولكى يحول السليوقيون مسار التجارة بعيدا عن الموانئ الجنوبية في فينيقية ذات العلاقة الراسخة مع مصر ، قاموا ببناء عدد من الموانئ الجديدة

على ساحل الشام الشمالى ، فأسسوا ميناء لاعدديكيما تيمينا بالأميرة السليوقية. لاعدديكى Laodike ( ابنة شقيق أنطيوخوس الأول وزوجة ابنه أنطيوخوس الثانى ) وهذا الميناء لا يزال قائما فى سوريا حتى الآن وهو ميناء اللاذقية . كما أسسوا ميناء حربيا آخر وهو ميناء أباميا Apamea على نهر العاصى ، أقاموه على أنقاض المستعمرة العسكرية الثمامية التى كانت تسمى بيلا Pella تيمينا باسم الملكة الفارسية أباميا زوجة سليوقوس نيكاتور مؤسس الأسرة ، وربما أسس هذا الميناء فى عهده أو عهد خليفته أنطيوخوس الأول . وكانت أباميا عاصمة لإقليم ، ومركز تجمع القوات السليوقية ؛ فقد كانت قلعة طبيعية محصنة . وبالقرب من أنطاكية أسس السليوقيون ميناء سليوقية بيرية Seleucia-in-Pieria عام ٣٠٠ ق.م لتكون ميناء طبيعيا للعاصمة أنطاكية . وقد استولى بطليموس الثالث عليها حوالى عام ٢٤٦ ق.م ، ولم يستردها السليوقيون الا على يد أنطيوخوس الثالث عام ٢١٩ ق.م ، ونظرا لأهميتها البحرية جعلها الرومان فيما بعد قاعدة للأسطول الرومانى .

وعموما ركز السليوقيون فى بناء المدن على منطقة شمال الشام لكي تكون بوابا عن مناطق النفوذ المصرى . وكانوا يطلقون على هذه المدن أسماء مقدونية خالصة ، وبعض هذه المدن كان اسماء المدن كانت قائمة فعلا فى مقدونيا . المارطن الأثم - ملوك آل سليوقوس - مثل مدن كور هستيكى Cyrrhестice وبيريا Pieria ؛ وقد سجل لنا أبيانوس Appianos أسماء ست عشرة مائة فى شمال سوريا كلها تحمل أسماء مقدونية منها على سبيل المثال لا الحصر بيرويا Beroia ( حلب الحالية ) ، واديسا Edessa ( عرفة الحالية ) وكذلك بيرنثوس Perinthos ، ومارونية Maroneia ، وكاليوبوليس Calliopolis ، وبيلا Pella ، وامفيبولس Amphipolis ، وأريثوسا Arethusa ، وأستاكوس Astacos ، وأبو الرنيا Apollonia ؛ وكلها

(1) Appion, ibid. 57.

( م ١٩ - مصر والشرق الأدنى فى العصر الهلينستى )

أسماء منقولة عن مدن كانت قائمة في مقلونيا . ويقول كورنمان أن سليوقوس حرص على عدم أغرقة الأراميين والكنعانيين في الشام ، أو أن يمزج الحضارة الآرامية بالحضارة الأغريقية في البداية ؛ إنما قصد أن يخلق مقلونيا جديدة في شمال الشام بكل حضارتها وثقافتها ؛ ولذلك فرض على المستوطنين الأغريق فيها طريقة الحياة المقلونية من مأكلا وملبس ومشرب وسلوك وثقافة . وكان الجنود المقلونيون هم عماد سكان هذه المدن ، وقد كانت الجيوش السليوقية تتجمع فيها في شكل حاميات دائمة . مثلما كان الحال في أنطاكية . أو في شكل مستوطنات عسكرية يتولى الجنود زراعة أراضيها ، ويديرون تجارتها وأسواقها حتى يستدعيهم الملك لحمل السلاح .

إننا لا نعرف الكثير عن طريقة الإدارة السليوقية لاقليم الشام ، فقد كان أقليم « سليوقية » في أغلب الظن يحكمه حاكم بالمرجة ستراتيغوس Strategos يختاره الملك ؛ أما المدن الرئيسية الأربعة وهى أنطاكية ، وأياميا ، واللاذقية ، وسليوقية بيريا (سليوقية الصغرى) فقد كان يحكم كل منها ستراب ؛ وذلك في نهاية القرن الثانى ق.م. ونعرف من خطاب كتبه سليوقوس نفسه عام ١٨٦ ق.م أن مدينة سليوقية الصغرى كان يحكمها موظف ملكى كبير يحمل لقب Epistates وربما أنطبق الحال نفسه على باقى المدن الرئيسية الكبرى في الشام .

ولقد سبق أن عرضنا كيف أن مظاهر التدهور بدأت تحيق بالدولة السليوقية منذ منتصف القرن الثالث ق.م ، فقد استولى البارثيون على إيران وإقليم باكترى (شمال أفغانستان) ، كما استقلت أرمينيا عن الإمبراطورية السليوقية ، ثم أجبر الرومان أنطيوخوس الثالث على الانسحاب من آسيا الصغرى وتسليمها إليهم وذلك في مطلع القرن الثانى ق.م ، كما بدأت العصبيات والتمردات الشرقية تظهر ويشد عودها وتهتم بلغاتها وتراثها كمحركة مقاومة تواجه الغزو الحضارى الأغريقى للشرق الأدنى ، وبدأت



هذه القوميات في الابتعاد عن الدولة السلوقية . وعندما حاول انطيوخوس الرابع أن يعالج هذا التنفخ ويعيد شمل الأمبراطورية عن طريق الاعتصام بحمل الحضارة والديانة الأغريقية ، وتطبيق مبادئها على جميع شعوب وقوميات الأمبراطورية ، ثار اليهود المتطرفون وقاوموا السلطات السلوقية عن طريق حركات التمرد وحرب العصابات ، وانتهى ذلك بقيام دولة المكابيين في فلسطين واستقلال أجزاء كبيرة من جنوب الشام عن الدولة السلوقية . وخلال حركات التمرد والفوضى التي شهدتها فلسطين ، استغل البارثيون الفرصة واستولوا على أقليم ، بابل وانكمشت حدود الأمبراطورية السلوقية الى غرب نهر الفرات . وفي القرن الأخير ق.م ؛ ازداد تدهور الدولة السلوقية بسبب الصراع على العرش وظهور مطالبين به ؛ وكانت روما المتطلعة لاحتلال الشرق الأدنى تنفخ في دخان هذه الخلافات . وكانت تناصر الضعفاء على الأقوياء ليس جبا في العدل وتطبيقا له ، وإنما لأنها كانت لا تريد ملوكا أقوياء يعطلون مشروعاتها السياسية في الشرق الأدنى ؛ وبالفعل انسلك عدد كبير من المدن عن الأمبراطورية خلال حروب المتصارعين على العرش ؛ كما كان الملوك السلوقيون يشترطون تأييد البعض الآخر باعلان استقلالها ، إذ لم يبق مدينة فيدية واحدة إلا وحصلت على استقلالها عادة بقرار من الملك . وفي عام ٨٣ ق.م استولى تيجران Tigranes ملك أرمينيا القوي على ما تبقى من ممتلكات الدولة السلوقية في الشرق ، بل واستولى على أقليم قلقيلية Cilicia في آسيا الصغرى وجزء من شمال الشام ، واضطرت روما الى التدخل عام ٦٩ ق.م لاجبار الملك الأرمني على الانسحاب من الشام. وكان آخر ملوك الدولة السلوقية - واسمه فيليب ؛ ضعيفا حكم خمس سنوات زادت فيها الأمور سوءا ، مما اضطرت القائل الروماني يوهي الكبير الذي كان في الشرق أن يدخل الشام عام ٦٤ ق.م . ويضع نهاية لوجود الدولة السلوقية ، وأن يضم الشام وفينيقيا حتى مدينة عكا Acre - والتي كان اسمها وقتذاك بطلمية Ptolemais - إلى حوزة الأمبراطورية الرومانية

تحت اسم ولاية سوريا Provincia Syria . وهكذا جاءت نهاية الأسرة السلوقية التي وضعت يدها على جزء كبير من إمبراطورية الاسكندر ، وأخذت على عاتقها مسئولية نشر الحضارة الأغريقية في الشرق الأدنى .

لقد كانت عملية أغرق الشام عملية ثقافية وعمرانية بحثة أى روحية مادية . فقد استوعب سكان الشام الآراميون اللغة الأغريقية العامة Koine ، وكذلك طريقه الحياة . والسلوك والمعيشة الأغريقية والتي انتشرت خاصة بين الفئات الأرستقراطية من الشرقيين والمدن تلقوا تعليماً ربيعاً على يد أساتذة إغريق أو متأخرين ، ولم يكن انتشار الحضارة الأغريقية وقفاً على مناطق المدن ، ومراكز الحضارة والعمران ، التي أسسها المستوطنون المقدونيون والإغريق ، بل وصلت إلى المدن الآرامية والفينيقية والكنعانية ، حتى بيت المقدس — أورشليم تسلمت إليه الحضارة الأغريقية . فقد أصبح لكل مدينة في الشام دار للترية أى جيمنازيوم Gymnasion ، وهذه كانت مركز النشاط الثقافي والحضارى الإغريق ، وقد تدفق عليها السوريون والآراميون لتلقى التعليم الإغريق وتخرجوا منها إغريقاً ولكن ساميون شرقيون ، وبلغ من عشق المدن السورية للحضارة الأغريقية أن تباغت مدن الشام بمسارحها وبما كان يعرض عليها من روائع التراجيديات .

وأمام هذا الاكتساح الجارف للحضارة الأغريقية تراجعت الحضارات السامية سواء كنعانية أو آرامية أو عبرية لتحتفى في معازل لها في المناطق الريفية النائية ، أو في مناطق المرتفعات الجبلية ؛ وظلت في هذه المعازل تدافع عن بقائها حتى بعد الفتح العربى ، ولا يزال حتى الآن ثلاثة قرى سورية تقع في شرق سورية تتكلم الآرامية وهى معلولة ونجعة وجب عدين . ولم تلبث الحضارات الآرامية والكنعانية أن بدأت تتسلل ليمتزج بالحضارة الأغريقية ، وساعد على ذلك اتجاه الإغريق إلى الزواج من آراميات وكنعانيات فقد كان أغلب الجنود والمستوطنين بلا زوجات ، ونادراً ما كانوا يجلبون

زوجات من مقدونيا أو بلاد اليونان ، كما أن المستوطن لكى يدغم نفسه بين السكان الوطنيين عادة ما كان يحاول الاندماج بينهم بالتصاهر ، على نحو ما فعلت الجيوش العربية بعد الفتح الإسلامى سواء فى مصر أو فى الشام ؛ ونتيجة لذلك ظهر جيل من الآراميين المتأخرين ، أو الأغريق الآراميين ، والكنعانيين الذين يجمعون بين الحضارتين لغة وعقيدة ويتوجهون بالعبادة للآلهة الآرامية والكنعانية والنيقية بعد أن أضفوا عليها الصفات الأغريقية مثل الأسماء والمظهر ، وأطلقوا عليها أسماء أغريقية مثل زيوس الأولمبي Zeus Olympios الرب القومى للإمبراطورية السلوقية ، والذى تقمصه الملوك السلوقيون ، وكان رمزاً الشمس والقمر والنبات ، وكذلك أرتميس Artemis ربة الخمر والبطء والإخصاب والعشق . وأصبح زيوس الأولمبي وأرتميس يعبدان فى كل ركن من أركان الشام فى العصر الهلنستى ، وأصبحا قريبي الشبه ببعض آلهة الشرق الأدنى مثل بعل شامين ( أى سيد السماء ) ، وعشتار أو عشتروت Astargatis الربة الأم فى ديانة الشرق القديم ، حتى أن بعض اليهود لم يترددوا فى معادلة هوة زيوس الأولمبي . وأغلب الظن أن المعابد التى أقامها الساميون الشماليون لزيوس الأولمبي ، وأرتميس فى مدينة جرش فى شرق الأردن التى كانت تعرف فى العصر السلوقي باسم انطاكية خريسوروماس Antiochia Chrysorroas كانت فى الأصل معابد أقيمت فوق خرائب معابد قديمة كانت مقامة فى الأصل لبعل شامين وعشتروت ، وكان لابد أن يمضى وقت طويل لكى تنتقل عبادة الرب ابولون لتأخذ مكانها بين الآلهة الوثنية فى الكعبة باسم هبل .

وفى بعلبك ( والى ترجع تسميتها إلى إدماج لفظين آراميين هما بعل أى « مولى » و « بك » أى سهول و بقاع ) وهى مدينة فينيقية قديمة بنيت للسيطرة على سهل البقاع الذى يفصل بين سهول لبنان و سهول سوريا ، لم يعثر على أى آثار سابقة لمصر الامبراطورية الرومانية ، وهذا يرجح أن تكون

هذه المدينة من تشييده أحد ملوك البطالمة المصريين أو حتى أحد ملوك الأيتوريين ،  
وقد بلغت بعلبك أوج ازدهارها في عصر الامبراطورية الرومانية حيث أطلق  
عليها الأغريق اسم مدينة رب الشمس Heliopolis . وكان رب الشمس  
الآرامي « شمش » يلقي التقديس من جانب المقدونيين الأغريق تحت اسم  
زيوس الأولمبي ، وهو نفسه بعل شامين ، الذي عبد في كافة أنحاء الشام .  
وفي العصور الرومانية تحول زيوس هليوبوليتانوس Zeus Heliopolitanos  
إلى اسم جوبيتر هليوبوليتانوس الرب المرادف عندهم . ولقد أصبح معبده  
في بعلبك مشهوراً يعطى المشورة والعرفاء للزائرين ولا تزال أطلاله قائمة  
حتى اليوم في قلعة بعلبك العربية . كذلك فإن مدينة القرافل الشهيرة تدمر  
( ومعناها بالآرامية تدمورا أى واحة النخيل ) والتي ترجم اسمها إلى نفس  
المعنى باليونانية وهو بالمورا Palmyra لا بد وأن تكون قد لقيت عناية من  
جانب السليوقيين لأنها كانت تلعب دوراً تجارياً هاماً في العصر الهلنستي  
خاصة وأن أقدم الوثائق التي جاءت منها مؤرخة في عام ٣١٢ ق . م وهو  
تاريخ مولد الامبراطورية السليوقية ، غير أن أعظم آثارها ترجع إلى العصور  
الرومانية .

وفي عام ٣٠٠ ق . م أقام الملك السليوقي سليوقوس الأول نيكاتور مدينة  
محصنة فوق أطلال مدينة آرامية مهجورة ، وأطلق عليها اسماً جديداً هو دورا  
Dura ومعناها بالآرامية الديار أو الجدار ، ثم أضاف إلى هذا الاسم اسم  
القرية التي ولد فيها في مقدونيا وهي يوروبوس وهي تقع في منتصف نهر  
الفرات في منتصف الطريق بين بغداد وحلب ، وكان الغرض من تأسيسها  
حراسة طريق القوافل المتجه إلى حلب Beroia ثم إلى تدمر ( بالمرأ )  
وحمص ، ثم جنوباً إلى بابل ، ولكي تكون همزة الوصل بين السرايات  
الواقعة في شرق الامبراطورية السليوقية ، وتلك التي تقع في غربها ، وبفضل  
أعمال التنقيب الذي قام بها فرانس كومونت Franz Cumont ، وميخائيل  
روستوفتس ، والتي مولتها مؤسسة باريس للنقوش الأدبية الجميلة :  
L'Academie Parisienne des Inscriptions et Belle Lettres.

وكذلك أعمال جامعة ييل Yale الأمريكية - أصبحنا نعرف الكثير عن دورا يوروبوس (والتي رأى روستوفتسيف أنها تشبه مدينة بومبي Pompeii الشهيرة في إيطاليا) ، فقد بنيت دورا على نفس التخطيط العمراني للمدن الهلنستية الذي ابتكره مهندس بناء المدن الأغريقي الشهير هيبوداموس الملبطى Hippodemos Meletios ، وأستخدمه السليوقيون في بناء مدنهم الهامة مثل بيرويا ( حلب ) ولواء وديكيا ( اللاذقية ) ، وهذا التخطيط يشبه لوحة الشطرنج بالنسبة لشوارعها المتقاطعة . وكان المقصود من بناء هذه المدينة أن تكون قلعة عسكرية محصنة محاطة بأسوار عالية ضخمة ، غير أن لا القلعة ولا الأسوار أمكننا بناؤها ربما لأن الحروب التي خاضها السليوقيون ضد البطالمة حول جنوب الشام وآسيا الصغرى حولت انتباههم عن إكمال بناء دورا يوروبوس . وفي عام ١٤٠ ق . م عندما اجتاحت الملك البارثي ميثراداتيس Mithradates إقليم بابل بجاءعاً نهر الفرات هو الحد الغربي لمملكته ، فقدت الامبراطورية السليوقية كل ما كان لها من ممتلكات شرق الفرات ، وبالتالي سقطت دورا يوروبوس في أيدي البارثيين بسهولة .

وبالرغم من وجود بقايا معابا قليلة ترجع بكل تأكيد إلى عصر السليوقيين مثل معبد زيوس الأعظم Zeus Megistos الذي شيد في عهد أنطيوخوس الثالث أو ربما أنطيوخوس الرابع إلا أن أغلب آثار دورا يوروبوس ترجع إلى فترات متأخرة من حكم السليوقيين . فلقد عاشت دورا يوروبوس أزهى عصورها تحت حكم البارثيين والرومان . وكسائر المدن الشرقية التي أقامها السليوقيون تشهد نقوش المعابد في دورا بصمود الآلهة الآرامية في وجه الآلهة الأغريقية والرومانية ، فإلى جانب ربهم جاد Gad حامي حصى المدينة ، نجد آلهة أخرى مثل بعل مردوخ وعشتارة Atargatis ( عطارد ) وأفلاد Aphlad الذي يعني بالآرامية بن الحداد ( ابن هيفاستوس ) ، وبسبب عدم العثور على وثائق سابقة على العصور البارثية والرومانية ، فإننا نعتمد على الوثائق البارثية وفي ضوءها نستطيع ان نرسم صورة واضحة لما كانت عليه دورا في العصور

السليوقية؛ ونعترف على نظم الإدارة التي كانت تطبق في المدن الأخرى التي بناها السليوقيون في الشام . فقد كان لكل مدينة مساحة كبيرة من الأرض الزراعية تقسم إلى قطائع Hecados ( أى مئويات ) مساحة كل قطاع مائة هكتار ، وينح كل قطاع إلى قبيلة أو جماعة أو عشيرة ، يطلق اسمها على ذلك القطاع ، ثم يقسم كل قطاع إلى حيازات صغيرة ( Cleoi ) توزع على أهلى المستوطنين . وبالرغم من ذلك كانت كل أراضي المدينة من الناحية النظرية ملكاً للملك السليوقي ، من حقه نزعتها وتوول إليه إذا مات صاحب الحيازة دون وريث يرثه . وكان أغلب من توزع عليهم هذه الحيازات من الجنود المقدونيين والأغريق بشرط أن يقيموا فيها ويقوموا بزراعتها ، وكان لهم حق التصرف فيها من الناحية الفعلية سواء بالبيع أو التنازل . وفي عصر البارثيين والرومان كان يوجد في المدينة مركز لتسجيل الأراضي وإشهار ملكيتها ؛ وسجل لتوثيق عقود الملكية ؛ وكان يدير شئون المدينة موظف كبير يعينه الملك ، ويتولى في نفس الوقت قيادة الحامية العسكرية الموجودة في قلعة المدينة ، بينما يتولى كبار رجال الإدارة الملكية الإشراف على تطبيق النظام والقانون ؛ وهذا النظام موروث بحذافيره من عهد السليوقيين .

ولقد ظلت ذكرى الملوك السليوقيين محنرة في وجدان أهل دورا حتى بعد سقوطها في أيدي البارثيين ، ويشهد على ذلك تلك اللوحة المحفورة بالنحت من العصر البارثي ، وتصور شاباً في زيه العسكري يتأهب لوضع الكليل من الزهور فوق تمثال « الجاد » وفي أسفل اللوحة نقش يقول « سلبوقوس نيكاتور » . ولقد ظلت سلالات الأسر المقدونية تحظى بمكانة اجتماعية بارزة في المدينة إبان حكم البارثيين مثل أسرة سلبوقوس بن لوسيلاس التي شغل أبناؤها منصب الحاكم والقائد Epistates Kai Strategos جيلاً بعد جيل حتى سقطت المدينة في أيدي الرومان عام ٦٤ ق. وتلى ذلك تضائل الروح الهلنستينية تدريجياً وفقدت المدينة شخصيتها وروحها

الحضارية الإغريقية وحل محل ذلك الفكر والحضارة الشرقية ، إذ لا نجد  
بعد ذلك التاريخ معبدا واحدا لرب أغريقي .

بعض مظاهر الحضارة في الشام في العصر الهلنستي :

١ - تخطيط المدن وهندسة العمران :

لقد سبق الإشارة إلى النشاط العمراني المحموم الذي قام به الملوك  
السلوقيون لشهر العمران وبناء الخواصر سواء في الجناح الشرقي للأمبراطورية  
مثل العراق والخليج ، أو في الجناح الغربي المتمثل في الشام وفلسطين ،  
فقد تلالا في الشرق الأدنى مدن كثيرة مثل انطاكية ، والأذقية ، ودورا  
يوروبوس وأباميا وغيرها . وهذه المدن - رغم أنها اعتبرت جديدة في  
اسمائها - كانت في الحقيقة مدنا آرامية قديمة أعيد بنؤها وأعيد تسميتها ،  
أو على الأقل بنيت الخواصر الهلنستية على مشارفها ثم أدخلت في حيزها  
لتصبح أحياء شرقية آرامية داخل المدينة الهلنستية - رمز المواجهة والمزاج  
الحضارات والثقافات والأجناس والتي هي المثل العليا لأفكار الإسكندر  
الأكبر . ولقد أصبح دور المدينة الإغريقية في العصر الهلنستي دوراً ثقافياً  
بعد أن فقدت دورها السياسي ، ومن ثم أصبحت مراكز تشع الثقافة  
والأبداع الفني والفكري ، وتتسابق فيما بينها في هذا المجال .

ولقد شهد العصر الهلنستي تقدماً كبيراً في فن التخطيط العمراني وفن

بناء المدن وتنظيمها وهندستها ، والأهتمام بطبوغرافيا المكان ، إذا لم تعد  
المدن تقام عشوائياً وحيثما إتفق وإنما بعد دراسة دقيقة ، فقد حرص  
المخطط على اختيار موقع بناء المدن عند مصبات الأنهار في البحار أو  
فوق المرتفعات الإستراتيجية المتحكممة في طرق التجارة البرية والبحرية ،  
أو في السهول والواحات التي تخترقها قوافل التجارة ، أو في المواقع  
الاستراتيجية التي يتطلبها الدفاع والتحصين .

ولقد شهد العصر الهلنستي تقليماً جديداً وضعه هؤلاء الملوك البناؤون ،

وهو الحرص على أن تقوم كل مدينة بالاحتفال بتاريخ وضع الحجر الأساسى فيها ، وإقامة شعائر دينية ، ومهرجانات ثقافية ، وأعياد ترفيهية سنوية ، تربط بين عبادة المؤسس وعبادة المؤسسة . فقد أقام سليوقوس نيكاتور مهرجانا كبيرا عندما وضع أساس مدينة أنطاكية ضرب به المثل في الترف ، بل قيل أنه قدم قربانا بشريا وهى عذراء جميلة أسمها أماثيا Amatheia ؛ ولذلك يعتقد البعض أن التمثال الرسمى للمدينة أنطاكية ، والذي أبدعه النحات أو يتيخيوس ، وكان يجسد أنطاكية فى شكل فتاة جميلة ، والذي أطلق عليه بعض المؤرخين اسم « ربه الحظ السعيد أنطاكية » Tyche-Antiocheia لم يكن فى الأصل غير تمثال أماثيا الأضححية البشرية .

كان النسق التخطيطى الذى اتبع فى بناء الحواضر السليوقية فى الشرق الأدنى هو نفس النسق الذى اتبع فى كل مكان فى العصر الهللىنىسى بدءاً من بناء مدينة الإسكندرية فى مصر ، والذي يتمثل فى الشوارع المتقاطعة رأسياً مع أخرى فقية فى شكل لوحة الشطرنج ؛ وداخل هذا الإطار يحدد المخطط بناية موقع كل مرفق سواء كان معبداً أو قصرأ ، أو ملعباً للرياضة أو سرقاً أو ساحة agora أو مسرحاً أو مكتبة ، وهنا يلتقى الفكر الحضارى والثقافى مع الهندسة والتخطيط العمرانى من أجل هدف راحة الإنسان الذى أصبح جوهر الاهتمام من جانب الفلاسفة والمفكرين . ولقد ذكرت المصادر مثلاً أن الذى وضع تخطيط مدينة أنطاكية عاصمة الدولة السليوقية مهندس شهير اسمه كسينوس Xenos ؛ فقد أصبح مخططو المدن يتمتعون بشهرة لا تقل عن شهرة مشاهير الأدباء والفلاسفة والفنانين ، بل فاقوهم قدراً ، إذ أن خلودهم يرتبط بخلود المدن التى أسسوها وأصبحت حديث العالم .

ومن أهم ملامح التخطيط العمرانى للمدينة فى العصر الهللىنىسى إحاطتها بسور منيع له بوابات كبرى تغلق وتفتح فى أوقات معينة لحراسة السكان والدفاع عنهم واللود عن ممتلكاتهم ؛ وكان قلب المدينة هو القلعة التى تعسكر فيها الحامية وتوجد فوق الكروبول عال يشرف على المدينة ، وفى



أغلب الأحيان كانت هذه القلعة هي مقر الحكم ، يمارس منها الحاكم سلطاته في الاشراف على المدينة والدفاع عنها وحراسة الطرق التجارية التي تمر بها . وكانت شوارع المدينة متوازية ومتقاطعة مع بعضها البعض بزوايا قائمة ، وعلى جانبي الشوارع تقوم الأروقة المسقوفة Stoa ( أو القيساريات كما عرفت في المدن الإسلامية ) ، وعند التقاء الشوارع الكبرى تقام أقواس النصر ذات البوابات الثلاث Triapylai ، ولا يزال حتى اليوم في مدينة اللاذقية السورية أحد هذه الأقواس قائما في مكانه ولقد كانت السوق أو الساحة العامة agora هي قلب النشاط الاجتماعي والتجاري والثقافي ،

وكانت تقام حول المعابد والقصر . ومن أهم الآلهة الأغريقية التي اهتم الملوك السليوقيون بتشييد المعابد لها معبد أبوللو ( أبوللون ) Apollo رب الشعر والموسيقى والرياضة والحضارة ، فقد نسبت الأسرة السليوقية جذورها إليه . وكذلك معبد رب الخمر ديونيسوس الذي حاول بعض ملوك الأسرة السليوقية نشر شعائره بين الشعوب الآرامية كرمز لوحدة الإمبراطورية ، ومن الربات الأغريقيات اللاتي لقين إهتماما من جانب الملوك السليوقيين ربه الحظ السعيد طرخي Tyche ، فقد عثر على معابدها في كل من مامينة أباميا Apamea ومدينة دورا يوروبوس Dura-Europus ولقد برز دور المسرح في العصر الهلنستي كأداء التسلية والتثقيف ، كما ازداد دور ملعب الرياضة وملاعب سباق الخيول hippodrome والعربات حيث كانت تقام فيها الاحتفالات والمسابقات الدورية ، والمهرجانات الاستعراضية التي يسير فيها الجنود بزيهم المبهرج القشيب وقبعاتهم الغريبة . كما ازداد دور معاهد التربية الرياضية والثقافية والتعليمية الأغريقية التي عرفت بأسم الجمنازيا gymnasia ، ولقد حرص الملوك السليوقيون على تزويد هذه المدن بالمياه العذبة . وزرع الحدائق الغناء ، وإقامة التماثيل الجميلة في كل مكان من المدينة . وخلاصة القول حرص مخطط المدن السليوقية سواء في الشام أو الرافدين على أن يوضع في إعتباره أهم عاملين هما : الدفاع والجمال . ولكن للأسف تعرضت أغلب مرافق هذه المدن مثل المعابد ، والقصور والدمار

وكونوا بقتيت لامتداد علماء الآثار أن يتعوفوا على مدى استنادة مخطوطي هذه المان من تراث المهارة الشرقية وتوظيفها داخل الأطار الهلينيستي .

## ٢ - الفنون والآثار :

وبالمثل تعرضت لغلب أعمال النمنون الوثنية في الشام لنفس المصير ، ولم ينج من الدمار سوى النذر اليسير ؛ والذي حفظته باطن الأرض من أن تمتد إليه يد التخریب سواء من جراء الحروب الملاحنة التي شهدتها المنطقة . أو لانتصار الرسائل السماوية على الفكر الوثني ، وربما أيضاً لقلة أعمال التتقيب العلمي المنظم في أطلال المان القديمة . ومنهما كان الأمر ، فقما كان العصر الهلينيستي نقطة تحول في تاريخ الفن في الشرق الأدنى فقما انتهى الفن الآرامي وفنون بلاد الرافدين ومجنياً بوجه مع الفن الأغريقي والوافي ، فأخذ كل من الآخر ، بالاضافة الى ذلك كانت مرحلة الحكم السليوقي لبلاد الشام والرافدين بداية جديدة لتاريخ الممالك الآرامية والساسانية . فقما تغيرت فيها فلسفة الحياة ، وتبدلت طريقة التفكير ، وتحرر الإنسان الشرق من قيود الموروثة ، وظنرت نزعاته الفردية المستقلة عن هيمنة المبدأ والكنهوت ، وإزداد ميل الإنسان للعزيمة كما خلقتها الله . يبتلع منها أفكاره ، ويشبع نفسه من جمالها والتأمل في سرها ؛ وحرص على التعبير في فنونه على الحركة العنيفة والعواطف الجياشة التي تتقده من ملامح الوجه Pathos ؛ وبأالفنان في الشرق يهتم بالإنسان وواقعه ويتحرى عن حقيقته ، ويحاول رصا غرائزه وعواطفه ونزعاته ومشاعره ، الى جانب تميز هذا الفن بركة الشعور ، ورهافة الحس ، في وقت كانت فيه المان الكبرى في الشرق مثل الأسكندرية وانطاكية وبرنجامون تنافس فيما بينها على الأبداع والخلق والابتكار . لهذا تغير مجهر الفن وتبدل فكر الفنان ، فأصبح يهتم بالواقع ويركز على الحقيقة حتى كادت هذه التماثيل ذات التعابير الحاملة ، والنظرات الشاردة ، والملامح التي تنطق بجمال الكون

والمخلوقات ، أن تنطق بالحياة . فقاء أصبح الأنسان هو رمز الوجود ،  
ومقياس الجمال ، ووسيلة التعبير عن العواطف الجياشة ، والمشاعر المتاجججة  
والأفكار الأنسانية السامية . ولقاء كان لممارسة الفنان الشهير ليسيبوس  
Lysippos أثر كبير في ظهور الأسلوب الواقعي ، والأهتمام بأبراز  
الملامح الفردية التي يمكن من خلالها التعرف على الشخص بعينه . من ملامحه  
المتميزة أو بصمة الملامح مما أدى الى ظهور فن البورتريه Portraiture ،  
كما ساعد رغبة الملوك في تخليد ذواتهم الى درجة العبادة في ظهور هذه  
التماثيل الخاصة بهم وكذلك التماثيل النصفية busts للملوك والقادة ومشاهير  
الفلاسفة والأدباء والتي تسجل الملامح الفردية لكل منهم بدقة .

ولقاء كانت انطاكية تزهر في عيلاء . مالها كبرة الشرق الأدنى ،  
وتفخر بثرواتها وثقافتها ، فقد أغلق الملوك السليوقيون بسخاء على تعميرها  
وتشجيع الفنانين على الأبداع والابتكار . ومن أشهر الأعمال الجليلة التي  
تمتعت في ذلك العصر ذلك التمثال الذي تجزه النيران أوتيتخيوس أجداء  
تلاميذ ليسيبوس أو الذي كان يمثل انطاكية في شكل ربه الحظ السعيد  
Tyche وهو عبارة عن تمثال فتاة جميلة ، ترتدي ثوباً فضفاضاً يكاد يشف  
عما تحته ، وقد جلست على صخرة تميلك بيديها حزمة من سنابل القمح ،  
ويعلو رأسها تاج يأخذ شكل أسوار انطاكية ذات الأبراج المفاعية . وحذاء  
قدميها يبارق نهر العاصي orontes الذي تطل عليه المدينة ، وقاد تشكل في  
هيئة إنسان باسطا كلتا يديه في إغراق وباقرب منه ظهرت حوريات الماء  
Naiads المكلفات برعاية وحراسة الأنهار وهن « بنات زيوس » كما  
سماهن هرميروس .

ويتوقع الأستاذ شارل بيكارد Charles Picard وجمرد مدرسة  
فنية في الشام في العصر الهلنستي ميزت نفسها بتماثيل النساء البائيات نسبياً  
فقد ايبس الجمال الشرقي تضع البائات كاحاً ، شروطيناً بعكس ما ايبس الجمال

الغربي التي تتميز بالرشاقة والنحافة الى حد ما ، ويرى أن نموذج هذه الملموسة يتمثل في أحد تماثيل أفروديت وهي تضع قدمها على ظهر سلحفاة ، وقد عثر على هذا التمثال في أطلال مدينة دورا يوزوبوس ، ويرى أنه يمثل أسلوب مدرسة أنطاكية النضية ، والذي كان من أهم خصائصه المبالغة في ميلان جناح الجسم الى الجانب في حالة استرخاء تام كتعبير عن الأثارة الشموانية الشرقية ، ونفس الخصائص تتكرر في تمثال عشتار - أفروديت الذي عثر عليه في صيدا بلبنان . وعموماً يلاحظ كثرة وجود تماثيل أفروديت في الشام في العصر الهلينيستي وذلك تديحاً بأن الشرق الأدنى هو الموطن الأصلي لأفروديت الأغريقية التي توالت من عشتار الشرقية . ومن ثم فقد كان من الطبيعي وقد انتقل المهاجرون الأغريق الى الشرق الأدنى أن تتلقى أفروديت عشتار اهتماماً خاصاً من الفنانين محابيين اصفاء مقاييس الممن الشرق عليها سواء في الجسم ، ونسب اجزائه ، أو في إبراز الأثارة والانتقال النفسي على ملامح الوجه . كذلك من تأثيرات فكر الشرق الأدنى تظهر تماثيل أفروديت عشتار في صور محتشمة ذات وقار ، ترتدى الرداء بعكس صورها في الغرب اليوناني . وذلك إشارة الى إحتقار شعوب الشرق الأدنى لتعري المرأة ، وفي بعض الأحيان توصل الفنان الى صيغة ترضى الشرق وتحافظ على التراث الفن الغربي وهو تمثيل أفروديت وهي ترتدى ملابس ولكن مبتلة بالمياه ، حيث يلتصق الثوب بالجسم فيكشف عن تفاصيله بدقة ، وقد عثر على نماذج من هذه التماثيل في كل من اللاذقية وحمص . وعموماً ، يمكن القول أن الفنان الهلينيستي في الشرق الأدنى قاء نجاح في التعبير عن جمال المرأة المتأثرة بثيابها المحلية العارية النضفاضة كما تميزت تماثيله في المبالغة في أنواع الحلى التي تزين بها .

ومن الموضوعات الأخرى التي اشتهرت فنان الشرق الأدنى في العصر الهلينيستي تمثال زيوس رب الأرباب عند الأغريق وقد تشكل في هيئة يذاعب الحسناء الفاتنة ليدا Leda ، ومن المعروف أن الاسطورة اليونانية التي راجت في الشرق الأدنى في العصر الهلينيستي تقول أنه نتيجة

لإتصال زيوس بالأميرة إليدا ، 'وضعت الأميرة بيضتين فقسمت أحدهما  
وخرج" منها الاميرة هيلينا التي نسيبت في قيام الحرب الطرواوية بينما  
خرج من البيضة الثانية الشقيقان ( المديسكوري ) كاستور Costor ،  
وشقيقه بوللكس Pollux .

ومن الموضوعات التي استهوت فنانى الشرق الأدنى أيضاً تمثال إيروس  
( كيويدي ) وهو يعانق الحسناء بسونخى Psyche اى « النفس » ، فقد  
ربط بين عذاب الحب والنفس ، وهذا يذكرنا بقول افلاطون ان بسونخى  
تهبط من قصرها العلوى إلى سجنها الأبدى في قصرها المسحور ، فهذه الربة  
كانت رمزاً للمفهوم الروح الإنسانية وعذابها في سجن الجسد ، وطموحها  
للتحرر منه والعودة إلى عالم الخلود الأبدى ، فأيروس - الملى - صدمه افلاطون  
في محاوره أجاثون Agathon « بأنه اصغر الآلهة ولكنه اكثرها سعادة ،  
واشدها عبثاً بقلوب البشر وبقلوب آلهة الأولمب » - بدأت تماثيله تكثر لأنه  
كان رمزاً لتأجج الحب والعشق في عصر العواطف الجياشة ؛ غير أن للنسائ  
الشرق الأدنى تظهر في بعض الإضافات ؛ ففي تمثال له عمر عليه في حوران  
في قرية الشيخ سعاد بشرق سوريا ، ظهر وقد تزين صدره بغطاء له دلالة  
في شكل هلال القمر ، ومن المعروف أن الهلال ارتبط في ثراث الشرق  
الأدنى بعبادة الأجرام السماوية عند الساميين ، بل أصبح أساس التقويم القسري  
عندهم . بالإضافة إلى ذلك اقتبس فنان الشرق الأدنى الكثير من العناصر  
الزخرفية النباتية المحلية مثل سعف النخيل ، وبعض الأشواك الصخر اوية ،  
وكذلك الزهور البرية خاصة زهرة الموتس . وكذلك أغصان الكروم وعناقيد  
العنب ، فترك للتراث الفنى عناصر زخرفية متنوعة تميزت بطلابها الشرقى  
الأصيل وقيمتها الجمالية الراقية

### ٣ - النقود والفسيفساء :

ومثلما تمسك الفنانون بالأسلوب الواقعى والملاحم النمردية عند تصوير  
أو نحت تماثيل الملوك السيلوقيين ، فقد حرصت دار سك النقود الملكية على  
تصوير الملوك ملاحهم المميزة على وجه العملات النقدية . وجدير بالذكر

كان الملوك السليوقيون في مطلع حكمهم للشام والأفنديين يحرصون على تقليد هيئة الإسكندر الأكبر في صورهم والتي جسدها الفنان الشهير ليسيبوس واتبع فيها الأسلوب المثالي الحالم ، المحسد لكل معاني الكمال والجمال الإنساني ، حتى إمامة الرأس إلى الجانب قلدها ، غير أنه بانتهاء حروب الورثة التي هلك فيها أسرة الإسكندر الأكبر ، اكتشف الفنان جمال الواقع ، وضرورة التعبير عن الإنسان كما هو وليس كما يجب أن يكون ، ولهذا بدأ رصده ملامح الأفراد وبصمات تقسيم وجهه الخاصة خاصة بالنسبة للملوك لأن صورهم اعتبرت رسمية ذات نمط واحد ، وتقام في كافة أنحاء الامبراطورية . ولما كانت النقود أكثر توزيعاً وحركة فقامت بشدة بتصوير الخصائص الفردية لكل ملك حتى أننا يمكننا التعرف عليه دون حاجة إلى قراءة اسمه .

ومن ناحية أخرى فإننا نلاحظ أن الطابع المحلي الشرقي لم يظهر على النقود إلا منذ أن حصلت بعض المدن الكبرى في الامبراطورية السليوقية على حق ملك النقود وذلك في عصر الملك سليوقوس الثاني كالينوس (٢٤٦-٢٢٦ ق.م) ، وكذلك في عهد الملك انطيوخوس الرابع المتعجل إبيفانيس ١٧٥-١٦٤ ق.م ، إذ صور على وجه العملة الأول صور بعض الآلهة الآرامية القومية مثل ملقارت Melicartes وبعل ، وعلى الوجه الآخر صورت الآلهة الأغريقية المحببة في الشرق مثل طرخي ربة الحظ وديكي dike ربة العدل وغيرها .

وبسبب الأثر في بناء القصور والمعابد كثرت صور الأفسيفساء Frescoe التي تصور مناظر زخرفية وحادثاتها التصويرية النبات والحيوان وكذلك بعض موضوعات الأساطير خاصة تلك التي ترمز إلى ردع الحاقدين والحاسدين كصورة ميلوسا ، وبعض حوريات الأنهار ، وقد بلغ من جمال ودقة الزخرفة أنها تبدو كما لو كانت أبسطة شرقية مزخرفة . ولهذا استخدم هذا الفن لزخرفة أرضيات القصور والمعابد وبعض جدران المباني الهامة ، ولأسف هلكت هذه الأرضيات مع تدمير المباني ، ولم يتبق سوى شذرات قليلة منها تشهد بروعة الإبداع والتعبير في هذا الفن .

#### ٤ - الحلى والزجاج :

لا يستطيع المدارس لحضارة الشرق الأدنى في العصر الهلينيستي أن يغفل أهم صناعتي فنييتين ازدهرتا في هذا العصر وهما صياغة الحلى كالذهب والفضة ، وصناعة الزجاج ، إذ أن رغبة الإنسان في الشرق الأدنى التزين بالحلى من أقوى الرغبات وأقدمها عهداً ، فقد ظهر فن صياغة المعادن النفيسة في مصر والشرق الأدنى حتى منذ عصور ما قبل التاريخ ، ويرى بعض علماء الاجتماع أن عادة ثقب شحمى الأذنين لتزينها بحلقة ذهبية كانت من ابتكار الشرق الأدنى . ويؤكد الأمتاذ روجيه ميليس أن بلاد الحثيين كانت غنية بالمعادن النفيسة التي كانوا يبيعونها للهنديين . لتصنيعها في شكل قطع من الحلى للرجال والنساء ، وبمرور الزمان توارثت طبقة من الصناع هذا الفن الماقى الذى بلغ قمة ازدهاره في عصر الامبراطورية السلوقية ، فقد كانت هذه الصناعة تلى عطفاً وتشجيعاً ورعاية من جانب الملوك السلوقيين ، فقد روى أن انطيوخوس الرابع كثيراً ما كان يترك حاشيته ليتجول بمفرده في أسواق صناعة الذهب والفضة في أنطاكية ، وقد دخل هذه الصناعة اليهود وتخصصوا فيها حتى عصور متأخرة بل وحتى ظهور الإسلام .

ولم يكن فنانون هذا النوع من الصناعة يختصون بالحلى الخاصة بالأفراد ، بل تفننوا أيضاً في زخرفة التيجان ، بل انتقل هذا الفن إلى زخرفة الثياب الموشاة بخيوط الذهب ، والفضة . وكذلك مقابض الأسلحة والأدوات الخاصة ، وإن كثرة الأقراط المكتشفة في الشام من العصر الهلينيستي تبين ما أضافه صائغو المعادن النفيسة من ابتكارات جديدة مثل الأقراط التي يتدلى منها رعوس ربات محبوبة مثل ايزوس وطونى وآثينا ، و رعوس حيرانات استخدمت كتمايم للدروع الحسد ودفع الشر . وفي أواخر العصر الهلينيستي ظهرت الأقراط المولفة من حلقات يعلو بعضها البعض ومزينة بكرات صغيرة من الذهب ، فقد كان الاعتقاد الشعبى الشائع في الشرق الأدنى أن الشكل ( م ٢٠ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلينيستي )

المكروى يبعد الشر والحسد ؛ كما عثر على عدد كبير من الأساور التي تنتهي  
بشكل حية أو ثعبان ، وهو الشكل المستخدم في التأمم ، كما أبدع الفنان  
الشرقي في صياغة المشابك الذهبية .

أما عن الزجاج ، فترجع صناعته إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ،  
فقد عثر شيفر Shaefer في أوغاريت على نخاتم زجاجي أزرق وأوعية من  
الزجاج صنعت بطريقة الصب على جسم رملي ؛ غير أنه في العصر الهلنستي  
بدأ الفنانون يزينون سطح هذه الأواني الزجاجية بأشكال زخرفية تشبه ريش  
الطيور وأغصان الشجر ، وذلك عن طريق الكشط والحز والنقش . وفي  
أواخر العصر الهلنستي ابتكر الفنانون في الشام طريقة صنع الزجاج النسيجي  
والزجاج المليفوري : وتتلخص طريقة الزجاج النسيجي في تجميع قضبان  
زجاجية مختلفة الألوان وتحويلها إلى كتلة اسطوانية واحدة بفعل الحرارة ،  
ثم يقطعونها في شكل شرائح تبدو فيها مقاطع تلك القضبان الزجاجية الملونة ،  
ثم تحول هذه الشرائح إلى أواني بواسطة القوالب والحرارة ، إذ استخدمت في  
صناعة كئوس الشراب التي يوحى منظرها بشكل الفسيفساء الزجاجية ؛ أما  
الزجاج المليفوري فتميز صناعته بخمس هذه القضبان في عجينة الزجاج .

### ٥ - تطريز الثياب والصباغة الأرجوانية :

ومن أهم الفنون التي اشتهرت بها بعض مدن الشام في العصر الهلنستي -  
خاصة اللاذقية - تطريز الثياب بخيوط المذهب والنمضة والتي كانت تصدر  
إلى كافة أنحاء العالم القديم ؛ كما عرف الحرير في الشام ، والذي كان أهل  
الصين قد توصلوا إلى استخراجهم من دود القز وأبقوا صناعته سرّاً ، وكانوا  
يصبغونه في « بالات » عن طريق القوالب التي تقطع النخوم الشرقية  
للإمبراطورية السلوقية ، ومن الجدير بالذكر أن الحرير وصل إلى الإسكندرية ،  
فقد عرف أن الملكة كليوباترا السابعة كانت لا ترتدى غير الحرير .

وبالنسبة لفن الصباغة باللون الأرجواني النادر فقد ابتكره الفنيقيون .



وبسببه عرفوا بهذا الاسم ، وكان لوناً يحظر استخدامه إلا في صبغة ثياب الملوك وعلية القوم ، وقد ازدهرت هذه الصناعة في الشام بسبب وجود أصداف الموريق Murex الأرجوانية قرب سواحل فينيقيا . ولقد حرص السليوقيون على تشجيع هذه الصبغة ، وكانوا يصدرون الأقمشة الأرجوانية وتلك المخلاة بخيوط الذهب والفضة إلى الشرق والغرب . ومن الجدير بالذكر أن هذه الصناعة ظلت مزدهرة في الشام حتى العصر الإسلامي .

### بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والفكرية في الشام :

وبالرغم من أن الحضارة الهلنستية أخذت تذوب في بحر الحضارة الآرامية تدريجياً ، إلا أن تأثيرها كان على الشرق الأدنى كبيراً ، فمن خلال معاهد الجمنازيا ( معاهد التربية والتعليم ) الأغريقية ، حصلت أعداد كبيرة من الشرقيين على قدر وافر من الثقافة الأغريقية ، وتخرجوا منها أغريقاً في ثقافتهم وعقليتهم ؛ ولعب بعضهم دوراً بارزاً في تاريخ هذه الحضارة ، نذكر منهم بوسيدونيوس Poseidonius ( ١٣٥-٥١ ق . م ) المؤرخ والفيلسوف والجغرافي الكلبى (١) وعالم الفلك والفقيه في علم الأديان . والذي قال عنه إيسترايون « لقد كان أكثر الناس علماً في أيامى » ، ومنهم أيضاً ملياجروس Meleagros ابن مدينة جادارا Gadara ( ١٤٠ - ٧٠ ق . م ) (جنوب بحيرة طبرية) ، وكان شاعراً وفيلسوفاً كلبياً سائراً وتهكماً ، أمهم كثيراً في تاريخ الشعر الأغريقى في العصر الهلنستى ، وعاش متنقلاً ما بين ميناء صور وجزيرة كوس (٢) وكذلك أنثياتر الصيداوى ؛ إننا نعرف القليل عن حياة

(١) الكلبية هي ملهبة فلدنى يونانى ، يؤمن بأن الفضيلة هي الخير الأوحده ، وبأن جوهرها هو ضبط النفس ، وبأن سلوك البشر تهيم عليه المصالح الذاتية وحدها ، وعبر عن موقفه بالسخرية والتهكم .

(٢) أنظر : فيليب أميل لجران : شعر الاسكندرية نقله إلى العربية د . محمد صقر خفاجه ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٢ ، ص ١٥ ، ١٧ ، ٩٤ ،

بوسيدونيوس المبكرة ، فقد ولد لأسرة ثرية في مدينة إماميا على نهر العاصي ؛  
وفيها تلقى تعليمه الأول . ومن واقع تجربته الثقافية والحياتية ؛ يقدم لنا  
صور تنبسط بالحياة الفكرية في القرن الأخير من حكم السليوقيين ، إذ كتب  
يقول « والحياة في المدينة السورية سلسلة مستمرة من المناسبات الاجتماعية ؛  
إذ كانوا يستخدمون حمام الجمنازيوم ، حيث كانوا يدهنون أجسامهم  
بالزيوت النادرة ، وبالمر ؛ وتموج المدينة من اقاصها الى اقاصها بأصوات  
عازفي الهارب ؛ والعباب المبارزة التي هي إحدى طقوس عبادة الحسم ،  
وتنميتها ، وأهم ملامح التريبة الأغريقية (١) » ، التي فشلت في أن تجد لها استجابة  
من جانب الرعايا الشرقيين لملوك العصر الهلينيستي . ان إشارة بوسيدونيوس  
الى الجمنازيوم تبين أنه كان حقا سوري الأصل . أما ملياجروس الجداري ،  
فقد كان — كما أشرنا من قبل — من مواليد مدينة صور ، تلك المدينة  
الفينيقية العريقة . وقبل موته كتب نقش شاهد قبره بلغة مثيرة تلقى الضوء  
على عقلية السوري المتأغرق ابان القرن الأول ق.م يقول نقش شاهد قبره  
« صور هي مرضعتي ، وموطنى الاتيكي أنجبني لجادارا التي تقع في سوريا  
أنا مليا جروس بن يوقراط Eucrates نشأت في كنف ربات الفنون والآداب  
مقلدا أعمال مينيبوس Menippos الأولى رغم اني سوري . وماذا يدهشك  
في ذلك أيها الصديق ، فنحن نسكن أرضا واحدة هي الأرض ، وعصر  
العماء الذي جاء بنا من الندم أوجد جميع الناس » (٢) لقد وصف ملياجروس  
وطنه الاتيكي بأنه مدينة جادارا السورية ، التي تقع في الجنوب الغربي من بحيرة  
جنزاريت Genezareth (طبرية) ؛ وكانت إحدى اتحاد المدن العشر Decapoliis

وكذلك أنظر : د. محمد حدى إبراهيم : الادب السكندري ، دار الثقافة للنشر والتوزيع  
القاهرة ١٩٨٥ ص ٢٤٤ - ٢٥٦ ؛

وكذلك أنظر : محمد محمود السلاموني : « ملياجروس السوري » مقال منشور بمجلة  
كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ١٥ ( ١٩٦١ ) ص ٥٦ وما بعدها .

(1) E. R. Bevan : The House of Seleucus, London 1952, P 22

(2) F. A. Wright: A History of Later Greek Literature, London  
1951, P. 156—158.

في شرق الأردن (منها فيلادلفيا رباط عمون Philadelphia Rabbath Ammon عمان) ، وسكيثوبوليس Scythopolis (بيت سيان) وسجرش Gerasa . وقد ظل أبناء جادارا يتمسكون بالتراث الوثني الأغريقي . حتى العصر المسيحي . ففي العصر المسيحي أصبح لفظ هليليني (أغريقي) يرادف لفظ وثني وذلك في فلسطين وسائر أجزاء الشام وفينيقيا ؛ فقد كان أبناء الطبقة الراقية بصرف النظر عن أصولهم العرقية أو أماكن ولادتهم يعرفون باسم الهللينيين ، فالمرأة التي جاء ذكرها في أنجيل مرقس (١) «أغريقية من أصل عرقى سورى فينيقي» هو المثل التي كانت تعنيه كلمة هليليني في ذلك الوقت ، أي أنها كانت أغريقية بحكم التعليم والثقافة وليس بالمراد والعرق . فالثقافة والتعليم الأغريقي كانت الرابطة الوسيطة التي وجدت بين جميع شعوب وقوميات الإمبراطورية السلوقية .

ولقد سجل بوسيدونيوس بقلمه اللاذع وصف معركة حامية الوطيس وقعت بين أهل مدينة أباميا موطنه ، وبين سكان مدينة مجاورة هي مدينة لاريسا ، بين فيها أن السوريين في العصر الهلينيستي تركوا الانضباط العسكري المتأدنى مع مرور الزمن ؛ ففي وصف هذه المعركة التي وقعت عام ١٤٥ ق.م في وقت كانت فيه الإمبراطورية السلوقية تحتضر يقول «سار أهل أباميا يحملون الدروع والسهام التي غطاها الصدا ، وعلاها الثراب ، يضعون فوق رؤسهم قبعات ذات حافة عريضة بطريقة بالغة الأناقة ، بحيث تظل أعناقهم دون أن تحرهم من التمتع بالنسيم البارد العليل ، ومن خلفهم سارت الحمير محملة بجرار النبيذ من كل صنف وكل نوع ؛ كما سار عازفو المزامير والنأي ، وهي آلات تصلح للمجون وليس للحرب والنزال ، (٢) » . ولا نعرف النتيجة التي أنتهت إليها المعركة ، لكن من

(١) أنجيل مرقس الإصحاح السابع آية ٢٦ .

(2) Bevan, op. cit., P. 224 ; F. A. Wright, op. cit., P. 144—147.

الواضح أن السوريين في نهاية العصر الهلنستي كانوا قد ضاقوا ذرعا بالحروب والمعارك ؛ وفقدوا الحماس للقتال دفاعا عن أوطانهم ؛ حتى المعارك التي خاضها ملوك العصر الهلنستي ، كانت الجنود المرتزقة من كافة الأجناس هي عامل الحسم فيها وليس جنود الشام .

ولقد تمتعت الشام برغد العيش والرخاء خلال حكم الملوك السليوقيين ، فقد عاش سكانها على حد قول بوسيدونيوس في مهرجانات وأفراح دائمة . فاذا كان ذلك رأى بوسيدونيوس الذي كتب في أشد عصور الدولة السليوقية تدهورا وضعفا ، فما بالناس عن الحياة في أيام مجد وعزة ملوكهم الأولين ؟

لقد كانت سهول الشام وغياطها مثل سهل نهر العاصي وسهول لبنان ومنحدراته الجبلية ، التي تنساب منها المياه ، والتي تغمرها الشمس المشرقة ؛ وافرة الانتاج بمحاصيلها الزراعية ؛ إذ كانت تنتج القمح والشعير ، والكروم والزيتون ، والنواكه والخضروات ، والتفاح والأخشاب . كما قامت فيها صناعات هامة . فقد كانت صور أشهر مدن العالم القديم في صناعة الأصباغ الأرجوانية من حجر الموريق (Murex) الذي يكثر فيها ، واشتهرت صيدا بصناعة الزجاج ، الذي كان يصدر الى كل ركن من أركان المعمورة ، كما كانت القوافل التجارية سواء تلك القادمة من أعماق آسيا ، أو من جنوب الجزيرة العربية ، تحط رحالها في مدن الشام ، خاصة بصرى (Bostra) التي كانت أكبر سوق دولية ، وملئى للقوافل القادمة من شتى بقاع الأرض . وظلت كذلك حتى ظهور الاسلام . فقد كانت موانئ الشام والخليج هي المنافذ التي تصل عن طريقها بضائع الشرق الأقصى وبضائع اليمن ومنتجات أفريقيا الى العالم الأوروبي . ولقد استمر ازدهار الشام تجاريا وحضاريا حتى بعد مجيء الرومان الى الشرق الأدنى ، وفرضهم السلام

الروماني على المنطقة ، مما نشط عملية التجارة ، وأعطى ثقة واطمئنانا للمتعاملين فيها . ان وصف إسترابون للشام في عصر اكتافيوس أغسطس ، وخليفته تيبيريوس ، ومن خلال الأناجيل ، يعطى انطبعا أن الشام لم تكن أبدا أقل رخاء وازدهارا مما كانت عليه خلال عصور مجد الملوك السليوقيين . ان ما تصوره الأناجيل بدقة وصدق لحياة الناس الوادعة في قرى ونجوع الجليل وفلسطين لخير وصف لأحوال الناس في فلسطين والشام في نهاية العصر الهلينيستي ومطلع العصر الروماني .

لقد كانت الشام رغم تدهور الحكم السليوقي من أسعد بلدان الدنيا ، يعيش سكانه في رغد وبحبوحة من العيش ابان العصور السليوقية والرومانية ، وذلك على الرغم من المعارك الدامية التي شهدتها أراضيها ، فاققتصادها كان مزدهرا ، وتجارها رائجة ، وحواضرها عامرة ، منارات تشع العلم والمعرفة ، ومعابدها نشطة تشرف على حياة دينية عميقة الجذور . وخلاصة القول أنها كانت تجمع بين الرخاء الاقتصادي والمادى ، والسمو الثقافى والفكرى ، والتألق الدينى بين سائر الطوائف والنحل والعقائد ، حتى أن الملوك السليوقيين ظلوا المثل الأعلى في ذاكرة شعوب الشرق الأدنى ، ويكفى أن نشير إلى أن اسم السلاجقة ، ما هو إلا تحريف لأسم السليوقيين .

### السليوقيون والأنباط :

كانت بلاد الأنباط Arabia Nabatae كما عرفها المؤرخ يوسف السكندري اليهودى Josephos هي بلاد العرب التي تمتد شرقا حتى أطراف الفرات ، وشمالا حتى سوريا ، وغرباً وجنوباً حتى شبه جزيرة سيناء ، وساحل العقبة ؛ وهي المنطقة التي أطلق عليها الجغرافيون الأغريق والرومان اسم بلاد العرب الصخرية Arabia Petraea بسبب وعورة سطحها ، وكثرة الجبال ذات الصخور بديعة الألوان فيها .

وينتمي العرب الأنباط الى أحد الفروع السامية الآرامية التي نزحت في القرن السادس قبل الميلاد من صحراء بادية الشام واستوطنت الصحارى الواقعة الى الجنوب من سوريا الى الشرق من نهر الأردن ، وكانوا في الأصل يقومون بحراسة القوافل التجارية لقاء نسبة مما تحملها أو كأدلاء لمعرفة ملامقات هذه الصحراء . كما كانوا يعملون في قطع الطرق وسلب القوافل القادمة من الخليج أو من جنوب الجزيرة . ولم يتحولوا الى دولة مستقرة إلا قبل القرن الرابع ق.م ، إذ لم يعثر لهم على أى ذكر في وثائق الآشوريين أو الفرس ، إنما كل ما ورد بخصوصهم جاءنا من كتابات الأغريق الذين عاشرنا في العصرين الهلنستى والرومانى من أمثال ديودوروس الصقلى Diodorus Siculus واسترابون الجغرافى Strabo . ويعتبر المؤرخ الإسكندري اليهودى يوسف أهم مصادرنا عن تاريخ الأنباط ، إلا أن يوسف كان معنيا بالدرجة الأولى بتاريخ بنى إسرائيل وأحوالهم ، وبالتالي لم يذكر عن الأنباط إلا ماله علاقة أو اتصال باليهود وتاريخهم .

ولى جانب ما كتبه الأغريق والرومان عن الأنباط الذين ذكروهم في مصادرهم باسم ناباتاي أى نبط Nabatae ، هناك المصادر الأثرية ونتائج أعمال التنقيب في موقع عاصمتهم البتراء وفي جبال حوران وفي مناطق أخرى ، خاصة بعد أن اكتشف موسى وبرينوف ودالمان مكان هذه العاصمة في أواخر القرن التاسع عشر ، كما أن آثار مدينة جرش في الأردن التي لفت الرحالة الألماني سيتزن الأنظار الى أهميتها عندما زار موقعها عام ١٨٠٦ تعتبر أيضاً من أهم المصادر عن الأنباط ،

وعندما نرح الأنباط في القرن السادس ق.م من بادية الشام الى صحراء شرق الأردن ، لاندفعوا نحو السهوب المنخفضة تجاه البحر الأحمر وانتزعوا من الأدوميين — إحدى الفروع السامية أو الذين كانوا يسكنون في هذه المنطقة — عاصمتهم سلع أى الشق كما ورد في التوراة، وهى تسمية دقيقة لأن مدخل المدينة عبارة عن شق اختاودى عميق يقع بين جبلين شاهقين ؛ واطمء عرفت هذه العاصمة في العصرين الهلنستى والرومانى باسم البتراء Petraia أى

الصخرية ، أما في المصادر العربية فقد غرمت باسم الرقيم أى ( لوحة النقوش ) ،  
أما اليوم فتعرف باسم وادى موسى وأحيانا باسم البتراء .

كانت البتراء عاصمة الأنباط تقف على ربوة قاحلة وعرة يبلغ  
ارتفاعها أكثر من تسعمائة متر تقريباً ؛ وتحيط بها الجبال من سائر الجهات ،  
ولا يمكن الدخول إليها إلا من الشق الضيق ، وهو ممر وعري يعرف اليوم باسم  
« الشق » وربما كان هذا الاسم نبطى الأصل ويعنى الشق . واطلال المدينة  
الباقية عبارة عن مقبرة كبيرة منحوتة في صخر ساطح الألوان تعرف باسم  
« أم الببابة » . حيث تعكس لعين الناظر طبقات الحجر الرملى المتعدد الألوان بكل  
ما فيها من ألوان قوس قزح . ومن المؤكد أن المدينة ازدهرت ازدهاراً كبيراً  
منذ نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ولمدة أربعة قرون ( أى حتى مطلع  
القرن الثانى بعد الميلاد ) وذلك لأنها كانت تشغل مركزاً هاماً وحيوياً على  
طريق القوافل الذى يصل بين الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة ، وثغور البحر  
المتوسط . ولقد بلغت البتراء قمة ازدهارها ومجدها ابان القرن الأول الميلادى  
عندما امتد إليها نفوذ الرومان فشمّل هذه الأمة العربية الفدعة حيث جعلوها  
حصناً شرقياً يأود عن تخوم حده د أمباطر ريتهم ضد البارثيين والفرس ،  
وبذلك اكتسبت مجيداً وشهرة وثروة ، حيث كانت مركزاً تجارياً حيوياً تكثر  
فيه المياه الجوفية والمراعى مما جعلها محطاً للقوافل التجارية ، ولذلك فقد  
قامت علاقة تجارية وثيقة بين العرب السبئيين الجنوبيين وبين الأنباط ، الذين  
كانوا يقومون بتوزيع التجارة العربية على البلدان المختلفة فى الشرق الأدنى ؛  
ولقد وصف الجغرافيون المسلمون مثل : المقدسى والأصطخرى وياقوت  
الحمرى آثار البتراء خاصة الأثر الضخم الذى يعرف اليوم باسم الخزنة ،  
وهو مبنى على نظام واجهات المعابد الأغريقية ، وكانت الخزنة على ما يبدو  
معبدًا . فقد كانت البتراء مركزاً دينياً يقصده الحجاج للتعبد لربهم الأكبر  
ذوشرى Dusares ، الذى كان معادلاً لرب الحمر عند الأغريق ديونيسوس  
( باخوس عند الرومان ) ، وكان تمثال ذو الشرى عبارة عن حجر أسود  
مستطيل الشكل ، أما الربة الكبرى عندهم فقامت اللات التى جاءت من

جنوب الجزيرة مع التجار ، وقد قارن هيرودوت بين اللات العربية الشمالية وربة الجمال الأغريقية افروديت (١) وسماها أفروديت السماوية . ولقد ثبت من النقوش أن الأباط كانوا يتكلمون لغة قريبة من العربية بالرغم من أنه لم يكن للغة العربية الشمالية في ذلك الوقت أبجدية ثابتة ، ولذلك استعار الأباط الحروف الآرامية لكتابة لغتهم ، ولقد أشار ديودوروس الصقلي الى رسالة تسلمها أنتيجونوس من الأباط مكتوبة بالحروف الآرامية (٢) ، لكن منذ القرن الثالث الميلادي تطور الخط النبطي حتى أصبح الخط المأثوف في لغة العرب الحديثة .

ومن الجدير بالذكر أن أقدم النقوش العربية المطورة من الخط النبطي نقش الزمارة الواقعة في شرق حوران والذي يرجع الى عام ٣٢٨ ميلادية الذي وجد على شاهد قبر أمريء القيس بن عمرو أحد ملوك الحيرة . وعموماً فإن الخط النبطي قريب الشبه من الخط الكوفي القديم .

ولقد برز الأباط كأمة خلال الصراع الذي دار بين خلفاء الاسكندر حول تقسيم امبراطوريته أى مع مطلع العصر الهلينيستي ؛ ولقد ذكرنا من قبل محاولة نتيجونوس الفاشلة في إخضاع الأباط عام ٣١٢ ق.م ، ثم محاولة أخرى قام بها ابنه ديمتريوس الشهير باسم محاصر المدن وانتهت هذه المحاولة أيضاً بالفشل ، وانتهى الأمر بعقد الصلح بين الطرفين والذي تحول الى تحالف قوى بين السليوقيين والأباط فيما بعد . ولقد تنامت أهمية الأباط وعاصمتهم البتراء كمركز تجارى تلتقى عنده قوافل التجارة البرية القادمة من بابل والخليج شرقاً ومن اليمن جنوباً ، ومن مصر غرباً ، وبلاد الشام شمالاً . ومن ثم فقد أثروا ثراء فاحشاً من التجارة ، بل حاولوا السيطرة على تجارة البحر

(1) Herodotus, Book III, 8 (Translated by : G. Rawlinson in : "Great Books of The Western World", No. 6, P. 90.

وكذلك أنظر ، دتيلف نيلسون وآخرون : تاريخ العرب القديم ترجمة فؤاد حسين ، على القاهرة ١٩٥٨ ص ١٧٨ .

(2) ( Diodorus Siculus, XIX, 94-100è ef E Schwartz, RE, Sub. Diodorus



الأحمر بتوطيد علاقاتهم مع السبثيين في الجنوب ؛ ولما حاول بطالمة مصر خاصة بطليموس الثاني منافستهم في هذا المجال ، وظهر الأسطول المصري في البحر الأحمر ، وأقاموا موانئ على ساحل الجزيرة العربية الغربية وعلى ساحل مصر على البحر الأحمر ، الحق ذلك خسارة كبيرة بتجارة السبثيين والأنباط ، بل أن البعض يقولون أن ذلك قد تسبب في سقوط الدولة السبثية في الجنوب وانفصال سبأ الحجاز عنها ، وقد شرحنا كيف أن البطالمة أقاموا علاقات وثيقة مع مدن الحجاز الشمالية خاصة ديدان ( العلا ) ومينائها الحجر ، وردا على ذلك دعم الأنباط من علاقاتهم مع السليوقيين الأعداء التقليديين للبطالمة ، بل قاموا بمساعدتهم بأعمال القرصنة ضد السفن المصرية مما دفع ببطلاموس الثاني إلى القيام ضدهم بحملة بحرية سيطر بعدها على خليج العقبة وحاصر ميناء الأنباط الشمالى ايلانا Aelana ( ايلات ) ولعب الأنباط دورا هاما خلال الصراع بين البطالمة والسليوقيين حول جنوب سوريا حتى طرد البطالمة منها بعد معركة بانيون الشهيرة حوالى عام ٢٠٠ ق.م ، بعدها بدأ المد البطلمي في الانحسار في شرق البحر الأحمر ، ومن ثم إنتهز الأنباط الفرصة ليمدوا نفوذهم على طول ساحل الحجاز حتى وصلوا إلى ميناء الحورا (ليوكى كرمى Leuke Kome أى القرية البيضاء) وجعلوه ميناءهم الرئيسى

ولما بدأ الضعف يدب في أوصال الامبراطورية السليوقية ، وواجهت هذه الدولة عددا من الثورات القومية ، حاول الأنباط انتهاز الفرصة والاستفادة من تلك الدولة المتداعية ، التى كانوا حلفاء لها من قبل ، فقام ملك الأنباط اريتاس الأول Aretas ( الحارث ١٦٩-١٤٦ ق.م ) بمعاودة اليهود المكابيين ضد الامبراطورية السليوقية ، وذلك عندما تزعم يهوذا المكابى عام ١٦٨ ق.م الثورة ضد السليوقيين ، وبالفعل حصل الأنباط على ما كانوا يريدونه عندما انكسرت الامبراطورية السليوقية ، حتى أصبحت لا تزيد عن ولاية أوطاكية وما حولها ؛ وتوسعت مملكة الأنباط حتى أصبحت تمتد من ميناء الحوراء حتى دمشق شمالا . ويعتبر الحارث الثالث ( ٨٧-٦٢ ق.م ) من أقوى ملوك الأنباط وأكثرهم شهرة ، لأنه قام بتوسيع المملكة على حساب السليوقيين

واليهود المكابيين في آن واحداً ؛ وهو أول من أقام الصداقة مع الرومان ، ومهد لهم لانسول الشرق الأدنى كقوة كبرى يستفيد من وجودها . وفي عهد هذا الملك هزم الأنباط أعداءهم السليوقيين في معركة عنيفة عند قرية كانا Cana الواقعة على ساحل يافا ؛ وفيها لقي الملك السليوقي أنطيوخوس الثامن مصرعه ؛ وواصلت قوات الحارث تقدمها حتى دخل دمشق ، واحتل سهل البقاع وذلك في عام ٨٥ ق . م ، ثم استدار الحارث بعد ذلك لتأديب مملكة اليهود المكابيين المتدهورة ، وراح يتدخل في شئونها ؛ ودخل معها في معركة عند قرية الخديشة بالقرب من اللد ؛ ولقي اليهود المكابيين فيها هزيمة ساحقة ؛ وأملى بعدها الحارث الثالث شروط عليهم . وفي عهده أيضاً وصلت القوات الرومانية بقيادة بومبي إلى سوريا عام ٦٤ ق . م ، وساعدتهم في إسقاط الدولة السليوقية ؛ وقد حفظ الرومان ذلك الجميل للأنباط ؛ فجعلوها مملكة صابئة تقوم بدور الدافع عن حدود الإمبراطورية الشرقية ضد خطر البارثيين .

وبعد سار على نهج سياسة الحارث الثالث ابنه وخليفته عبادة الثاني Obadas (٦٢-٤٧ ق . م) ، وهو الذي ساعد الرومان في عصر يوليوس قيصر على تدعيم نفوذهم في الشرق الأدنى على أمل إسقاط دولة البطلمة التي كانت تترنح وآيلة للسقوط ؛ فعندما حاصر يوليوس قيصر في الإسكندرية عام ٤٧ ق . م ، سارع ملك الأقباط مالك الأول Malichos ٤٧-٣ ق . م ) لنجدته بإرسال فرقة من الفرسان إلى الإسكندرية انقادت يوليوس قيصر من موت محقق ، ومكنته من هزيمة جيوش بطليموس الثالث عشر ؛ ورغم امتنان الرومان لتلك المساعدة ، إلا أنهم لم يحققوا لهم حلمهم في إسقاط دولة البطلمة في مصر ؛ وذلك بسبب العلاقة الخاصة التي قامت بين الدكتاتور الروماني وبين الملكة المصرية كليوباترا آخر سلاطة البطلمة . وفي عهد مالك الأول أيضاً ، قام الأنباط بمساعدة أنطونيوس في إسقاط دولة المكابيين ، وتعيين ملك عميل للرومان هو هيرودوس الأكبر ؛ الذي ولد في عهده السيد المسيح . وأخيراً تحقق حلم الأنباط في إسقاط مملكة

## - ٣١٧ -

البطالة عناء ما دب الصيراع بين أنطونيوس و كليوباترا السابعة من ناحية ؛  
 وبين اكتافوريوس الوريث الجديد للامبراطورية الرومانية من ناحية أخرى .  
 وهنا استغل الأنباط الفرصة ، فانقلبوا على حليفهم القليم أنطونيوس ،  
 وساعدوا اكتافوريوس في دخول مصر عام ٣٠ ق . م ، وإسقاط مملكة البطالة ؛  
 فقد قام الأنباط بالوصول إلى ميناء كليوباتريس عند خليج السويس ، حيث  
 أضرموا النيران في الأسطول البطلمي الذي كان قد لجأ إلى هنا الميناء بعد  
 انسحابه سائلاً من اكتيوم عام ٣١ ق . م وبذلك ضاع آخر أمل للمملكة  
 المصرية كليوباترا في الهروب بأسطولها إلى الجنوب وتولى حرب المقاومة  
 ضد الرومان .





## أهم مراجع الفصل السابع

- 1.—British Museum Catalogue of Coins, Sub. Seleucid Kings of Syria
- 2.—G. Dawney : Ancient Antioch, New Jersey, 1963.
- 3.—G. Harper: A Study in The Commercial Relations between Egypt and Syria in the 3rd Century B.C., American Journal of Philology, Vol. 49 (1928).
- 4.—Doro Levi : Antioch : Mosaic Pavement, Princeton, 1947.
- 5.—C. R. Morey : The Mosaic of Antioch, New York, 1938.
- 6.—E. T. Morley: The Coinage of Western Seleucid Mint, New York 1941.
- 7.—E. Newell : Seleucid Mint of Antioch, New York, 1918.
- 8.—M. Rostovtzeff ; "Foreign Commerce of Ptolemaic Egypt" Journal of Economic & Business History, Vol. IV (1932, P. 780 ff.
- — — : Caravan Cities, Oxford, The Clarendon Press, 1922.
9. — — — : "Les Inscriptions Caravaniere de Palmyre", Paris, Melange Glotz, Paris 1932.
- 10.—H. Seyring : Antiquites Syriennes, (Syria, Vol. VIII (1932).
- 11.—A. Sprenger : Die Post und Reiserouten des Orient, Leipzig, 1864.
- 12.—E. Stein : "Hatara Trade Route", Journal of Royal Asiatic Society 1941.
- 13.—G. Tchalenko : Villages Antique de la Syrie du Nord, 2 Vols. (Paris 1953).



## الفصل الثامن

### بلاد الرافدين والخليج العربي في العصر الهلنستي

اهمية المصادر الأثرية لدراسة هذه الفترة :

بهزيمة الإسكندر المقدوني للفرس عام ٣٣٠ ق. م ، أصبح الشرق الأدنى من النيل إلى الفرات إغريقياً ، وعندما قامت الدولة السلوقية الأغريقية - بعد موت الإسكندر - في الشام والرافدين ، بدأت عملية التقاء الحضارات العريقة في هذه المنطقة مع الحضارة الأغريقية الوافدة في تفاعل مذهل جدير بالدراسة والتحليل . فلقد أصبحت بلاد الرافدين نظراً لأهميتها التجارية والحضارية إحدى الدعائم الأساسية التي تقوم عليها الامبراطورية السلوقية ، وانتشرت اللغة الأغريقية جنباً إلى جنب مع اللغات القومية لبلدان الشرق الأدنى ، ولدينا وثائق مكتوبة بالخط المسماري كثيرة ومتنوعة ، وتمدنا بمعلومات دقيقة عن سكان بلاد الرافدين والخليج العربي خلال تلك الفترة لا يضارها في الكثرة والتنوع سوى أوراق البردي المصرية .

فلقد أقبل طالبو العلم والمعرفة من الأغريق لينهلوا من ينابيع الحضارة البابلية في العصر الهلنستي ، وبلوروا ما استوعبوه في نظريات علمية صاغوها بالشكل المنطقي وقدموها للبشرية ، ومن ثم فإنه من العدل أن نقول أن علماء بابل قد ساهموا في صياغة النظريات التي يقوم عليها العلم والحضارة في العصر الهلنستي والتي هي الجذور الأولى للعلم الحديث .

واقعد بدأت اللغة الأكادية تراجع في انحسار إبان القرون الأخيرة قبل مولد المسيح عليه السلام ، بينما بدأت اللغة الآرامية تنتشر بشكل مدهل كلغة ( م ٢١ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستي )

يومية لشعوب الرافدين جنباً إلى جنب مع اللغة الأغريقية . وكانت اللغة الأخيرة لغة الحكم السليوقي وأجهزته الإدارية والعسكرية ، وبمعكس الحال في الوثائق المسمارية لا نجد الوثائق الآرامية والأغريقية من ذلك العصر مكتوبة على ألواح من الطين قبل حرقه ، بل نجدتها تكتب على أوراق البردى والرق . ولأسف لم يصمد ورق البردى ولا الرق لرطوبة مناخ العراق القديم فهلك جزء كبير منها ، وبذلك حرمتنا من فيض من المعلومات الماثرة في هذه الوثائق . فمن مدينة دورا — يوروبوس Dura-Europus الكبيرة والحصن القوي للمحضارة الأغريقية في وسط الفرات لم يأت لنا سوى وثيقة واحدة مكتوبة على الرق ، بينما لم تقدم لنا مابينة سليوقية نهر دجلة Seleucia Para Tigridi أضخم المدن الأغريقية في الشرق ، والتي بلغ عدد سكانها يوماً ما ستمائة ألف نسمة — لم تقدم لنا سوى بعض الشذرات المدونة فيها بعض الكتابات التي ليست بذات قيمة تاريخية كبيرة . وعلى أي حال يكفي أن نعرف أنه كانت هناك وثائق كثيرة من العصر الهلنستي ، ولكنها هلكت قبل أن تصل إلى أيدينا بفعل رطوبة المناخ والتربة . يشهد على ذلك عثورنا على كميات من الأختام المسطحة التي كانت تمهر بها وثائق الرق والبردى وعثورنا كذلك على حافظات للأوراق مصنوعة من الطين المحروق Bullae كانت الوثائق والرسائل تحفظ بداخلها . ولدهشة علماء الآثار فإن عدداً قليلاً من النقوش الأغريقية قاوم عوامل التحلل والرطوبة ووصل إلى أيدي العلماء ، ورغم قلة هذه النقوش ، إلا أنها تشهد بانتشار الحضارة والثقافة الأغريقية في بلاد الرافدين .

وإلى جانب عوامل الرطوبة والمناخ ، هناك عامل آخر مسئول عنه الإنسان وليس الطبيعة — هذا العامل هو الحروب الكثيرة التي جلبت الدمار إلى المنطقة . فقد قاد السليوقيون جيوشهم عدة مرات لصعد تجاوزات المغيرين من البارثيين على المنطقة . والذين استغلوا تدهور الدولة السليوقية وترنحها ، كما شهدت هذه المنطقة المعارك الطاحنة التي دارت بين البارثيين والرومان ،



ثم بين الروم والساسانيين والتي كانت ساحتها بلاد الرافدين والتي تسببت في دمار المدن الأغريقية والحواضر البابلية العريقة . كما أن اختفاء الآثار الهلينية يرجع أيضاً إلى حركة العمران الروماني النشطة في بلاد الرافدين بما وصلهم إليها حتى تثبت روما مخالبا على شواطئ الفرات ؛ كما أن الفرس بتعصبهم الأعشى مشولين عن تدمير الوثائق الأثرية فقد قاد ملوك أسرة أرساكيس Arsaces حملة شرسة لحرق كل أثر للحضارة الهلينية، وإحلال الحضارة الفارسية محلها إبان احتلالها للنصف الشرقي لبلاد الرافدين الذي ظل جاثماً على صدر البلاد حتى طردهم منها العرب المسلمون .

كذلك فإن قلة الوعى بأهمية الوثائق الأغريقية ، والإهمال في جمعها وتصنيفها ، وغياب التنقيب العلمي عن الآثار لوقت طويل ، لم يبق على الطبقة الهلينية كطبقة من طبقات التنقيب المتميزة بحيث يمكن فصل معشورتها على ساحة ثم دراستها بشكل مفصل . كذلك لا يمكن أن نستقط من حسابنا لإحساسنا القوي كعرب بعدم قيمة وثائق العصر الهليني لأنها ترمز إلى عصور الاحتلال لبلادنا . هذا الإحساس كان يحس به علماء الآثار الوطنيون حتى وقت قريب . ويستثنى من ذلك التنقيبات الأثرية التي أجريت في مدينة أوروك - القديمة - والتي اتبعت منهجاً علمياً أمكن بفضل تصنيف المعثورات في تسلسل زمني متتابع بلغ ثلاثة آلاف سنة من التاريخ الحضاري المستمر . وبالمثل يمكن إعادة التنقيب في بابل مرة أخرى مع الاهتمام بطبقات العصور المتأخرة من تاريخ المدينة ، وللأسف فإن هذه العصور المتأخرة لا تثير شهية الأثريين المتخصصين في تاريخ بلاد الرافدين بقدر ما تثيرهم حضارة بابل في العصور المبكرة عندما كانت هذه المدينة أعظم حاضرة في المشرق بأسره ، وقد عانينا نحن في مصر من شعور مماثل عندما كان المنقبون المسحورون بالحضارة الفرعونية يحطمون الآثار الأغريقية والرومانية لاعتنن عصور الاستعمار الأجنبي البغيض .

وبالطبع فإن قوة الدفع للحضارة الهلنستية من خلال المدن والخواضر القليلة التي بنيت في بلاد الرافدين وشمال الخليج، وسط بحر من الحضارة البابلية القومية لا يمكن أبداً أن تقاس بنفس المقياس الذي نقيس به عمق الحضارة البابلية والآرامية في موطنها ، إذ لم يستطع المستوطنون الأغريق في المدن الجديدة التي أقاموها في بلاد الرافدين أن يحققوا درجة من العمران والحضارة يداي الحضارات القومية العريقة . ولنضرب مثلاً على ذلك . فقد أعاد السيلوقيون والمستوطنون الأغريق بناء مدينة سوسة Susa العتيقة على النسق العمراني الأغريقي ، وأعطى للمدينة بعد إعادة بنائها لفظ Polis أى مدينة بالمفهوم الأغريقي ، وذلك بعد تغيير إسمها الشرقي القديم إلى اسم إغريقي جديد هو سيلوقية، نهر يولايوس Seleucia Para tou Eulaiou غير أن حجم هذه المدينة الأغريقية الجديدة كان صغيراً إذا ما قورن بحجم المدينة خلال تاريخها العريق .

ولقد بذل علماء الآثار الكثير من الجهد المال عندما نقبوا في موقع مدينة دورا - يوروبوس من أجل الكشف عن جوانب الامتزاج بين الحضارتين البابلية والأغريقية ، غير أن آمالهم وأحلامهم لم تتحقق فبذل القرن الثاني قبل الميلاد - لم تعد دورا - يوروبوس - كما أراد لها مؤسسوها - حصناً منيعاً للحضارة الأغريقية ومنارة لها في بلاد الرافدين ، فقد اجتاحتها إعصار الحضارة القومية ، ويشهد على ذلك انحسار الوثائق الأغريقية أمام الوثائق المكتوبة بالآرامية ، يواكب ذلك ظاهرة تراجع الآلهة الأغريقية أمام تقدم زحف آلهة الشرق المنتصرة ذات الأصل السامي . ولهذا فإن بعض مؤرخي العصر الهلنستي يسخرون من أحلام الأغريق في أن يؤغروا الشرق ، ويصفون محاولاتهم بأنها تجربة فاشلة للغزو الثقافي الأغريقي لحضارات الشرق العريق . في حين يرد المؤرخون المتعاطفون مع الغزو الثقافي الأغريقي للشرق بأن المقدانيين والأغريق الذين استوطنوا دورا - يوروبوس تمسكوا بآخر رمق بنظرية المحافظة على الدماء الأغريقية والمقدونية وقاوموا بشراسة

فكرة الامتزاج العرقي ، الحضارى مع الشرقيين ، كما أن الظروف لم تكن في صالح المستوطنين الأغريق ، فقد جندوا كل طاقاتهم وقدراتهم للدفاع عن دورا - يوروبوس ضد الغزو البارثى المتربص بهذه الحاضرة . وقد تسبب ذلك في أن دور المدينة الثقافى بدأ ينحور ويبدأ رويداً رويداً حتى توقف عن رسالته ، بالإضافة إلى ذلك فإن وقرع دورا - يوروبوس على حافة حدود الحضارات ، وعند الخط الناصل بين عالم الفرس ، وحضارات العرب القدماء ، وحضارة الشرق الأغريقى الرومانى ، جعلها تداس تحت أقدام الجيوش المتحاربة إبان الصراع الفارسى الروى على بلاد المشرق قبيل نهضة العرب تحت لواء الإسلام .

وفي ضوء هذا الواقع ، فإنه ليس لدينا سوى البحث عن الوثائق والآثار واستخدام ما هو موجود بمهارة فائقة ، وتحليل علمى دقيق ، كما أن احتمال العثور على وثائق بابلية من العصر الهلينيستى لا يزال قائماً ، سواء في المتاحف أو من خلال التنقيبات الأثرية . فحتى عهد قريب كان المتخصصون في تاريخ هذه الفترة يعتقدون أن آخر وثيقة مكتوبة بالخط المسمارى ترجع إلى العام السابع قبل الميلاد . ولكن تبين فيما بعد أن هناك وثيقة خاصة بمعلومات حول علم الفلك مكتوبة بالخط المسمارى وترجع إلى العام الخامس والسبعين بعد الميلاد .

لأنه ليس من العدل أن نقارن وثائق العصر الهلينيستى في بلاد الرافدين والخليج والتي لا تربو عن مائة وخمسين وثيقة ، بالكم الضخم من الوثائق الذى يزيد على سبعة آلاف وثيقة والتي ترجع إلى العصر البابلى والكلدانى . ومن يلقى فلربما يتضاعف عدد الوثائق السليوقية الهلينيستية لو أعدنا فحص الوثائق القائمة بدقة والموجودة في متاحف العراق والعالم الأوروبى . وفي أثناء فحصنا لوثائق بلاد الرافدين سوف نرصد عملية الانحسار التاريخى للوثائق المكتوبة بالخط المسمارى من أجل إفساح الطريق للوثائق المكتوبة بالخط الآرامى ، فلقد نجحت اللغة والكتابة الآرامية في تحقيق انتشار مذهل في بلاد الرافدين

والشام ، وأصبحت الآرامية لغة التعامل اليومي بين الناس ولغة الحوار الفكري والأدبي ، وهناك ما لا يقل عن ألف وستائة وثمان وأربعين ( ١٦٤٨ ) نصاً آرامياً من العصر السلوقي كلها تناور حول موضوعات في علم الفلك ، إلى جانب ذلك هناك المئات من النصوص الدينية والأدبية الآرامية من نفس الفترة . ونخرج من هذا كله أنه يوجد في متاحف العراق ومتاحف العالم نصوصاً منسية ومطمورة ، والتي إذا ما قرئت ونشرت فأن الكثير عن معلوماتنا عن الفترة الهلنستية من تاريخ الرافدين والخليج سوف تتغير .

ولقد بذل المتخصصون على مدى ما يقرب من سبعين عاماً مجهودات جبارة وخارقة ، وعكفوا على الكشف عن أسرار علم الفلك عند الكلدانيين ، فلقد كانت العلوم عند الكلدانيين تتميز بشخصيتها المتميزة ، القائمة على أسرار حسابية وفلكية لن يسبر غورها إلا بالجهد الجهد والمجهود العسير ، ذلك عن طريق العمل المدعوب من أجل نشر النصوص العلمية الكلدانية ، سواء تلك التي تدور حول علم الفلك أو حول الموضوعات الرياضية والحسابية . ولقد أصبح الآن معروفاً أن اللغة الكلدانية لم تمت تماماً في العصور المتأخرة لتاريخ بلاد الرافدين بل بقيت جذوتها مستعرة تحت الرماد ، ولكن في حيز ضيق ، فقد كانت لغة الأقلية النادرة من العلماء الذين يشتغلون بالبحث العلمي وكذلك لغة فقهاء القانون ، كما استخدمت أحياناً في الخطاب كما يتضح من عملية التبسيط في تركيبات جملتها وفي حروفها ، وبصراحة لا أحد يعرف إلى أين سوف يقودنا علم الآثار في الكشف عن حضارة بلاد الرافدين في العصر الهلنستي .

لقد كشفت الوثائق المسمارية من العصر الهلنستي عن معلومات مثيرة وشيقة صححت تواريخ تقليدية ظل المؤرخون يرددونها لوقت طويل ، ففي عام ١٩٢٤ نشر في الحولية البابلية Babylonian chronicle وثيقة مسمارية ترجع إلى عهد ورثة الإسكندر الأكبر Diadochi ، وعند قراءتها

فوجئ المتخصصون في تاريخ العصر الهلينيستي بمعلومات لم تكن تخطر على بال أحد . فالمؤرخون الأغريق من العصر الهلينيستي لم يذكروا شيئاً عن نشاط أنتيجونوس الأعور وسليوقوس الكبير ، عام ٣١٢ ق . م لكن هذه الوثيقة المسماة التي نشرت في ذلك العدد من الحولية البابلية كشفت لنا كيف مزقت حروب الورثة الشرق الأدنى بأكمله خلال الفترة من ٣١٠ إلى ٣٠٧ ق . م . فعندما أطبق أعماء أنتيجونوس عليه من كل ناحية في منطقة بحر إيجه بهدف تصفيته ، حاول أن يهرب من هذا الحصار بالذهاب إلى الشرق الأدنى بهدف جعله قاعدة له ، ولكي يستأثر بمصادره الطبيعية والبشرية لنفسه ، حتى يتمكن من تجنيد الجيوش من المرتزقة وشن الحرب ضد منافسيه في البحر المتوسط . وفي ضوء هذه الوثيقة البابلية غير علماء تاريخ العصر الهلينيستي تواريخهم التقليدية لأحداث ذلك العصر . فلقد وضحت هذه الوثيقة بدقة أحداث الفترة ما بين عام ٢٨١-٢٧٩ ق . م فمثلاً حددت لنا بالضبط تاريخ وفاة سليوقوس الكبير بأنه ما بين ٢٥ أغسطس ( آب ) و ٢٤ سبتمبر ( أيلول ) من عام ٢٨١ ق . م ، وليس في ديسمبر ( كانون أول ) عام ٢٨١ ق . م . ، كما اعتاد المؤرخون أن يذكروا في كتب التاريخ قبل اكتشاف هذه الوثيقة .

على أي حال ، فإن فترة العصر الهلينيستي في بلاد الرافدين تقدم لنا صورة حية ومتنوعة من المعلومات إذا ما قورنت برتبة معلومات العصور العتيقة عندما كانت حضارات العراق القديمة تفرض سيادتها وثقلها السياسي والعسكري والحضاري ، ولكي نثبت حيوية النشاط الحضاري الهلينيستي في العراق علينا بذل المزيد من الجهد في البحث والتنقيب ، فبفضل البحث الدءوب نجح الباحثون في تحطيم الصورة التقليدية التي رسمها المؤرخون التقليديون للحضارة البابلية بأنها حضارة تحكمها الأسرار ، وأن المعرفة فيها طلسم لا يعرف سره إلا البابليون القدماء أنفسهم ، وفتح البحاثة الجدد ثغرة في هذه العوازل التقليدية للوصول إلى أعماق الحضارة البابلية . ولهاذا علينا ألا نصدق القول

الخاطئ بأن حضارة بابل تلاشت فجأة ، وان عدد المستوطنين الأغريق والمقدونيين لم يكن كافياً لدرجة إحداث تغيير حضارى فى بلاد الرافدين ، وذلك فى ضوء الدليل الخادع بأن كمية النقوش المكتوبة بالأغريقية التى عثر عليها لا تزال حتى الآن كمية ضئيلة . ومن ثم ليس أمامنا سوى بذل الكثير من الجهد من أجل البحث عن المزيد من الوثائق والنقوش لأن ذلك هو السبيل الوحيد لتحديد دور المدن الأغريقية ورسالتها الحضارية فى بلاد النهرين فى العصر الهلنستى ، خاصة فى إقليم بابل العريق الذى أولاه الإسكندر عناية خاصة ، وقد حافظ على هذه العناية والتقدير ملوك الأسرة السلوقية طوال العصر الهلنستى .

### الصراع على امتلاك بلاد الرافدين بين ورثة الإسكندر :

كانت نظرة الأغريق إلى الثقافة والديانة البابلية نظرة إنسانية سامية بعكس نظرة الفرس البربرية إلى هذا الإقليم المقدس ، خاصة خلال عصر الأسرة الأخمينية القاسية ، فقد كانت نظرة الملوك السلوقيين مماثلة لنظرة الإسكندر المقدونى الذى أراد المدينة بابل المقدسة أن تكون عاصمة لامبراطوريته المقدونية بشقيها الشرق والغرب . فقد أمر الإسكندر بعد دخوله مدينة بابل بإعادة بناء معبد مرووخ عام ٣٣١ ق . م وتعمير المدينة من جديد بعدما كان الفرس قد دمروها بقيادة ملكهم خشيا رشائ Xerxes عندما ثارت عليه ما بين أعوام ٤٨٠-٤٧٦ ق . م وقبل أن يصل الإسكندر إلى بابل عائداً من الهند ، أرسل أمير البحر نيارخوس برفقة أسطول كبير ، من نهر السند إلى شمال الخليج العربى ليتعرف على الطريق البحرى ، خاصة أن دارا ملك الفرس كان قد أرسل فى عام ٥١٠ ق . م بحارا يونانياً اسمه سكيلاكس ليكتشف الطريق من مصب نهر السند فالتحليج العربى دائراً حول الجزيرة العربية حتى خليج السويس . ووصل أميرال الإسكندر نيارخوس إلى موانئ شمال الخليج بعد إبحار مائة وست وأربعين يوماً وذلك فى عام ٣٢٥ ق . م ، ودون أخبار

رحلته التي نقلها لنا المؤرخ أريان Arrianos ولم يكتف الإسكندر بذلك بل بعث بثلاث رحلات أخرى من جنوب بلاد الرافدين للتعرف على الشواطئ الغربية للخليج العربي ، فوصلت أولها إلى البحرين دلمون Delmon؛ والثانية يبدو أنها وصلت إلى منطقة أبوظبي ، والثالثة فيبدو أنها بلغت الأجزاء الشمالية من عمان . ولقد كانت هذه الاكتشافات جزءاً من أحلام الإسكندر . غير أن أحلام الفاتح المقاوئى ذهبت مع الريح عندما شب القتال الشرس بعد موته في بابل بين ورثته لتقسيم الامبراطورية ، وسحقت الجيوش المتصارعة اقليم بابل، إلى أن عقد صلح قريبا راديسوس Treparadeisos بين المتحاربين في الشام عام ٣٢١ ق. م ، وبمقتضى ذلك الصلح ، أصبح سليوقوس سترابا على إقليم بابل بحيث يكون خاضعاً لسيده أنتيجونوس الأعور ، قائد الجيوش المقدونية في قارة آسيا . وكان أول تكليف صدر من أنتيجونوس إلى عامله

سليوقوس في بابل هو طرد يومينيس الكاردى Eumenes Cardianus الذى كان يحارب باسم أسرة الاسكندر ودفاعاً عن حقوقها ضد الطامعين في الامبراطورية المقدونية من قادتها ، وكان يومينيس الكاردى عاملاً بوصية الاسكندر قد استولى على اقليم بابل عام ٣١٨ ق . م لجعله قلب الامبراطورية المقدونية بعد استعادتها لأسرة الراحل المقدونى . غير أن سليوقوس هاجم بابل وسحق جيوش يومينيس في موقعة جادامارجا ، وقتله عام ٣١٦ ق . م وعندما عاد أنتيجونوس من حملاته ليلتقى بعامله سليوقوس في بابل دب بينهما خلاف انتهى بهروب سليوقوس الى بلاط بطليموس ملك مصر في الإسكندرية، وكان هذا الأخير من الدأعداء أنتيجونوس . ويبدو أن تزايد نفوذ سليوقوس في بابل هو الذى أزعج سيده أنتيجونوس . ولكى يزيد أنتيجونوس من غيظ عامله اللاجئ لبلاط الإسكندرية نهب بابل ودمر كافة إصلاحات الإسكندر فيها ، ثم عين عليها والياً جديداً اسمه بيثون بن اجينور Peithon Son of Agenor . ولم يتحمل سليوقوس لدى سماعه خبر تخريب بابل البلد العزيز على قلبه ، فصدم على تحريرها . ولم يجد أمامه سوى

بطلليموس الأول في مصر فراح يخرضه ضد أنتيجونوس وتوجيه ضربة قاضية له ، وبالفعل نجح بطلليموس في توجيه ضربة موجعة ضد خصمه أنتيجونوس بالقرب من غزة على حدود مصر عام ٣١٢ ق . م .

ولم يكتف بطلليموس بذلك . بل قدم لسليوقوس الذي كان يحتفظ به لمثل ذلك اليوم قوة تتكون من ألف رجل مسلح ، وتمكن سليوقوس بفضل هذه القوة أن يفتح بابل ويستعيد سترابيته المفقودة . ولم يكتف سليوقوس بذلك ، بل سار نحو الشرق غازياً ليقبض امبراطورية هلمينستية في الشرق الأدنى تكون عاصمتها بابل . وعندما عقد الفرقاء اتفاقاً عام ٣١١ ق . م أصر أنتيجونوس على استبعاد سليوقوس من هذا الاتفاق لأنه لم يشأ أن يدعه يقيم امبراطورية لنفسه على حساب ممتلكات أنتيجونوس في الشرق . فقد كان يعرف جيداً أن عامله السابق رجل طموح ، ولهذا استأنف ضده القتال عام ٣١١ ق . م وأرسل ابنه ديمتريوس Demetrios الشهير « بمحاصر المدن » Poliorketes ليضرب الحصار حول بابل مما أدى إلى انتشاره بآاء الطاعون فيها ، وشهدت الفترة ما بين أعوام ٣١٠-٣٠٧ ق . م حروباً شرسة بين الحاصمين اللدودين كان ساحتها بلاد النهرين ، غير أن هذه الحروب ثبت عدم جدواها ، إذ لم يستطع أنتيجونوس وابنه ديمتريوس - بكل ما أوتيا من قوة - أن يخلعا سليوقوس من بابل ، فقد تشبث بها تشبثاً مميّتاً . إما أن يكون أو لا يكون . لم يجد المتصارعون بداً من عقد صلح آخر عام ٣٠٧ ق . م ضمن بين مواده الاعتراف بسليوقوس والياً على بابل ، لكن أنتيجونوس لم ينس بابل ، فعاود هجومه الأخير عليها عام ٣٠٣ ق . م ، صمد سليوقوس أمام هذا الهجوم حتى أرهق المهاجمين تماماً ، ولم يحقق أنتيجونوس وجنوده خلال هذه الحملة سوى الاستيلاء لبعض الوقت على المدينة وإحداث تخريب كبير فيها وذلك في صيف عام ٣٠٢ ق . م ، قبل أن يستردها سليوقوس مرة أخرى ، وفي ربيع عام ٣٠١ ق . م ، تقدم سليوقوس من بابل يقود



قوة من الأفيال قوامها خمسمائة فيل هندي مدرب لينضم إلى قوات حلفائه التي حاصرت أنتيجونوس وابنه عند مدينة ايسوس في آسيا الصغرى ، و انتهت المعركة بمقتل أنتيجونوس وفرار ابنه . وقسم الحلفاء المنتصرون أملاك أنتيجونوس وكان النصيب الأكبر لسليوقوس . فبالإضافة إلى إقليم بابل ، ضمت إليه الشام وأرمينيا وقبادوقيا Cappadocia في آسيا الصغرى . وبذلك أصبحت مملكة سليوقوس تمتد من الشام غرباً حتى تخوم الهند شرقاً ، وكانت بابل تمثل قلب تلك الامبراطورية الهلنستية وعاصمتها المقامسة .

هكذا انقشع غبار معارك الورثة ليتفتق عن مولد الممالك الهلنستية الكبرى الثلاث ، السليوقية في بلاد النهرين والشام ، ارمينيا ، البطلمية في مصر وجنوب الشام ، والمقدونية في مقدونيا و بلاد اليونان ، وتخلص المنتصرون من لقب الوالى أو الستراب وحمل كل منهم لقب الملك Basileus ، لكن سليوقوس عندما كتب تاريخ مملكته بدأه بعام ٣١٢ ق . م وهو عام دخوله بابل وتحريرها بعد هزيمة أنتيجونوس في غزة . واعتبر أول أيام شهر ديوس بالتقويم المقدوني ( وهو يعادل تشرين الأول بالتقويم السورىانى أو شهر أكتوبر بالتقويم الجريجورى ) هو بداية تأسيس مملكته ، هذا بحسب التقويم المقدوني الغربى ، لكن بالنسبة لحساب التقويم الشرقى فإن تاريخ قيام المملكة السليوقية هو الأول من شهر نيسان ( مارس - ابريل ) عام ٣١١ ق . م .

## الوضع في بلاد الرافدين والخليج في العصر الهلنستى :

### ١ - النظام الإدارى وبناء المدن الدفاعية :

وبالرغم من الإعزاز الخاص والاعتبار العاطفى والتاريخى الذى أولاه الملك سليوقوس لمدينة بابل ، ورغبته فى ان تكون هذه المدينة المقدسة هى عاصمة الامبراطورية ، إلا أنه عدل عن هذه الرغبة عندما وجد أن المعارك الطاحنة قد حولت هذه المدينة إلى خرائب يرثى لها . فى نفس الوقت أراد أن يخلد اسمه بإطلاقه على اسم حاضرة حديثة وعصرية يقوم ببنائها ، ويجعلها

العاصمة . ومن ثم رأى أن يؤسس مدينة على الطراز المعماري الهلينيستي على ضفاف دجلة ، أطلق عليها اسم سليوقية - دجلة .

وكانت سليوقية دجلة هي الترجمة الأغريقية لأفكاره عن بابل ، بل كانت تقع بالقرب منها . وقد قام سليوقوس ومن بعده ابنه ووريثه أنطيوخوس الأول بتشجيع سكان بابل القديمة على الهجرة إلى حاضرتهم الجديدة ، مما نتج عنه انكماش المدينة العتيقة وتضاؤل حجمها وسكانها ولم تعد سوى مجموعة من المعابد القديمة وما تبقى حولها من بيوت سكانها الذين رفضوا الهجرة إلى الحاضرة الجديدة .

وكما كان الحال في مصر البطلمية في العصر الهلينيستي ، حيث كان هناك عاصمتان . عاصمة عتيقة دينية ومقدسة ( منف ) ، وعاصمة عصرية إغريقية بها قصر الحكم والإدارة ( الاسكندرية ) ، فقد كان في بلاد الرافدين أيضاً عاصمتان يقوم عليهما وجود الدولة السليوقية ، الأولى عاصمة مقدسة هي بابل العتيقة ، ذات المجد الغابر التليد ، والثانية سليوقية - دجلة ، وهي حاضرة جديدة ، فتيحة وعصرية ، ومبنية على أحدث طراز بناء المدن في العصر الهلينيستي ، وهي مركز القوة السياسية والاقتصادية للدولة ، وقد قدر عدد سكان الحاضرة الجديدة في أوج ازدهارها بحوالى ستائة ألف نسمة . كل ذلك يوضح المخطط السياسي للملوك الأسرة السليوقية ، الذي يقوم على خلق عمود فقري يتكون من سلسلة من المدن الأغريقية التي تشع الحضارة والفكر الهلينيستي في معازل الحضارة البابلية ، وعلى هذا العمود الفقري تقوم قوتهم ، وينأكد وجردهم السياسي ، ومن هذه المراكز الحضرية الأغريقية تستمد المقاطعات النائية في المشرق سر قوتها وحيويتها . وتنفيذاً لذلك المخطط فقد أنشأ السليوقيون عالماً مقلونياً من المدن الأغريقية في بلاد النهرين وحول الخليج ، وهذه المدن الجديدة في الجناح الشرقي للدولة السليوقية أقيمت لتتوازن مع المدن الأغريقية التي أقيمت في الجناح الغربي للإمبراطورية وأعنى الشام .

في الشام أقيمت مادن أنطاكية واللاذقية وأبامية على نهر العاصي ، وسليوقية بيرييه Seleucia Pieria ( ساليوقية ميناء أنطاكية ) وفي أعلى الفرات أسست مجموعة أخرى من المدن الأغريقية استوطنتها جاليات كبيرة من المقدونيين والأغريق مثل ديوجا على نهر الفرات ، واميبيوليس ، وكذلك مقدونوبوليس Macedoropolis مدينة المقدونيين ، وكارهاي Carrihae ( حران في بلاد ما بين النهرين العليا ) ، وإدسا Edessa ( عرفة بتركيا ) ونيوفوريون Nikophorion ( رقة على نهر الفرات ) وغيرها من المدن الأغريقية في أعلى الرافدين والتي سبق الإشارة إليها عند حديثنا عن الشام .

أما في سهل آشور في الجنوب ، فهناك مدينة الإسكندرية التي بناها الإسكندر عند فتحه للبلاد ، ونسمع كذلك عن مدينة ديمتريوبولس : Demetriopolis ومدينة ابولونيا . فقد كان سهل آشور عامرا بالمدن العريقة التي أثر الساليوقيون إعادة بنائها وبعثها على طراز أغريقي بدلا من بناء مدن جديدة بعكس الحال في الهضبة الأرمنية وأعلى الرافدين ، التي استنزفت طاقة الساليوقيين في بناء المدن . لكننا نلاحظ أنه على العكس من الحال في الشام ومنطقة غرب الرافدين ، فإن المدن الأغريقية تكاد أن تكون قليلة في المنطقة الواقعة بين عرفة في تركيا Edessa وآشور ، إذ لا يوجد سوى مدينة أنطاكية المجدونية Antiocheia Mygdoneia ( المعروفة باسم نصيبين Nisibis ) في الهضبة الأرمنية التابعة لتركيا ) ، ومدينة إيففانيا Epiphania في كيليكيا في آسيا الصغرى ) ، وذلك لأن أغلب المهاجرين المستوطنين من المقدونيين أو الأغريق تشتتوا في الوديان والقرى الزراعية الغنية في وسط وجنوب بلاد الرافدين بحيث لم يكن هناك تجمع منهم يسمح بتكوين مدينة ذات تنظيم راق يستحق أن يطلق عليه اسم مدينة Polis ، وذلك قبل عصر الملك السليوقي أنطيوخوس الرابع الملقب باسم إيففانيس Antiochus Epiphanes ( ١٧٥ - ١٦٩ ق . م ) ، بينما كانت مدينة

بابل العريقة العتيقة ، واقليم سوسيانا الواقع إلى الشرق منه منطقة ذات امتياز خاص .

وإلى الشرق من بلاد الرافدين نجد نوعاً مختلفاً من المدن يقوم السليوقيون ببنائه ، وهى المدن العسكرية ذات القلاع والحصون ، فقد كان الخطر دائماً يأتى من الهضبة الإيرانية ، هذه المدن العسكرية كانت تمثل المواقع المتقدمة لحدود الامبراطورية السليوقية ، كذلك امتدت المدن العسكرية إلى الشمال والشمال الغربى من الرافدين ، حيث الحدود التى تفصل آسيا الصغرى عن الشام ، كما نجد هذه المدن العسكرية أيضاً تمتد على طول وديان دجلة والفرات من أجل حراسة طرق القوافل المؤدية إلى الشام وبلاد الرافدين .

ومن أكبر المدن العسكرية التى خصصت للغرض الدفاعى مدينة دورا يوروبوسى التى أسست فى نفس الوقت الذى أسست فيه العاصمة أنطاكية حيث دلت الأبحاث الأثرية على أن نظام توزيع الشوارع فيها كان يتفق على وجه دقيق مع تخطيط الحواضر الأغريقية الأخرى فى الدولة السليوقية ، سواء فى أنطاكية أو بيرويا Peroia ( حلب ) أو اللاذقية أو أباميا ، وكلها كانت منشآت سليوقية جديدة أو مستعمرات اغريقية سابقة على العصر الهلنستى ، ولكن السليوقيون أعادوا انشاءها . حيث نجد الأجورا « السوق العامة » تشغل مساحة ثمانى وحدات من وحدات المدينة المعمارية ، ويقابلها مدينة عسكرية أخرى على نهر دجلة فى وسط اقليم بابل هى سليوقية نهر دجلة وكانت هذه المدينة الأخيرة مركزاً تجارياً واقتصادياً هاماً ، نقطة تجمع للمغامرين الأغريق ، الذين يقومون برحلات ومغامرات فى موانئ آسيا ، كما كانت فى نفس الوقت العاصمة السياسية للشاطر الشرقى من الامبراطورية السليوقية ، فقد كانت مقراً لأنطيوخوس الأول عندما كان نائباً لأبيه الملك سليوقوس وموكلاً عنه لحكم الاسترايبات الشرقية للامبراطورية عام ٢٨٦ ق . م . وبالتقرب من هذه الحاضرة السياسية ذات المركز العمرانى الأغريقى

أقام المستوطنون الأغريق حاضرة أخرى هي سليوقية نهر بولايوس  
Seleucia-on-the Eulaeus ( سليوقية نهر القارون ) والتي كانت تدعى  
قديماً « صوصة » .

وعلى الخليج العربي أقام المستوطنون الأغريق مدينة هي سليوقية الأرثرية  
وكلمة « أرثرية » نسبة إلى البحر الأحمر ، وذلك لأن الجغرافيين الأغريق  
كانوا يعتبرون الخليج العربي هو النراع الشرقى للبحر الأحمر وجزء لا يتجزأ  
منه ، ولقد كان اهتمام الأغريق بالخليج العربي يرجع إلى القرنين السادس  
والخامس قبل الميلاد ، ويظهر هذا الاهتمام بظهور التأثير الأغريقى فى الجزيرة  
العربية خاصة فى الحضارة السبئية فضلاً عن انتشار الدراخما الأغريقية  
التي تحل صورة البومة ، وثقة التجار العرب فى هذه العملة حتى أنهم سكوا  
عملتهم على شاكلتها فيما بعد . وفى الحفائر التى أجريت فى البحرين ،  
عثر على كميات من هذه العملة ، بل عثر على نقوش اغريقية ترجع فى أغلب  
الظن إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهو عصر التوسع الاستيطانى الأغريقى  
ومطاردة الفرس ، كما أن البحر الأريثرى الشرقى ( لو جاز لنا أن نستخدم  
هذا الإسم الأغريقى بدلا من اسم الخليج ) كان محط التجار الأغريق المتطلعين  
للوصول إلى الهند . ومن ثم لم يكن غريباً أن يعمل السليوقيون على نشر  
الحواضر الدفاعية حول الخليج ، التى حملت أسماء إما أباميا أو أنطاكية ،  
كما انتشرت هذه الحواضر على طول ساحل شبه الجزيرة العربية الشرقى  
فى شكل مدن دفاعية صغيرة تقوم بعملية صمد الفرس فى حالة قيامهم بتهديد  
الأوضاع السياسية فى الشرق الأدنى ، والتفاعل الحضارى مع حضارات  
الشرق الأدنى القديم ، فالتسويق الحضارى لم ينفصل أبداً عن التسويق  
التجارى ، وأهم هذه المدن على الساحل الشرقى للجزيرة لاريسا Larissa  
ونخالقيس Chalcis وأريثوسا Arethusa .

ومن أهم هذه المواقع الدفاعية جزيرة فيلكة Phylakia ويبدو أن هذا  
الإسم الأغريقى أعطى لهذه الجزيرة فى عهد السليوقيين تعبيراً عن دوره الدفاعى ،

التي يعرض من اسمها الذي يعنى الحراسة . ولقد كشفت أعمال التنقيب التي قامت بها البعثة الدانماركية في جزيرة فيلكا بالكويت منذ عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٠ م عن أدلة هامة عن التواجد الأغريقي في هذه الجزيرة . وتقع فيلكا إلى الشرق من مدينة الكويت بحوالى ثلاثين كيلو مترا ، ولقد عثرت البعثة الدانماركية في موسم عامى ١٩٥٨ ، ١٩٥٩ في تل سعد وسعيد الواقعان في الزاوية الجنوبية الغربية من الجزيرة على بعض الأختام الباليديّة والهنديّة ، وقد أرخت البعثة تل سعيد بالعصر النحاسى أى حوالى ٣٥٠٠ ق . م ، بينما أرخت تل سعد بالعهد الأغريقى ، كما عثرت البعثة على سور المدينة الذي يرجع إلى العصر الأغريقى ، والذي كان يحيط بالمدينة القلعة ، مما يشرح جذور تسمية الجزيرة بالإسم « فيلكا » فيما بعد . ولقد عثرت البعثة على بعض قوالب من الآجر صور على واحد منها صورة الإسكندر الأكبر ، وقوالب أخرى صبت فيها مادة طرية فخرج تمثال أغريقى يمثل ربه النصر الأغريقية Nike ، وعلى صورة أفروديت ربة الجمال والمعادلة للربة عشتروت الشرقية ، وهى تقبض على التفاحة . وفى عام ١٩٦٠ م عادت البعثة إلى التنقيب في تل سعد فعثرت على مذبح Bomos ، يقع أمام معبد بنى على الطراز الأغريقى ، وعند مدخله عثر على قاعدتين وتاج من الطراز الأيونى لأحد الأعمدة ، وعثرت على بعض أحجار المعبد ، ومن أهم النقوش التي عثرت عليها هذه البعثة عام ١٩٦٠ م نقش حجر إيكاروس ، والذي يبلغ طوله ١١٦,٥ سم وعرضه ٦٢ سم وعليه نقوش يونانية بلغ عددها ثلاثة وأربعين سطراً ، جاء فيها ما يشير إلى أن الملك ( وأغلب الظن أن المقصود به هو الملك سليوقوس نفسه ) قد أصدر أمراً إلى حاكم جزيرة إيكاروس ( وهو الإسم الأغريقى القديم للجزيرة ) بأن يطلب من أهل الجزيرة العناية بمعبد الربة المنقذة Soteria التي أنقذت هذه المناطق من بطش الفرس واستعبادهم قبل إسقاط الإسكندر المقدونى للامبراطورية الفارسية الأخمينية ،

وإنما. الربة الأغريقية هي الربة ارتيميس Artemis ربة المراعى والصيد والحيوانات البرية والقمر ، فقد كان يكثر في هذه الجزيرة الوعول والظباء والغزلان فقد كانت الجزيرة من أشهر مناطق الصيد في العالم القديم ، كما طلب سليوقوس من أهالى الجزيرة العناية بمعبد ميثراس Mithras رمز النور والعدل والحق ، وأن يعتنوا بأرض الجزيرة ، فيفلحوا أرضها ويحافظوا على النزلان فيها . ولقد أكد هذا الاكتشاف صدق رواية المؤرخ الإغريق أريانوس Arrianos الذى كتب عن سيرة الإله كنابز الأكبر وفتوحاته ، وذكر فيها أن الإسكندر الأكبر أرسل بعثة إلى منطقة الخليج تمهيداً لفتحها ، وذكر أن هذه البعثة نزلت في جزيرتين من جزر الخليج ، احدهما كبيرة وكانت تسمى تيلوس وهو الاسم الإغريق لجزيرة دلمون القديمة ( البحرين ) ، والأخرى صغيرة كان أهلها يعبدون القمر وهو الربة أناهيتة الآشورية Anaetes التى شبهها الإغريق بأرتيميس ، ولذلك نسبت هذه الجزيرة إلى الربة الأغريقية أرتيميس ربة القمر والبرارى التى ترعى في ضوئه ، ولقد خلب الإسكندر بجمال هذه الجزيرة التى ذكرته بجزيرة إغريقية تقع في بحر إيجه بالقرب من ساحل آسيا الصغرى وتدعى إيكاريا Ikaria ولذلك أمر بإطلاق اسم إيكاريوس Ikaros على هذه الجزيرة ومعناها بالأغريقية الشبيهة بإيكاريا هذه الجزيرة هى التى غير سليوقوس اسمها بعد تأسيسه الإمبراطورية السلوقية ، وتحويل المدن الواقعة حول الخليج وعلى طول شرق العراق إلى مدن دفاعية إلى اسم فيلكا أى الحارسة .

إن أغلب هذه المدن الإغريقية التى نعرفها من النصوص القديمة والنقوش الإغريقية قد طمرت الرمال وأخفتها عن الوجود ، أو دمرتها الحروب الشرسة بين الروم والفرس . وأن العثور على أطلالها وكنوزها يحتاج إلى تنقيب علمي يحدد أولاً أماكنها ، ثم يعيد اكتشافها الذى سوف يأتي بنتائج مدهلة ، قد تغير فصولاً من تاريخ الخليج وبلاد الرافدين في العصر الهلنستى .

( م ٢٢ - مصر والشرق الأدنى في العصر الهلنستى )

ولقد كان أغلب من سكنوا مدينة بابل والإقليم التابع لها من السكان الأصليين ، فلقد كانت مدينة « بابل » وتوأمها « أوروك » من أكثر المدن القديمة في بلاد النهرين لآزدهاراً ، وأشدها صموداً أمام الغزو الحضاري الأجنبي ، رغم تهجير سكان بابل إلى الحاضرة الأثرية الجديدة « سلوقية نهر دجلة » وهذا لم يشجع السليوقيين على بناء حواضر أخرى جديدة في إقليم بابل ، كما أن مجهوداتهم في أغرة البابليين كانت ذات نتائج محدودة ومتواضعة . غير أنه كان لهذا الإقليم سحر خاص ، ومنزلة مميزة في نفوس السليوقيين ، فنذ تدمير بابل عام ٦١٢ ق . م ، وسقوط الدولة الآشورية عام ٦٠٦ ق . م أصبحت المنطقة الشمالية بلاد ما بين النهرين أشبه بامتداد لبلاد الشام حضارة واقتصاداً وسكاناً . ولذلك لم يجد السليوقيون صعوبة في إدماج بلاد النهرين بالشام تحت حكمهم ، بل أنهم بدأوا في تنظيم الحياة فيها بشكل لم يسبق له مثيل ، فقد قسمت بلاد النهرين إلى ثلاثة سترابيات كبيرة هي :

(أ) سترابية ميسوبوتاميا : *Satrapeia Mesopotamia* :

وكانت تعني الجزء الشمالي من وادي دجلة والفرات .

(ب) سترابية بابل : وتشمل الحوض الأوسط وأرض الجزيرة الواقعة

بين دجلة والفرات : *Satrapeia Babylon ia*

(ج) سترابية بارابوتاميا : *Satrapeia Parapotamia* :

أي لواء مصب النهرين وهي منطقة شط العرب الحالية وشمال الخليج وكانت في الأصل جزءاً تابعاً لإقليم بابل ، ولكن الإدارة السليوقية فصلته عنه ، وجعلته مستقلاً إدارياً ، وكان هذا اللواء يتبعه المناطق الحضارية الجارية في الخليج .

وعلى طريقة الإدارة البطلمية لمصر ، قسم السليوقيون هذه السترابيات إلى وحدات إدارية صغيرة سميت بالأبراشيات : *Eparchiai*



يمكن التعرف على أسماء الكثير منها من خلال النقوش لأن أغلبها ينتهي بالمقطع "ene" ، فمثلاً منطقة الخليج وجنوب شط العرب نظمت في ابراشية تدعى خارا سيني Characene وهي التي كانت تعرف قديماً باسم بلاد البحر ، أما سهل آشور فقد أصبح يعرف باسم ابراشية أديابيني Adiabene ، وأما إمارة بيت عابني الآرامية القديمة ، والتي كانت تقع عند منحني نهر الفرات في الشمال ، فقد أصبحت تعرف باسم ابراشية أوسروهيني Osrhoene ؛ أي أن السليوقيين استنادوا من التقسيم القديم للإمارات الآرامية ، التي انتشرت في بلاد الرافدين والشام قبل اجتياح الفرس لهذه المناطق في القرن السادس قبل الميلاد ، وذلك بعد إعطاء هذا التقسيم الآرامي القديم أسماء اغريقية جديدة ، بعضها كان ترجمة للأسماء الآرامية القديمة .

### تأثير الحروب المحلية على المدن في بلاد الرافدين :

وإذا ما تركنا الجانب الإداري لنبحث تأثير الحروب على الجانب الاقتصادي لتلك المنطقة إبان العصر الهلنستي ، نجد أن منطقة بلاد ما بين النهرين كانت مقسمة إلى عدة مناطق اقتصادية ، كل واحدة منها كان لها مجالها الاقتصادي المتميز ، فمثلاً منطقة شمال بلاد النهرين Mesopotamia كانت امتداداً اقتصادياً وتجارياً للشام ، وذلك واضح من كسر الفخار وقطع العملة التي عثر عليها في خرائب نينوى ونمرود ، بينما نجد منطقة بابل واقليم صوصة Susiana ( في الجنوب الشرقي للبلاد وهو ما يعرف حالياً باسم إقليم عريستان ) يكونان وحدة صناعية وتجارية قائمة بذاتها ، وعلى اتصال وثيق بتجارة وحضارة بلادان الشرق الأقصى عن طريق البحر .

وكما سبق أن ذكرنا ، كان العدو الأكبر للمدن الحضارية في تلك المنطقة من العالم هو الحروب المدمرة ، فلأنها منطقة حيوية اقتصادياً واستراتيجياً ، فقد كانت مطمح العايد من القوى الخارجية ، فالسلام الذي رُفِر على هذه البقعة خلال حكم السليوقيين لم يستمر طويلاً ، إذ تحولت هذه المنطقة إلى

ميناان للمجيشو المتقاتلة ، عندما اندفع بطليموس الثالث ( ٢٤٦-٢٢١ ق . م ) ملك مصر بقواته مخترقاً الشام في طريقه إلى نهر الفرات ، حاذياً حامو الفراعون تحتمس الثالث عندما طارد الميثانيين حتى ضفاف الفرات عام ١٤٧١ ق . م تاركاً هناك لوحة تسجل انتصاره عليهم ووصوله إلى مجمع البحرين ، ولما كان بطليموس الثالث يريد أن يحتل بسلفه القديم ، فقد اجتاحت دون سابق إنذار هذه المنطقة أثناء حروبه مع السليوقيين ، فيما يعرف بالحرب السورية الثالثة ( ٢٤٦-٢٤١ ق . م ) ولم يكأ أنطيوخوس الثالث ( ٢٢٣-١٨٧ ق . م ) يستوعب هذا الهجوم حتى توالى النكبات على الإمبراطورية السليوقية ، فقد ظهر مطالب بالعرش اسمه مولون Molon اقتطع لنفسه مملكة امتدت من بال حتى باكتريا ، غير أن مملكته لم تدم سوى عامين ( ٢٢٢-٢٢٠ ق . م ) إذ قضى عليها أنطيوخوس الثالث بعد معارك مضنية .

وفي القرن الثاني قبل الميلاد ، انسلخت الحروب في هذه المنطقة مرة أخرى ، مما ألحق الخراب والدمار ببلاد النهرين ، إذ لم يتوقف الصراع على العرش في البيت السليوقي ، ولم يتوقف ظهور المطالبين به بالإضافة إلى ذلك فإن عنصراً استعماريّاً جديداً بدأ يتطالع بنهم إلى المنطقة وهم الرومان ، الذين بدأوا يدخلون حلقة الصراع على المشرق العربي ، وقد بدأوا بدس أنوفهم في هذه المشكلة بصفقتهم حلفاء البيت البطلمي في صراعهم مع السليوقيين حول الشام في أول الأمر ؛ ثم بصفقتهم أوصياء وحماة لهذا البيت الحاكم عندما بدأ يضعف وينهار في القرن الثاني ق . م ، ولعل تحالف أنطيوخوس الثالث مع هانيبال القرطاجي ضد الرومان ، هو الذي أدرج اسم السليوقيين في قائمة أعداء الرومان اللذين يتوجب تأديبهم ، بل وتصفيتهم وضم أراضيهم عقاباً لهم وانتقاماً لشرف روما ، الذي مرغه هانيبال في الوحل لبعض الوقت .

هكذا يتبين أن كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى أضعاف العرش السليوقي حتى أنهم لم يعودوا قادرين على منع أرمينيا من الانفصال عن

أمبراطوريتهم ، ولاصلد العدوان من جانب دولة البارثيين في إيران على  
السترايات الشرقية للأمبراطورية السليوقية . وطوال القرن الثاني قبل  
الميلاد تحملت بلاد ما بين النهرين عبء تلقى الضربات من جانب المغيرين  
والمحتلين على الحدود الشرقية للأمبراطورية ، وزاد الطين بلة أن العرش  
السليوقي لم يشهد ملكا قادرا منذ موت أنطيوخوس الرابع عام ١٦٣ ق.م  
فمنذ موت آخر الملوك البطالين في هذه الأسرة لم يشهد تاريخ بلاد الأرفلدين  
والشام سلاما واستقرارا ، إنما أضحي سلسلة من الغزوات العدوانية  
ومطاردتها الى ما وراء الهضبة الإيرانية ، مما خلف الدمار والحرب .  
وفي غياب الكبار ، برز الصغار متمثلين في ملوك الأسرة الضعفاء مما شجع  
أعداء العرش والمطالبيين به ، والمثل على ذلك واضح في الصراع الذي قام  
بين الملك أنطيوخوس الخامس (١٦٣-١٦١ ق.م) وبين غريمه الاسكندر  
باللاس Alexander Ballas أحد المطالبيين بالعرش ؛ وبين ديمتريوس الأول  
أحد المطالبيين بالعرش أيضاً ، وخلال هذا الصراع الثلاثي ، استغل ستراب  
ميدايا في بلاد فارس واسمه طيمارخوس Timarchos الظروف وأعلن نفسه  
ملكاً على أقلم بابل ، وظل يحكمها كملك حتى قتله الملك السليوقي ديمتريوس  
عام ١٦٠ - ١٦١ ق.م . وفي عام ١٥٣ ق.م اجتاح البارثيون مرة أخرى  
بلاد ما بين النهرين . وفي صيف عام ١٤١ ق.م استولى مثراداتيس  
Mithradatis ملك مملكة بونتوس Pontos ( جنوب البحر الأسود )  
على بابل ، التي تمكن ديمتريوس الثاني من استعادتها للمملكة السليوقية ،  
ولم يمض عام على تحرير بابل ، حتى عاد مثراداتيس إليها مرة أخرى  
عام ١٤٠ ق.م . وفي هذه المرة تشبث مثراداتيس بأقليم بابل حيث أقام  
قلعة حربية منيعة فيه وهي طيسفون Ctesiphon والتي اتخذها البارثيون  
عاصمة لهم فيما بعد ، وبناء قلعة طيسفون دعم البارثيون وجودهم في بابل  
وأصبح نهو النهرين عن الشام لأول مرة منذ الفتح المقدوني للشرق الأدنى . وبالرغم

من ذلك ، لم يكف السليوقيون أبدا عن محاولة استعادة الرافدين ، فقد قام الملك أنطيوخوس السابع المعروف بلقب سيديتيس Sidetes بمحاولة لتحرير إقليم بابل عام ١٤٠ ق.م ، وحى آخر المحاولات السليوقية لاستعادة بلاد الرافدين ، ولكنها سقطت على يد البارثيين في ربيع عام ١٢٩ ق.م وكانت هذه الهزيمة بمثابة الكارثة التي حاقت بالحضارة الاغريقية في المشرق العربي عامة ، وبالدولة السليوقية وأهدافها خاصة ، وانسحب السليوقيون الى غرب الفرات . وبدأت حركات الانفصال تنتشر في أوصال هذه المملكة . إذ نعرف من إحدى العملات أن أحد سترابات أنطيوخوس السابع المعزولين واسمه هوسباوسين Hyspaosines أعلن استقلاله بمنطقة شط العرب وشمال الخليج وكانت تعرف باسم خراسيني Characene ، وأعلن نفسه ملكا عليها ، وأعاد بناء مدينة حرية اغريقية قديمة كان اسمها أنطاكية ، وكانت تقع على الجانب الشرق لشط العرب الى الشمال من الخليج ، وضرب حولها خندقا ثم غير اسمها الى « نختدق سباوسين Charax Spasinou وعلى طول نهر الفرات قامت إمالك وإمارات حكمها مشايخ القبائل العربية ، أكبرها مملكة بيت عديني عندما إنحناء نهر الفرات والتي أصبح اسمها بالاغريقية أوسروهيني Osrhoene وكان يحكمها عام ١٣٠ ق.م شيخ عربي يدعى أبجاروس Abgaros . لقد كان انسلاخ هذه الممالك والمشايخ عن الإمبراطورية السليوقية إيذانا بعودة عصر التفكك السياسي والانفتحت الاقليمي للمنطقة ، والذي عانت منه الإمبراطوريات القديمة في بلاد الرافدين منذ السومريين وحتى عصر الآشوريين ، حتى أن أن سرجون الثاني الآشوري ( ٧٢١ - ٧٠٥ ق.م ) قد اضطر في يوم من الايام الى الاعتراف بقيام مملكة البحر في جنوب الرافدين وشمال الخليج كأمر واقع .

### سياسة الملوك السليوقيين ازاء المدن العريقة في بلاد الرافدين :

والآن لتتساءل ماهو الدور الذي لعبه الملوك السليوقيون بالنسبة للمدن الشرقية العتيقة في جنوب العراق وحول الخليج ؟ ان نظرة الملوك السليوقيين

لم تكن واحدة الى هذه المدن ، إنما اهتموا بتلك التي تمتعت بمجد تليد وغابر مثل مدينة بابل ، فنذ حكم الملك سليوقوس الثانى ( ٢٤٦ - ٢٢٦ ق.م ) أصبح ملوك الدولة السلوقية يتمتعون اسميا بلقب « ملك بابل » بالرغم أنهم لم يتوجوا رسميا كملوك عليها ، مما يعنى أن اقليم بابل لم تعد له الاهمية القديمة التي تمتاها له الاسكندر الأكبر ، لكن السلوقيين ظلوا يطبقون سياسة رقيقة ومتعاطفة تجاه البابليين ، رغم أن النظم التي طبقوها في بابل كانت هي نفس النظم التي طبقتها في سائر أنحاء الامبراطورية . فقد أظهروا احتراماً للتقاليد ولشعائر العبادة الشرقية ، وطبقوا نظاما عادلا في جمع الضرائب ومنحوا المعابد امتيازات خاصة مثل الاعفاء من دفع الرسوم المفروضة على تسجيل الصكوك المالية والتعاملية والأحكام القضائية ، التي كان أصحابها يردعونها في خزائن المعابد، ولم يفكر أبدا في نهب أموال المعابد أو كنوزها أو وثائقها ، بالرغم من الثراء الفاحش الذي عرف به معبد بابل في ذلك الوقت ، وقيام كهنته بممارسة الأعمال المصرفية والمالية ، بل عاملوا معبد بابل باحترام فاق الاحترام الذي أولوه لمعبد مدينة عيلام ، وهيكل سليمان في القدس . ففى كل مكان قام هؤلاء الملوك باتباع سنة الاسكندر الأكبر في ترميم وتجديد وتجميل المعابد الشرقية العتيقة ، فبتشجيع منهم تبرع اثنان من الأثرياء الوطنيين المتأخرين هما نيكارخوس Nikarchos وكيفالون Kephalon بإعادة بناء معبد أوروك ( الوركاء ) ، وفى بابل ذاتها قام أنطيوخوس الأول بالإشراف على رفع الأتربة عن معبدى ايساجيلا Esagila ومعبد مردوخ بالإضافة الى ترميم معبد ازيدا Ezida ومعبد نابو Nabu في مدينة بورسيبا Borsippa ( تل برسيب وهى برس نمرود حاليا ) ، وذلك في عام ٢٢٩ - ٢٢٨ ق.م ، وعلى طرل القرن الثالث ق.م ، كانوا يعبدون لأهالى بابل وبورسيبا ، وأكد الأراضى التي كانت تنزع منهم في كل مرة ، ولقد كان الملوك السلوقيون كرماء حقاً مع البابليين ، فحرصوا على منحهم اقطاعات زراعية من أجل خلق طبقة من الأغنياء

تكون قريبة منهم وتساعدهم في حكم البلاد ، وهذه سمة من سمات الحكم السليوقي التي طبعتها في كل مكان .

### ازدهار التجارة والصناعة ورواج الاقتصاد :

ولقد كانت لسياسة ربط المدن البابلية العتيقة بالمدن الاغريقية الجديدة ، ثم ربط مدن الزاافدين وشمال الخليج بشبكة من الطرق مع مدن الشام وآسيا الصغرى الاغريقية ، ثم ربط مدن الشرق عامة بمدن وموانئ بحر ايجة وبلاد اليونان . تأثير اقتصادي كبير ، فقد خلق « كومونولث هيلينستي » ، عاد بالرخاء وبمزاي اقتصادية جديدة على جنوب العراق وشمال الخليج ، فازدهار التجارة ووصولها من اماكن بعيدة ندرته من كسر الفخار القادم من رودس ، وكذلك من مقابض الجرار المشهورة بأختام تمين مكان صناعتها ، وقد عثر عليها في خرائب دورا يوروبوس ، وسلوقية دجلة ، وأيضاً في نمرود وأوروك — أما عن قطع العملة فهي كثيرة ، كما أن نقاء معدنها ، وثبات وزنها ، سواء كانت في شكل المنا Mna أو الشقل ، ساعد الدولة السليوقية على عقد صهوبات تجارية مع كل أنحاء العالم .

كما انتشرت وحدة ثابتة للموازين والمعايير في بلدان الشرق المتأخرق والغرب الاغريقي . وفي نفس الوقت ، وعلى المستوى المحلي استخدم البابليون نظمهم القديمة في الموازين والمكاييل والمقاييس جنباً الى جنب مع النظام الاغريقي ، فالأول هو النظام الموروث عن الآباء والأجداد ، والثاني هو النظام الرسمي للدولة السليوقية . بالاضافة الى ذلك ، فقد أصدرت الدولة السليوقية عامة عدة عملات برونزية محلية من النشأت الصغيرة على المستوى المحلي لهذه المنطقة مما كان له أكبر الأثر في تنشيط التجارة الداخلية ، وتسهيل المعاملات بين الناس .

وبالرغم من أننا لا نملك الأدلة الكافية عن الحياة الاقتصادية في مدن جنوب الرافدين والخليج في العصر الهلنستي ، غير أن لدينا من الأدلة ما يكفي القول بأن هذه المدن شهدت رخاء زراعيا يقوم على زراعة المحاصيل التقليدية ، يواكبها رخاء صناعي ، يقوم على صناعة السجاد والعطور والبخور ، وبالنسبة لصناعة الفخار نجد في البداية فخارا مستوردا من إقليم اثينا باليونان ، وهذا النوع يتميز باللون الأسود اللامع ، ثم بعده يظهر فخار مدينة ميغارا Megara في بلاد اليونان ، والذي يتميز بالزخرفة التشكيلية البارزة على جوانب الأواني ، هذا مع بداية وصول النشاط الاغريقي الى منطقة الخليج وجنوب الرافدين ابان القرنين الخامس والرابع ق.م ، ولكن بدءا من القرن الثالث ق.م تحولت مدن بلاد ما بين النهرين الى مدن منتجة للفخار ، بل وبدأت هذه المدن تقلد الفخار الاغريقي المستورد وتصايره ، ويلاحظ أن انتشار قطع الفخار خاصة في مدن جنوب العراق يتناسب مع العثور على كميات كبيرة من نقود العصر الهلنستي .

مما قسم بلاد الرافدين الى منطقتين اقتصاديتين مختلفتين : منطقة شمالية انتشر فخارها من سهل آشور حتى الأناضول ، ومنطقة جنوبية مركزها بابل ، اشتهرت بانتاج فخار يميل الى الزرقة الخضراء ويتميز بلمعانه وبريقه ، ومنذ القرن الثاني قبل الميلاد أصبحت بابل سوقا رائجة له .

ولقد أدى رخاء هذه المدن الى زيادة الاستهلاك ، والى زيادة الطلب على سلع الشرق الأقصى الكمالية ، مما أدى الى تنشيط طرق القوافل التجارية القديمة ، والتي كانت تربط بين بلدان الشرق الأقصى ومنطقة الخليج ودبت الحياة في الطريق الأفقي والذي كان يربط بين موانئ الخليج وموانئ الشام . فقد اكتسب هذا الطريق أهمية خاصة وأن طريق القوافل التجارية الآخر ( وهو طريق البخور والذي كان يبدأ من ميناء عدن في جنوب الجزيرة ويسير بمحاذاة جبال السراة الحجازية المطلة على البحر الأحمر ، مارا

بالبطائف ومكة ويثرب حتى ينتهى عند البتراء أو بصرى فى الشام )  
 كان قد بدأ يفقد أهميته ، وأصبح غير آمن بسبب الصراع الذى دار  
 بين البطالمة فى مصر والسلوقيين من أجل جنوب الشام ، حيث انقسمت  
 دويلات للشرق الأدنى الى حزبين ، حزب انضم الى السلوقيين ، وكان يتكون  
 من دولة سبأ فى الجنوب العربى والأنباط فى الشمال ، وحزب آخر انضم الى  
 البطالمة ويشمل دويلة ديدان الهلا وبقية المستوطنات السبئية الحجازية والى  
 كان يطلق عليها اسم سبأ الشمال لتعدددها ، وبسبب ذلك اندلعت الحرب بين  
 سبأ الجنوبية وسبأ الشمالية فى نفس الوقت الذى اندلعت فيه الحرب السورية  
 الرابعة عام ٢١٧ ق.م ، وكان من الطبيعى أن يضيق البطالمة الخناق على  
 تجارة الجنوب العربى ، بتشجيع التجار على مقاطعة طريق البخور الجنوبى  
 واستخدام موانئ البحر الأحمر بدلا منه ، وأعد البطالمة الموانئ المصرية على الساحل  
 الغربى للبحر الأحمر لاستقبال هذه التجارة . وأكثر من ذلك أنشأوا عادة  
 من المستوطنات البحرية على ساحل البحر الأحمر الشرقى مثل امبيلونى *Ampelone*  
 ( القريبة من ميناء الوجه الحالى ) وميناء آخر على خليج العقبة ، وبالطبع  
 كانت موانئ « ديدان » فى خدمة البطالمة وضد تجارة أعدائهم الأنباط .  
 ولهذا السبب فان وقوع طريق القوافل الجنوبى فى منطقة الصراع البطالىمى  
 - السلوقى - جعله يفقد أهميته ونظرا لأزدهار مدن جنوب العراق وشمال الخليج  
 فى ذلك الوقت فقد نشط الطريق الأفقى الممتد من مدن الخليج عبر ماينة  
 جرها ( الهفوف فى إقليم الاحساء ) ، خاصة أن هذه المدن الخليجية كانت  
 بعيدة عن قلب الصراع بين الدولتين وفى مأمن منه ، ومن ثم ازدهر هذا  
 الطريق الأفقى ازدهارا كبيرا ، وجنت منه مدن جنوب العراق ومدن الخليج  
 العربى والساحل الشرقى لشبه الجزيرة فوائده كثيرة وأرباحا طائلة ، بينما  
 دب الكساد فى الطريق الرأسمى ، حتى أصبحت تجارته تنحصر فى رحلتين ،



رحلة الشتاء ورحلة الصيف ، بدلا من طول العام كما كان قديما ، بنما بدأت المصنقات والمعاملات التجارية تتم عن طريق القوافل القادمة من طريق الخليج والساحل الشرقى لشبه الجزيرة العربية عبر مدينة جرها Gerrha والتي بدأت تبرز كمدينة خليجية ذات ثراء ونفوذ منذ القرن الثالث قبل الميلاد بسبب تحول طريق التجارة الى ناحية الخليج العربى . ولقد ثبت من نتائج اكتشافات بعثات التنقيب الأثرى أن المستوطنين والتجار الاغريق استوطنوا الجزر الصغيرة الواقعة فى الخليج العربى مثل تيلوس Tylos ( والى ذكرها استرابون خططا باسم تيروس Tyros وهى دلمون أو جزيرة البحرين ) ، وجزيرة ارادوس ( لم تحدد بعد فى جزر الخليج العربى ) وجزيرة ايكاروس ( فيلكا ) لأن هاهـ الجزر تحولت الى مراكز للتجارة ولتخزين السلع . وفى القرن الثانى ق.م ازدادت أهمية طريق الخليج التجارى ، وتحولت مدينة سلازوقية دجلة الى نقطة مرور أساسية للقوافل حيث يتم خلط وتحديد أسعار السلع ، قبل أن تنقلها القوافل الى الشام وسواحل البحر المتوسط .

ولقد ظل طريق القوافل الأفقى مبعث النهضة والرخاء للمدن الإبلية والخليجية ، حتى حدث تغيير فى مسار طرق القوافل ، واتخذ مسارا شمالا بغرب على طول ضفاف الفرات متفاديا جنوب الرافدين والخليج . ففى نهاية القرن الثانى قبل الميلاد ، أفتتحت طرق تجارية مباشرة تمر عبر مناطق الاستبس الشمالية فى آسيا الصغرى تبدأ من مدينة أديسا Edessa ( عرفة فى تركيا ) حتى نهر دجلة ، كما افتتحت طريق آخر يبدأ من مدن الفرات وينتهى عند تدمر بالمررا ( والى بدأت تبرز كأهم المدن العربية حتى تحول الرومان هذا الطريق عنها ) وطريق ثالث يبدأ من مدينة جرها Gerrha ( الهفوف ) وينتهى عند البتراء عاصمة دولة العرب الأنباط وكان ذلك الطريق

الآخر أكبر نجاحا لأن القوافل التجارية فضلت المرور فيه تجنباً للطريق  
الشمالى الذى يخترق بادية السماوة غرب الفرات ، حيث تسكن قبائل البدو  
الشرسة التى تخصصت فى الاغارة على القوافل وسبها وقتل رجالها ؛

### ازدهار الحياة الاجتماعية والمدنية والثقافية :

وإذا كنا قد استطعنا أن نرسم صورة اقتصادية لمدين جنوب العراق  
والخليج ابان العصر السليوى ، فبئس نستطيع ان نرسم صورة اجتماعية  
لسكانها ؟ والحق يقال أن ذلك لأمر صعب لأن النقص فى الوثائق المكتوبة  
عن هذه الفترة واضح بعكس الحال فى مصر حيث تزخر آلاف الوثائق  
البردية من العصر المملوكى التى تعطينا صورة دقيقة لأحوال الناس وشكواهم  
وعلاقاتهم ببعضهم البعض ، فالوثائق الوحيدة تأتينا من مدينة بابل ، حيث  
لعب معبدا بابل ، والوركاء ( أوروك ) دورا دينيا وثقافيا كبيرا فى هذه  
الفترة ، الى جانب دورهما فى التشريع وفى الأبحاث العلمية والفلكية ، وهى  
مجالات تمثل جوهر الحضارة البابلية ، وهى الحضارة التى طغت على مدن  
الخليج العربى . فلقد حافظ هذان المبدان على التراث الدينى البابلى العتيق  
كما يظهر لنا من وثائق معبد نانايا Nanaia فى صوصة ، غير أن وثائق  
معبداى بابل والوركاء لاتسجلنا كثيرا فى الكشف عن مظاهر الحياة الاجتماعية  
المختلفة للسكان ، إذ لا توجد وثائق شبيهة تسعف الباحث فى هذا المجال .  
فالعقود والشهادات التى ترد مع النصوص الأدبية والعلمية غالبا ماتتلق  
بطبيعة الكهنة الارستقراطية ، التى لم يزد عددها فى أوروك مثلاً عن بضع  
مئات فى كل جيل ، لكن هناك ثغرة يمكن أن ينشد إليها الباحث ليخترق  
هنا الغموض عن الحياة الاجتماعية ، وهو دراسة الأسماء أى أسماء الأعلام  
والرؤائف ، ودرجة القرابة بين شاغلها ، وكذلك العلاقات الأسرية ،  
وعن طريق ذلك نستطيع أن نستشف بعض التصورات عن وضع الأسرة فى

تلك المدن ، وطريقة تنظيم المجتمع فيها . وفي إمكاننا أن نميز بين طبقتين أوفنتين من فئات المجتمع ؛ : الفئة الأولى وهي فئة عامة الناس من غير طبقة الكهنوت الثرية ، وهذه الفئة مارست حياتها في حرية من القيود الكهنوتية ؛ أما الفئة الثانية فهي بالطبع فئة الكهنوت التي شغلت المناصب العليا في المجتمع ، كما نلاحظ أن بعض أبناء الفئة الأولى برزوا في الحياة العامة ، ومارسوا دورا هاما في الحياة السياسية والاقتصادية ، وظهر من بينها « أعيان اندمجوا في الأخذ بمظاهر الحياة الحضارية الاغريقية ، حتى أن بعضهم حملوا أسماء اغريقية الى جانب اسمائهم البابلية القومية ، والى هؤلاء الأعيان » ينتمي طبقة الكتبة ، الذين كانوا يتولون اعمال الصرافة والمضاربات المالية ، وتحرير العقود وصكوك المعاملات ، وكان هؤلاء الكتبة « يكونون جماعة صغيرة معروفة لباقي أعضاء المجتمع ، وكانوا يورثون وظائفهم وامتيازاتهم ومهاراتهم وخبراتهم الى أبنائهم من بعدهم ، ومن جيل الى آخر ، كما كان لطبقة الكتبة بعض الحقوق والواجبات الدينية والكهنوتية ، لكنهم اعتبروا في درجة صغار الكهنة في المعابد . أما فئة كبار الكهنة فقد كانت تشكل طبقة المثقفين المستنيرين والعلماء المنحصرين في فروع المعرفة والملمين بالأسرار الكونية ، والدينية والدينيوية ، وكانوا يلعبون بحجرات ومهام متعددة ومتنوعة مثل السحر والتعاويذ ، وطرده الأرواح الشريرة . الى جانب ذلك كان المعبد مركز المعرفة والثقافة ، وقام الكهنة بدور كبير في إثراء الحياة الثقافية بانجازاتهم وأعمالهم الأدبية والعلمية . وبدراسة النصوص القانونية والتشريعية التي كتبها كبار الكهنة والبارزون منهم للدليل كاف على أن تراث بابل في النطق والقانون القديم منذ أيام دونجي وحمورابي لم يمت ، بل ظل حيا وقائما حتى العصر الهلينيستي ، باستثناء بعض التغيرات التي طرأت على بعض الاصطلاحات في عقود المعاملات ، والتي بدت تدخل وافدة مع الحضارات الأخرى منذ القرن السادس ق.م ، أما الصكوك الخاصة ببيع الرقيق وبحيازات ملكية الأراضي ، وعبارات الدعاء ومنع البركة ، التي يسبقها الكهنة على الناس فقد بقيت على حالها العتيق دون تغيير .

وفي العصر الهلينيستي مثلاً نجد حماساً شديداً يسرى بين كبار الكهنة وأصحاب المعرفة لجمع نصوص التراث وترتيبه وتنظيمه في أرشيفات مثلما فعل آشور بانيبال من قبل . كما ظهرت طبقة من الكتبة المتخصصين في نسخ أعمال التراث العتيق ، وقد عمل جامعو التراث العتيق ونسخه جنباً إلى جنب مع الأدباء المبدعين ، فسارت حركة الأحياء مع حركة الإبداع ، والأصالة مع المعاصرة ، وظهرت الأعمال الجارية جنباً إلى جنب مع الأعمال العتيقة ، وهناك عشرات الألوف من النصوص العلمية والخاصة بالرياضيات وعلم الفلك ، والنصوص اللاهوتية الخاصة بنشأة الكون وحركته ، وسر الوجود ، كما شهدت هذه الفترة ظهور القواميس والمعاجم للغتين السومرية والآرامية ؛ كما دونت لأول مرة صيغ الصلوات والابتهالات والترانيم اللاهوتية ، ومراسم الشعائر . هذه النهضة الثقافية والأدبية تكاد تماثل نهضة الأدب الهلينيستي الأغريقي ومركزه مدينة الاسكندرية والذي تأثر به وأثر فيه ، ولقد باركت الدولة السلوقية هذه النهضة ، وأسبغت رعايتها على رجال العلم والمعرفة والكهنة البابليين ، وحفرتهم على اظهار الدرر المدفونة ، والجواهر المكنونة ، لحضارة بلاد الرافدين . ففي مقدمة إحدى النصوص العتيقة التي أعيد نسخها يقول الناسخ « أن هذا النص قد نسخ طبقاً للألواح التي أتى بها نابو بولاصر ( ٦٢٦ - ٦٠٤ ق.م ) ملك بلاد البحر ( شط العرب والخليج ) من أوروك ، والتي قام ينسخها عن الأصل كيانين آني Kidin-Ani منشد الربين آنو وأنتو في أوروك ، وسليل إيكورزاكير Ekur Zakir كاهن معبد ريش الأكبر في عهد الملكين سليوقوس وأنطيوخوس ، وقد أعاده ( أي الأصل ) ثانية إلى أوروك » .

لقد تشبث الوجهاء والمفكرون وكبار رجال الدين في مدن بابل والخليج في العصر الهلينيستي بتراسمهم القومي الشرقي ، كما ابتاعوا علم الأنساب لتتبع شجرة عائلاتهم حتى الأجداد الأربعة الكبار وهم أكور - زاكور ، سن -

ليجي — أونيني ، Sin-Legi-Unini ، أهيتو Ahitu ، وهونزو Hunzu ، وهم أجداد الحضارة الأربعة ، فكل عالم أو مثقف أو وجيه لابد وأن ينسب نفسه إلى أحد هؤلاء الحكماء الأربعة ، حتى فقهاء القانون يحرصون على ذكر قولهم أنهم توارثوا هذا التراث الفقهي عن أحد هؤلاء الأجداد لإضفاء الشرعية والتبجيل على ما يكتبون ويشرعون .

وعلى غرار ما قام به ملوك مصر من البطالة ، عندما شجعوا كهنا مصر يا يلم باللغة الاغريقية ، اسمه « مانيتون السمنودي » ليكتب تاريخ مصر العتيق بلغة الاغريق الهلينية ، لغة الشرق الأدنى الرسمية وعالم البحر المتوسط لكي يعرف مواطنيه الجدد بتراث البلد الذي حطروا رحالهم فيه ، فان ملوك السليوقيين شجعوا أيضاً كهنا بابلياً اسمه بروسوس Berossos ليكتب للأغريق وبالأغريقية تاريخ الحضارة البابلية بدءاً من عصر الحكماء الذين عاشوا قبل زمن الطوفان ، ليثبت لهم أنه لا جديد قد اكتشف منذ ذلك العصر ، ومن الطريف أن أحد النصوص الذي اكتشف من العصر السليوقي ، يضع على رأس القائمة قصة صاحب الخوت Oannes ( يونس أو يونس ) والذي عرفنا اسمه من شلرات — مؤلف بروسوس المفقود .

أما فيما يختص بالجانب الديني في مدن هذه المنطقة ، فان أغلب الوثائق من العصر الهلينيستي تؤكد انتشار عبادة « أنو Anu » رب السموات والأرض ورب رجال الدين . وكان النموذج الأول لكل أب في أسرته ، والمالك في مملكته ، لأن السلطة تكليف منه ، أنزلها من السماء الى الأرض وكلتاها خلقتا بكلمة منه ، غير أن عبادة أنو انحسرت بين الارستقراطية الدينية ، وكبار رجال العلم والمعرفة ، خاصة وأن هذا الرب سومري الأصل ، بينما نجد الربة « عشتار » التي عبدت في الوركاء كربة للسماء باسمها السومري القديم نانايا Nanaia أو انيني ( أى سيدة السماء ) تحظى عبادتها برواج شعبي كبير بين عامة الناس كربة للعهدال ، وهي الربة الشرقية التي كانت

قد عبرت عبادتها البحر المتوسط الى بلاد الاغريق حيث عرفت باسم أفروديت وانتقلت بعد ذلك الى الرومان ليعبدوها باسم « فينوس » ، ربة الحب والحرب في وقت واحد ، وكان رمزها كوكب الزهرة ، وإذا كانت عبادة أفروديت الاغريقية قد شهدت أعظم أيام انتشارها في العالم الهلينيستي ، فان الاصل الشرقي لها شهد في نفس الوقت انتشارا شعبيا يشهد على ذلك كثرة التماثيل التي قدمها لها عامة الناس في جنوب الرافدين ، وكانت هذه الربة تنصدر قائمة الربات الانثويات مثل بيليت-شارش Belit Sha-Rash وبيليت سيري Belit Seri ، وشارا-حيتو Sharahitu بينما تصدر آتو قائمة الأرباب المذكور مثل أنليل ، وايا Ea وبابوسكال Papuskal ، وشمش ( الشمس ) ، وسن ( القمر ) . كما ارتبطت هذه العبادات البابلية بالتنجيم ، فقد اعتبرت النجوم مثلثات للأرباب ، وهي في السماء عالم الآلهة يحكمها جميعا رب واحد هو القدر . أما العوام من الناس فلا نعرف ماذا كانت نظرتها الى هذه النظريات العقائدية ، لأن فكر العامة كان يميل الى التراث الآرامي الذي لم يتبق لنا منه سوى مادة محدودة .

وتؤكد المكتشفات الأثرية ازدهار العبادات الوطنية في عهد الدولة السليوقية ، ففي هذا العهد رمم معبد ايانا Eanna في مدينة الوركاء ، خاصة البرج الذي اشتهر به ، والذي كان في شكل هرم مدرج شبيه بهرم زوسر في مصر ، أما المركز الاجتماعي في الوركاء فكان يعرف باسم « بيت أكينو » وكانت تقام فيه احتفالات رأس السنة البابلية كل عام ، والى الشمال من « بيت أكينو » قامت أبنية ضخمة . أما مرافق المصالح الحكومية فكانت تقع بالقرب من معبد ايانا في ملحقات معبد ريش Resh ، واشجال Esh-Gal . وكان في المدينة نبيلان حملا الى جانب اسميهما الشرقي أسماء اغريقية وهما ( آتو - يوباليت ، كيفالون Anu Ubalit Kephalon ) والذي كان موطنًا أول في أوزوك عام ٢٠٢ - ٢٠١ ق.م. ) والآخر هو آتو يوباليت نيكارخوس .

Anu Ubalit Nikarchos ( المواطن الأول في أوروك عام ٢٤٣ - ٢٤٢ ق.م ) ، وقد تعاون هذان الوجهان لبناء مبدى أنو وآنتو في ريش ، حيث استخدم المعماريون في الترميم أساليب بابلية عتيقة مثل استخدام الطوب المزجج . وكان هذا المعبد مركز النشاط الاجتماعى والدينى ، فقد عثر فيه على بقايا مكتبة ثقافية دينية من العصر السليوى . ونستخلص من ذلك أن المباني التى أشرف عليها كيفالون من أجل بناء معبد يليق بعشتار - نانايا ، تدل على أن هذه الربة كانت تستحوذ على قلوب الجماهير ، بينما كانت لاتلقى اهتماما من جانب الأقلية المثقفة من الأرسقراطيين والكهنة . وهذا فى حد ذاته يمثل انتصار لإرادة العامة على إرادة هذه الأقلية ، التى أجبرت السلطات الحاكمة على احترام ارادتها وتملقها . وكان ترميم هذا المعبد الكبير فى المدينة الخالدة هو نهاية تاريخ طويل وحافل لعبادة الربة العزيزة على قلب شعب أوروك .

### علاقة المستوطنين المقدونيين والأغريق بالبابليين فى المدن الأغريقية :

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو مانوع وماهية العلاقة التى قامت بين سكان هذه المدن الأغريقية من المستوطنين المقدونيين والأغريق ، وبين أشقائهم من العنصر البابلى . ؟

أن البحث عن إجابة لهذا السؤال أمر صعب ، وذلك لأن زمام الأمر والنهى فى تصريف أمور الناس كان فى أيدي الطبقة الكهنوتية ، التى كانت تكن للأجانب عداء ومقتنا شديدا ، وتحط من قدر ثقافتها ، وتحقر من عنصرها العرقى ، لكن ذلك العداء لم يمنع من تسلل بعض الآلهة الأغريقية الى قلوب شعوب تلك المنطقة ، فمن بين القرابين البابلية نجد قرابين مقدمة الى آلهة أجنبية فى « أوروك » مثل أديشو Adeshu ( الذى هو تحريف للرب الاغريقى هاديس ) ، كما يتردد اسم الربة ايسى Esi ( والذى هو تحريف لاسم الربة المصرية ايزيس التى انتشرت عبادتها بعد أغرقها فى م ٢٣ - مصر والشرق الأدنى فى العصر الهلينستى )

الشرق والغرب ابان العصر الهلينيستى ) ، وقد سبب هذا الامتزاج الحضارى صعوبة لعلماء النقوش سواء الاغريقية أو الأكديّة ، فكل كتابة تحاول كتابة أسماء أجنبية بطريقتها القومية واللغوية مما يبعد الاسم تماما عن أصله الحقيقى ، والنقوش الاغريقية تحاول تسجيل أسماء بابلية بحروفها الأبجدية محدثة فيها التغيرات الصوتية التى تماشى مع صوتيات الأبجدية الاغريقية ، مما يسبب مشقة فى قراءتها والتعرف عليها ، وكذلك تعمل النقوش الأكديّة جاهدة على نقل أسماء أغريقية بعد انضمامها لصوتياتها ، ومن الأدلة على تأغرق بعض البابليين بردد أسمائهم الأصاوية متنوعة بالاسم الاغريقى المكتسب وقد سبق أن أشرنا الى نيكارخوس البابلى الذى رمم منبد ريش Resh عام ٢٤٣ - ٢٤٢ ق.م ، فقد كان اسمه القومى الكامل هو « أنا يوباليت بن آنو أقصور ( Aqsur ) سليل آهوتو ، والذى أسبغ عليه الملك أنطيوخوس الثانى ملك البلاد اسما ( مجايدا ) هو نيقياجارجوسو Nikia-Gargusu ( نيارخوس بالاغريقية ) ، وبالرغم من انتصار القومية البابلية على حركة الاغارقة السليوية فى القرن الثانى ق.م حيث نجد أحفاد هؤلاء الأعيان المتأغرقين يسقطون عمداً الاسم الاغريقى المكتسب تمشيا مع انتصار التيار القومى ، لكننا نجد أقلية يتشبثون به ، إذ نجد شقيق كيفالون وابنه وزوجته وابنها منه يحتفظون بالأسماء الاغريقية طوال القرن الثانى ق.م .

وفى خضم هذا البحر العميق العريق من شعوب بلاد النهرين ، عاش المستوطنون الاغريق فى جزر مسكانيّة صغيرة منعزلة ، أى فى مجتمعات خاصه بهم ، تقوم على المدرسة ، والنادى الرياضى ، والمبد أى فى الجمنازيوم ، وكذلك فى المساكن المتجاورة فى حى واحد ، ويمارسون من خلال هذه المؤسسات الاجتماعية والثقافية حياتهم وثقافتهم على طريقة بنى جلدتهم فى الوطن الأم ، وعلى غرار سكان العاصمة أنطاكية ، فمن المحتمل أن يكون السكان غير الاغريق هم الآخرون ، قد نظموا أنفسهم فى شكل جاليات Politeumata قومية عبارة عن منظمات شبه سياسية تقوم على أساس العرق ، وكان الغرض منها



تحديد الوضع الاجتماعى والسياسى والإدارى لغير المواطنين المتحدرين من أصل غير أغريقى ، خاصة أن شعوب هذا المنطقة عرفت بتعدد القوميات منذ أقدم العصور . غير أن المجتمعات الأغريقية لم تكن أبداً مثل مجتمعات الجيتو Ghetto اليهودية المنغلقة على نفسها ، بل كانت منفتحة القلب والعقل على حضارة البلاد القومية ، فعلى العكس من اليهود ، لم يكن أغريق العصر الهلنستى يشعرون أبداً بالاستعلاء العنصرى على شعوب الشرق ، وأنهم يزعمون أنهم شعب الله المختار ، بينما غيرهم ليسوا سوى « جويم » أى أدنى مرتبة منهم ، إنما كانوا يشعرون بالاحترام والتبجيل لحضارات الشرق الخالد ، بدليل أنهم كانوا يشاركون شعوب الشرق كراهيتهم للعنصرية اليهودية ، وحرصوا على احترام تقاليد وعادات وقرانين الوطنيين من أهل البلاد ، ودخلوا معهم فى معاملات طبقاً للقانون البابلى ، وتزاوجوا معهم ، ولم يتورعوا عن التعمد لآلهة الشرق الخالدة فى ساعة المحنة ، إذ نجد أغريقيا مستوطناً ينذر عبداً للخدمة فى معبد أنو وأنتو . غير أن عمالية التفاعل الحضارى بين البابليين والأغريق كانت تظهر بدرجة أكبر فى المدن الأغريقية الجديدة عما كانت تتم عليه فى المدن البابلية القديمة ، فهى تتم فى مدينة ساليوقية دجلة الاغريقية بشكل أوضح من مدينة بابل . ويتلذذت هذه المدينة الأغريقية لتكون ملتقى للحضارتين ، ونقطة لقاء بين المقدونيين ، والأغريق ، والبابليين ، والآراميين . وفى البداية حاول المستوطنون الحفاظ على دمهم الاغريقى خالصا ، لكن بمرور الزمن حدث الاختلاط ، وامتزجت العناصر والطوائف الشرقية مع بعضها البعض ، حتى أن لفظ بابلى « أصبح » يعنى قاطن مدينة بابل بصرف النظر عن أصله العرقى .

وفى البداية ، كان للسكان الاغريق فى مدينة ساليوقية دجلة مجلس للشورى خاص بهم ، يختارون من خلاله ممثلين عنهم ، يتهلون تصريفاً أمورهم ، فلأن هذه المستوطنة كانت مدينة بكل معايير الكلمة الاغريقية فكان لابد من وجود مجلس للشورى Boule الذى هو أهم سمات المدينة

الآغريقية ، ويكُونون من خلال مجتمعا سياسيا واجتماعيا وثقافيا منفصلا عن المجتمع الشرقى ومتميزا عنه ، وعلى مقربة من هذه الحاضرة الآغريقية ، كانت بابل العتيقة العريقة ، تقف فى شموخ وكبرياء ، ويرقبها المستوطنون الآغريق بالرهبة والاعجاب ، فقد كان حلم الاسكندر المقدونى — الذى لم يسعفه الأجل لتحقيقه — أن يعيد بناء بابل جديدا داخل أسوارها العتيقة على ضفاف الفرات الى الشرق من بقايا قصور ملوك الدولة الكلدانية ؛ وبعد موته حاول ملوك الدولة السليوقية تحقيق حلمه ، فقام الملك سليوقوس وخلفاؤه برفع الأتربة والرمال عن حطام معبد مردوخ ، وكوموا هذه الأتربة والحطام فى أربعة أكومة ، ثم فرزوا هذه الأكوام ليستخرجوا منها الأحجار التى تصلح فى إعادة ترميم المعبد ومرافقه فى نفس المكان الذى كانت قائمة فيه ، وبعد مرحلة من العمل اكتشف الملوك السليوقيون عدم جدوى الاستمرار فى مشروع الاسكندر ، فهجروه مفضلين عليه بناء حاضرة جديدة على النظام الهلينى الجديد لبناء المدن . فأقاموا مدينة « سليوقية دجلة » كترية آغريقية للمدينة بابل ومناظرة لها . ولقد حظيت هذه الحاضرة الآغريقية بعناية واهتمام خاص من جانب الملوك السليوقيين ، خاصة أنطيوخوس الرابع ، الذى كان متيما بنشر الحضارة الآغريقية بين الشرقيين ، مركزاً على دور هذه المدن الآغريقية كمنارات لاشعاع وبث هذه الحضارة فى ربوع المشرق . ولقد عثر على نقش بابلى يشيد « بمؤسس هذه المدينة ومخلص آسيا » . كما ثبت من الحفائر الأثرية التى جريت فى بابل أن جالية إغريقية سكنت أحد أحيائها ، وطبقت فى هذا الحى كل نظم المدينة الآغريقية ومرافقها ، فبنت مسرحا صغيرا فى القرن الثالث ق.م ووسعته عدة مرات كما قامت ببناء جمنازيوم Gymnasium وهو دار التربية الثقافية والرياضية والمدنية والنادى الخاص الذى يلتقى فيه أبناء الجالية ، والجمنازيوم هو رمز الوجود الآغريقى فى أى مكان ذهبوا إليه . وكان يمكن لهذه المرافق الحضارية الآغريقية أن تتزايد وتتسع لولا وقوع الكوارث التى حاقت بالدولة السليوقية فى أواخر القرن الثالث مما عرقل هذه المشروعات .

وما حدث في بابل حدث في أوروك حيث أدى التعايش السلمى بين الاغريق والوطنين الى قيام اتصالات ومعاملات بين الشعبين ، حتى أن الجمنازيوم قبل عضوية بعض أبناء الأعيان الشرقيين ، وقد تزايد نفوذ بعض الشيوخ العرب في المدن الشرقية منذ أواخر عصر الدولة السليوقية ؛ فعندما نصب أنطيوخوس بن أنطيوخوس العاشر نفسه على العرش باسم أنطيوخوس الثالث عشر بطل آسيا ( آسيا تيكوس Asiaticos ) وذلك في أنطاكية عام ٦٩-٦٨ ق.م لقي هزيمة على يدى أحد زعماء العرب الذين كانوا في خلال تلك الفترة المضطربة يسعون لاقامة أمارات مستقلة في هذه المنطقة الشرقية ، وهذا الشيخ العربى اسمه « عزيز » وكان يريد ترشيح منافس آخر للعرش اسمه فيليب ، ولهذا لجأ الملك أنطيوخوس الثالث عشر الى كسب تأييد زعيم عربى آخر اسمه سامبسجراموس Sampsigamos بيد أنه على الرغم من ذلك ، اتفق الزعيمان العربيان على التخلّص من هذين المنافسين على العرش ، واقتسام الممتلكات الشرقية من المملكة السلوقية بينهما ، وانتهى الأمر بأن قام الشيخ العربى سامبسجراموس بالقبض على أنطيوخوس الثالث عشر . أما المنافس فيليب فعندما اكتشف خطة الزعيم العربى « عزيز » فر هاربا الى العاصمة أنطاكية ، حيث استطاع أن يجد الحماية بين المستوطنين الاغريق .

بيد أن نجاح الحضارة الاغريقية في بلاد الرافدين لم يكن بنفس القدر والنجاح الذى تحقق في مصر مثلاً ، بل أن ما حدث في بابل . أو أوراك ، كان أقل حجماً من أى تفاعل حدث في أى مكان آخر ، وذلك لأن كلتا المدينتين ، كانتا تقيّ به فخرا بتراث عريق ، وحضارة غابرة ، فقد تعلق أهلهما بتراث لماضى في شغف عاطفى شديد ، ولهذا قاوموا بشدة عملية الاغرقه التى حلم بها الاسكندر الأكبر ، وحاول تحقيقها السليوقيون . وقد ساعد الشرقيين على الصمود - الكوارث السياسية التى حاقت بالدولة السليوقية في القرن الثانى قبل الميلاد ، مما أدى الى توقف قوة الدفع للحضارة الاغريقية في تلك المنطقة .

## نتائج وآثار التفاعل الحضارى بين الحضارة الهلنستية والحضارات البابلية والآرامية :

ولقد دار مجدل طويل بين المتخصصين حول نتائج وآثار الحضارة الهلنستية فى مدن بلاد الرافدين . فى وقت راحت فيه الامبراطورية الرومانية تبتلع الممالك الهلنستية واحد تلو الأخرى ، فلما تضاءلت الجاليات الاغريقية ، وتراجع مد حضارتها ، بما تاهور وسقوط الدولة السليوقية ، وذابت دماؤهم مع دماء أهل الرافدين نتيجة التزاوج المشترك ، واستوعبت الحضارة البابلية بين طياتها الحضارة الاغريقية ، وعلى حد قول الشاعر الروماني « لقد هزم المهزومون المنتصرين » ففى بابل بقيت الحضارة الاغريقية فى مجيوب صغيرة متفرقة ومنعزلة عن بعضها البعض ، ومنعزلة فى نفس الرقت عن جماهير الوطنيين الشرقيين ؛ ولأنها انغلقت على نفسها وانعزلت فقد نجت من اللوبان ، كما نرى فى حالة دورا يوروبوس ( الصالحية ) Dura Europos ، أما سليوقية فجاة فقد كان بها عدد كبير من المستوطنين الاغريق ، كاف لتكوين جمهور المدينة بالمفهوم الاغريقى ، وكاف لمواجهة التدهور الذى حاق بحضارتهم ابان القرن الثانى بعد الميلاد . وهناك نقش من بابل مؤرخ عام ١٠٩ — ١٠٨ ق.م يؤكد أن الجمنازيوم ظل يعمل حتى ذلك الوقت ، وفيه تدرس اللغة اليونانية على أيدي معلمين يحملون أسماء إغريقية ؛ بل أنه فى عام ١١١ بعد الميلاد نجد نقشا آخر من مدينة الوركاء عبارة عن قربان ؛ إذ وهب رجل يدعى ارتيميديوروس Artimedoros ( عطية ارتيميس ) واسمه الشرقى مينانا يوس Minnanaios ، قربانا للرب جاريوس Gareos ، عبارة عن قطعة أرض . كما عبرت إحدى النقابات — ربما من التجار — عن امتنانها لذلك الرب ببعض عبارات الخشوع ، يختلط فيها أسلوب المناجاة الاغريقى

بأسلوب الأبهال الشرقى . ولكن هل ياترى كانت هذه الجماعة من الاغريق أم من الشرقيين ؟ أغلب الظن أنهم كانوا من سلالة المستوطنين الاغريق ، الذين أصبحوا بابليين عنصرا وثقافة ؛ لكنهم ظلوا يحتفظون باللغة وبعض مظاهر السلوك الاغريقى حتى وقت متأخر ، خاصة أن اللغة الاغريقية كانت ضرورية للتجارة ، لأنها اللغة الدولية التى ظل التجار والمثقفون يتكلمون بها حتى حلت اللغة العربية محلها . كذلك حافظت بقايا الجالية الاغريقية على بعض النظم الاجتماعية ومؤسساتها مثل الجمنازيوم ، الذى أصبح مقصد أبناء الطبقة الارستقراطية من الشرقيين ليتلقوا فيه العلوم والمعرفة ، وهو الذى تحول الى دار الحكمة فى العصر العباسى . ولقد بقى هذا الجهاز التربوى التعليمى قائماً حتى بعد أن غزا الباريون والرومان هذه المنطقة ، فنسبع أن الملوك الباريين كانوا يختارون معاونيهم لحكم تلك المدن من الاغريق وأبناء المستوطنين ، الذين تخرجوا من الجمنازيوم . حقا لقد غطت الحضارة الشرقية على الحضارة الاغريقية ، لكن تلك الأخيرة بقيت حية تحت الرماد ، حتى بعثت الدولة العربية الاسلامية فى العصر العباسى جذوتها لتندمج مع غيرها من الحضارات فى سيمفونية عربية هى أعظم ما أنتج العالم من تراث انسانى . ولم يكن من الغريب أن تكون « بغداد » المدينة الاسلامية الجديدة التى تقع بالقرب من هذه المدن العريقة ، هى حاملة الراية ومبعث أعظم فترات الحضارات الاسلامية اشراقا وإزدهاراً .

ونعود الى موضوعنا فتساءل — ألم يكن هناك تباين حضارى بين سكان المدن الاغريقية ومواطنيهم من البابليين ؟ نعم لقد كان هناك تباين خاصة فى الشريعة والقانون فكل طائفة تمسكت بقوانينها وشريعتها ، وفسرت هذه القوانين فى ضوء تقاليدها وتراثها ، ولذا فان القوانين والشرائع لم

تمتاز بدا . إذ كان هناك قانونين متجاورين ومتباينين ، قانون بابلي عتيق وقانون إغريقى وافد . ويبدو أن لغة العقد المكتوب هي التي كانت تحدد نوع القانون الواجب تطبيقه . وهذا المبدأ كان سائدا في مصر بالنسبة للعلاقة بين القانون المصرى القديم ، والقانون الاغريقى . وليس هناك أى دليل على امتزاج القوانين الشرقية مع القوانين الاغريقية أو العكس . حتى اجراءات القاضى الاغريقية لم يرصد انتشارها في وثائق المدن البابلية مثلما انتشرت في مدن مصر قبل الفتح العربى ، حيث تظهر في مئات من الوثائق البردية الاغريقية من العصور الهللينستية ، والرومانية ، والبيزنطية ، وحتى مطلع العصر الاسلامى عندما عرب عبد الملك بن مروان هذه الاجراءات مع تعريب اللواوين ، وطبق الشرع الاسلامى كشرع واحد على الجميع .

غير أنه من أهم نتائج قيام هذه المدن الاغريقية في جنوب العراق والخليج ، هو حدوث اتصال فكري متبادل بين الحضارة البابلية والاغريقية ، ساهم بنصيب كبير في الحضارة الانسانية ، فقد قامت مجموعة قليلة من كل طائفة بالاطلاع على ثقافة الطائفة الأخرى ، واستفادت منها ؛ لقد فتحت الحضارة البابلية للاغريق خزائنها الثقافية والعلمية ، وكل ماحوته من تراث الأجداد الذى حافظ عليه الأحفاد خلال العصر الهللينستى . ولم يغيروا فيه ، بل بعثوه على أصالته التي كان عليها منذ آلاف السنين . ولقد كان الاغريق عطاشى للمعرفة حقا ؛ نهلوا حتى الثمالة من ينابيع العلم البابلي ؛ واستوعبوه وهضموه ، ثم صاغوا منه نظرياتهم العلمية الشهيرة خاصة في علم الرياضيات بالمفهوم والشكل الاغريقى العلمى . وعلم الرياضيات في الحضارة الشرقية كان يتكون من قسمين ، قسم جاء من الماضى العتيق منذ الألف الثانى قبل الميلاد ؛ وقسم جديد ولد ابان القرون الثلاثة السابقة على الميلاد . وكلا القسمين يوضح كيف بعث البابليون الجدد أصول ثقافة أجدادهم القدماء . فثلا تمسكوا بفكرة النظام السداسى

Sexogesimal في حساب الأرقام ، والذي وجد طريقه الى أوروبا مرة عن طريق الاغريق في العصر الهليني ، ومرة عن طريق الأحفاد المسلمين ، الذين بعثوا وحافظوا على الحضارة الاغريقية وحموها من الضياع ، وسلموها لأوروبا لتبنى عليها عصر النهضة الحديثة والذي هو سر تقدمها اليوم ، ولا يزال النظام الستيني مستخدماً حتى اليوم ، فالساعة ستون دقيقة ؛

والدقيقة ستون ثانية ، والدائرة ٣٦٠ درجة ؛ والربط بين « الكم والرقم » حسب برموز كتابية ذات أشكال مختلفة ؛ كذلك نجد المحاولات الأولى لابتكار « الصفر » واستخدامه ، وهي محاولة لم تكتمل الا على يد الأحفاد المسلمين في العصر العباسي . وقد ساعدت دقة علم الرياضيات الحسابية على ولادة علم الفلك ؛ الذي استفاد من الاكتشافات التي توصل إليها الانسان منذ القرن السادس قبل الميلاد ، حتى إذا ما جاء القرن الثالث قبل الميلاد كان لدى العلماء البابليين نظام تقويم يقوم على النظام الشمسي والقمرى في آن — واحد ؛ فقد نجح علماء الفلك البابليون في ضبط شهور السنة الشمسية مع شهور السنة القمرية من خلال دورة زمنية تستغرق تسع عشرة عاماً ؛ كما رصدها بين منازل القمر ومساراته في الظروف المختلفة ، وربطوا بينها وبين تحركات بعض الكواكب السيارة الأخرى . كما توصلوا الى حساب سرعة الضوء الصادر من أشعة الشمس Solar Velocity ؛

كما وضعوا تصوراً لظاهرة الكسوف والخسوف ، ورسموا دائرة البروج الفلكية والموازين Zodiac ، وحددوا عليها موضع الكواكب حسب قربها من كوكب الأرض. ان القراءات الحديثة في نصوص الفلك الهلينيستية هدمت الاعتقاد المتوارث بوجود مراقبة النجوم طبقاً لصفاء السماء بالعين المجردة ، وبالمناظر المقرب ؛ وأكدت صدق نظرية علماء الفلك البابليين بأن الذي يضبط مواقع الكواكب هو علم الرياضيات الحسابية ، فعن طريقة يمكن رصد تحركات ومواقع كل كوكب ، سواء كانت السماء صافية

أو ملبدة بالغيوم ؛ وأن العين قد تنخدع بالرويا كما تنخدع بظاهرة السراب على حد قول الفيلسوف الاسلامى الامام الغزالى .

وجنبالى جنب مع تقدم علوم الرياضيات والفلك ، حقق علم قراءة الطالع عن طريق التنجيم تقدما ملحوظا ، فناء عصور ضاربة فى التاريخ البابلى ، اعتاد المنجمون إستقراء طالع الملك عند جلوسه على العرش ، ومعرفة مستقبل البلاد فى عهده ، عن طريق استبيان علامات كونية تظهر فى السماء ، مثل الكواكب والنجوم والمذنبات ، أو عن طريق الظواهر التى تطرأ على المناخ ؛ وعندما تمكن علماء الفلك البابليون من وضع قواعد تنظم ماتوصلوا إليه فى علم الفلك عن طريق الملاحظة ، رسموا دائرة لبروج السماء ، وحددوا مواقع الكواكب عليها . على أثر ذلك بدأ أسلوب جديد فى علم التنجيم ، فن موقع الشمس والقمر وغيرهما من كواكب المجموعة الشمسية ساعة ولادة الانسان يمكن التنبؤ بمستقبله ومصيره ، ومن ثم ظهر هذا العلم مع ظهور رسم بروج السماء ، وأول اشارة لظهور علم التنجيم ترجع الى عام ٤١٠ ق.م . ومن بعد ذلك التاريخ تزايدت النصوص الخاصة بالتنجيم بدرىجيا ، ولقد كانت مدينتا بابل وأوروك من أهم مراكز التنجيم ، وكان لكل منها منهجها الخاص وأسلوبها المتميز فى التنجيم ، وكان فى كل مدينة منهما هيئة من كبار الكهنة العلماء ، التى تنسب الى الأجداد الأسطوريين . ففى أوروك كان منهجها مستمدا من الجدل الأسطورى اكورزاكير Ekur-Zakir ، وكان كهنة اكورزاكير متخصصين فى طرد الأرواح الشريرة طبقاً لما جاء فى الواح آتو وآنتو انليل الخاصة بظواهر السماء ، كما كان هناك أيضاً منهج الجدل الأسطورى سن لييجى اونينى Sin Legi Unini الذى وضعه وسار عليه كهنة أنرو آنوانليل ، وكذلك منشود ترائيم آنو آنتو وترجع نصوصها الى الفترة ما بين ٢٣١ - ١٥١ ق.م وهى تكاد تتعاصر مع الفترة التى كان فيها معبد ريش Resh فى حالة نشاط وعمل . ومن النصوص الأثرية نعرف أن هذا المعبد بنى ما بين أعوام ٢٤٣-٢٠١ ق.م وخرب ودمر عام ١٤٠ ق.م على أيدي الغزاة البارثيين . أما معبد بابل فلم ينشط الا فى عصر



متأخر نسبيا عن أوروک ؛ لأن أغلب الألواح المتعلقة بهذا المجال ترجع إلى وقت إلى عام ١٨١ ق.م ، وآخر نص جاء منها يرجع إلى عام ٤٩ بعد الميلاد ، أى إلى عصر الإمبراطورية الرومانية . ويتردد في هذه الألواح أسماء العديد من الكتبة ، بعضهم حقق شهرة كبيرة في عالم التنجيم ، حتى أن شهرتهم وصلت لعلم الكتاب الاغريق في الغرب مثل المنجم كندينو Kindinu الذى أصبح اسمه من بين أسماء الإعلام التى تسمى بها الاغريق تيمنا به بعد أغرقته الاسم الشرقى إلى شكل أغريقى وهو كندينياس Kindeneas ، وكذلك المنجم نابورى مانو Naburi Mannu الذى تحول بالآغريقية إلى اسم نابوريانوس Naburianos لكن للأسف لانعرف شيئا عن أعمال هذين المنجمين . كما لا تذكر الألواح السماوية شيئا عن الابتكارات والنظريات الفلكية التى نسبها اليهما الكتاب الاغريق والرومان ، اللذين من الواضح أن بعضهم قد اطلع على أسرار الحضارة البابلية وأخذ منها . ومن مدرسة حضارة المدن الآغريقية في بابل خرج علماء وباحثون تردد ذكرهم في أعمال الكتاب المتأخرين ، مثل عالما الجغرافيا ديونييسيوس Dionysios وزميله ايسيدوروس Isidoros ( أى عطية ايزيس ) اللذان كانا من خندق سباء وسين Charax Spasinou ( مدينة الحمرة الحالية على الشاطئ الشرقى لشط العرب شمال الخليج العربى ) ، وكذلك المؤرخان أجاثوكليس البابلي Agathocles Babylonios وأبو اللودوروس الارثيميى Artemita هؤلاء وغيرهم من علماء وأدباء بارزين ، كانوا إما أغريقا استشرقوا ، أو شرقيين تأغرقوا ، وتربوا في أحضان الحضارة الهلنستية في العراق ، بل ان هناك فريقا من علماء الاغريق الخالصين نسبوا أنفسهم إلى مدرسة الحضارة الكلدانية ، ولدينا شذرات من ألواح تحمل نصوصا بابلية مكتوبة بحروف الأبجدية الآغريقية ، لدقة نطق كلماتها لأن الأبجدية الآغريقية أدق في تسجيل الصوتيات ، وهذا دليل على أنه كان من بين طبقة النساخين أو الكتبة من ألم باللغة الآغريقية ، لكن مثل هذه النصوص

نادرة وترجع الى عصر متأخر ، عندما تهاوت الممالك الهلينية ، وأصبحت  
تراثا حضاريا من الماضي المنقضى .

ولقد كتب بيروسوس بالأغريقية مؤلفاً كبيراً عن حضارة « بابل » حتى  
يتمكن مواطنو الدولة السليوقية من الأغريق من الاطلاع على تاريخ وحضارة  
البلد الذى استوطنوه ؛ فكما تفاخر بطالمة مصر بعراقة الحضارة الفرعونية ،  
رأى ملوك الدولة السليوقية أنهم يحكمون بلداً لا يقل حضارة عن رادى النيل ؛  
ومن ثم ، كلّفوا كاهناً بابلياً بكتابة التاريخ القومى لحضارة الرافدين ، رداً  
على تكليف البطالمة لكاهن مصرى يجيد الأغريقية أسمه مانيتون ، بكتابة تاريخ  
مصر الأغريقية ؛ فقد شمل التنافس بين دولة البطالمة والدولة السليوقية كافة  
المجالات ، ومن بينها التفاخر بعراقة الوطن الذى يحكمونه . وهكذا ظهر  
مؤلف البابليات أى تاريخ بابل *Babyloniaca* كند منافس لمؤلف مانيتون  
السمنودى « المصريين » *Aegyptiaca* ، وكلا المؤلفين كان يهدف أيضاً  
لإغراء الأغريق بالهجرة إلى هذه الأوطان ، ذات الحضارة العريقة ؛ لأنهما  
كانتا من ناحية الواقع تقومان على قوة المستوطنين المهاجرين من الأغريق .  
من الغريب أن كلا من هذين المؤلفين فقد وضاع ، ولا نعرف عنهما سوى  
بعض الشذرات والفقرات التى نقلت عنهما فى مؤلفات كتاب آخرين . وإذا  
كان الحظ قد ساعدنا على معرفة النذر القليل عن مانيتون ، فإننا لا نعرف  
عن بيروسوس سوى بعض الروايات التى تتجنى فى أغلبها إلى الخيال ، ونفهم  
منها أن هذا العالم عمل بالتدريس فى جزيرة كوس — حوالى عام ٢٧٠ ق . م .  
ولقد أجله الأثينيون كثيراً حتى أنهم أقاموا له تمثالا جعلوا له لساناً من ذهب  
فى ساحة دار التربية الرياضية *Gymnasium* كتعبير عن قيمة المعرفة التى  
نقلها لهم عن البابليين . وما من شك فى أن أغلب النظريات التى ردها العلماء  
عن عناصر العلوم الكونية هى من نتائج تأثرهم بما نقله لهم بيروسوس من  
علوم البابليين ، رغم أننا لا نعرف عما إذا كان لبيروسوس مؤلفات أخرى

حول علم الحسابات الفلكية . فالذى لا شك فيه أنه عن طريق أمثال هؤلاء الرواد ( سواء من الذين نعرف أسمائهم وهوياتهم أم من الذين لا نعرف عنهم شيئاً ) ، نجح الأغريق في نقل تراث التجربة البابلية في الحضارة الإنسانية إلى العالم الأغريقى والرومانى ، ولولا هؤلاء لظويت هذه العلوم وهذه التجربة الفريدة الغراء في عالم الإنسان ، وحرمت الإنسانية من تذوق ثمارها ، والاستفادة مما حققته وضافت إليه ؛ وجدير بالذكر أن الأغريق لم يقوموا بالترجمة الحرفية للمؤلفات البابلية ، إنما ابتلعوها أولاً ، ثم بدأوا يجترونها ، معيدين صياغتها بالشكل والمفهوم الأغريقى ؛ الذى يقوم على المنهج العلمى والعقلانى الذى يفهمه الغرب .

ومن أعمال عالم الجغرافيا الأغريقى الشهير بطليموس ، يتضح لنا أن الأغريق قد نقلوا آخر ما توصل إليه العلم البابلى في مجال الفلك ومراقبة الكواكب والنجوم ؛ وأضافوا ذلك إلى ما كان يلмон به ، لكى يخرجوا علماً جديداً مكتملاً في العصر الهلينيستى ، والفرق الوحيد بين العلم البابلى ، والعلم الأغريقى أن الأول كان يهدف للممارسة والتطبيق النافع . من أجل حاجاتهم إلى المعرفة القومية بالمواقيت والتواريخ في ضوء مسار القمر ومنازله ومواقع الأجرام السماوية وتحركاتها ؛ بينما كان هدف علم الفلك الأغريقى هو التنظير المنطقى المجرد ، أى وضع نظريات وتفسيرات فيزيائية وديناميكية ، تشرح تحركات الأجرام السماوية من أجل غرض فلسفى واحد ، وهو البحث عن مصدر القوة المحركة التى تتحكم في الكون .

وفي مجال علم الرياضيات الحسابية ، أخذ الأغريق عن البابليين النظام الستينى والسداسى ، ثم بنوا عليه حساب المثلثات الذى نعرفه الآن Trigonometrical ؛ وعن البابليين أيضاً أخذ الأغريق علم الظواهر والعلامات الكونية Brontologia ، وعلم رصد مسارات ومنازل القمر Selenodromia

وعلم الظواهر الكونية عبارة عن رصد يقوم على الملاحظة للظواهر الطبيعية مثل : الرعد ، والبرق ، والأعاصير ، والكسوف ، الخسوف وتحركات القمر ؛ كما أخذوا أيضاً عن البابليين معرفة الطالع عن طريق التنجيم ، وأضافوا إليه ما توصلوا إليه عن طريق قدراتهم ، بل حاولوا تنظيره ووضع قواعد ثابتة له ، فالنص المتعلق بمستقبل الإنسان طبقاً بروج السماء والذي دون عام ٢٣٥ ق . م كتبه ونسقه ، أغريقى بعد أن استشار أحد كهنة المعابد في بابل .

ولذا كان علم التلك الحديث هو من أهم نتاج العلم الأغريقى الرومانى ، فإنه فى نفس الوقت ثمرة التعاون الحضارى بين الشرق والغرب ، ولعل التعاون الذى جرى بين الحضارة الأغريقية والحضارة البابلية فى العصر الهلنستى يزداد عمقاً ووضوحاً إذا ما بحثنا عن جذور الفلسفة الرواقية ( Stoicism ) ؛ تلك الفلسفة التى تربط بين دور القدر ، والاعتقاد بتأثير حركات الأجرام السماوية على الأحداث العالمية ، وعلى فكر الناس ومصائرهم ؛ مما يجعلنا نفكر فى الديانة الكلدانية ، وتطور علم التنجيم ، وقراءة المستقبل البشرى عند البابليين ؛ فقام زينون مؤسس الفلسفة الرواقية من قبرص ومن أصل شرقى ؛ بل إنه يعتبر من بين أجداده ديوجين البابلى Diogenes وفى بابل نجاء ، أن رجلاً يدعى أرخيديموس Archidemos يؤسس مدرسة رواقية فى القرن الثانى ، ترعرعت ونمت فى تربتها الأصلية ، وهناك العديد والعديد من الملاحظات المتشابهة والمتناظرة بين هاتين الحضارتين فى مجال الفلك والفلسفة ، غير أن معلوماتنا عن النظريات البابلية المتعلقة بالأفكار الكونية والدينية فى العصر الهلنستى لا تزال ضئيلة ، ونحن فى حاجة كما ذكرنا فى أول الحديث إلى إعادة مراجعة الوثائق والنصوص البابلية ، علنا نستوضح المزيد منها .

نستخلص مما سبق ، أننا نستطيع أن نوكد بكل ثقة أنه ، حتى في الوقت الذي كانت فيه بابل مغلوبة على أمرها في العصر الهلينيستي لم تتوقف أبداً عن العطاء الفكري والعلمي ، وإذا كان العالم يدين للعرب المسلمين بأنهم أنقلوا التراث الأغريقي من الضياع وترجموه وحفظوه في العصور الإسلامية ، ثم قدموه لأوروبا لتجعل منه المنطلق لحضارة عصر النهضة ، فقد كان ما قام به العرب المسلمون ما هو إلا رد الجميل للأغريق على ما قاموا به من قبل ، عندما أنقلوا حضارة أجدادهم البابليين من الدوبان في عالم النسيان في العصر الهلينيستي ؛ وحفظوها وصاغوها في قوالب نظرية خالدة أفادت البشرية ؛ ومن ثم لم يكن غريباً أن ننطلق الدعوة لنقل تراث الأغريق من بغداد عاصمة الخلافة العباسية ؛ والتي كانت تقع على مقربة من الحواضر الأغريقية والبابلية منارات العلم والحضارة في بلاذ الرافدين .





## أهم مراجع الفصل الثامن

### أولا : الكتب العربية والمخرية :

- أولسبرى : مسالك الثقافة الأفريقية عند العرب - ترجمة تمام حسان ، مكتبة الأحياء المصرية عام ١٩٥٧

- جواد عل : تاريخ العرب قبل الإسلام - بغداد ١٩٥٣ .

- داوى ( جلاليل ) : أنطاكية القديمة ، ترجمة وتقديم دكتور ابراهيم لصحى ، مؤسسة فرانكاين للطباعة والنشر ، دار النهضة مصر ١٩٦٧

- دى بسورج : تراث العالم القديم ، الجزء الأول ، ترجمة زكى سوس ومراجعة يحيى المشاب ود. صقر خفاجه - دار انكرنك سلسلة الألف كتاب رقم ٥٥٧ - القاهرة ١٩٦٥

- ديخلف لياسون وفرتر هول وروود وكاتاكيس وأدواف جروهمان : التاريخ العربى القديم ، ترجمه واستكمله د فؤاد حسين عل ترجمة د. رضى محمد حسن - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

- عهد الحميد رايد : الشرق الخالد مقدمة فى تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق.م - دار النهضة العربية بالقاهرة ( بدون تاريخ ) .

- عهد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية - دراسات لكبار المستشرقين القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٤٦ .

- فاضل عبد الواحد عل : عشتار ومأساة تمور - بغداد - مطبعة الجمهورية ١٩٧٣ ،

- فوستيل دى كولانج المدينة القديمة - ترجمة عباس بهوى ( بك ) ومراجعة عهد الحميد الدواخل ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٠ .

- لجران ( فيليب أميل ) : شعراء الاسكندرية ، ترجمة محمد صقر خفاجه ، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٢ .

- محمد عبد القادر محمد : الساميون فى العصور القديمة ، دار النهضة العربية ١٩٦٨ .

( م ٢٤ مصر والشرق الأدنى فى العصر الهلينستى )

## أبواب : المراجع الأفرنجية :

- 1.—The Babylonian Chronicle : London, 1924.
- 2.—Beek, Martina : Atlas of Mesopotamia, London, 1962.
- 3.—Bevan, E. R. : The House of Seleucus. London, 1902, E. Arnold.
- 4.—Bikerman, E. : Institutions des Séleucides, Paris, 1938.
- 5.—Bouché Leclercq, H. A. : Histoire des Seleucides, Paris, 1913—1914.
- 6.—Brown, F. E. : "Excavations at Dura Europus. Preliminary Report of the Ninth Season of Work, 1935—1936", New Haven, 1939.
- 7.—Burent : Early Greek Philosophy, London, 1950.
- 8.—Cambridge Ancient History, Edited by : J. E. Bury, S. A. Cook and F. E. Adcock, Revised edition, 1960.
- 9.—Cary, M. : A History of the Greek World from 323—146 B.C., London, 1951.
- 10.—Dowe, Brian : Southern Arabia,, London, 1972.
- 11.—Eddy, S. K. : The King is Dead, Studies in the Near. Eastern, Resistance to Hellenism, New York, 1961.
- 12.—Glotz, G. P. Reussel and R. Cohen : Histoire Grecque IV (Alexandre et 1, Hellenisation du Monde Antique), 1938.
- 13.—Meulau, Maurice : Mesopotamia under the Seleucids, Chapter IV, Part 4, in Hellenism and the Rise of Rome, Edited by : Pierre Grimal and Others, Weidenfeld and Nicolson, London 1968, PP. 266—289.
- 14.—M. Hadas : Hellenistic Culture, New York, 1959.
- 15.—D. G. Hogarth : The Ancient East, (Home University Library), London Thronten Butter Worth, Ltd. (No date).
- 16.—H. H. H. : Geography of the Ancient East.
- 17.—Peters, F. E. : The Harvest of Hellenism, A History of the Near-East from Alexander the Great to the Triumph of Christianity, New York, 1970 .



- 18.—Rostovtzeff, M. : Caravan Cities, Oxford 1932, Oxford University Press. Social and Economic History of the Hellenistic World Oxford, 1958, OUP.
- 19.—Roussel, P. : La Grece et l'Orient, 1928.
- 20.—Saggs, H. W. F. : The Greatness that was Babylon, London, 1962.
- 21.—Sarton, G. : A History of Science ; Hellenistic Science and Culture in the Last Three Centuries, B.C., 1959.
- 22.—Stark, Freya : Rome on the Euphrates, the Story of a Frontier, John Murray, London (1966).
- 23.—W. W. Tarn and Griffith, G. T. : Hellenistic Civilization, London 1952, E. Arnold.
- 24.—Yamauchi, Edwin : Greece and Babylon : Early Contacts between the Aegean and Near East, Michigan, 1967.





## فهرس موضوعات الكتاب

رقم الصفحة

٣

٥

تقديم

### الفصل الاول : مدخل الى الموضوع

التحديد الجغرافى والزمنى للمصر الملبسته ٥ ؛ تحديد مفهوم الشرق الأدنى ١٠ ؛ أهم المراجع للفصل الأول ١٣ .

### ١٥ الفصل الثانى : الأوضاع فى الشرق الأدنى قبل الفتح المقدونى

مصر قبل الفتح المقدونى ١٥ ؛ قيام الأسرة الصاوية ١٧ ؛ الفتح الفارسى الأول لمصر ٢١ ؛ إستقلال مصر عن الإمبراطورية الفارسية ٢٥ ؛ قيام الأسرة الثامنة والعشرون ٢٦ ؛ الأسرة التاسعة والعشرون ٢٦ ؛ الأسرة الثلاثون وفكرة تسيير حملة عسكرية لأسقاط الإمبراطورية الفارسية ٢٧ ؛ الفتح الفارسى الثانى لمصر ٢٩ .

بلاد الشام قبل الفتح المقدونى ٣٠ ؛ الظروف الجغرافية للشام ٣٢ ؛ أهمية الموقع الإستراتيجى للشام ٣٤ ؛ سكان الشام القدماء ٣٧ ؛ بداية الأهتمام المصرى بالشام ٣٨ ؛ الغزو الآشورى للأمارات الآرامية فى الشام ٤٢ .

بلاد الرافدين والخليج قبل الفتح المقدونى ٤٥ ؛ ظهور الممالك السومرية فى بلاد الرافدين ٤٧ ؛ الممالك الأكادية ٤٩ ؛ المملكة الآشورية ٥٠ ؛ المملكة البابلية الثانية ٥٢ .

قيام الإمبراطورية الفارسية الأخيمنة وتوسعها فى الشرق الأدنى ٥٣ ؛ العلاقات بين الفرس والآغريق قبل الفتح المقدونى للشرق الأدنى ٥٦ ؛ مقاومة الجنود المرتزقة من الآغريق فى الشرق الأدنى ٥٩ ؛ أحلام الدولة الأسبرطية لفتح الشرق الأدنى ٦٠ .

مراجع الفصل الثانى ٦٢ .

### ٦٥ الفصل الثالث : الفتح المقدونى للشرق الأدنى

فيليب وأحلام فتح الشرق الأدنى ٦٧ ؛ الأسكندر المقدونى وفتح الشرق الأدنى ٦٩ ؛ فتح الأسكندر لمصر ٧١ ؛ تأسيس الإسكندرية ٧٣ ؛ تنظيم الأسكندر لمصر ٧٤ ؛ إكمال فتح الشرق الأدنى ٧٨ ؛ نهاية الإمبراطورية الفارسية الأخيمنة ٨٠ ؛ الأسكندر والهند ٨٣ ؛ مشروعات الأسكندر فى الشرق الأدنى ٨٤ ؛ إختيار بابل عاصمة للإمبراطورية ٨٤ ؛ بدء استكشاف سواحل الجزيرة العربية ٨٧ ؛ نتائج فتح الأسكندر للشرق الأدنى ٩٠ . مراجع الفصل الثالث ٩٣

رقم الصفحة

## الفصل الرابع : الحروب بين ورثة الاسكندر وحضارة العصر الهلنستى ٩٥

مؤتمر بابل لتقسيم الامبراطورية ٩٥ ؛ تحنيط وتجهيز جثمان الاسكندر  
٩٧ ؛ اندلاع الحروب بين الورثة ٩٨ ؛ تحول الحضارة الاغريقية من  
المرحلة الكلاسيكية إلى المرحلة الهلنستية ١٠٢ ؛  
أهم مراجع الفصل الرابع ١١٣ .

## الفصل الخامس : امبراطورية البطالمة في مصر والشرق الادنى ١١٥

بطليموس الأول وتأسيس الأسرة البطلمية ١١٥ ومعاركه في الشرق الأدنى  
١٢٠ ؛ تنديمه للإدارة في مصر ١٢٩ ؛ تعمير إقليم الفيوم ١٣١ ؛  
تأسيس مدينة بطلمية ١٣٢ ؛ تنشيط التجارة وسك أول عملة لمصر  
١٣٢ ؛ سياسته الداخلية ١٣٤ ؛ قيام عبادة سيرابيس ١٣٥ ؛ تحويل  
الكنيسة إلى اعمدة عالمية الحضارة الهلنستية ١٢٨ .

بطليموس الثاني ( فيلادلفوس ) ١٤٠ ؛ سياسته في الشرق الأدنى ١٤٢ ؛  
الحرب السورية الأولى ١٤٢ ؛ الحرب السورية الثانية ١٤٥ ؛ سياسته  
إزاء شبه الجزيرة العربية ١٤٨ ؛ سياسته نحو الأنباط ١٥٢ ؛ سياسته  
نحو عرب الحجاز ١٥٤ ؛ سياسته نحو الميثقيين ١٥٨ ؛ سياسته نحو مملكة  
برجامون ١٥٩ ؛ موقفه من الحرب اليونانية الأولى ١٦٠ ؛ إستعادة  
قورين وتوايها ١٦١ ؛ سياسته نحو النوبة ١٦٢ ؛ نهايته ١٦٣ .

بطليموس الثالث ( يورجيتيس ) ١٦٤ ؛ اندلاع الحرب السورية الثالثة  
١٦٦ ؛ إصلاحاته الداخلية ١٦٩ .

بطليموس الرابع ( فيلوباتور ) ١٧١ ؛ اندلاع الحرب السورية الرابعة في  
الشرق الأدنى ١٧٢ ؛ المعركة الكبرى في رفح ١٧٢ ؛ سياسته بعد الانتصار  
في رفح ١٧٦ .

بطليموس الخامس ( إبيفانيس ) ١٧٨ ؛ الحرب السورية الخامسة وفقدان مصر  
لممتلكاتها في الشام ١٧٩ ؛ تزايد النفوذ الروماني في مصر ١٧٩ ؛  
حجر رشيد ١٨٣ ؛ ثورة طيبة القومية ١٨٣ ؛ تأزم العلاقات مع مملكة  
مروى النوبية ١٨٣ .

بطليموس السادس ( فيلوميتر ) ١٨٦ ؛ الحرب السورية السادسة ١٨٦ ؛  
حادثة عصا السفير الروماني لايتاس ١٨٧ ؛ اندلاع الحرب بين بطليموس  
السادس وأخيه الأصغر ١٨٧ ؛ تدخل الرومان في الصراع بين الأخوين،  
١٨٨ ؛ المحاولة الأخيرة لاستعادة جنوب الشام ١٨٩ .

رقم الصفحة

بطليموس السابع (نيوس فيلوباتور) ووصاية عمه (يوزبيليتيس الثاني)

١٩٠ ؛ مقتل ١٩١ .

بطليموس الثامن (يوزبيليتيس الثاني) ١٩١ ؛ إعلان وثيقة العفو العام

١٩١ ؛ أقاله ١٩٤ .

بطليموس التاسع (سوتر الثاني) ولبليموس العاشر (الاسكندر الأول)

١٩٢ ؛ أعلام العودة للشام ١٩٣ .

بطليموس الحادي عشر (الاسكندر الثاني) ١٩٥ .

بطليموس الثاني عشر (الرمار) ١٩٦ .

كليوباترا السابعة وأخوها بطليموس الثالث عشر ١٩٨ ؛ قهوم يوليوس قيصر

إلى مصر ١٩٩ ؛ كليوباترا وأخوها بطليموس الرابع عشر ٢٠٠ ،

زيارة كليوباترا لروما ٢٠٠ ؛ كليوباترا وإينها بطليموس الخامس عشر

(قيصريون) ٢٠٤ ؛ كليوباترا وماركوس أنطونيوس ٢٠١ ؛ الحرب

بين اكتافيوس وكليوباترا ودشول الرومان مصر ٢٠١ .

مراجع الفصل الخامس ٢٠٥ .

## الفصل السادس : امبراطورية النسطوريين في أنسبيا الصغرى والششرق الأدنى

٢١٣

الصراع على الشام بعد موت الأسكندر ٢١٣ ؛ قيام الأمبراطورية

السلوقية ٢١٥ ؛ التحالف بين الأنباط والسلوقيين ٢١٧ .

سليوتوس نيكاتور مؤسس الأمبراطورية وسياسه ٢١٩ .

أنطيوخوس الأول (سوتير) ٢٢٠ ؛ أنطيوخوس الثاني (ثيوس) ٢٢٣ ؛

سليوتوس الثاني (كاليينيكوس) ٢٢٤ ؛ حرب الأخوين وتوضع مملكة

برجامون على حساب المملكة السلوقية ٢٢٦ ؛ نهاية سليوتوس الثاني ٢٢٨ .

أنطيوخوس الثالث الملقب بانكبير ٢٢٩ ؛ قضائه على الثورات ٢٢٩ ؛

تحليل لأسباب فشل سياسته الخارجية ٢٢٩ ؛ تأزم علاقاته مع الرومان

٢٣٣ ؛ نقاط القوة والضعف في شخصية أنطيوخوس الكبير ٢٣٧ ؛

مقدمات معركة ماجنيسيا الفاصلة ٢٤٣ ؛ تفاصيل المعركة وبداية النهاية

للأمبراطورية السلوقية ٢٤٤ ؛ نتائج المعركة ٢٤٩ ؛ سليوتوس الرابع

(فيلوباتور) ٢٥٤ .

أنطيوخوس الرابع (إبيفانيس) ٢٥٥ ؛ عنايته بالطرق التجارية ٢٥٨ ؛

صراعه مع اليهود ٢٥٩ ؛ حملته على مصر ٢٦٣ ؛ حملته ضد البارثيين

٢٦٤ .

رقم الصفحة

الطوبىوس الخامس (يوثور) ٢٦٥ ؛ الأسكندر بالاس ٢٦٦ ؛  
الطوبىوس السادس ٢٦٧ .

الطوبىوس السابع (سيه ياجس) ٢٦٧ ؛ تدهور الامبراطورية السلوقية  
٢٦٩ ؛ قدوم تهران ملك أرمينيا إلى سوريا ٢٧١ ؛ الرومان يرهبون  
تهران على الانسحاب من سوريا ٢٧٣ ؛ الدولة السلوقية في الزرع  
الخير ٢٧٤ ؛ تهلان ، تاريخي القام وسقوط الامبراطورية السلوقية  
٢٧٥ ؛ أهم مراجع الفصل ٢٨٣ .

### الفصل السابع : الأوضاع الاقتصادية والحضارية في بلاد الشام في

٢٨٥

العصر الهلنستي

الأوضاع الاقتصادية ٢٨٥ ؛ التخطيط وهندسة المدن ٢٩٧ ؛ الفنون والآثار  
٣٠٠ ؛ النقود والعملة ٣٠٣ ؛ الحلى والزجاج ٣٠٥ ؛ الفنون  
الهندسية والعمارة ٣٠٩ ؛ الحياة الاجتماعية والفكرية ٣٠٧ ؛  
السلوقيون والالمان ٢١٣ .  
مراجع الفصل السابع ٣١٩ .

٣٢١

### الفصل الثامن : بلاد الرافدين والخليج في العصر الهلنستي

أهمية المصادر الأثرية ٣٢١ ؛ الصراع على إمتلاك بلاد الرافدين بين ورثة  
الأسكندر ٣٢٨ ؛ الأوضاع في بلاد الرافدين والخليج في العصر الهلنستي  
٣٣١ ؛ تأثير الحروب الهلنستية على المدن في بلاد الرافدين ٣٣٩ ؛ سياسة  
الملوك السلوقيين إزاء المدن المرفقة في بلاد الرافدين ٣٤٢ ؛ ازدهار  
التجارة والصناعة ٣٤٤ ؛ الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية ٣٤٨ ؛  
علاوة المستوطنين المقتولين والأحرار بالبابليين في المدن الجديدة ٣٥٣ .

تم الطبع بالادارة العامة للطبعة  
جامعة القاهرة والكتاب الجامعى  
المدير العام  
البرنس جهوده حسين عمر  
١٩٩٢/٢/٤

رقم الايداع ١٩٩١/٩٦٤٧  
الترقيم الدواى 977-04-0770-4

---

( مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ١٥١٩/١٩٩٠/٢٠٠٠ )





*www.EgyClassics.com*

